

مجلة إسلامية شهرية جامعة

تصدر عن المنتدى الإسلامي

من العدد

التاسع عشر ـ الرابع والعشرين



العدد التاسع عشر . دو الحجة ١٤٠٩ هـ ـ تموز (يوليو) ١٩٨٩ م

مجلة إسلامية جامعة

تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير
محمد العبدة

مدير التحرير
منصور الأحمد

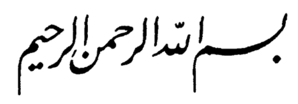
AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place Parsons Green

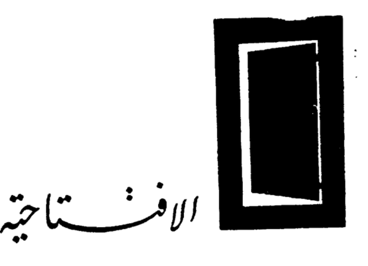
London SW6 4HR U K

Tel 01-7[illegible]1 8145

Fax : 01 73[illegible] 4255



المحتوى



١ ـ الجهاد هو الجهاد

ليس شيئاً من شعائر الإسلام يثير رعب أعدائه مثل الجهاد ، وليس أمراً حرص المستعمرون وأذنابهم على تشويهه ؛ وتفريغ قلوب وعقول المسلمين منه كهذه الفريضة .

ومامن مناسبة استعمل فيها المسلمون كلمة « الجهاد » إلا وكانت ناقوس خطر يثير فيهم خليطاً من مشاعر الرهبة والغضب ، يوازيه عمل دائب بشتى السبل للحد من أثر هذه الكلمة النفسي والعملي .

وفي فترة سبات طويل اجتمعت فيها أسباب كثيرة جعلت المسلمين ينظرون إلى كثير من مفردات دينهم نظرة خاطئة ، ويجردونها من معانيها الأصلية ، ويلبسونها معاني ليست لها ، وهي في الحقيقة معانٍ تعكس ضعفهم ورضاهم بالواقع ، ويتمثل فيها خداعهم لأنفسهم وتسويل الشياطين لهم . وكان الجهاد من تلك الكلمات التي تُلوعِب في معناها ، فالتبست على الكثيرين مع أنها من أشد الكلمات وضوحاً وتوضيحاً ، سواء في القرآن أو في السنة ، فمثلاً لم يكن يتصور أحد من الصحابة أن يحقق معنى الإسلام في نفسه دون أن يشارك في الجهاد ، وهكذا

اندفعوا في كل اتجاه حاملين دين الله يبلغونه للعالمين ، فكم منهم من مات في مسقط رأسه ياترى ؟! وهل يدري مسلمو اليوم كم قضى من أولئك الحشد الكريم في البلاد البعيدة ، وإلى أي مدى وصلت بهم هممهم العالية ، لا نقول : أقدامهم أو سنابك خيلهم ؟! وكذلك الأجيال الأولى في التاريخ الإسلامي .

ومع أن فقه الجهاد وما يتعلق به بقي في كتب الفقه محدداً مفصلاً ، محفوظاً ومدروساً ؛ إلا أن الجهاد « العملي » لازال يتقلص وينحسر حتى أتت على المسلمين فترة انقلب فيها فهمه رأساً على عقب ، وأصبح يوصف (بالأصغر) بينما أصبح حال المتبطلين الخانعين من الصوفية ، المنعزلين عن المشاركة في الحياة الإيجابية بعرضها وطولها ، المتطلعين إلى وسم أساليب حياتهم بسمات شرعية تسوغها ... أصبحت هذه الأساليب الغريبة عن روح الإسلام « جهاداً أكبر » ! فرووا في ذلك حديثاً ضعيفاً ، بل موضوعاً لاتصح روايته إلا مقرونة بما يفيد تركها وسقوطها ، والحديث هذا عن جابر قال : قدم النبي ﷺ من غزاةٍ فقال لهم رسول الله ﷺ : « قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر = مجاهدة العبد هواه » (١) . وهو حديث ساقط رواية ودراية أي سنداً ومتناً .

. أما رواية ، فلأن في سنده يحيى بن العلاء ، قال عنه ابن حجر : رمي بالوضع ، وضعفه أبو حاتم الرازي ، ويحيى بن معين ، وقال عنه الدارقطني : متروك ، وقال عنه أحمد بن حنبل : كذاب يضع الحديث .

وأما دراية فلأنه معارض لصريح قوله تعالى : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين ــ غير أولي الضرر ــ والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة ، وكلاً وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما ﴾ [النساء / ٩٥] .

وكذلك فإنه لم يرد في ثواب عمل من الأعمال ماورد في فضل الجهاد

١ ــ انظر كلاماً حول هذا الحديث للشيخ محمد أمين المصري في كتابه سبيل الدعوة الإسلامية ، ص ٧١ .

في سبيل الله ، ففضلاً عن الآيات القرآنية الكثيرة ؛ إلى القارىء بعضاً من أحاديث النبي ﷺ في فضله :

ــ رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد .

ــ إن في الجنة مائة درجة ، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض (رواه البخاري) .

ــ مااغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار (رواه البخاري) .

ــ رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل (رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح) .

ــ رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وإن مات فيه أجري عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجري عليه رزقه وأمن الفتّان (رواه مسلم) .

ــ وعند البخاري أن رجلاً قال : يارسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد ؟ قال : « لا أجده » ثم قال : « هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولاتفطر ؟ » فقال : ومن يستطيع ذلك .

ــ لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا ومافيها (متفق عليه) .

(والجهاد ــ باتفاق العلماء ــ أفضل من الحج والعمرة ، ومن صلاة التطوع ، وصوم التطوع .... ونفع الجهاد لفاعله ولغيره في الدين والدنيا ، وهو مشتمل على جميع العبادات الظاهرة والباطنة : محبة الله ، والإخلاص له ، والتوكل عليه ، وتسليم النفس والمال له ، والصبر والزهد ، وذكر الله) [مجموع الفتاوى ٢٨ / ٣٥٣] .

ولقد وصل المسلمون في الأعصر الحاضرة إلى مرحلة فاصلة ، وعطِّلت كثير من أحكام الإسلام ومفاهيمه ، وأجبر الناس جبراً ، وعلى غير رضاً منهم ، على العيش في ظل مفاهيم غريبة غن عقيدتهم ودينهم.، وأصبح الجهاد بمعناه الشرعي بعيداً عن أفكارهم وتوجهاتهم ، وكل ذلك يهون وتمكن معالجته عند إدراكهم لحقيقة دينهم وحقيقة واقعهم وماهم عليه من حال بعيدة عما يرضاه الله تعالى لهم . ولكن الرضا عن هذا

الواقع المؤلم ؛ والاحتجاج له بالحجج الواهية المقدَّمة في ثياب شرعية زائفة أصبح غير مقبول ، ولا يقل خطراً وأثراً تخريبياً عن المذاهب الهدامة ، والبدع المدمرة التي يستعين مروجوها ــ بالإضافة إلى الحديد والنار وحيل الإستعمار ــ بشراء الفتاوى الباطلة لتتقبلها الجماهير بأقل مايمكن من التكاليف والجهود .

إن الجهاد هو الجهاد : بذل لكل مايمكن من الجهود في سبيل الله ، ومدافعة أعداء الله وأعداء رسوله بكل مايستطاع من القوة ، قوة البدن ، وقوة السلاح ، وقوة المال ، وقوة العلم والمعرفة ، على هذا استقر الإسلام يوم استقر ، وبعيداً عن هذا الفهم الجامع لمعنى الجهاد نزلت بنا الكوارث ، وفعلت بنا الأفاعيل □

٢ ــ الحج ذلك الموسم العظيم

إن فوائد الحج الفردية لايمكن إنكارها أو المجادلة فيها ، فهو تزكية للنفوس ، وتجريد لها من عوامل الضعف ، وتزكية لها بالتصميم على الانخلاع من الذنوب والآثام ولذة القرب من الله ومناجاته في المشاعر التي عظمها بنفسه : ﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ .

ولكننا في هذه المناسبة نحب الإشارة إلى الجانب الاجتماعي والمظهر العالمي للحج كمؤتمر للمسلمين يقفون فيه وقفة للمراجعة ، شاكرين نعمة الله عليهم سائلينه العون على تجاوز العقبات والصعاب .

وإذا ماأشرنا إلى بعض السلبيات في موسم الحج فلا يعني هذا الغفلة عن ما لهذه الشعيرة من أثر في إصلاح أحوال المسلمين أفراداً وجماعات ، بل هو مزيد إلحاح على هذه السلبيات حتى تنمحي أو تقل ولا يكون ذلك إلا ببث الوعي عند المسلمين المتوجهين إلى تأدية هذه الفريضة .

إن كل من أكرمه الله بأداء فريضة الحج رجع وقد رأى وشاهد أنواعاً من التصرفات والسلوك بين صفوف الحجاج أقل مايقال فيها أنها ليست من الإسلام في شيء ، بل إن روح الإسلام تخالفها أشد المخالفة ، بل وتحاربها أشد الحرب ، فهناك جهل كبير بأحكام الحج وآدابه يؤدي إلى أضرار كبيرة بالحجاج ، وإعطاء صورة غير طيبة عن المسلمين وشعائرهم .

لذلك وجب على العلماء وطلبة العلم كل بحسب قدرته تعليم المسلمين ونصحهم سواء قبل سفر هؤلاء الحجاج من بلادهم أو بعد وصولهم إلى المشاعر المقدسة ، وحتى يثمر التعليم والنصح والإرشاد ثمرته المباركة ينبغي أن يصدر عن مدارسة وتخطيط يقوم به العلماء الذين يعتبر موسم الحج مناسبة مهمة لتجمعهم لتدارس مشاكل المسلمين الحجاج سواء في أثناء تأديتهم المناسك ، أو المشاكل العامة المتعلقة بأوضاع المسلمين عامة .

إن أهم المقاصد من الحج أن يتعانق الهدفان الديني والدنيوي وينعكسان على المسلمين خيراً وبركة . وتتحقق السعادتان : سعادة الدنيا بتصحيح الأخطاء والقضاء على السلبيات ؛ وسعادة الآخرة بمغفرة الذنب ومرضاة الرب ، أما التطلع لتحقيق واحد من الهدفين منفصلاً عن الآخر فهذا مخالف لروح الآية الكريمة ﴿ ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ﴾ □

* * * *

﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾

د . عبد الكريم بكار

هذه آية عظيمة القدر في كتاب الله ــ عز وجل ــ حيث إنها تُسهم إسهاماً كبيراً في تشكيل رؤية المسلم إلى أشياء كثيرة في عالم الأحياء وترتب على عدم الاهتداء بهدي هذه الآية كثير من الخلل في حياتنا المعاصر .

وما اخترناه ليكون عنواناً لهذه المقالة جزء من آية هي قول شعيب عليه السلام لقومه : ﴿ ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ [الأعراف / ٨٥] .

وسياق الآية وإن كان يدل في ظاهره على أن المقصود المباشر بـ (أشياءهم) هنا مايتبادله الناس في معاملاتهم من المتاع ، إلا أن مايملكه الناس ويتمتعون به من أخلاق وأفكار وتاريخ ... أولى بإقامة العدل وإنزاله في منازله من غير وكس ولا بخس ولا شطط لما يترتب على الإخلال بذلك من الحقد والقطيعة والفرقة وذهاب الريح ...

ولما كانت أصول دعوات الأنبياء ــ عليهم السلام ــ واحدة فإن الأمر بإقامة الموازين والحكم بالعدل والإنصاف ظل الوصية الخالدة التي يوجهها كل نبي إلى قومه ؛ لأنه

بالعدل قامت السموات والأرض ...

وقد أوصى الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يعلن لأمته أمر الله له بإقامة العدل فيها ، فقال : ﴿ وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم ﴾ [الشورى / ١٥] .

وأوصى المؤمنين بإقامة العدل مع الناس كافة حتى الأعداء الذين يبغضونهم ويحاربونهم ، فقال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [المائدة / ٨] .

وقد كان ﷺ يقوم لله بالشهادة فيعطي كل ذي حق حقه ، وفي سيرته العطرة مئات الشواهد التي تفيد التزامه المطلق بإنزال الناس منازلهم ، وذكر محاسنهم وميزاتهم ، مهما كان انتماؤهم وحيث كان موقعهم .

فهذا هو يقول : « أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد :

ألا كلُّ شيء ماخلا الله باطل

.... مع أن لبيد وقتها كان كافراً » (١) ، وكان بإمكانه عليه الصلاة والسلام أن يثني على شعر بعض أصحابه المملوء حكمة وهدى بدافع حصر الخير فيهم ، ولكن الالتزام بالحق والإنصاف وعدم بخس أحد حقه يأبى ذلك فأثنى على كلام رجل كافر .

ومن الجدير بالذكر هنا أن عثمان ابن مظعون رضي الله عنه سمع لبيداً ينشد البيت فلما قال :

ألا كل شيء ماخلا الله باطلُ

قال له عثمان : صدقت ، فلما قال :

وكل نعيم لا محالة زائل

قال له عثمان : كذبت نعيم الجنة ليس بزائل .

وإن المرء ليعجب لهذا الإنصاف أيضاً من عثمان المقتبس من مدرسة النبوة حيث أثنى في النصف الأول على لبيد ، ويكذبه في النصف الثاني !!.

وجاء المسلمون بسفانة بنت حاتم الطائي في السبي ، فذكرت لرسول ﷺ من أخلاق أبيها ونبله فقال لها :

١ ــ فتح الباري ٧ / ١٥٣٠ .

« ياجارية هذه صفة المؤمنين حقاً لو كان أبوك مؤمناً لترحمنا عليه ، خلّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق والله تعالى يحب مكارم الأخلاق » [1] .

لقد وقف رسول الله ﷺ من حاتم الموقف الذي تمليه شريعته الغراء التي جاء بها فأثنى عليه وأطلق سراح ابنته وأكرمها ولكنه لم يترحم عليه لعدم إيمانه لتهتدي الأمة بهذا الهدى النبوي العظيم !!.

ونبه ﷺ النساء على مايجري على ألسنتهن من انتقاص أزواجهن وجحد معروفهم عند أدنى خلاف فقال : « أريتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن ، قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قال : مارأيت منك خيراً قط » [2] .

وإن هذا الحديث يبرز قضية العدل إبرازاً يقل نظيره حيث جعل عليه الصلاة والسلام جحوده سبباً كبيراً لكثرة وجود النساء في النار ، وكأن كفران العشير يحدث في الحياة الزوجية من الشروخ والندوب مايوازي الجرائم الاجتماعية الكبرى .

وعلى هذا المنوال نسج الصحب الكرام رضوان الله عليهم حين إصدار الأحكام على الخصوم فضلاً عن الإخوة والرفاق ، فقد قاتل علي رضي الله عنه الخوارج وقاتلوه ثم قتلوه ولما سئل من قبل بعض الناس عنهم أمشركون هم ؟ قال : من الشرك فروا قتل : أفمنافقون ؟ قال : إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً — أي هؤلاء يذكرون الله كثيراً — قيل : فما هم ياأمير المؤمنين ؟ قال : إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا !! [3] .

فهل بعض إنصاف أبي الحسن من إنصاف ؟ وهل هنالك كلام يقوله شاهر سيف أرق من هذا الكلام ؟!.

وظل روح العدل والإنصاف سارياً في الأمة قروناً عديدة ، وتجلى ذلك بشكل واضح جداً في القواعد التي صاغها المحدثون في الجرح والتعديل حيث وضحوا الجوانب

---

١ — البداية والنهاية ٢ / ١٩٨ .
٢ — صحيح البخاري ١ / ٢٤ .
٣ — البداية والنهاية ٧ / ٣٠٠ .

المختلفة لشخصية الراوي ، وحكموا على كل زاوية على حدة ، ثم انتهوا إلى حكم عام حوله ، وصار عندهم من الظواهر المألوفة أن يطلب أحدهم الدعاء من رجل فإذا جاءه حديث عن طريقه حكم على الحديث بالضعف لأن طلب الدعاء مبني على اعتقاد الصلاح ، أما قبوله روايته فيعتمد على شيء آخر كضبط الراوي وعلمه ونباهته ، وغير ذلك ...

ولكن تراجعت هذه الرؤية الموضوعية الفذة فيما تراجع من الجوانب المختلفة من حياة المسلمين وصار المنصفون الذين يجردون الشهادة لله ، ويضعون الأمور في مواضعها دون بخس أو تزيد من القلة الذين يشار إليهم بالبنان ، ولنذكر بعض النماذج التي ضربت بجذورها في حياة المسلمين اليوم ، وصارت تشكل ظاهرة مرضية مزمنة ، وذلك نتيجة التطفيف في المكاييل ، وبخس الناس أشياءهم :

١ ــ يقوم شاعر ماجن أو ملحد بنظم قصيدة عصماء تتوفر فيها كل العناصر الفنية المجمع عليها ، فيتصدى لنقده بعض أهل الخير ، فيسقطه ويشنع عليه غاضاً الطرف عن كل إبداعه الفني ، وماذاك إلا لأن اتجاه ذلك الشاعر لا يروقه فاتخذ منه موقفاً ثابتاً حتى لو كان مضمون تلك القصيدة لايمس أصولنا الاعتقادية ، ولا مسلماتنا المذهبية .

والواجب في مثل هذا أن يثني على جوانب الإبداع في القصيدة ، وينتقد المضمون إن كان فاسداً نقداً أصولياً هادئاً عفيفاً .

ومن الواجب كذلك أن يفرق بين إنتاج الرجل الواحد فيثني على الصالح منه وينتقد مافيه دخن ، يقدم أحد الكتاب أو الشعراء خدمة جلى للمسلمين في كتاب أو قصيدة ويتعثر في كتاب أو كتب أخرى فيعطى حقه في كل منها دون بخس أو شطط ، وحين يكون النقد أو الخلاف في وجهات النظر على هذا المنهاج يكون إمكان الإصلاح أقوى ، ونكون أقرب من الصواب ، وأقرب للتقوى .

والرؤية التي يشكلها الإسلام لدى المسلم السوي في مثل هذا أن يشجع الأعمال الإيجابية ، ويثني عليها ، ويكون عوناً فيها ، فإذا رأى خللاً نبه عليه ، وحذر منه وقام بالبلاغ المبين ، ولو جرى مثل هذا في

المجتمع لساد الانطباع بالإنصاف لدى الفريقين ومن بينهما من الناس ولأدى ذلك إلى تفتيت كتل المتشنجين والمتحازبين الذين لايرون لغيرهم فضلاً ، ولا يظنون فيمن خالفهم إلا سوءاً .

٢ ــ يتآخى بعض أهل الخير في الله ويسعون جهدهم لخدمة هذا الدين وأهله صفاً واحداً ، ثم تحدث اجتهادات أو أخطاء تؤدي إلى تباين وجهات النظر ، فتنشأ في الصف الواحد تيارات ومدارس ، وقد يتطور الأمر فيجد بعضهم الاستمرار مستحيلاً مما يجعله يقعد أو ينحو منحى آخر يجده أجدى وأنفع .

وسرعان مايختلف اتجاه الرياح ، فيصبح الأخ الناصح أو القائد المحنَّك أو الصادق المخلص جباناً ، أو بخيلاً أو صاحب مصالح بل قد يصبح عميلاً أو منافقاً ... إلى آخر مايجود به قاموس (عمى الألوان) من الأوصاف الشنيعة والاتهامات المقذعة ، ويصبح اللقاء بين الحميمين العدوين ضرباً من المستحيل مع أن نظرة متأنية منصفة في ساعة إنابة لله جل وعز كفيلة بتبديد الغيوم وإذابة الثلوج . وإنما يحدث مثل هذا لخللٍ في التربية الاجتماعية وأسلوب التلقي وغياب المناهج والمعايير الدقيقة التي يتحاكم إليها المتنازعون ، وماغابت المناهج النيرة إلا كان البديل هو الاتهام وسوء الظن وطمس الحقوق .

٣ ــ قد يحدث أن يسوق الله طالب علم إلى أحد المدرسين فيأخذ عنه بعض ماعنده من العلم في بعض الفنون ، ويشعر الطالب في بعض الأحيان أن ماعند هذا الشيخ في تخصص ما لاينقع الغلة ، ولا يروي الصادي فيتجه إلى شيخ آخر يلتمس ماعنده ، وهنا يشعر الأستاذ الأول أن مافعله هذا الطالب فيه نوع من إساءة الأدب وعدم الوفاء بل قد يشعر أن هذا الطالب يوحي بأن ماعند الشيخ في هذا الفن ضئيل الفائدة وحينئذ يبدأ تقطيب الوجه ، والتصريح والتلميح والإشادة بأقران ذلك الطالب الذين يمثلون الأدب والوفاء والعبقرية ، ثم تكون الجفوة والقطيعة ...

ونحن الآن في زمان ترك فيه الحلاق الحجامة ، وقلع الأضراس ، وترك فيه الطبيب الفلك والحساب بل إن إحاطة المرء بكل فن من الفنون صار متعذراً نظراً للتراكم الثقافي

العظيم ، والانفجار الهائل في المعلومات .

وهذا الداء قديم عندنا ، ومالم تحرر النيات لله تعالى فستقطع رحم العلم ، ويحل الجفاء موضع الدعاء ، والإزورار موضع التزاور . وكم تختلف الصورة لو أن هذا الأستاذ أرشد تلاميذه إلى أولى الاختصاص ليفيدوا منهم إذاً لقارضه الثناء الأستاذ الآخر ولاتصلت الأنساب العلمية وأثريت الحياة الثقافية ، وقبل هذا وذاك حصول الالتزام بمنهج الله تعالى الذي لايرضى لعباده التباغض والتحاسد وبخس الحقوق ...

والخلاصة أن هذه الآية الكريمة مما عطل به العمل عند كثير من المسلمين ، ونشأ عن هذا التعطيل مرض اسمه (عمى الألوان) ولكنه في البصيرة دون البصر ، فأطفئت ألوان كثيرة لاتكاد تحصى كانت تتوهج بين الأبيض والأسود ، وكثر النمط الذي يقرظ بـ (وحيد دهره وفريد عصره) والنمط الذي يقول فيه (الرجال) ما رأينا منه خيراً قط ... □



﴿ الإحسان ﴾

إعداد : عادل التل

تتميز اللغة العربية بسعتها وكثرة مدلولات ألفاظها وشمولها لمعان متقاربة ، وقد جاء الشرع (القرآن الكريم والسنة النبوية) بألفاظ معينة لأحكام محددة ، وبين بشكل واضح المعنى المراد من كل لفظ وحدد المقصود منها مما أغنى ــ في هذا الموضع ــ عن الرجوع دائماً إلى أصل اللغة . وأصبح هذا التخصيص هو المرجع في فهم نصوص الكتاب والسنة ونشأ علم المصطلح عند العلماء المسلمين ليساهم في توضيح هذه القضية ، سنقدم خلال هذه الصفحات مصطلحات إسلامية نحتاج إليها دائماً .

المعنى اللغوي :

الإحسان : مصدر أحسنَ ، يحسن ، إحساناً . يدل على معنيين :

١ ــ أحدهما متعدٍ بنفسه كقولك : أحسنت كذا أي حسنته وكملته وهو منقول بالهمزة من حسن الشيء .

٢ ــ متعد بحرف الجر كقولك أحسنت إلى فلان أي أوصلت إليه ماينتفع به .

والحسن أصل واحد في اللغة وهو ضد القبح ، وهو عبارة عن كل مرغوب فيه ، ومنه الحسنة يعبر بها عن كل مايسر النفس من نعمة تنال الإنسان في نفسه وبدنه وأحواله ، والسيئة تضادها . ومنه الإحسان ضد الإساءة .

المعنى الاصطلاحي :

يجتمع الإحسان والإنعام بمعنى العطاء ولكن الإحسان أهم من الإنعام ، بحيث يكون الإحسان للنفس ، بينما لا يكون الإنعام إلا للغير ، وكذلك الإحسان والعدل ولكن الإحسان فوق العدل لقوله تعالى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ فالعدل هو أن يعطي ماعليه ويأخذ ماله ، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ، ويأخذ أقل مما له ، لذلك قيل تحري العدل واجب بالشرع ، وتحري الإحسان ندب وتطوع .

ولقد عرف رسول الله ﷺ الإحسان حين أجاب جبريل عليه السلام : « الإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » أخرجه البخاري .

قال ابن الأثير في معنى الإحسان هنا : الإخلاص ، وقال القرطبي : راجع إلى اتقان العبادة ومراعاتها بأدائها المصححة المكملة ، ومراقبة الحق ، واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار ، وأرباب القلوب في هذه المراقبة على حالين :

أحدهما : غالب عليه مشاهدة الحق فكأنه يراه ، ولعل النبي ﷺ أشار إلى هذه الحالة بقوله : « وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

وثانيهما : لا تنتهي إلى هذا ، لكن يغلب عليه أن الحق سبحانه مطلع عليه ، ومشاهد له ، وإليه الإشارة بقول الله تعالى : ﴿ الذي يراك حين تقوم ، وتقلبك في الساجدين ﴾ ، بينما يعتبر ابن تيمية أن النبي ﷺ جعل الدين ثلاث درجات ، أعلاها الإحسان وأوسطها الإيمان ، ويليه الإسلام ، لقول الله تعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ﴾ فالإحسان يدخل في الإيمان والإيمان يدخل في الإسلام .

من أحكام المصطلح :

١ ــ إن الإحسان درجة عالية في مراتب الدين يجب على الإنسان أن يسعى إليها بنية صادقة ومجاهدة مستمرة ، قال تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ﴾ .

٢ ــ الإخلاص في العمل ، قال سفيان بن عيينة : « كان العلماء فيما مضى يكتب بعضهم إلى بعض بهؤلاء الكلمات : من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح مابينه وبين الله أصلح الله مابينه وبين الناس ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه » .

٣ ــ إن الدعاة إلى الله بحاجة أن يتمثلوا بهذه الحقيقة ويكونوا في مستوى هذه المنزلة الرفيعة ، فالدعوة إلى الله تحتاج دائماً إلى جيل متميز يصبر على مشاق الدعوة ، ويجتاز الصعاب ، يقول تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ، ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ، ومايلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ .

٤ ــ أمر الإسلام بالإحسان في كل شيء ، فقد قال رسول الله ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ... » أخرجه مسلم .

٥ ــ عندما يصل المسلم إلى هذه الدرجة العظيمة من الإحسان والتقوى ، وكلما أوغل قلبه في هذا الطريق ، تيقظ شوقه إلى مقام أرفع ، ولا يبالي بعد ذلك بما يصيبه من بلاء أو يواجهه من أهوال ، ينطلق بدعوته للخير دون خوف أو خجل ... □



خواطر في الدعوة

الفرصة المتاحة

إن مايحدث على الساحة العالمية هذه الأيام شيء يحتاج إلى وقفة تأمل وتدبر ، فموجة المطالبة بالحريات الديمقراطية في الحكم تجتاح أعتى الدول دكتاتورية وقبضة حديدية ، أمريكا الجنوبية ترجع شيئاً فشيئاً إلى طريق الانتخابات ، الدول الشيوعية وعلى رأسها روسيا تقوم فيها المظاهرات مطالبة بإعادة الاعتبار للشعوب المقهورة ، هل كان أحد يتوقع أن تقوم مظاهرة في موسكو ؟! والروس هم الذين سحقوا الشعوب التي طالبت بشيء من الحرية ، ومايحدث في الصين أعجب ، لقد تظاهر المسلمون أيضاً يطالبون بحقوقهم ، رغم أن العسكر رجعوا إلى عادتهم القديمة في قمع هذا الاتجاه .

لقد أفلست الشيوعية ومن قبلها الرأسمالية رغم أن الغرب يحاول الآن استغلال هذا الانهيار في الجانب الشيوعي ليقول للناس : إن البديل هو الليبرالية الرأسمالية ، ولكن فعلهم هذا كمن يحاول تجميل وجه قبيح ، أو إرجاع الشباب إلى عجوز شمطاء ، فالغرب وإن كان فيه بقية من قوة وحيوية سيتشبث بها وينفخ في نفوس أهله النزعة الاستعمارية المتأصلة ، إلا أن الخلل والانحطاط في الحضارة الغربية باد واضح للعيان ، إذن ماهو البديل العقائدي أو الفكري الذي يطرح نفسه

في هذه الأيام ؟.

إن الإنسان لا يستطيع العيش في فراغ ، لابد من شيء يملأ جوانحه ، لابد أن يعبد شيئاً ما ، وأصدق الأسماء على الإنسان كما قال رسول الله ﷺ « حارث وهمّام » فلابد له من هم يشغَله ، وليس هناك سوى الإسلام .

وإذا كانت اليابان سترث الغرب اقتصادياً ومالياً ، كما يتوقع بعض كتاب الغرب المعاصرين ، فإنها لا تستطيع أن تملأ الفراغ ، اليابان لاتملك فكراً متميزاً تقدمه للناس .

فهل يعي المسلمون خطورة مكانهم ومكانتهم ودورهم المهيأ لهم ؟ وهل يستطيع المسلمون إعطاء صورة صادقة عن هذا الدين مما يجعل بعض النفوس التي أراد الله لها الهداية أن تقبل على الإسلام ؟ إن الأخلاق الإسلامية العالية ، واتحاد الكلمة ووضوح الفكر ، من أكبر الأسباب التي تؤثر في هؤلاء الناس ، إنها فرصة متاحة لنشر الدعوة ، وتوعية المسلمين الذين كانوا مقهورين تحت الحكم الروسي أو الصيني ، وتوعية الجاليات الإسلامية في كل مكان .

وإذا كان الجهاد من أساسيات الدعوة ، فإذا انعقدت سوقه وفُتح بابه فهو من أسباب إظهار قوة الإسلام وعظمته والتبشير به فكذلك إذا أتاح السلام في بعض المناطق فرصة للدعوة فيجب أن تستثمر وتستغل كما حدث في صلح الحديبية حيث أعطيت فرصة كبيرة للمسلمين في التنقل وجلب أنصار جدد ، إن الفرص كثيرة ، والمهم هو أن يهتبلها المسلمون في الوقت المناسب □



عبد الله بن المبارك
العالم المجاهد

د . محمد بن مطر الزهراني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فإن الله اصطفى من خلقه أنبياء ورسلاً ، وجعل خاتمهم أفضلهم ، وإمامهم محمداً ﷺ ، وجعل رسالته خاتمة الرسالات ، ودينه ناسخاً لما قبله .

ثم اختار لصحبته صفوة الخلق بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وقد كانوا ــ بفضل الله ــ جديرين بذلك الاختيار ، فحملوا الرسالة من بعده ﷺ ، وكانوا أمناء على أدائها على الوجه الأكمل ، وكانوا المجتمع الأنموذج والتطبيق الفعلي لمبادىء تلك الرسالة ، ووسيلتهم في ذلك :

١ ــ السلوك العملي الذي هو تطبيق لمبادىء الرسالة .

٢ ــ وتعليم الناس دين الله .

٣ ــ والجهاد لإعلاء كلمة الله .

٤ ــ والصبر على الأذى والمشاق في سبيل الله .

فتخرج على أيدي هؤلاء الأئمة الأعلام تلاميذ نجباء كانوا على حمل الرسالة من بعد أشياخهم أمناء ، وهكذا خرج كل جيل جيلاً بعده يحمل الرسالة ويؤدي الأمانة ، وهذا من حفظ الله لهذا الدين الذي ختم به الأديان .

وكان من يهتدي بهدي الرسول ﷺ وصحابته من بعده ويسلك منهجهم في كل صغيرة وكبيرة يعرفون بأهل السنة والجماعة ، ومن هؤلاء أهل الحديث المشتغلون بالسنة النبوية وخدمتها قولاً وعملاً ، ومن خالف منهج الرسول ﷺ وصحابته الكرام عرفوا بأصحاب الأهواء أو « المبتدعة » ، وكان على رأس هؤلاء الخوارج والروافض والجهمية والقدرية والمرجئة والمعتزلة ، وغيرهم من تلك الطوائف المنحرفة عن ذلك المنهج القويم .

وكلمة أهل الحديث أصبحت علماً — في القرون الثلاثة المفضلة — على من اتصف بهذه الصفات :

١ — الاشتغال بخدمة السنة النبوية سنداً ومتناً ، حيث ظهر على أيديهم علم الرجال ، وعلم مصطلح الحديث الذي امتازت به الأمة الإسلامية ، عن غيرها من الأمم .

٢ — الالتزام بالكتاب والسنة قولاً وعملاً ، عقيدة وعبادة ، معاملات وسلوكاً ، سياسة واجتماعاً ، مع فهمهما الفهم الصحيح على نهج رسول الله ﷺ وصحابته الكرام .

٣ — عدم تأويل آيات وأحاديث الصفات ، أو صرفها عن ظاهرها بغير دليل .

٤ — عدم تحكيم العقل والهوى في النصوص بدون دليل صحيح ، كما فعل المبتدعة من جهمية ومعتزلة وغيرهم ممن انحرف عن منهج أهل السنة والجماعة .

٥ — فضح أهل البدع والأهواء وبيان ضلالهم وانحرافهم وتحذير الأمة منهم ومن ضلالاتهم ، كل ذلك نصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم .

٦ — الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وأن يكون الدين كله لله ، وذلك بالسنان والبيان ، كما فعل سلفهم الصالح من الصحابة رضي الله عنهم .

وقد وصف الحافظ ابن حبان في مقدمة صحيحه أهل الحديث ، فقال : « ... ثم اختار طائفة لصفوته ، وهداهم للزوم طاعته ، من أتباع سُبل الأبرار ، في لزوم السنن والآثار ، فزين قلوبهم بالإيمان ، وأنطق ألسنتهم بالبيان ، من كشف أعلام دينه واتباع سنن نبيه بالدُّؤوب في الرحل والأسفار ، وفراق الأهل

والأوطان في جمع السنن ورفض الأهواء ، والتفقه فيها بترك الآراء ، فتجرد القوم للحديث وطلبوه ، ورحلوا فيه وكتبوه ، وسألوا عنه وأحكموه ، وذاكروا به ونشروه ، وتفقهوا فيه وأصلوه ، وفرعوا عليه وبذلوه ... » (١) .

وسأعرض تحت هذا العنوان « من أعلام السنة والجماعة » نماذج من أولئك الأئمة الأعلام مبيناً حسب الإمكان جهودهم العلمية والعملية في خدمة هذا الدين وتعلمه وتعليمه للناس ، لعل شباب الإسلام اليوم يجدّون في الاقتداء بهؤلاء الأئمة ويحذون حذوهم فيحيون منهج أهل السنة والجماعة بين الناس ويكونون الأنموذج العملي لمبادىء تلك الرسالة كما كان أسلافهم من أهل القرون المفضلة .

وأول ماأبدأ به من هؤلاء الأعلام إمام أهل السنة في خراسان في زمانه ، وقدوة المتقين في وقته ، العالم الرباني المجاهد : عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن التركي الاب ، الخوارزمي الام ، ولد سنة ثماني عشرة بعد المئة وتوفي سنة إحدى وثمانين ومئة (٢) .

قال الإمام الذهبي : « ... الإمام شيخ الإسلام عالم زمانه وأمير الأتقياء في وقته ، طلب العلم وهو ابن عشرين سنة ، سمع من هشام بن عروة ، وإسماعيل بن إبي خالد ، وسليمان الأعمش ، وسليمان التيمي ، وحميد الطويل ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وموسى بن عقبة ، ومعمر بن راشد ، وابن جريج ، ومالك بن أنس ، والثوري ، وشعبة ، وخلق كثير .

وروى عنه داود العطار وابن عيينة ، وأبو إسحاق الفزاري ، ومعتمر بن سليمان ، ويحيى بن القطان ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وعبد الله بن وهب ، وعبد الرزاق الصنعاني ، وخلق غيرهم » (٣) .

مكانته العلمية :

قال الخطيب البغدادي : كان ابن

١ ــ ١ / ٨٤ ــ ٨٥ من مقدمة صحيح ابن حبان ، ط مؤسسة الرسالة .
٢ ــ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٣٦ ، الطبعة الأولى .
٣ ــ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٢ ــ ١٥٣ ، طبعة المكتبة السلفية بالمدينة .

المبارك من الربانيين في العلم الموصوفين بالحفظ ومن المذكورين بالزهد .

وقال عبد الرحمن بن المهدي : مارأيت أعلم بالحديث من سفيان الثوري ، ولا أحسن عقلاً من مالك ، ولا أقشف من شعبة ، ولا أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك .

وقال الأسود بن سالم : كان ابن المبارك إماماً يقتدى به ، وكان من أثبت الناس في السنة إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك بشيء فاتهمه على الإسلام .

وقال سفيان بن عيينة : نظرت في أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي ﷺ وغزوهم معه .

وقال العباس بن مصعب : جمع ابن المبارك الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء والتجارة .

وقال أحمد بن حنبل : لم يكن أحد في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه (١) .

هذه شهادات أئمة عدول تبين لنا تلك المكانة العالية التي كان يحتلها هذا الإمام المجاهد ، والعالم الرباني بين علماء الأمة ، هذه المكانة لم يكن ينالها ابن المبارك لو أنه آثر أن يعيش كما يعيش غيره من الناس على هامش الحياة آثراً الدعة والراحة على الجد والجهاد والتضحية والبذل ..

بل كان همه رحمه الله وشغله الشاغل نصرة هذا الدين وإعلاء كلمة الله ، فكان يبذل في سبيل ذلك نفسه وماله وعلمه وصحته ووقته رحمه الله ورضي عنه .

جهوده في خدمه منهج أهل السنة والجماعة :

تلقى الإمام ابن المبارك هذا المنهج الصافي عن شيوخه من التابعين وهم تلقوه عن الصحابة رضوان الله عليهم ، فبذل رحمه الله في سبيل تأصيل ونشر منهج أهل السنة والجماعة كل غال ونفيس

١ ــ انظر تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٦ ــ ١٦٣ ، سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٣٦ ــ ٣٤٦ ، هذا وهناك أقوال كثيرة في الثناء عليه وبيان مكانته آثرت الاقتصار هنا على أهمها وأجمعها .

لديه .

ولقد كانت حياته كلها خدمة لهذا المنهج ، وتطبيقاً عملياً لمبادىء منهج أهل السنة والجماعة ، وقد عبر عن ذلك الأسود بن سالم فيما رواه الخطيب بإسناده إليه قال : كان ابن المبارك إماماً يقتدى به ، وكان من أثبت الناس في السنة ، إذا رأيت رجلاً يغمز ابن المبارك بشيء فاتهمه على الإسلام . ا هـ [1] .

هكذا كان ابن المبارك ، وهكذا كان السلف الصالح كل حياتهم وحركاتهم وسكناتهم لدينهم الذي يدينون به لله لامجال لغير ذلك في حياتهم كلها وليس في حياتهم مجال لازدواج الشخصية .

وهذه نماذج من تلك الجهود التي قام بها ابن المبارك في سبيل تأصيل هذا المنهج والدعوة إليه :

أولاً : في مجال العقيدة :

كان لابن المبارك رحمه الله موقف من أهل البدع والأهواء ، وهو موقف المؤمن الواعي لما يدور حوله ومايحاك من الدس والتشويه والتحريف لعقيدة هذه الأمة عقيدة أهل السنة والجماعة ، لذلك نجده يوصي أحد تلاميذه فيقول : ليكن مجلسك مع المساكين وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة [2] .

وهذه بعض مواقفه :

ــ روى عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب الرد على الجهمية بإسناده إلى ابن المبارك أن رجلاً قال له : ياأبا عبد الرحمن قد خفت الله تعالى من كثرة ماأدعو على الجهمية ، قال : لاتخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء [3] .

ــ وأخرج الذهبي بإسناده إلى علي ابن الحسن بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك يقول : إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية [3] .

ــ وعنه أيضاً قال : قلت لعبد الله بن المبارك : كيف يعرف ربنا عز وجل ؟ قال : في السماء على العرش ، قلت له : إن الجهمية تقول

---

١ ــ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٧ ــ ١٦٨ ، ط المكتبة السلفية بالمدينة .
٢ ــ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٣ ، ط الأولى .
٣ ــ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٥ ــ ٣٥٦ ، ط مكة المكرمة .

هذا . قال : لانقول كما تقول الجهمية : هو معنا هٰهنا ... [1] .

قال الذهبي ــ معقباً ــ قلت : الجهمية يقولون : إن الباري في كل مكان ، والسلف يقولون : إن علم الباري في كل مكان ، ويحتجون بقوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ [الحديد / ٤] يعني بالعلم ، ويقولون : إنه على عرشه استوى ، كما نطق به القرآن والسنة .

وقال الأوزاعي وهو إمام وقته : كنا ــ والتابعون متوافرون ــ نقول : إن الله تعالى فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تكييف ، فإن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات المقدسة ، وقد علم المسلمون أن ذات الباري موجودة حقيقة ، لا مِثْل لها ، وكذلك صفاته تعالى موجودة ، لا مِثْل لها [1] .

ــ وأخرج أبو نعيم في الحلية بإسناده إلى عمار بن عبد الجبار قال : سمعت ابن المبارك يقول : سمعت سفيان الثوري يقول : الجهمية كفار ، والقدرية كفار ، فقلت لابن المبارك : فما رأيك ؟ قال : رأيي رأي سفيان [2] .

ــ وفي كتاب السنة للإمام أحمد عن إبراهيم بن شماس قال : سمعت ابن المبارك يقول : الإيمان قول وعمل ، الإيمان يتفاضل [3] .

ــ وفي كتاب الصلاة لابن القيم عن يحيى بن معين قال : قيل لعبد الله بن المبارك : إن هؤلاء يقولون : من لم يصم ولم يصل بعد أن يُقِّر به فهو مؤمن مستكمل الإيمان ، فقال ابن المبارك : لا نقول نحن مايقول هؤلاء ، من ترك الصلاة متعمداً من غير علة حتى أدخل وقتاً في وقت فهو كافر [4] .

ــ وقوله هذا والذي قبله وماسيأتي هو ردٌّ على المرجئة القائلين : لايضر مع الإيمان معصية كما لاينفع مع الكفر طاعة .

ــ روى أبو عثمان الصابوني عن

---

١ ــ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٥ ــ ٣٥٦ ، ط مكة المكرمة .
٢ ــ حلية الأولياء ٧ / ٢٨ .
٣ ــ كتاب السنة ١ / ٧٥ ، ط السلفية بمكة سنة ١٣٤٩ هـ .
٤ ــ كتاب الصلاة / ٦٣ . ط المكتب الإسلامي

إسحاق بن إبراهيم الحنظلي ــ ابن راهويه ــ قال : قدم ابن المبارك الري فقام إليه رجل من العباد ــ الظن أنه يذهب مذهب الخوارج ــ فقال له : ياأبا عبد الرحمن ماتقول فيمن يزني ويسرق ويشرب الخمر ، قال : لأخرجه من الإيمان . فقال : ياأبا عبد الرحمن على كبر السن صرت مرجئاً ، قال : لا تقبلنا المرجئة ، المرجئة تقول : حسناتنا مقبولة سيئاتنا مغفورة ، ولو علمت إني قبلت مني حسنة لشهدت أني في الجنة (١) .

هذا هو موقف عبد الله بن المبارك من أصحاب البدع والأهواء المنحرفة إنه موقف العالم المجاهد العارف لدينه ، والناقد البصير لتلك المبادىء الهدامة التي يدعو إليها أصحاب الأهواء ، والمتيقظ لخطر تلك العقائد الدخيلة على الإسلام والمسلمين ، والتي أدخلها عليهم أعداء الله ورسوله ﷺ من اليهود والنصارى والمجوس والصابئة ، وماتؤدي إليه من فساد في الاعتقاد ، وفساد في الدين ، وفساد في الأخلاق .

إنه يتبرأ من عقائد الرافضة والخوارج والجهمية والمعتزلة والقدرية والفلاسفة ، ويبين فساد مقالاتهم ومذاهبهم ، وفيما نقلناه من النصوص عنه يصرح ببطلان هذه العقائد المنحرفة .

ثم هو في أثناء ذلك لايغفل عن بيان منهج أهل السنة والجماعة في الإيمان بالله بأسمائه وصفاته التي وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ ، والوقوف عند نصوص الكتاب والسنة والتسليم لهما ، وعدم تقديم العقل عليهما أو تحكيمه فيهما ، وفي احترام الصحابة والترضي عنهم وعدم الخوض فيما جرى بينهم ، وكان يحذر من الرواية عمن يسبهم رضي الله عنهم ، روى ذلك الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن علي بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك يقول على رؤوس الناس : دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف (٢) □

• يتبع •

١ ــ عقيدة أصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني / ٧٠ .
٢ ــ مقدمة صحيح مسلم ١ / ١٦ ، وعمرو بن ثابت هو ابن أبي المقدام ضعيف رمي بالرفض مات سنة ١٧٢ هـ (التقريب / ٢٥٧) ط الباكستانية .

حديث عن المقاصد

- ١ -

د . عبد العزيز القارىء

أول ما نفتتح به الكلام عن العلم والبحث ، وقضايا التعلم والتعليم ومشكلات العالم والمتعلم : هو الحديث عن المقاصد ، وهو حديث ذو شجون ، وأي شئون المسلمين اليوم يخلو من الشجون ؟ لِمَ نتعلم ؟ تحديد الهدف والمقصد في مجال العلم والتعليم هو المسألة الأولى ، وعليها تبنى سائر المسائل ، لأن كل شيء يصاغ على ضوء الهدف والمقصد .

العلم في الإسلام يجب أن يكون لهدف واحد فقط : وجه الله والدار الآخرة ، وعلى ضوء هذا الهدف يقال : إن المؤمن إنما يتعلم ليعرف الله وليعبده ، وليعمر الأرض بعبادته ، حتى عمارة الأرض هي وسيلة لعبادة الله ، فإذا أصبحت وسيلة لغير ذلك أو أصبحت غاية فقد فسد المقصد .

بعضهم يجعلها غاية لأنه لم يفهم قوله تعالى : ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾ [يونس / ١٤] ، أو قوله تعالى : [هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ [هود / ٦١] ، ومعنى الآيتين : أن الإنسان جعل خليفة في الأرض ليعمرها بعبادة الله ، أما عمرانها المادي فهو وسيلة ، أي هو مطلوب بمقدار مايخدم تلك الغاية ليس أكثر ، إذ لا يتصور أن يكون هدفاً شرعياً أن يضع حجراً

على حجر ، أو مدراً على مدر إذا كان هذا لايحقق غاية أخرى .

نقول هذا لنؤكد على أن الهدف المذكور هو لمجمل عملية العلم والتعلم مهما اختلفت مجالاتها ، لانفرق في هذا بين علوم الدين وعلوم المدنية ، فإن ظاهرة « التمدن » أو « العمران المادي » تتطلب علوماً يلهث وراءها أكثر المتعلمين ، كما أن ظاهرة « التدين » تتطلب علوماً أخرى يسعى لنيلها آخرون .

مجمل التعلم والتعليم في هذا المجال أو ذاك يجب أن يدور حول ذلك الهدف ، ظاهرة « التمدن » أو « العمران المادي » لما انقلبت غاية بذاتها أصبحت مشكلة في حياة المسلمين ، لأنها أصبحت انحرافاً على ضوء ماقررناه آنفاً ، وهي المشكلة التي يعبر عنها أحياناً بـ « الترف » .

المؤمن يعمر من الأرض بمقدار مايعينه ذلك على عبادة الله وأداء فرائضه ، أي بمقدار مايُكِنُّه ، ومعنى يُكِنُّه : أي يقيه مختلف الغوائل التي يمكن أن تعوقه عن عبادة الله ، أو تعرض حياته للهلاك ، وبمقدار مايستر عوراته وحرماته عن الأعين ، هذا على مستوى الفرد والمجتمع ، وعلى مستوى المجتمع يُضاف إلى معنى الإكنان شيء آخر : هو الحاجة إلى مايعينه على أداء رسالته العالمية التي تُلَخَّص في كلمتين : الدعوة ، والجهاد .

أنا أعلم أن قلمي وهو يسطر هذه الحقيقة يبتعد كثيراً عن الواقع لأن واقع المسلمين في هذه المسألة ابتعد كثيراً عن المبدأ الإسلامي واقترب كثيراً من النظرة « الإفرنجيـة » للحياة ، و « الإفرنج » يتخذون « التمدن » غاية ، لأنهم اتخذوا الحياة الدنيا نفسها غاية ، فهم لا يعرفون الله ، ولذلك لا يبنون شيئاً للآخرة ، ﴿ وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [الروم : ٧] ، إنما يبنون لحياتهم الدنيا فقط .

لهذا فإن عملية التعلم والتعليم في ظلال هذه النظرة « الإفرنجية » يكون هدفها منقطع الصلة بالآخرة .

لو سألت هذه الآلاف المؤلفة المحتشدة في الجامعات : لماذا تتعلمون ؟ فكم منهم من يتذكر عبادة الله ؟ وكم منهم من يذكرك بالدار

الآخرة ؟ تأمين المستقبل الوظيفي هو هدف السواد الأعظم ، ولا يلزم أن يصرح بذلك بلسان المقال ، فلسان الحال يهتف به .

أما على مستوى التخطيط العام في المجتمع فالهدف أكثر بريقاً ، لكنه يحمل نفس المعنى : الإسهام في عملية بناء الوطن ، والمقصود الأول البناء المادي ، فهو الذي يستغرق معظم برامج خطط التنمية ، وهذه الخطط تخضع لها كل الجوانب بما فيها العلم والتعلم .

لم أسمع في أي بلد من بلاد المسلمين أن خطة التنمية فيها وضعت لتحقيق عبادة الله عز وجل ، قد يسخر منك المخططون !! تضع خطة خمسية أو عشرية لتحقيق عبادة الله ؟ هل هذا يحتاج إلى خطة ؟ ﴿ إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون ﴾ [هود : ٣٨] نسخر من هؤلاء الذين تدور حياتهم وخططهم وبرامجهم وعلمهم وتعليمهم حول نفسها ، تخططون من أجل الحياة ؟ والحياة من أجل ماذا ؟ فلماذا لاتختصرون الطريق وتتخلصون من عقدة هذا الانحراف إلى النظرة « الإفرنجية » فتخططون الحياة من أجل الذي وهبكم الحياة ، وهو قد صرح في كتابه أنه إنما وهبكم الحياة لتعبدوه : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وماأريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [الذاريات : ٥٦ — ٥٨] لو جعل المخططون والمبرمجون الأساس والمنطلق هو هذا كم تتغير خططهم وبرامجهم .

من المؤسف جداً أن نقول : إن فساد العلم والتعليم في حياتنا بدأ بفساد المقاصد ، فإذا عدنا إلى مجال علوم الشريعة نجدها ألصق من غيرها بذلك الهدف : ابتغاء وجه الله والدار الآخرة .

أليست علوم الشريعة إنما يتطلبها مبدأ « التدين » ؟ وهذا المبدأ في النفوس كلها فطرة فطر الله الناس عليها ، فهذا هو روح التدين : ابتغاء وجه الله والدار الآخرة .

فانظر كيف يكون قبح الانحراف عندما تتخذ علوم الشريعة وسيلة لغير هذا الهدف ، أي عندما تفسد النية ويفسد المقصد .

إن هؤلاء الذين اتخذوا علوم

الشريعة مطية لتحقيق الرغبات الدنيوية والشهوات الأرضية أقبح انحرافاً وأسوأ ذنباً من أولئك الذين اتخذوا علوم التمدن مطية لذلك ، لأن علوم الشريعة ألصق بذلك الهدف الشرعي من علوم المدنية .

تصور واحداً يتعلم كيف يخبز ويعجن لإشباع شهواته أليس ذلك أخف قبحاً ممن يستعمل الحديث والفقه من أجل الشهوات نفسها ؟!.

كلاهما منحرف ، لكن الوعيد لهذا أشد من الوعيد لذاك .

قال رسول الله ﷺ : « من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرض الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » [١] .

أما كيف يقع طلاب علوم الشريعة في فساد المقاصد ، فإذا بهم يتعلمون مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمونه إلا ليصيبوا به عرض الدنيا فإن لذلك عوامل كثيرة من أهمها :

١ ــ ضغوط المجتمع الفاسد من حولهم :

طلاب علوم الشريعة جزء من المجتمع ، فهل تكتب لهم النجاة والسلامة مما أصاب الكل من تلف وفساد ؟.

المجتمع بمجموعه يلهث خلف الحياة الدنيا ، إنه متشبث بها ، والقلوب متعلقة بزينتها ، لا يكاد يسلم قلب منها ــ إلا من رحم الله ــ ، ومن شدة تعلق القلوب بشهوات الدنيا وزينتها أصبح هذا التعلق عبادة ، وأصبحت هذه الشهوات آلهة تعبد من دون الله .

إليكم الدليل :

قد يجترىء زنديق على المساس بجناب الشرع والدين ، وفي بعض بلاد المسلمين تصل الجرأة بالزنادقة إلى حد المساس بجناب الألوهية ــ ألوهية الله عز وجل ــ ، ومع ذلك لا يتحركون !! المسلمون لا يتحركون حتى لو شُتم الله تعالى ، قد يتململون ، يستنكرون بقلوبهم ، أحياناً بألسنتهم ــ على استحياء ــ لكن لاتصل قوة الدافع إلى الدرجة التي تحركهم ، وتدفعهم إلى التعبير المؤثر عن غضبهم .

سبحان الله ! ماهذا الذي أصاب الأمة الإسلامية ؟! هذا الشلل في

---

١ ــ رواه أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه : كلهم من حديث أبي هريرة .

العواطف ، في الإيمان ، في العقول ، مرض خطير كيف أصيبت به هذه الأمة ؟!.

أما إذا أحسوا أن شهوة من شهواتهم ستعاني من الحرمان — خاصة شهوة البطون — لو اعتدى على جنابها فالويل ثم الويل لمن يمس جنابها يتحركون « غريزياً » وينفجرون .. الأمثلة على ذلك كثيرة ، في جميع بلاد المسلمين :

في بلد أفريقي مسلم ، الإسلام فيه عريق ، كم خرَّج للأمة من علماء ، ثم لما أصيب بالمرض تحكم في مصيره طاغية خبيث ، من جرأته واستخفافه بعواطف الأمة التي يحكمها ، واستخفافه بإيمانها ودينها أغلق الجامعة الوحيدة الإسلامية فيها ، وبقيت مغلقة ثلاثين عاماً ، ثم أسقط الصيام عن العمال ، وبدأ يدخله الزهو والكبرياء بل بدأ يتوهم أنه أصبح إلهاً ، يفعل مايفعل والشعب يرضخ ولا يقول شيئاً ، لا يعترض ولا يتململ — لماذا لا يتململ ؟ — لأنه مشلول ، توهم ذلك الطاغية أنه إله فتحدى الإله الحقيقي .

سأله مرة صحفي إيطالي : أتؤمن بوجود الله يافخامة الرئيس ؟ أجاب : إذا كان الله موجوداً فيسغفر لي شاء أم أبى .

وقرأ ذلك الشعب هذا الكفر الشنيع ، بل قل هذا الاستخفاف الشنيع بعواطف الشعب ومقدساته ، قرأوا هذا الكلام ولم يتحركوا ، ولو حركة عفوية ، فإنها كانت على الأقل تدل على أن ذلك الشعب موجود لم يمت ، لكنه لم يتحرك ، لأنه وإن كان موجوداً فقد كان مشلولاً ، واستطاع ذلك الطاغية أن يجثم على صدر هذا الشعب المسلم ثلاثين عاماً ، أي والله ثلاثين عاماً ، وبعد هذا العمر الطويل تحت ذل طاغية زنديق تحرك ذلك الشعب ، ولكن احتجاجاً على رفع أسعار الرغيف !!.

وفي بلد آخر اعتدي على جناب الدين في صفحات المجلات ، وفي المسرحيات ، وفي مأمكنهم من وسائل الإعلام ، حتى سخروا من مقام النبوة وصوروا سيدنا ونبينا محمداً ﷺ بصورة ديك ، ثم انقض فرعون ذلك الشعب المسلم على نخبة من العلماء والشباب المسلم فصلبهم ونكل بهم ، بينما الشعب يتفرج ، ولا يتحرك ، كأنما هو مكبل موثق بالحبال ، ولكني رأيته

بنفسي عندما ثار فجأة كيف فعل ، لقد أصبحت العاصمة خلال بضع ساعات كأنها أطلال محترقة من التدمير ، لقد انطلقت الجموع تدمر كل شيء ، ماهذا الذي أشعلها وأطلقها من عقالها ؟ الحاكم بأمره العصري أمر برفع أسعار الخبز والشاي والفول !!.

لا أريد التشنيع على هـذه الشعوب ، فإنها شعوب مسلمة لها تاريخ ـ وأي تاريخ ـ ، ولا أريد بعث اليأس والقنوط في نفس أحد ، فإن كل متبصر يعلم ماذا يمكن أن تفعل هذه الشعوب المسلمة ، لو انطلق دافع الإيمان في القلوب ، أو لو برئت تلك الشعوب من ذلك الداء العضال ، داء الشلل .

ولكن متى تشفى من هذا الداء العضال المزمن ؟ الطواغيت الذين سلطوا على رقاب هذه الشعوب المسلمة يتواصى كل منهم برعاية هذا الشلل ، وبتدمير أي محاولة لعلاجه ، وبذلك أصبحت مهمة الإصلاح تتطلب جهوداً قوية ثابتة دائبة طويلة قد تستمر أجيالاً ، المهم أن تكون منظمة على منهج سليم ، وسائرة على طريق مستقيم : وهل هناك إلا المنهج النبوي والطريق القرآني ؟.

إذا كان هذا هو حال الشعوب المسلمة والمجتمعات المسلمة فكيف يكون حال طلاب علوم الشريعة ؟ الموقف الطبيعي أنهم ماداموا يعيشون في كنف المجتمع وهم جزء منه أن يتأثروا به ، أو يؤثروا فيه . ولكي يقدروا على التأثير فيه عليهم أن يتحرروا من تأثيراته السيئة المَرَضِية ، وكيف يمكنهم ذلك ؟.

من هنا جاءت الحاجة الضرورية إلى البديل ، على هؤلاء أن يبحثوا عن البديل الذي يلجئون إليه فراراً من الواقع الفاسد .

لابد أن يؤمن لهم مناخ تتوافر فيه الصحة والسلامة من عوامل التلف والشلل الذي أصاب المجتمع الكبير ، فإن لم ينشأ لهم هذا البديل ، فالموقف الطبيعي الذي تمليه سنن الله في خلقه أن ينشئوا هم البديل بأنفسهم .

وإنه لمن المستغرب أن يكون هناك عاقل يفضل إغماض عينيه ودس رأسه في الرمال ، فتراه يعيش في وهم الانتظار : انتظار أن يرق قلب الطاغوت فيتفضل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وربما بالغ بعضهم في أوهامه فتوقع أن يرفع

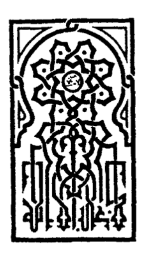
الطاغوت راية الجهاد ضد الزنادقة والكفرة والملحدين .

إن كان هؤلاء لايدرون فتلك مصيبة ، وإن كانوا يدرون فالمصيبة أعظم ، هي سنن الله في خلقه لن تجد لها تبديلاً ، أن الكافرين وعلى رأسهم الطواغيت لايعبدون مانعبد ، أفيبدل الله سننه من أجلنا ، من أجل جيل من الكسالى يدسون رؤسهم في الرمال ، مع أنه سبحانه لم يبدل سننه من أجل نبيه وخليله ومصطفاه محمد ﷺ ؟ لا مطمع في ذلك .

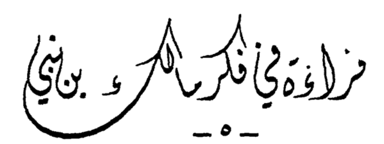
•

من عليه إذن أن يتولى تهيئة هذا المناخ ، حتى يأوي إليه طلاب علوم الشريعة ؟□

* يتبع *



نقد



محمد العبدة

الإقلاع باتجاه حضارة :

التوتر الروحي ، أو الإيمان العميق بالمبدأ الذي يعتنقه الإنسان ، والاندفاع فيه والحماس له حتى يأخذ عليه مجامع نفسه ويملك عليه قلبه ، هو بداية الإقلاع عند مالك بن نبي كما ذكرنا في نهاية المقال السابق ، فلكي نبني حضارة ، أو نعيد دورة الحضارة لابد أن نصل إلى هذا المستوى من الاندفاع في تطبيق الإسلام .

يجب أن تعود شبكة العلاقات الاجتماعية لتربط العوالم الثلاثة (الأشخاص ، والأفكار ، والأشياء) والمقصود بشبكة العلاقات هو القدرة على التعاون والتنسيق بين هذه العوالم الثلاثة واستخدام الأفكار والأشياء في محلها المطلوب منها ، والأخلاق العالية التي في ظلها يستطيع المجتمع إنتاج حضارته ، والمؤاخاة الحقيقية هي إحدى الدعائم الرئيسية للإقلاع ، فالطاقة الروحية التي

دفعت سعد بن عبادة لأن يقول : « يارسول الله خذ من أموالنا ماشئت ، وما أخذته منها أحب إلينا مما تركت » هي التي جعلت الصحابة يحفرون الخندق حول المدينة بأدوات بسيطة ، وبأيام قليلة ، وهي التي كانت وراء اعتراف المرأة الغامدية ، وهي تعلم أن عقوبة اعترافها هو الرجم بالحجارة ، وعندما تاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك فرح المجتمع الإسلامي بأسره ، فهو مجتمع متماسك وشبكة العلاقات فيه قوية .

هذه الطاقة ضرورية للبدء ، لأن المسلم الآن قد لا يؤثر بالوسط المحيط به بقدر مايتأثر هو بهذا الوسط [1] .

في المجتمع الإسلامي الأول كانت شبكة العلاقات الاجتماعية على أعلى المستويات ، وعندما أفل نجم هذا المجتمع في القرون المتأخرة كان مجتمعاً مليئاً بالأفكار (الكتب والمكتبات) ومليئاً بالأشياء ، ولكنها لم تغن شيئاً لأن شبكة العلاقات كانت قد تمزقت وأصبح عالم الأشخاص عاجزاً عن أي نشاط مشترك ، وهذا هو الذي أشار إليه رسول الله ﷺ عندما قال : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل » [2] .

كيف نعيد الفاعلية للمسلم ؟ كيف نؤلف بين العوالم الثلاثة (الأشخاص والأفكار والأشياء) بانسجام وتوازن ، كيف نعالج أكبر مرض يصيب العلاقات الاجتماعية ألا وهو مرض حب الذات أو تضخم (الأنا) عند الفرد ؟.

لاتعود الفاعلية للمسلم إلا بعودة ذلك الاندفاع في سبيل إقامة المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية ، ووضع طاقات الفرد في أحسن حالاتها ، وفي أقصى توترها ، وهذا معنى قوله تعالى ﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ ، وأحسن حالاتها أن توضع الطاقات بين حدي الوعد والوعيد ، بين الخوف والرجاء ، فلا يأس من روح الله ، ولا أمن من مكر الله ، وأن تتناسب مع التحدي المفروض عليها فلا هو أكبر منها فتشعر باليأس ، ولا هو أصغر منها فتتساهل وتسترخي ولا تقوم بالجهد المطلوب .

---

١ ــ مالك بن نبي : ميلاد مجتمع / ١٠٥ .　　٢ ــ سنن أبي داود ٤ / ١١١ .

جاء الإسلام فوضع طاقات العرب في موضعها المناسب ، فالكرم والشجاعة في الجاهلية كانا للفخر والاعتزاز ، فوضعهما الإسلام في سبيل مبدأ ، في سبيل الله ، فالبطولة أصبحت مبرراتها في عالم الآخرة ولم تعد تدور حول (الأنا) (١) .

إن المجتمع لايتكون من (كومة) أفراد ، بل بعلاقات معينة بين هؤلاء الأفراد ، وإذا أخذنا نموذجاً من عالم الحيوان فسنجد أنه كلما تعقدت المصلحة كلما كانت الفاعلية أكثر ، هناك حيوان يعيش بمفرده ، بعيداً عن نظام الأسرة ، ونشاطه يسد فقط حاجات بيولوجية بسيطة ، فإذا نظرنا بعد ذلك إلى حيوان يعيش في مستوى أعلى من هذا ، فإننا نرى العش الذي يبنيه الطير يعطي صورة للنشاط الاجتماعي في مستوى أرقى ، ولكنه دون مستوى الحيوان الذي يعيش في نظام أوسع نطاقاً من الأسرة كالنحل ، فإنتاجه هنا يتسم بالفاعلية في صورتين : مادية ومعنوية ، فمن الناحية الأولى نرى أن نشاط النحل ينتج أكثر من حاجات سربه ، ومن الناحية المعنوية نرى أن هذا الإنتاج يفرض على خليته حياة منظمة خاضعة لقوانين معينة ، نجد في هذا المجتمع البسيط ظاهرة تقسيم العمل ، وقد تزيد مهامها على عشرة أنواع من العمل (٢) .

إن الفرد في المجتمع الإسلامي ، وبسبب ضعف العلاقات الاجتماعية لاتقدم له الضمانات والمبررات التي تجعله يقدم أقصى طاقاته ، وكيف يقدمها وهو يرى الأنانية والتنافس البغيض ، وقلة التشجيع ، والأهم من ذلك هو عدم وجود الخبرة الكافية في العلاقات والانعكاسات التي تنظم استخدام الطاقة الحيوية في مستوى الفرد وفي مستوى المجتمع (٣) ، إن الذي يخطط للنهوض بالمجتمع الإسلامي يجب أن يكون لديه أفكار جد واضحة عن هذه الأمور ، كما أن عليه أن يكون خالياً من العقد البيروقراطية التي تنتاب الموظف ، ومن أخلاق المغرمين بتملق الرأي العام (٤) فعملية بناء كيان اجتماعي ليس بالأمر السهل ، لأن العقد النفسية كما يؤكد العالم الأمريكي (مورينو) هي في العلاقة بين الأفراد فيما بينهم وليس داخل الفرد كما يقول (فرويد) (٥) وكل علاقة فاسدة بين الأفراد

---

١ ــ تأملات / ٣٨ . ٢ ــ المصدر السابق / ٣٢ .
٣ ــ ميلاد مجتمع / ٧٢ . ٤ ــ المصدر السابق / ١٠٧ . ٥ ــ المصدر السابق / ٤١ .

تولد فيما بينهم عقداً كفيلة بأن تحبط أعمالهم الجماعية [١] فالذين يستطيعون ربط العوالم الثلاثة في توافق واتزان هم الذين يستطيعون تحريك القوى جميعاً في حركة دائمة الصعود ، وهذا بطبيعة الحال لا يأتي إلا عن صف وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه (بنيان مرصرص) [٢] .

توجيه الثقافة : .

في هذه المرحلة المهمة من البناء يرى مالك بن نبي أنه لابد من توجيه أمور ثلاثة :

١ ــ الثقافة .

٢ ــ العمل .

٣ ــ رأس المال .

فالانتقال من حالة الجمود إلى الحركة باتجاه حضارة لايحتمل التجارب الفاشلة ، والمسلم بسبب عقدة تخلفه يظن أن تخلفه يتمثل في نقص مالديه من (أشياء) ولا يرده إلى الأفكار [٣] بينما الحقيقة أن النشاط يصاب بالشلل عندما يدير ظهره للفكرة ، كما أن الفكرة تصاب بالشلل إذا ماانحرفت عن النشاط ، ونحن لا نستطيع بصفة عامة أن نعتبر عدد الكتب التي تخرجها المطبعة في عام دليلاً على الصحة العقلية في بلد معين ، فلا بد من برنامج لتوجيه الثقافة [٤] .

يعرف مالك بن نبي فكرة (التوجيه) فيقول : « قوة في الأساس وتوافق في السير ، ووحدة في الهدف ، فكم من طاقات وقوى لم تستخدم لأننا لانعرف كيف نكتلها ، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها ، حين زحمتها قوى أخرى فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد وفي الوقت ، فهناك ملايين السواعد العاملة والعقول المفكرة في البلاد الإسلامية صالحة لأن تستخدم في كل وقت ، والمهم هو أن ندير هذا الجهاز الهائل في أحسن الظروف الزمنية والإنتاجية » [٥] .

---

١ ــ ميلاد مجتمع / ٤٢ . ٢ ــ المصدر السابق / ٧٠ . ٣ ــ مشكلة الثقافة / ٧١ .
٤ ــ المصدر السابق / ٦٧ . ٥ ــ شروط النهضة / ١١٧ .

توجيه الثقافة :

الثقافة مصطلح حديث النشأة وهي مرادفة لكلمة (Culture) الإنكليزية ، ويستخدمها كثير من الناس بمعنى (العلم) ولكن مدلولها أوسع من العلم ، وقد عرفها مالك بن نبي بأنها « مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التى تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه » [1] فهي المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته ، وهي المحيط الذي يعكس حضارة معينه ، والتعلم جزء من الثقافة ، وعندما يصبح الهدف هو الحصول على شهادات فنحن بإزاء مرض اسمه (التعالم) ونحن قد نجد رجلاً يحمل شهادات عالية ولكن ليس عنده فعالية وقدرة على حل المشكلات ، بينما نجد رجلاً آخر مثله في بلد آخر عنده هذه القدرة بسبب الثقافة التي تلقاها منذ صغره ، فالثقافة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة ، هذه الثقافة كيف نوجهها ؟ كيف نركبها من أجزائها حتى تؤتي ثمارها ؟ الشرط الأول لتحقيق مشروع ثقافي هو الصلة بين الأشخاص ، وهاهو القرآن يعطينا فكرة عن أهمية هذه الصلة ﴿ لو أنفقت مافي الأرض جميعاًماألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم ﴾ فأساس كل ثقافة هو بالضرورة (تركيب) و (تأليف) لعالم الأشخاص طبقاً لمنهج تربوي ، أي أننا نريد للثقافة أن تكون وظيفية ، لبناء جيل مسلم تقوم على أكتافه الحضارة الإسلامية « فالتعليم الفرنسي في الجزائر لم يمنح الجيل الجزائري الفعالية لأن الثقافة لا تتشكل على مقاعد الدراسة ، ولكن ضمن مجموع الإطار الاجتماعي الثقافي الذي يحيط بالفرد ، والمدرسة عامل مساعد من عوامل الثقافة ، ولكننا نخطىء في تقدير وظيفتها عندما نعتقد أن في إمكانها أن تحل مشكلة الثقافة وحدها » [2] .

العناصر اللازمة للثقافة :

في مجال توجيه الثقافة لابد من التحديد السلبي أو تصفية أسباب التدهور

---

١ ــ مشكلة الثقافة / ٧١ .　　٢ ــ آفاق جزائرية / ٩٩ .

والانحطاط ، ثم يأتي بعد ذلك التحديد الإيجابي ، وإذا كانت عملية التصفية قد قام بها البعض أو أنه من السهل القيام بها ، فإن التحديد الإيجابي لعوامل الثقافة هو المهم ، والعناصر التي يؤكد عليها مالك بن نبي هي :

١ ـ عنصر الأخلاق لتكوين الصلات الاجتماعية .
٢ ـ عنصر الجمال لتكوين الذوق العام .
٣ ـ منطق عملي لتحديد أشكال النشاط العام .
٤ ـ التقنية أو (الصناعة) حسب تعبير ابن خلدون .

أولاً ـ توجيه الأخلاق :

ونعني بالأخلاق : قوة التماسك اللازمة للأفراد ، هذه القوة التي استطاعت بناء المجتمع الإسلامي الأول ، حتى كان الرجل يعرض على أخيه المناصفة في كل شيء ، وبعض هذه الأخلاق كانت من أسباب بناء المدنية الغربية ، والشباب اليوم ينظرون إلى هذه المدنية في يومها الحالي ويضربون صفحاً عن أمسها الغابر ، ينسون أنه لولا صلات اجتماعية خاصة ماقامت هذه الصناعات ولما قام هذا العلم ، ونظرة إلى جامعة من جامعاتهم ترينا أن أساسها كان دينياً قامت به جمعية خيرية دينية ، بل إن كلمة دين عندهم (Religion) تعني في أصلها اللاتيني : الربط والجمع [١] .

ثانياً ـ المنطق العملي :

إن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة أو العقل المجرد ، فهذا متوفر في بلادنا ، ولكن ينقصه منطق العمل والحركة ، كيف يصرف المسلم وقته ؟ كيف ينفق أمواله ؟ كيف يستغل علمه ؟ مع الأسف إن جزءاً كبيراً من حياتنا يذهب عبثاً ، فالمسلم أحياناً لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاماً مجرداً ، بل أكثر من ذلك ، فهو أحياناً يبغض الذين يفكرون تفكيراً مؤثراً ، ولننظر إلى الأمم التي

---

١ ـ شروط النهضة / ١٣٤ .

تربي ولدها فهي إما أن تبلده بمعاملة وحشية ، وإما أن ترخي له العنان وتتميع معه ، إن الوهن والسخف يطبعان منطق قولها [1] .

ثالثاً : الذوق الجمالي :

إذا كان المبدأ الأخلاقي يقرر الاتجاه العام للمجتمع بتحديد الدوافع والغايات ، فإن ذوق الجمال هو الذي يصوغ صورته ، وهو شيء مطلوب فوق الضروريات والحاجيات ، وعندما ذكر الله سبحانه وتعالى خلق النجوم وغاياتها ذكر منها (الزينة) ﴿ ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ وكذلك عندما ذكر خلق الحيوانات ﴿ ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ﴾ وقد ورد في الحديث « إن الله جميل يحب الجمال » وذلك في معرض رد الرسول ﷺ على الصحابي الذي سأله عن اللباس الحسن والنعل الحسن هل هذا من الكبر ؟ فالذوق الرفيع من العناصر الايجابية في الثقافة ، فالتناسب والتناسق في الأشكال والأشياء يعطي للإنسان راحة نفسية ، والمنظر القبيح المتنافر لا يوحي بأي خيال جميل ، وقد كان الرسول ﷺ من أزهد الناس ولكنه كان ينفر من ألوان معينة ، ويشجع الناس على النظافة والاهتمام بالمظهر الحسن وخاصة في المساجد وأيام الجمع والأعياد .

إن تربية الذوق الحسن في الأمة هو جزء من ثقافتها ومؤشر على درجة ثقافتها .

رابعاً ـ الصناعة أو (التقنية) :

عرف ابن خلدون الصناعة بأنها : ملكة في أمر عملي فكري [2] وهذا تعريف دقيق لما يسمى الآن (التقنية) فهي تحتاج إلى العلم والممارسة اليدوية حتى ترسخ مع الزمن وتصبح (ملكة) كما عبر عنها ابن خلدون ، وهذه الصناعة لا تكون إلا في مجتمع متحضر ، لأن المجتمع البدائي يحتاج إلى أمور بسيطة

---

١ ـ شروط النهضة / ١٤٧ .
٢ ـ مقدمة ابن خلدون ٢ / ٩٣٥ .

لا تحتاج لتقنية ، فوجودها يدلُ على درجة التحضر والعلم ، فلابد أن يكون في المسلمين فئة تتقن هذه (الصناعة) وتبدع فيها مما يناسب الإسلام والحضارة الإسلامية ، وتبتعد عن شرور سيطرة (الآلة) على الإنسان ، وهذا يحتاج لمجلس لتوجيه الفني ليحل نظرياً وعملياً المشكلة الخطيرة للتربية المهنية تبعاً لحاجات البلاد (١) .

وإن الإمكانيات في البلاد الإسلامية لتسمح بتكوين القيادات التي تشرف على طريقة تنفيذ هذه (التقنية) وأن تخضع لثقافة المسلم وذوقه المتميز .

هذه العناصر التي يرى الأستاذ مالك بن نبي أنها من مكونات الثقافة وأنها تحتاج لتوجيه معين لاشك أنها تصلح لكل مجموعة بشرية أو لكل أمة تبحث عن ثقافتها الخاصة ، وكأن مالك استلهم هذا التحديد من علماء الاجتماع والحضارات في أوربا ، وكان الأولى أن يذكر زيادة على هذا العناصر الخاصة بالثقافة الإسلامية ، إن عنصر الأخلاق مثلاً أو الذوق الجمالي يتبعان عقيدة المسلم وتصوراته الخاصة ، فهل يقال للمسلم يجب أن يكون عندك ذوق في الموسيقى أو النظر إلى فن التصوير ؟! لاشك أن للمسلم خصوصياته في هذا المجال ... □

* يتبع *



---

١ ــ شروط النهضة / ١٤٩ .

رؤيــة نقديــة

صالح علي بن الكناني

إن الناظر في مسيرة العمل الإسلامي خلال السنوات الأخيرة ، يدرك الحال التي بلغها بعض الدعاة والأتباع ، حتى أراحوا أعداء الإسلام ، ووفروا عليهم كثيراً من الجهود ، في تفريق الكلمة ، وإلقاء بذور العداوة والشقاق بين المسلمين ، وهذا هو التفسير الظاهر لتأخر النصر عن المسلمين ، بل وتتابع الهزائم عليهم في كل حين .

ولقد يتهمني البعض بالتشاؤم ، والغض من الصحوة المباركة التي تبدو في كل أرجاء بلاد المسلمين ، فأقول : مهلاً يارعاك الله ! ولا تعجل عليَّ وتأمل كلامي بعين متجردة ، وبصيرة نافذة ، فما كان فيه من حق وصواب فما أحراك بقبوله ، وأنت المسلم الذي تعبدك الله باتباع الحق وقبوله ، وماجانب الصواب من قول فاردده عليَّ ، وأرشدني إلى الحق فمثلك من نصح لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، واعلم أنني ماأردت إلا خير هذه الأمة ، فإن وفقت فمن الله وحده التوفيق ، وإن غير ذلك فالنفس الأمارة ، والشيطان المضل ، ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ [الأحزاب / ٤] ، وقد لمست في هذه المقالة بعض مواجع العمل الدعوي الإسلامي ، ولم أحط بجميعها علماً ولا بياناً ، فأول هذه المواجع :

١ ــ التحزب والحزبية :

إن كل من دعا إلى الله على بصيرة ، مخلصاً القصد لله تعالى ، مسلماً لله بالغلبة والتمكين والفلاح

﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ [المائدة / ٥٦] ﴿ أولئك حزب الله إلا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ [المجادلة / ٢٢] فلا نكران إذن لمبدأ التجمع على الحق ، بل هو ركن أساسي في العمل الدعوي الإسلامي ، لا يحتاج في تأصيله إلى كبير بحث واجتهاد ، ولا يفقد من الأمة في كل عصورها وأطوارها ، إلا حين لا يوجد للمسلمين جماعة ولا إمام ، حين تعم البدع والأهواء والنحل المضلة ، في فترات الضياع والفتن الكبرى ، حين يغيب الحق ، ويندرس الشرع ، عندها يكون المسلم المتمسك بالهدى الرباني هو وحده « حزب الله » .

ومن العجيب أن بعض المنتسبين إلى العلم ، أصبحوا يفتون الناس بعدم شرعية الانتماء إلى جماعة إسلامية ، وبعدم شرعية وجود الجماعة الإسلامية أصلاً ، ولو أنهم أفتوا بحرمة التعصب لجماعة بعينها ، لها يوالي المسلم وعليها يعادي ، لكان لفتواهم قبولاً ووجاهة ، وماذا يصنع هؤلاء بمناهج الدعوة في القرآن الكريم ، وطرائق الرسل عليهم صلوات الله وسلامه ، وأحاديث الطائفة الناجية المنصورة ، ألم يجدوا في كل ذلك مايبرز قيام جماعة إسلامية تدعو إلى الله على بصيرة ، وهل كل هذا جهل بهذه الأصول ؟.

أيحل لكل الدعوات الأرضية ، ولكل أعداء الأمة المحمدية ، تكوين التنظيمات الدقيقة ، ويمنع هذا عن الأمة الربانية ؟.

أحرام على بلابله الدوح
حلالٌ للطير من كل جنس ؟

إن تناصر المسلمين ، وتآزرهم وتعاونهم على البر والتقوى ، وقيامهم بأمر الله جماعة وفرادى ، أمر لازم لانتصار دعوتهم ، وإقرار منهجهم في الأرض ، وإنما المرفوض كل الرفض هو هذه الفرقة الحادثة بين المسلمين ، المرفوض أن تقوم جماعة فتدعى أنها وحدها على الحق ، أو أن الحق لايخرج عنها ، ثم تغرس هذا في أذهان أتباعها ، وتضع لهم شارة خاصة ، اسماً أو معنى ، ثم توالي عليه وتعادي ، وتكرس لدى أفرادها أن « من لم يكن معنا فهو علينا » وهذه والله حزبية بغيضة ، ليست من حزب الله الكامل ، بل هي إلى النوع

الآخر أقرب ، النوع الذي قال الله فيه : ﴿ فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ [المؤمنون / ٥٣] ، وحين تصبح الحزبية تسير على هذا المنحى تكون علةً ومرضاً سرطانياً ، تجب مقاومته واستئصاله ، ﴿ حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ [البقرة / ١٩٣] ، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية حين نبه إلى هذا المزلق الخطير ، الذي يفضي إلى تمزيق الأمة الواحدة ، ويعصف بكيانها ، ويقود إلى فنائها واضمحلالها ، فها هو يقول :

« وليس لأحد أن يعلق الحمد والذم ، والحب والبغض ، والموالاة والمعاداة ، والصلاة واللعن ، بغير الأسماء التي علق الله بها ذلك : مثل أسماء القبائل ، والمدائن ، والمذاهب ، والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ ... » [الفتاوى ٢٨ / ٢٢٧] .

فكيف لو أدرك ابن تيمية زماناً لا يقبل فيه الحق والنصح إلا إذا جاء من فرد منتسب إلى الجماعة المنصوحة ، أما إذا جاء الحق والنصح من خارجها رُدَّ على قائله ولو كان من أبر الناصحين ؟ وكيف لو أدرك زماناً أصبح اسم الجماعة فيه مقدساً أعظم تقديس ؟!.

٢ ــ التأطر السياسي :

لقد كتب على أمة الإسلام في الأزمنة المتأخرة أن تعيش قطعاناً متفرقة ، لكل قطيع حظيرة تخصه دون سواه ، وأطلق على هذه الحظيرة اسماً « وطنياً » يفصلها عن غيرها ، وحددت هذه الحظيرة بحدود سياسية ، وأرضع الأطفال حبها مع لبن أمهاتهم ، ولقنوا قبل محبة الله ورسوله محبة الحظيرة ، وألفت الأناشيد التي تشيد بالحظائر وبنعيم العيش فيها ، وهذا الوضع المؤلم ألقى بظلاله على كثير من الدعوات في الجملة وفي الفروع ، فصارت دعوات قطرية ، إذا حاضر علماؤها الناس حاضروهم عن الدعوة ضمن حدود الحظيرة ، أهدافها وسماتها ومشكلاتها وملامحها ... ، وقليل هم الذين ينطلقون من عالمية هذا الدين ، وشمول الرسالة الإلهية لكل الناس والأزمان والأوطان ، حتى أفتى بعض هؤلاء المتأطرين بأنه لايجوز

أن تكون الدعوة إلا من المسجد : منه تبدأ وإليه تعود ، ونحن لا ننكر دور المسجد وأهميته ، ولكننا لا ننكر أيضاً أنه قد عطل دور المسجد في بعض البلاد ، حتى أصبح من يقصده للصلاة فقط ، عرضة للقتل والسجن والتشريد والتعذيب ، أفنجحد دور « دار الأرقم بن أبي الأرقم » في مثل هذه الظروف ؟ وننسى مايعيشه إخوان لنا من حولنا ، هذا عن بعض الدعاة والمشايخ ، فماذا عن الصحف الإسلامية والكتب الدعوية ؟ لم يسلم شيء منها من هذه القطرية ــ إلا من رحم ربك ، وقليل ماهم ــ وهذا في نظري من أعظم مكاسب النظم التي يسوؤها أن يسود الدين ، وأن تعود الأمة إلى وحدتها وقوتها .

وإذا كان البعض ينتمي إلى لافتات كبيرة لاتختص بوطن معين ، ولكن مدلولها بقي ضعيفاً لأن نفس المرض يعتريها وهو التعصب للأشخاص والأسماء ، ومبدؤها الذي رفعته : « سلمني رايتك » يخرب عليها التعاون والالتقاء على كلمة سواء ، وكان الأمثل هو قبول مبدأ الحوار والتأصيل ، وإذن لتكونت جبهة عريضة من أهل الإسلام يحسب العدو لها ألف حساب .

٣ ــ تشتت المناهج العلمية والتربوية :

مما يزيد في فرقة المسلمين ، وتباين الجماعات التي تربي كل جماعة أفرادها عليها ، حتى أصبح بإمكان الناظر في هؤلاء الأفراد أن يميز بين أتباع جماعة وأتباع جماعة أخرى ، أحياناً بالنظر الأولي ، أو بمحادثة يسيرة ، مما يوحي بتفاوت المناهج التي تلتزمها كل جماعة في دعوة أفرادها وتربيتهم ، أفلا يمكن حتى في هذه الناحية أن يتفق أئمة هذه الجماعات على مناهج موحدة في العلم والتربية ، تضمن لنا السير في طريق الوحدة المنشودة ، فضلاً عن كونها تحفظ كيان الجماعة الواحدة من التمزق ونشوء المدارس المتباينة .

٤ ــ قصور التخطيط وقصر النظر :

إن العمل الإسلامي المعاصر والقائمين عليه ينقصهم التخطيط المحكم الدقيق ، وتقوم عامة أمورهم

على الارتجال ، وعلى الاستجابة الفورية العاجلة للمؤثرات والأحداث العارضة ، حيث يصبح الحدث العارض بمثابة مبرور قضيب المغناطيس بقرب كومة من برادة الحديد ، فلا تلبث أن تنجذب كلها إليه لعدم تماسكها وقوتها وثباتها ، وإني ليأخذني العجب مما أرى لدى أعداء الإسلام من حسن التخطيط ، وبعد النظر ، ووضع جميع الممكنات والاحتمالات في الحسبان ، وأتساءل : ألا يمكن للعاملين للإسلام أن يستفيدوا مما لدى أعدائهم من خطط وطرائق تنسجم مع أهدافنا وديننا ؟ وأين هي العقليات المفكرة لدى المسلمين التي تجعل الصعب سهلاً ، والعسير يسيراً بإذن ربها ؟.

وبعد : فليست هذه كل عللنا وأمراضنا ، فهناك لايزال في الذهن الكثير الكثير ، الذي قد يرى النور يوماً ما ، ولكل أجل كتاب :

ـ فيادعاة الإسلام وجماعاته : اتحدوا تنصروا .

ـ وياحاملي راية السنة والجماعة : اعتصموا بالكتاب والسنة تفلحوا .

ـ وياقادة الجماعات الإسلامية : لينوا في أيدي إخوانكم تصلوا .

ـ ويا أتباع الدعوات الإسلامية : انبذوا التعصب والفرقة تسعدوا .

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين □



الحج وأثره في تربية الضمير

عثمان جمعة ضميرية

تربية مثالية واقعية :

لقد كانت تربية القرآن الكريم للمؤمنين تربية رائعة عالية ، تمدُّ أنظار الإنسان إلى عالم المثال الطيب النظيف ، وتقفه على أرض الواقع الصلبة ، فكانت بذلك تربية مثالية واقعية ، يتربى عليها المسلم في صلته بربه تبارك وتعالى ، وفي صلته بنفسه ، وفي صلته بالناس من حوله ، وفي أدائه للعبادات وقيامه بالمعاملات ، وخضوعه للعادات ، وفي كل مظهر من مظاهر حياته .

ولنأخذ مثالاً على ذلك : إن الإسلام يدعو إلى العدالة الشاملة الكاملة فيرغب الناس بذلك في المثالية التي يسعى إليها : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ [النحل / ٩٠] ، ويدعو إلى العفو والتسامح : ﴿ وأن تعفو أقرب للتقوى ﴾ [البقرة / ٢٣٧] ﴿ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل ، إنه كان منصوراً ﴾ [الإسراء / ٣٣] .

ولكنه في الوقت نفسه لايهمل الجانب الواقعي الذي فطر عليه الإنسان ، وهو حب الانتصار للنفس إذا ماوقع عليها الاعتداء ، وإلا فإنه يدعو إلى مثالية خيالية لاطاقة للنفس البشرية بها ، ولذلك كانت مشروعية القصاص : ﴿ ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب ﴾ [البقرة / ١٧٩] .

إنها ليست دعوة إلى القصاص فحسب دون عفو ، ولا دعوة إلى العفو دون إقرار حق القصاص ، وإنما شرع الله تعالى الأمرين معاً ، هاأنت

على عدل وحق لو طالبت بالقصاص من المعتدي ، وهاأنت على فضل عندما تعفو وتصفح ..

تربية الضمير :

ولقد ارتفع النبي ﷺ بنفوس الصحابة إلى مستوى رائع عندما أرشدهم إلى هذا وترك الإنسان لضميره المؤمن ووجدانه الحي ، يستفتيه في كل مايعمل ومايترك ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن (أقوى) بحجته من بعض ، فإنما أقطع له قطعة من نار ، فليأخذها أو فليدعها » (١) .

أرأيت إلى هذه التربية الوجدانية والتهذيب الخلقي للفرد ؟ إنها لاتكتفي بوسائل الإثبات المادية ، ولكنها تعود بالمرء إلى ضميره ، فلعل أحد الخصمين يكون أقوى حجة من أخيه الذي يخاصمه فيحاجه بالكلام ويخصمه بما قدم ، ولكنه ليس على حق ... فليحذر ، فإنما هي قطعة من نار ... وحكم الحاكم لايحل الحرام ولا يحرم الحلال .

ثلاث محاكم أدبية ... وسبيل النجاة :

وقد وضعنا القرآن الكريم أمام ثلاث محاكم أدبية (٢) هي : محكمة الضمير في قلوبنا ، ومحكمة المجتمع من حولنا ، ومحكمة السماء من فوقنا ، فقال الله تعالى : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وستُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ [التوبة / ١٠٥] .

وسبيلنا للنجاة أمام محكمة السماء الكبرى هو تربية الشعور الديني « الإحسان » وسبيل النجاة أمام المحكمة الثانية هو تربية الشعور الاجتماعي ، وسبيل النجاة أمام المحكمة الأولى (محكمة الضمير في قلوبنا) هو تربية الوجدان أو الضمير الخلقي ليجعل من نفس الإنسان وازعاً قبل محاسبة الآخرين ، ولذلك حذرنا من كل عمل يترتب عليه تأنيب الضمير ، وأمرنا أن نرجع

١ ـ متفق عليه من حديث أم سلمة رضي الله عنها .
٢ ـ الفكرة مأخوذة عن الأستاذ الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه عن المسؤولية .

إلى هذا الضمير نستفتيه : « استفت قلبك ... وإن أفتاك الناس وأفتوك » (١) .

الحج تربية للضمير :

وهذه المعاني عن التربية الوجدانية أو الضمير الحي الحساس نجدها متمثلة في كثير من مشاعر الحج ومناسكه ، منذ أن يفرض المسلم الحج على نفسه في أشهره إلى أن يقضي مناسكه ، فأنت واجد في كل شعيرة من الشعائر مايحملك على مراقبة الله تعالى لك ، ويجل من النفس اللوامة أو الضمير حَكَماً وقاضياً في كثير مما يقوم به المسلم في الحج .

فإن الله به عليم :

ففي أعقاب الدخول في النسك يلتفت السياق القرآني إلى هذه الناحية التفاتة رائعة ، فيقول الله تعالى : ﴿ الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ﴾ [البقرة / ١٩٧] ، فكل خير وكل قربة وكل عبادة ... فإن الله به عليم ، وعليه يجازي ، وبه يرفع المؤمن عنده درجات ، وهو طريق تحلية النفس وتزكيتها وتطهيرها بعد تخليتها من الرفث والفسوق والجدال ..

والإقبال على الله تعالى بهذه الهيئة النظيفة ، وهذه الصورة المشرقة الوضيئة ، والتقلُّب في هذه المناسك والرياض ... يمحو من النفوس آثار الذنوب وظلمتها ، ويُدخلها في حياة جديدة لها فيها ماكسبت وعليها مااكتسبت .

ويكفي المسلم أن يشعر أن الله تعالى يعلم مايفعله العبد من خير ، ويطلع عليه ويجازي ويثيب ، ليكون ذلك حافزاً له على الإكثار من الخير والاجتهاد فيه ... فمن ذا الذي لا يريد أن يراه ربه تبارك وتعالى على أحسن صورة في العمل ؟ ومن ذا الذي لا تتطلع نفسه وتتشوق إلى أن يعلم الله منه الخير كلَّ الخير ...؟ فيصل بذلك إلى درجة الإحسان التي قال عنها النبي ﷺ : « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن

---

١ ــ قطعة من حديث رواه الإمام أحمد والدارمي .

تراه فإنه يراك (١) .

أثر الذكر والدعاء والتضرع :

ولن يكون الإنسان صاحب ضمير حي ، ونفس لوامة حتى يكون على صلة طيبة بالله تعالى الذي خلقه وسيحاسبه يوم القيامة على مااقترف ، وفي الذكر والدعاء والتضرع إلى الله تعالى بصدق وإخلاص ، وفي التلبية التي يجأر بها العبد في مناسكه ... كل هذا وسيلة من وسائل تربية الوجدان وإعلاء قيمته ، وهو يصقل النفس ويزكيها ، بما فيه من إظهار العبودية لله تعالى وصدق اللجوء إليه .

رقابة ذاتية صارمة على المخالفات :

وعندما يدخل المسلم في مناسك الحج ويشعر أنه في عبادة لله ... يفرض على نفسه رقابة سلوكية صارمة ، تحاسبه أشد الحساب على كل مخالفة تصدر منه ، كبيرة كانت هذه المخالفة أو صغيرة يسيرة . فإذا مارتكب محظوراً من محظورات الإحرام وجب أن يعود إلى ضميره فيكفّر عن هذا المحظور الذي وقع فيه بإراقة دم أو صدقة أو صيام ، ولكن السلطة التي تضبط ذلك وتسجله هي سلطة الضمير ومحكمته ، فليس هناك سلطة خارجية وراء ذلك ... وفي هذا تربية لهذا الضمير وارتقاء به وإعلاء من منزلته وقيمته ، فاستحق هذا الحاج المغفرة بابتعاده عن الرفث والفسوق والجدال .

وفي الطواف وسيلة لتربية الضمير :

وإذا نظرت إلى سائر المناسك وجدتها أيضاً وسيلة قوية لتربية هذه الرقابة الذاتية للضمير ، فالحاج يطوف حول الكعبة ، ويطوف حولها نسوة ، وقد يكون في الطواف شيء من الزحام مما قد يقع فيه البصر على مالا يجوز النظر إليه من النساء الأجنبيات ، وقد لايكون هناك رقابة خارجية صارمة تضبط كل مخالفة من كل واحد من هذه الألوف من الطائفين حول البيت ... ومع هذا كله لم يحرم الإسلام طواف الرجال

---

١ ــ قطعة من حديث جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان والإحسان ، أخرجه الشيخان .

والنساء في وقت واحد ، أو لم يجعل لهن مطافاً خاصاً ... ولعل في هذا أكبر الأثر في تربية الضمير ، فالمسلم يُترك هنا لضميره ولوجدانه المؤمن الذي يحجزه عن فعل أي محظور عندما تكون الوسيلة بهذه المثابة ، ولكنه يعلم أن الله تعالى يراقبه ويعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور ، وأن مخالفة ومعصية في الحرم ليست كغيرها من المخالفات ، فهي عظيمة جسيمة ، بل هي مضاعفة ، حتى إن إرادة المعصية والهمَّ بها فيه تعتبر معصية يستحق صاحبها العذاب الأليم : ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ [الحج / ٢٥] .

وفي قضاء المناسك تربية ...

فإذا ماقضى الحاج مناسكه وذكر الله تعالى في أيام معلومات وفي أيام معدودات ثم جدد العهد مع الله تعالى على الاستقامة على منهاجه وشرعه بتوبة صادقة من نفس مؤمنة نادمة ضارعة إلى الله ، وإذا ماوضعته هذه المناسك على طريق المسؤولية فإنه يربأ بنفسه بعد ذلك أن تنحرف وتخالف منهج الله ، وإن حياءه من الله تعالى وشعوره بأهمية هذه العبادة العظيمة يربي في نفسه هذا الضمير الحي وهذه التربية الوجدانية .

وبعد :

تلكم بعض اللمحات عن أثر الحج في تربية الضمير والوجدان ، تضاف إلى كثير من الآثار والمنافع التي يشهدها المسلمون في الحج ، فهنيئاً لهؤلاء المسلمين الطائعين ، هنيئاً لهم حجهم وعبادتهم التي ترفعهم إلى هذا المستوى المشرق الوضيء الكريم ، والتي تهذب نفوسهم وتزكيها ، وتربي وجدانهم وتطهره ، وتذهب بذنوبهم وآثامهم ، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم . والحمد لله رب العالمين □

ارشادات طبية للحجاج

د . خالد موسى

فرض الله على عباده الحج مرة في العمر لقوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ [آل عمران / ٩٧] . والحج طاعة لله وتزكية للنفس وتطهير للعبد من الذنوب والخطايا ، وهو مؤتمر إسلامي جامع تتوافد إليه الجموع من كل بقاع الأرض .

المناسب أن نستعرض في هذه العجالة بعض الجوانب الطبية الهامة ، إذ أن هذه الجموع الهائلة من الناس ، قد تكون فريسة سهلة لشتى أنواع الأمراض والأوبئة ، لذا وجب على الحاج معرفة كل مايتعلق بحمايته من الناحية الصحية .

وسنبدأ بأكثر الأمراض انتشاراً في موسم الحج يجمعها عامل مشترك هو شدة الازدحام .

١ ــ الرشح والزكام :

سببهما حمات راشحة (فيروسات) متنوعة ، والوقاية ممكنة عن طريق تجنب التبول الحراري المفاجيء ، والابتعاد عن مواجهة التكييف والتبريد المباشر ، وتجنب العطاس والسعال في مواجهه الآخرين ، وإلقاء المناديل ، وإتلافها في أماكن خاصة ، والابتعاد ماأمكن عن لمس المصابين بالمرض واستشارة الطبيب للعلاج .

٢ ــ التهاب الطرق التنفسية العليا :

سواء كان صحي أو جرثومي فإن أسبابه مشابهة لما سبق ذكره غير أن الوقاية يجب أن تطبق بصرامة أكبر ،

وفي حالات دقيقة قد تحصل بعض الإصابات « بذات الرئة » وتكون هنا الإصابة أكثر شدة ، وتتطلب علاجاً صارماً .

٣ ـ التهاب المعدة والأمعاء :

وأسبابها غذائية ، طفيلية ، حمية فيروسية ، جرثومية ، وأعراضه غثيان وقيء ، آلام بطنية ، إسهالات ومتكررة ، وربما صداع وارتفاع حرارة ، والوقاية منها تكون بالاهتمام بالنظافة العامة والخاصة : غسل الأيدي ، غسل الفواكه والخضار ، تجنب تناول الأطعمة غير المطبوخة جيداً والتي يشتبه بتلوثها ، عدم تناول الألبان ومشتقاتها دون التأكد من صحة تعقيمها وتواريخ انتهاء صلاحيتها ، عدم تناول الأغذية والسوائل بأوعية وأوان غير نظيفة ، أو أنها استخدمت من قبل آخرين ، تناول المياه الصحية من مصادرها الرئيسية الخاضعة لرقابة صحية .

٤ ـ داء السماط :

ويحصل نتيجة التعرق الشديد والاحتكاك المستمر لثنيات الجلد مما يحدث انسلاخ واحمرار الجلد خاصة عند البدينين ، ولا سيما بين الفخذين ، وتحت الإبطين ، وتحت الثديين عند النساء ، وتكون الوقاية بتخفيف حالة التعرق والإحتكاك بتجنب المشي طويلاً وقت الحر ماأمكن ، لبس السراويل الداخلية الطويلة لمنع الاحتكاك (خارج أوقات الإحرام) ، استعمال المياه الباردة لغسيل المنطقة المعرضة للاحتكاك ، استعمال بعض الوصفات والمراهم الطبية .

٥ ـ تشقق القدمين :

يظهر نتيجة المشي المستمر بالأحذية الكاشفة للأعقاب (الصنادل) والتعرض للأتربة والأغبرة مما يؤدي إلى جفاف الطبقة المتقرنة من الجلد ثم إلى التشقق ، والوقاية منه بغسل القدمين وتجفيفهما جيداً ، لبس الجوارب (خارج أوقات الإحرام) مما يخفف تعرضها للأتربة والأغبرة ، الضغط بكل القدم على الأرض واستعمال مراهم مطرِّية .

٦ ـ الآلام والقولنجات الكلوية :

نتيجة فقدان السوائل والحر الشديد يتعرض البعض لحدوث

القولنجات الكلوية وآلام الخاصرتين والحصى الكلوية أو ذلك لزيادة ترسب الأملاح والتبلورات بالطرق البولية نتيجة زيادة كثافة البول لاسيما عند من لديهم استعداد لذلك ، ولتجنب هذه الآلام ينصح الحاج بشرب سوائل بكمية كبيرة لاتقل عن ٣ ــ ٤ لترات يومياً ، تجنب التعرض للتعرق الغزير والحر الشديد قدر الإمكان ، مراجعة الطبيب بظهور الأعراض ، اتباع الإرشادات الطبية لمن لديه سبب مهيء لحدوث الحصيات الكلوية .

٧ ــ متلازمات فرط ارتفاع الحرارة والإعياء والإنهاك الحراري وضربات الشمس :

سببه المباشر الرئيسي هو التعرض للحرارة الشديدة وأشعة الشمس ، وتبدأ الأعراض عادة بالحالات الخفيفة ثم مرحلة الإعياء الحراري وهو أكثر حالات فرط الحرارة حدوثاً ، وقد يرافقه صداع وضعف ودوار وغثيان وقلة شهية وربما ميل للإغماء ، أما الحالة الأشد خطورة فهي حمى الحر أو ضربة الشمس ، وتبدأ أعراضه بتوقف وتعطل آلية التعرق نتيجة تعطل الجهاز المنظم للحرارة ، فيشكو المريض من صداع ودوار وإغماء وآلام بطيئة ، ومن ثم فقد الوعي الذي قد يحدث من البداية وتكون الوقاية بتجنب الخروج ماأمكن أوقات الحر الشديد ، استعمال المظلات والخيم والحواجز للوقاية من حر الشمس ، شرب المياه والسوائل وخاصة المياه الصحية الغنية بالأملاح والشوارد لتعويض مافقد منها بالتعرق ، الانتباه لظهور أول بوادر وأمراض متلازمات الحر بالبدء بعلاجها فوراً .

ومن النصائح الطبية العامة التي يجب على الحاج أخذها بعين الاعتبار :

١ ــ اتباع الارشادات الصحية لاسيما من جهة النظافة العامة والخاصة .

٢ ــ تناول الأطعمة والسوائل والمشروبات والألبان النظيفة والمعقمة .

٣ ــ تجنب التعرض للحر وأشعة الشمس المباشر واستعمال المظلات والاتقاء بأماكن الظل مع محاولة التلازم بين التكييف والتبريد بشكل

مناسب وبدون تعرض لتيار المكيف المباشر .

٤ ـ تبليل الجسم والرأس الوجه والأطراف بالماء البارد بين الفينة والأخرى .

٥ ـ استشارة الطبيب ومراجعة المراكز الطبية القريبة بمجرد الشعور بأي إنهاك أو إعياء أو أعراض مرضية لأخذ التدابير العلاجية والوقائية في مرحلة المرض المبكرة .

٦ ـ الانتباه والإسراع بنقل المريض لأقرب مركز صحي أو مستشفى خاصة بحالة ضربة الشمس مع وضعه في جو بارد واستعمال كمادات باردة .

وفي الختام نسأل الله عز وجل أن ييسر على الحجاج أداء الفريضة ، وأن يقيهم ويحفظهم بحفظه ورعايته ، وأن يتقبل منهم عملهم ويكتب لهم به حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً ، وأن يعيدهم إلى أهليهم وذويهم سالمين غانمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين □



الفراغ وأثره في النفس والمجتمع

د . عبد الله سلطان السبيعي

اتجه العلم الحديث لأسباب تاريخية إلى فصل العلم عن الدين ، والابتعاد عن قبضة الكنيسة ورجال الدين ، ولسوء حظ بلاد العرب والمسلمين فقد استورد هذا الاتجاه بما فيه من خطر عظيم لعدم وجود البديل وهو الفكر الإسلامي .

أنا لا أدعي وأنا أكتب هذا المقال أنني أعرف في الدين أكثر مما يعرفه الشخص العادي ، وهذا نقص أعترف به ولكنني هنا أحاول أن أعكس ماتعلمته وأربط ماأعلمه من طب وعلم النفس مع عقيدتي الإسلامية . هذا ليس هو الطريق لأسلمة العلم ، الشيء الذي يقصد به أكثر من ذلك لعل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه من القول والعمل .

قرأت مؤخراً آية من كتاب الله هي قوله تعالى في آخر سورة الشرح ﴿ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب ﴾ . قرأت تفسير هذه الآية في أكثر من مرجع فإذا هي مخاطبة للرسول ﷺ بأن يتوجه إلى الله بالعبادة بعد أن يفرغ من شغله مع الناس ، وأن ينصب في ذلك ويتوجه إلى الله بكل ما يفعله .

المعنى الذي استشعرته من الآية والذي ينطبق على كل إنسان مهما كان هو معنى الفراغ بمعناه الشامل ،

أي إذا انتهى الإنسان من أي عمل كان ، ووجد نفسه فارغاً ، لايجد شيئاً يفعله ، توجهه الآية الكريمة أن يبحث عن شيء يشتغل به ، ولكن الآية لاتترك التوجيه هكذا عائماً يفسره كل حسب هواه ، إنها توجهنا ألاّ يكون مانشتغل به لمجرد شغل الفراغ ولكن يجب أن يخضع لضابطين أساسيين هما : النصب ، والنية الصالحة .

وإذا انتقلنا إلى الكلام عن الفراغ ومايجر إليه من مفاسد وذلك في ظلال هذه الآية وهذا المفهوم ؛ نجد :

أولاً : أن الفراغ سبب أساسي في الكثير من أمراض العصر النفسية والجسمية ، لا يختلف الأطباء أبداً في أثر الفراغ في الجسم البشري أو حتى الحيواني وأنه يؤدي إلى تصلب الشرايين وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والروماتيزم والجلطات القلبية والدماغية ، وهم أيضاً لا يختلفون كذلك أن الفراغ وراء الاكتئاب والقلق النفسي ، والهم .

ثانياً : الفراغ يجعل الإنسان يشعر بأنه لا فائدة له ، وأنه عضو مشلول في المجتمع لا ينتج ولا يفيد . فالإنسان الفارغ لا يترقب شيئاً تهفو إليه نفسه كنتيجة لعمله ، فهو بلا هدف في الحياة وأي حياة هذه التي لا هدف لها .

ثالثاً : الفراغ وسيلة من وسائل إبليس يوسوس فيها للإنسان فيثير فيه كوامن الغرائز ويلهبها فتحرقه وتفلت من لجامها لتحرق ماحوله . وهذه حقيقة لا مراء لها .

رابعاً : الفراغ سبب للمشاكل الأخلاقية والجريمة ، ويشهد بهذا علماء الاجتماع ، إذ وجد أن نسبة الجرائم والمشاكل الأخلاقية تتناسب طرداً مع نسبة البطالة في أي زمان ومكان .

خامساً : الفراغ سبب في كسب الذنوب مثل التفكير في المعاصي والحديث في الناس ، وما إلى ذلك .

سادساً : الفراغ تعطيل للطاقة وقد قال ﷺ مامعناه : أنه لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع... ومنها : وعن عمره فيم أبلاه . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولنعد مرة أخرى إلى الشرطين الذين وضعتهما الآية الكريمة لعلاج

هذا الداء (الفراغ) ، ألا وهما :

١ ــ النَّصَب : (بفتح الباء) أي إن مشاهدة التلفزيون وقضاء الساعات أمامه وقراءة الجرائد الهزيلة وما إلى ذلك ليس مما يداوي هذا المرض ويمنع الخلل الذي يجره على الإنسان ومن خلفه المجتمع الذي هو عضو فيه . الشرط هنا هو التعب أي أن يجهد الإنسان نفسه فالتعب وحده هو الذي يصرفه عن ماذكرناه من عواقب الفراغ الوخيمة .

٢ ــ الرغبة إلى الله : أي التوجه إليه وقصده وحده بما تجهد فيه نفسك وهذا ليس فقط لربط الدنيا بالدين كما هو هدف القرآن في كل توجيه ولكنه أيضاً الوسيلة الوحيدة لسلسلة أخرى من المشاكل ، ألا وهي التسيب وانخفاض مستوى الكفاءة الانتاجية في العمل ، وهذا من أكبر المعضلات في علم الإدارة .
لايمكن أن يردع الإنسان ترغيب ولا ترهيب أن لا يقصر في عمله أو يخون صاحب العمل سواء كان فرداً أو حكومة ، لكنه الخوف من الله سبحانه والعلم بأنه مطلع على كل مانعمله وحتى ماتخفيه الأنفس .

هذا الخوف من الله هو المقصود بالآية ، فالعامل يخلص العمل ليس رغبة في تقدير صاحب العمل وحفنة من المال ، ولا خوفاً من العقاب إن هو قصر ولكن رغبة في ماعند الله ، ومن ثم الجزاء نقداً (حاضراً) بالشعور بالراحة النفسية والسمعة الحسنة والكسب المادي ، ومؤجلاً بما عند الله جزاء النية الصادقة والضمير اليقظ .

لا أجد داعياً لأعود فأتحدث عن ما يفعله التوجيه الإلهي في هذه الآية ، إذ ينقضّ على معول من معاول الهدم فيحطمه ويرى الإنسان المسلم كيف يبني بنيانه على أساس مَن الإيمان يرتبط فيه علم النفس بعلم الاجتماع بعلم الإدارة بالطب البشري □

أدب وتاريخ

- أدباء الحداثة وبعض أساليبهم في حرب الأدب الإسلامي ورواده .
- حديث طاغية في القبر (قصيدة) .
- السلطان سليمان بن محمد .

أنباء الحداثة
وبعض أساليبهم في حرب الأدب الإسلامي ورواده

يحيى رسام

تعليمات :

« أيها الأدباء الحداثيون ... والنقاد التقدميون :

احرصوا وأنتم تخوضون معركة غرس المفاهيم الجديدة !
لتغدو بديلاً عن المفاهيم « الرجعية » و« السلفية » أن يكون همكم الأكبر أن تحجبوا عن جماهير القراء مايسمونه بـ « الأدب الإسلامي » وذلك بأن تضربوا حوله أسواراً من الحصار الإعلامي تخنقه ، .. فلا تسمحوا بنشره ... ولا تتحدثوا عنه ... أو تشيروا إليه ، وحينئذ لن تجد الجماهير ماتقرؤه ، إلا ما ترشحوه لها في صحفكم ، ومجلاتكم ... وتشيدوا به في منتدياتكم ومؤلفاتكم ... فإن لم تفعلوا ــ ولابد ــ فاعملوا على نشره و « شرحه » لتحرفوه !... فإن لم تتمكنوا فلا تتوانوا لحظة في تشكيك الناس فيه ، وتشويه صورة من يتبناه ، أو يدعو إليه ! وإن رأيتم في أنفسكم الاستطاعة على السطو عليه ثم إعادة إخراجه باسمكم ــ طبعاً ــ بعد صبغه بطابعكم فلا ترددوا .. ولكن انتبهوا فهذا الطريق لايخلو من المخاطر والمجازفة .. ولكنكم إن نجحتم ، فإن قوانا الخفية ستوفر لكم الحماية اللازمة ! وستجعل منكم الأدباء الكبار ، والفلاسفة الذين لايشق لهم غبار ، والمفكرين العظام ، والنقاد المبدعين ، بل وستكونون أنتم

أصحاب النفوذ ، وستتبوؤن المراكز العلمية العالية والتي من خلالها تواصلون القيام بمهمتكم ... وسلاحكم لتحقيق ذلك وسائل الإعلام المختلفة !.

ومما يساعد على أداء دوركم المرسوم ، أن تتستروا بغطاء المنهجية ! والأمانة العلمية ، والتي يجب أن لا تسأموا من تكرارها في جامعاتكم ، وأنديتكم ، ومنشوراتكم ، ومؤلفاتكم حتى تغدو شارة لكم ، وعلامة عليكم ... ».

لعل العبارات السابقة تمثل تلخيصاً دقيقاً لكثير من التعليمات التي يتلقاها عبيد الغرب .. من الأدباء الحداثيين ، وكل العلمانيين القدامى والمحدثين من أساتذتهم ، وسادتهم وأولياء نعمتهم ..! في كيفية حربهم للأدب الإسلامي ورواده ... والأساليب التي يجب إتباعها ، وترسم خطاها ... ونحن لا نقول ذلك إفتاتاً ، أو اعتباطاً ، ورمياً للأبرياء بالاتهام جزافاً .. بل إن المتتبع للأساليب والوسائل التي ينتهجها حاملو الفكر المستورد الدخيل ... خلال القرن الحالي ، والذي شارف على النهاية ، في حرب الأدب والفكر الإسلامي ورواده ومبدعيه ، وحاملي لوائه ، يجد مصداق مانقول واضحاً لا لبس فيه ولا غموض (١)

جبهات ثلاث :

وسنكتفي هنا بإلقاء بعض الأضواء على أهم الجبهات التي ينصب فيها

---

١ ـ ولقد تيسر لي ـ بعد الانتهاء من كتابة هذا المقال ـ أن أطلع على بعض تلك الخطوط والتعليمات ، والتي تكون في العادة على شكل نشرات يحرصون على سريتها ... فقد اطلعت على نشرة قديمة كانت قد نشرت في جريدة « الاستقلال الجديد » التركية ، والصادرة في إستانبول بتاريخ ٢٤ / ٣ / ١٩٦٥ م في عددها ١٨٩ . بعنوان : « التعليمات السرية الموجهة من مؤتمر المحررين الروس إلى الكتاب الشيوعيين في العالم » ... ومما جاء في بندها السادس ، والسابع ، مما له علاقة بموضوع حديثنا مايلي (نقلاً عن القبس السودانية الصادرة الأربعاء ٢ رجب ١٤٠٩ هـ ، ٨ فبراير ١٩٨٩) :

البند السادس : « اعملوا على هدم شهرة وتشويه سمعة كل من لا يتبنى أفكار الشيوعية ويحبذها في الحقول السياسية ، والأدبية ، وفروع الثقافة العامة .

البند السابع : « اتخذوا كل بطل وطني يحبه الشعب ، ولا يستطيع التخلي عنه لواءً بيدكم تستترون وراءه ، وفسروا أفكاره ومفاهيمه من زاويتكم وانشروها بين الناس » . انتهى ، ولعل القارىء سيلاحظ أنها جاءت مطابقة تماماً لكلامنا السابق ، ثم إنه ليس خافياً أن أكثر النقاد والأدباء الذين يصولون في الساحة الأدبية العربية الواقعيين والحداثيين هم من الماركسيين حقيقة ، واليساريين والحداثيين والعلمانيين مسمى .

أولئك كمائنهم لحرب الإسلاميين والتي لخصتها العبارات السابقة .

أولاً : فحيث لم يكتفوا باتباع أسلوب حجب الإسلاميين وأدبهم عن الجماهير ، عن طريق ضرب أنواع من الحصار الإعلامي الرهيب ، والذي كان بمثابة « الحكم على الإسلاميين بالموت ، وهم أحياء يراهم الناس » كما عبر عن ذلك الأديب الإسلامي الكبير علي أحمد باكثير يوماً (١) .

ثانياً : فقد عمدوا إلى أسلوب أكثر خبثاً ، وأعمق مكراً ، وأشد خطراً ، تمثل في السطو على أعمال بعض الأدباء الإسلاميين ، ومن ثم ينسبونها إلى أنفسهم ، ولعل ماشجعهم على ذلك هو غيبة أصحاب الحق الأصليين عن الساحة بالسجن تارة ، وبالإبعاد والهجرة أخرى ... وفي ظل أوضاع سياسية ترمي من يتحدث عنهم بالعمالة لقوى الاستعمار والإمبريالية ..

وقد دلت هذه الظاهرة على خبيئة نفسيات أولئك الأدباء الكبار ، حيث لم يعد فيها مكان لشيء اسمه حياد ، أو خجل ، أو شرف ، أو احترام حقوق الآخرين فصدق فيهم قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : « إن مما أثر من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ماشئت » مع أنهم لا يفتأون يرددون كلمات « العلمية » والمنهجية !! وينفرون الناشئة من طلبة الجامعات من « السرقات الأدبية » في الوقت الذي يمارسونها في أبشع صورها !.

لقد مارس العلمانيون عمليات السطو والسرقة جهاراً نهاراً ، وأمام

---

١ ــ يقول الأديب الإسلامي د . نجيب الكيلاني ، وهو يتحدث عن استقبال المحافل الأدبية ، وبأنه شابه الكثير من الحذر لأنهم كانوا يعرفون هويتهم العقائدية ، وأنه لم يكن كافياً أن ينظر إليه كمجرد أديب كعشرات الأدباء الذين تحفل بهم الساحة الأدبية ..

ثم قال إن « الناقد المعروف والمشهور آنذاك : أحمد عباس صالح ، وهو معروف بميوله الماركسية عندما سأله الصديق ــ هارفي ــ لماذا لا تتناول كتابات نجيب الكيلاني بالنقد ؟ رد ببساطة : « لأنه إسلامستان » ؟!

ثم علق د . الكيلاني قائلاً : « نفس الموقف الذي وقفوه مع المرحوم الأستاذ علي أحمد باكثير !! ج ٤ صلتي مع الأدب الإسلامي ، للكيلاني .

الجميع دون أن يمسهم سوء ، أو يطالهم عقاب ، أو يضرهم ضار ! مادام أصحاب الحق غائبين حساً ومعنّى ! فحتى لو علموا ذلك فهم غير قادرين على الدفاع عن حقهم ، والمطالبة بفضح ومعاقبة الذين يسطون على أعمالهم ممن يسمون أنفسهم ، ويعتبرهم الناس ، نقاداً مبدعين أو أدباء كباراً ! وهم وحدهم الذين يصولون ويجولون في الساحة الأدبية ...

ونحن لو ذهبنا ، ندلل على صحة ماادعيناه آنفاً ، لطال بنا الحديث ، إذ أن الوقائع التي مورس فيها السطو أكثر من أن تحصى ... ولكننا سنكتفي بضرب بعض الأمثلة من بلدين عربيين مكاناً فقط وفي فترتين مختلفتين زماناً !.

المثال الأول :

ناقد عربي ، وأستاذ في جامعة يحسب نفسه كبيراً ، ويعتبره كثير من النقاد والأدباء كذلك ، يقال له الدكتور أحمد كمال زكي ، هذا الأديب الحداثي الكبير ! والناقد « التقدمي » استغل وجود سيد قطب رحمه الله على عهد نظام عبد الناصر فانقض على كتاب سيد قطب المشهور « النقد الأدبي أصوله ومناهجه » وأعاد قراءته ، ثم أجرى عليه بعض الحذف ، والتغيير ، والإضافة ، والتقديم والتأخير ، مع إعادة صياغة بعض أفكاره ومعانيه ، وفي أماكن مختلفة من الكتاب ، حتى غلب على ظنه صعوبة اكتشاف عملية السطو ، ثم عمل على إعادة نشر الكتاب تحت عنوان مشابه « النقد الأدبي أصوله وأهدافه » (١) .. وبالتالي فقد وجد الكتاب والأدباء والنقاد ، الكتاب الجديد منسوباً للناقد الكبير ! فاعتبروه من إبداعه !! وعدوه إضافة

١ ــ مع الأسف لا أتذكر سنة الطبع ، أو دار النشر التي أصدرته ، لعدم توفر الكتاب لدي حال كتابة هذا المقال ، ولكني مازلت أتذكر أنني وبعض الزملاء في أواخر السبعينات كنا قد أجرينا مقارنة بين كتاب الأستاذ سيد قطب وكتاب الدكتور ، فهالنا الجرأة التي يتمتع بها ، والتطابق الكبير بين الكتابين .. ولكننا عندما سمعنا من الدكتور بعد ذلك مايقوله عن الصحابة الكرام عامة والخليفة الراشد الثالث عثمان خاصة ... زال استغرابنا حيث زعم ــ وهو يدرسنا ــ مادة الأدب في العصر الإسلامي : « أن الصحابة رضي الله عنهم من المهاجرين والأنصار الذين اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين بعد موت النبي ﷺ كانوا يتصارعون على السلطة كما يتصارع عليها أي حزبين في الوقت الحاضر » ولاشك أن هذا تكرار لعبارات المستشرقين ، ومخالف لمنطق الأحداث .

جديدة في عالم النقد الأدبي !!

حدث ذلك يوم كان سيد قطب ـ وإخوانه ـ يؤدون ضريبة إيمانهم ، وجهادهم ، ورفضهم لحكم الطاغوت كما أسلفنا ، ويوم كانت كتبهم مصادرة ، و « كان يسيطر على قافلة النقاد حشد من الشيوعيين المعروفين ، الذين يكيدون ويديرون ، فيرفعون المؤيدين ، ويهيلون تراب التجاهل والنسيان على أصحاب المواقف الشريفة » على حد تعبير. الأستاذ الأديب نجيب الكيلاني .

ولا أظن إلا أن بعضاً من النقاد والأدباء ـ من غير الماركسيين ـ قد أدركوا « هذه اللعبة » ولكنهم آثروا الصمت على الكلام ، لأسباب معظمها معروف .

تلميذ جريء وأستاذ أكثر جرأة :

ولئن كان هذا الناقد الناشيء حينها قد سطا [1] على ماليس له ، وادعاه لنفسه ! فإنه إنما كان يسير على خطى أستاذه العميد د . طه الذي مارس هذه اللعبة من قبل ... ولكن بصورة أكثر جرأة ، وأشد بشاعة ، إذ أنه كان قد سرق مرتين ، فعلها مرة مع أستاذه المستشرق مرجليوث ، وفعلها أخرى مع تلميذه محمود شاكر ! ومع أن حكاية سرقته بحث مرجليوث عن « الشعر الجاهلي » غدت معروفة لدى من عاصر أحداثها ، ثم الجيل الذي تلاه ، إلا أننا نرى أنها فرصة مناسبة لسرد الحكاية باختصار لأن كثرة الأحداث ، وتواليها ينسي بعضها

---

١ ـ كتب الدكتور أخيراً مقالاً طويلاً بعنوان : « جدلية الفكر والفن في الشعر العربي الحديث » خلاصته أن شعرنا العربي الحديث ، ماهو إلا شعر ، أمل دنقل ، ونزار قباني ، ومحمود درويش ، وأدونيس ، الذي قال عنه : « بأنه يحسن الظن بعلمه وفنه » وغيرهم من شعراء الحداثة ، والخلاعة والمجون ، واليسار ، على اعتبار أنهم في نظره « هم الشعراء الذين يعيشون هموم بيئتهم ، ويعالجون قضايا وطنهم ومجتمعهم ، وأنهم الشعراء المسئولون والمشغولون بالفكر الإنساني ـ يقصد الأممي ـ وأنهم الذين يرون في الشعر أداة نضال !! في « معارك » « البناء ، والحرية ، والتقدم » ، انظر مجلة الفيصل عدد سبتمبر ١٩٨٨ .

ونحن لم نشر إلى مافي بحثه من مغالطات وأخطاء واستعراض يعوزه التحقيق العلمي والمنهجي التي طالما سئمنا سماعها منهم ... فذلك ماقد نتعرض له يوماً ما ! ولكنا نشير إلى أن الدكتور قد مارس عملية التعتيم ضد الشعراء الإسلاميين المعاصرين بشكل مفضوح لا حياء فيه ! ومع ذلك فلو أن الأمر وقف عند هذا الحد لقلنا : ناقد يساري حاقد لا يسعه الخروج على التعليمات !! لكنه زعم أن غير أولئك الحداثيين ماهم « إلا متسكعون يرفضون وظيفة الشعر الإنسانية ، ومتخاذلون يخشون مواجهة الواقع » فهل يصدق كلام الدكتور على الشعراء الإسلاميين أمثال : يوسف العظم ، والأميري ، والأعظمي وغيرهم ...

بعضاً ، وحتى يرى القارىء المعاصر الخبرة التي توفرت لأولئك ، وورثها عنهم تلامذتهم ومريدوهم !.

وملخص الحكاية : أن الدكتور طه كان قد سطا على بحث كتبه المستشرق المعروف مرجليوث حول « الشعر الجاهلي » أنكر أو على الأقل شكك فيه بوجود شيء اسمه « شعر جاهلي » مدعياً بأن مايسمى « بالشعر الجاهلي » إنما هو في الحقيقة « شعر إسلامي » ابتدعه المسلمون من أتباع محمد حتى يفسروا به قرآن نبيهم !! ويؤيدوا به دينهم ! ثم قام العميد ، وبجرأة نادرة يحسد عليها !! بإلقاء البحث على طلابه ! في مدرج كلية الآداب على أنه صاحبه ومبدعه ، ولسوء حظ طه حسين ، فقد تنبه لهذا السطو العلني تمليذ ذكي كان الدكتور طه قد بذل غاية جهده من قبل ليقنع هذا الطالب النبيه للالتحاق بكلية الآداب حيث رأى فيه موهبة أدبية [١] وميلاً ظاهراً لدراسة الآداب .. وقد كان ذلك الطالب هو : محمود شاكر ، الأخ الأصغر للإمام المحدث أحمد شاكر رحمه الله ... ولو كان طه حسين يعلم مايخبيء له الغيب لما عمل على إقناع التلميذ محمود شاكر للتخصص في الآداب ، لأن هذا التلميذ قد تخصص فيما بعد في كشف سرقات أستاذه ، وإن كان د . طه ، لم يعدم الاستفادة من تلميذه النابغة ، بطريقة أو بأخرى كما سنرى !.

وعود على بدء نقول : بأن التلميذ محمود شاكر كان قد تنبه لفعلة أستاذه إذ أنه نفسه كان قد اطلع على بحث مرجليوث قبل إلقاء الأستاذ لمحاضرته عن الشعر الجاهلي فوجدها هي هي ... دون أدنى تغيير أو تبديل ، أو حتى مجرد تعديل فدهش لهذه الجرأة التي يتمتع بها أستاذه ، ثم وقف مستغرباً ومتعجباً لهذا الذي يراه أمامه ، وممن ؟! من أستاذه الذي كان يحترمه من قبل ، ولعله حاول تنبيه الأستاذ ، ولفت نظره .. إلا أنه لما رأى الإصرار ! هب صائحاً ، وكاشفاً لما رآه من سطو في وضح النهار ، بعد أن هاله ماحدث ، وانتهت إلى الأبد تلك

---

١ ــ ذكر الأستاذ محمود شاكر في مقدمة كتابه « المتنبي » أنه تخرج من القسم العلمي الثانوي ، وأن الدكتور طه هو الذي أقنعه على دراسة الأدب .

الهالة التي كان أستاذه يحاط بها ! فناقش أساتذته ، وتحدث مع زملائه ، وحاور أستاذه ـ بجرأة ـ في قاعة الدرس ، بعد أن ذهبت هيبته وإن كلفه ذاك تعنيف الدكتور طه بعد كل درس .. ثم لما لم يجد أدنى تجاوب لجأ لزملاء أستاذه من المستشرقين العاملين في الجامعة ، وفي كلية الآداب بالذات ، ولكنه مع الأسف ، ووجه بصمت مطبق ، يبعث على الريب ، وبدا له وكأن الأمر قد دبر بليل ، حيث وجد الجميع لايحركون ساكناً ، ولا يفتحون فماً ، اللهم إلا من كلمة تأييد ، وأحياناً لا تتجاوز الابتسامة وهز الرأس في السر ، لهذا الطالب ، وكأنهم يقولون له : أن نعم !! الرجل سارق ، والحق معك ، والأدلة في جانبك ! ولكن ماذا نفعل ؟! لا حيلة لنا !! فالرجل يسطو لأنه صا صولة وسطوة !! وأمام هذا الوضع الذي أظلم في وجه هذا الناشىء .. فضاقت عليه الأرض بما رحبت ..

وهو ذو القلب الصغير ، لم يستطع تحمل وقع الصدمة ... فما كان منه إلا أن قرر لاترك الجامعة فحسب ، بل ترك البلد أيضاً !! فهاجر إلى حيث وجد نفسه أكثر استقراراً .. فمكث هناك فترة من الزمان .. هدأت فيها نفسه ! وأعطاها فترة استراحة ، وتعبئة في نفس الوقت .. لأننا سنلاحظ أنه بعد بضع سنوات قد قرر العودة ليواصل القيام بدوره في دفع الأذى عن أمته ، وفضح أعدائها ، وتعريتهم بعد أن تبين له عظم المؤامرة ، وخطورة السكوت عليها ! فقام بواجبه على خير وجه ، فكشف عن أبعاد المؤامرة ، وخططها ، ومنفذيها ولازال .. تلك كانت خلاصة الحكاية التي رواها الأستاذ الكبير محمود شاكر حفظه الله في أحد كتبه (١) ، وهي كما رأيت لا تحتاج إلى أي تعليق .!

طه حسين ومحمود شاكر :

وأما مافعله د . طه حسين مع محمود شاكر ، فيتلخص في أن

١ ـ انظر القصة بكاملها في مقدمة كتاب كتاب الأستاذ شاكر « المتنبي » تحت عنوان : قصة هذا الكتاب وفي الشعر الجاهلي ، لمحة من فساد حياتنا الأدبية ، طبعة مطبعة المدني ، عام ١٩٧٣ م .

محمود شاكر التلميذ قديماً ، والأديب الكبير والمرموق فيما بعد كان قد كتب بحثاً ضخماً عن « المتنبي » الشاعر في الذكرى الألفية له ، نشرته مجلة « المقتطف » في عدد خاص [1] .. فما كان من الأستاذ الخبير في الاستفادة من جهود غيره !! الذي أعجب بالبحث فكرة ، ومادة ، وجدة ، إلا أن قرر إخراج البحث في طبعة جديدة .. ولكن باسمه لا باسم صاحبه ، وطبعاً كالعادة كان قد أجرى بعض التغييرات كصياغة كثير من فقراته ، ومواده ، بأسلوبه ، وأعاد ترتيب مواضيعه وزاد من الشروح والحواشي ، وأضاف إلى ذلك نتفاً من كتاب عن المتنبي لمؤلف آخر ، حتى ظهر له أنه صاحب الكتاب ، بعد أن غدا أكبر من حجمه الأصلي ، فأصدره باسمه ، بعنوان « مع المتنبي » ، ولعله قصد تكريم تلميذه ، ومكافئته على جرأته ، وصراحته ! ولكن الأديب محمود شاكر كان له بالمرصاد هذه المرة ، ففضحه على الملأ ، حيث كتب عدداً من المقالات في « البلاغ » بعنوان « بيني وبين طه » جعل الدكتور اضحوكة تلوكها الألسن ، ويتهكم به الناس !.

وفي اليمن أيضاً :

تكررت نفس الأحداث ، وإن كانت أقل خبرة ، وخطراً ، ومختلفة طريقة وأسلوباً ، فقد تجرأ بعضهم — وهم تلاميذ للدكتور طه حسين — وغيره ممن هم على شاكلته ، فأنكر إنتاج بعض الأدباء الإسلاميين ، فهذا أحد شعراء اليمن المشهورين ، الأستاذ : عبد الله البردوني ، عمل على إنكار قصيدة مشهورة للشاعر الشهيد : محمد محمود الزبيري ، وهي القصيدة السينية والتي قالها بعد أن تأزم الموقف بين الحكومة والأحرار ، في أوائل الستينات ، فقدم استقالته من الوزارة [2] وخرج إلى القبائل ، ورأى أن إصلاح

---

١ — كذلك ، انظر قصته في كتاب « المتنبي » وأصله البحث الذي نشرته المقتطف سنة ١٩٣٦ م .

٢ — كان ذلك في أواخر عام ١٩٦٤ م وقد استقال غير الزبيري من الوزارة احتجاجاً على النهج الذي كان يسير عليه القادة العسكريون حينها ، انظر كتا « التاريخ العام لليمن » ، ٥ / ٢٣٤ — ٢٣٥ ، للأستاذ محمد يحيى الحداد ، الطبعة الأولى عام ١٩٨٦ م ، منشورات دار المدينة .

اليمن لن يتحقق إلا بالتبني الواضح والصادق للإسلام، وتحكيم شرعه، في مقابل قوانين العبيد الملفقة والمجلوبة، فأعلن الزبيري عن تأسيس «حزب الله» ودعا كل المخلصين من أبناء اليمن إلى الانضمام إليه [انظر ص ٢٣٧ «اليمن المعاصر» للأستاذ محمد الحداد».

وكان الزبيري قد هاجم في قصيدته تلك الحكام العسكريين الذين كانوا يسيرون ضمن الخط الناصري، والذين أرادوا صرف اليمن عن هويته، وجعله ذنباً يدور في فلك الاشتراكية حيث دارت، فأساءوا إلى اليمن، كما أساء إليها من قبلهم، وقال الزبيري فيها أنه سيحارب كل من يعمل ضد مصلحة اليمن ودينها، وإن لبسوا مالبسوا!.

بل إن الأستاذ البردوني لم ينكر قصيدة الزبيري، المذكورة فحسب، لكنه حكم على الزبيري بالشيخوخة الشعرية، حيث قال في كتابه «رحلة في الشعر اليمني» ص ٢٨ : «فرجوعه ـــ أي الأستاذ الزبيري ـــ إلى اليمن من القاهرة كان نهاية عمر شعره، فلم يرو له في عهد الثورة بيت شعر حتى استشهاده في إبريل ١٩٦٥ م».

وهذا افتراء، وجرأة على الحقيقة والتاريخ ... لا تقل عن مثيلاتها مما سبق الإشارة إليه ... وعلى الرغم من مرور فترة من الزمن على هذه العملية ... كان اليمنيون مشغولين بما هو أهم في نظرهم بناء اليمن، والعمل على نشر العلم والمعرفة في أرجائه [1]، إلا أن أحد الأدباء اليمنيين الكبار [2] ممن عايشوا الزبيري، وشاركوه في الجهاد ضد الاستبداد والظلم في بعض مراحل حياته، قد تعرض في بعض كتبه لهذه القضية، فقال وهو يفضح البردوني، ويكشف حقيقة دعواه : «كيف يجرؤ الأستاذ البردوني على التاريخ والأدب !! ويقول بأنه لم يسمع ولم يقرأ للزبيري في عهد الثورة بيتاً، وهو يعلم والجميع يعلمون أنه ـــ أي الزبيري ـــ قال أشعاراً كثيرة،

---

١ ـــ وهو الأمر الذي كان يشغل الزبيري رحمه الله، لأنه كان يرى أن الشباب الواعي والمتعلم هم مفتاح التغيير في اليمن، لذلك كان لا يتولى إلا وزارة التربية والتعليم في كل الحكومات التي شارك فيها.

٢ ـــ هو الأستاذ الشاعر والأديب أحمد محمد الشامي، انظر كتابه «من الأدب اليمني» ص ١٠٦.

وحسبك منها القصيدة الشهيرة التي أنشدني بعض أبياتها عندما التقينا في أول مؤتمر للسلام في (إركويت) بالسودان عام ١٩٦٤ م » .

قصيدة « الكارثة » :

ولا بأس بأن نورد بعض أبيات تلك القصيدة التي اختار لها الشهيد الزبيري رحمه الله عنوان « الكارثة » ولعله يقصد بذلك أن الأوضاع في بلاده إذا استمرت على ذلك الحال ، فإنها ستؤدي حتماً إلى الهاوية ، فتحل باليمن وشعبها الكارثة . يقول في بعض أبياتها مخاطباً الحكام حينذاك (١) :

كفى خداعاً فعين الشعب صاحية
والناس قد سئموا الرؤيا وقد يئسوا
يلفقون قوانين العبيد لنا
ونحن شعب أبي مارد شرس
لم القوانين رؤياها تعاودهم
قد ألبسوها نفاق العصر والتبسوا
قانونكم لاغتصاب الحكم مهزلة
كترهات إمام مسه الهوس
والحكم بالغصب رجعي نقاومه
حتى ولو لبس الحكام مالبسوا !!
والظلم يعلنه القانون نفهمه
ظلماً وإن زينوا الألفاظ واحترسوا
والموت من مدفع حر نقول له
موتاً وإن أوهمونا أنه عرس
عار على صانع القانون يكتبه
وحكمه في بحار الدم منغمس

ثم يقول مقارناً لهم من جهة ثانية بحكم الإمام السابق :

روح الإمامة تسري في مشاعرهم
وإن تغيرت الأشكال والأسس
وأنتم عودة للأمس قد قبر
الطغاة فيكم وعادوا بعدما اندرسوا
وأنتم طبعة للظلم ثانية
تداركت كل ماقد أهملوا ونسوا

ثانياً : وفي اليمن كذلك :

لجأ البعض الآخر إلى تحريف الكلم عن مواضعه ، وتسمية الأشياء بغير مسمياتها ، وساروا في الخط الذي رسمه الأسياد ، فسعوا إلى تفسير إنتاج الأدباء الإسلاميين تفسيراً اشتراكياً ، بعد أن رأوا فشل الأسلوب السابق ، فجعلوا من أدب الإسلاميين خادماً لأهدافهم العلمانية ... فعل ذلك أحد الأدباء الكبار وهو يقرأ بعض روايات الأديب الإسلامي

١ ــ انظر القصيدة كاملة في كتاب : الزبيري شاعر اليمن الثائر ، ص ١٠٤ .

الكبير : علي أحمد باكثير (١) رحمه الله ، وكذلك كان شأن بعض أدباء اليمن الذين ينتمون لأفكار ومدارس فكرية شتى مع شاعر اليمن القاضي الشهيد محمد محمود الزبيري (٢) فقد ذهب كل أصحاب مذهب إلى تفسير شعر الزبيري وأدبه تفسيراً يؤيد مذهبهم وفكرهم ، بل وينسبونه إليهم ونفي صفة الإسلامية عنه .

ولاشك أن مثل هذا العمل إلى جانب كونه طمساً للحقيقة ، حقيقة أدب الزبيري الإسلامي ، فقد كان دعاية لهذه الفئة أو تلك ... ولا شك أيضاً أن ذلك يعد زيادة في التعمية ، وإمعاناً في الكيد ، وحجباً للحقيقة عن الجماهير ، والمهم أن يطمس وجهه الإسلامي ، ثم ليكن مايكون ولكن الجميع متفقون على أنه لاصلة له بالإسلام ... لقد أصبحوا خبراء في لي أعناق الكلام ، وتشويه الحقائق (٣) ..

إن أساليب عبيد الفكري الغربي ، وتلاميذ المستشرقين أصبحت مفضوحة ، وقد آن لهم أن يعيدوا النظر في مواقفهم ، ويكفروا عن أخطائهم قبل فوات الأوان □



١ ـ فعلوا ذلك معه بعد أن عانى طوال حياته من الإهمال والنسيان المتعمد ، فلما رأوا إقبال جيل الصحوة الإسلامية على كتبه ومؤلفاته عمدوا إلى الاسلوب الآخر وهو تفسير أدبه من وجهة نظرهم !!!.

٢ ـ انظر ترجمته كاملة في الجزء الأول من كتاب « سلسلة شعراء الدعوة الإسلامية » للجدع ، وجرار ، طبعة ونشر مؤسسة الرسالة ، عام ١٩٧٨ م .. حيث جعله على رأس قائمة شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث .

٣ ـ وأظن أنه قد وضح أن عملهم هذا ماهو إلا تعبد وترجمة لتلك التعلميات التي يتلقونها من دوائر الاستعمار ، والتي أشرنا إليها فيما سبق !.

حديث طاغية في القبر

مروان كجك

مضى العهدُ الذي يَعِدُ ... وجاءَ الهَمُّ والنَّكَدُ
ولم أعلمْ بأنَّ يدي ... غَداةَ الرَّوْعِ تَرتَعِدُ
وبِتُّ اليومَ مُنفِرداً ... فلا خِلٌّ ولا وَلَدُ
أُجيلُ الطَّرْفَ ملتَمِساً ... فألقى الكُلَّ قد بَعُدوا
ويذهبُ بي حَصادُ الأمْسِ ... مثلَ البرقِ يَتَّقِدُ
إلى ماكنتُ أُنْكِرُهُ ... وأزعُمُ أنَّه الفَنَدُ
فأينَ الآن مَنْ زَعَمُوا ... بأنِّي الخالدُ الفَرِدُ
وأنِّي الفارسُ المِقدا ... مُ والعمدان والوَتَدُ
وأنِّي صانعُ الأمجا ... دِ وَنِي أمْ أنَّهم جَحَدوا
أراني كنتُ منخدِعاً ... على الأوهامِ أعتمِدُ
فكم أمسيتُ منتفِشاً ... كأنِّي في الوغى الأسَدُ
وكم أصبحتُ منتشياً ... لأنَّ القومَ قد سَجَدُوا
فقلتُ لعلَّهُم صَدَقُوا ... بأنِّي المَوئِلُ الصَّمَدُ
ولولا ذاك ماهتَفُوا ... لِتَحْيَي الدهرَ ياأحدُ

★ ★ ★

وكانت صيحةً أخذت — بلُبِّي والحِجا شَرِدُ
فلم أعْبَأْ بنُصْحِ أخٍ — ولم أُنصِت لِمَنْ نَقَدُوا
ودارت بي كؤوسُ الطيـ — ـشِ والآثامُ والمضدُ
فلم ألمسْ ولم أبصرْ — ولم أسمعْ لِمَنْ وَفَدُوا

★ ★ ★

فياليتَ الذي بيني — وبين الأمسِ مُفْتَقَدُ
وأمثالي وإن عَظُمُوا — بهذي الأرضِ ما وُلِدُوا
فهذي الحفرةُ التَّعْسَا — ءُ في الإيذاءِ تَجْتَهِدُ
لَظَاها سابغُ اللَّمَسَا — تِ في أنحائِها الزَّرَدُ
لَها فَيحٌ شديدُ السَّوْطْ — ءِ في الحُلْقُومِ يَنْعَقِدُ
نَسِيتُ لِهَوْلِهِ أمسِي — وضِقتُ لِفَرْطِ ماأجِدُ

★ ★ ★

ودالَتْ دَوْلةُ الطُّغيا — ن والأذنابُ قد رَقَدُوا
هُنا وَخدِي أسيرَ القَبـ — ـرِ ضاعَ الزَّهْوُ والغَيَدُ
سُيُوفِي كُنْتُ أحسبُها — تعيشُ الدَّهْرَ تحتَصِدُ
فخانتني وماصَدَقَت — وكانت دائماً تَعِدُ
فأينَ الآنَ حاشيتي — وذاكَ الجمعُ والعَدَدُ
أراهم كلُّهم دَخلوا — جُحُورَ الذُّلِّ واختُضِدُوا
أو ارتدُّوا على الأعقا — بِ فَلْيَجِدُوا الذي أجِدُ

★ ★ ★

السلطان سليمان بن محمد

محمد آمحزون

هو سليمان بن محمدِ بن عبد الله بن إسماعيل ، من سلاطين الدولة الحسنية بالمغرب الأقصى ، بويع بفاس عام ١٢٠٦ هـ (١٧٩١ م) بعد وفاة أخيه اليزيد ، كان سلفياً محباً للسنة ، قامعاً للبدعة ، محباً للعلم والعلماء ، له حواش وتعاليق على بعض الكتب ، وقد عني بإخضاع القبائل ، وقمع أهل البدع والخرافات وإحياء السنة ، كما عرف بالسعي إلى العودة بالناس إلى منهج السلف في صفاء العقيدة وسلامتها واستقامة السلوك لإيجاد مغرب قوي موحد يتحدى الأطماع والمؤامرات الخارجية التي تسعى إلى زعزعة استقراره وفقدان سيادته والإطاحة به في شراك التبعية الفكرية والسياسية والاقتصادية .

ولقد ظل سليمان رحمه الله اثنين وثلاثين سنة مثالاً للفضيلة والحكمة والرفق ، وعمد إلى تركيز نظام الدولة على دعائم شرعية ، فأسقط المكوس واكتفى بالزكاة وأعشار المراسي المشغلة من طرف اليهود المغاربة والتجار الأجانب . وكان له اهتمام كبير بالعلم والعلماء ، حتى تنافس الناس في طلب العلم في عهده ، لما كان يحظى به أهله من طرف السلطان من عناية زائدة ، وعرفت البلاد في عهده حركة معمارية مهمة من بناء المساجد والمدارس والقناطر والأسوار ومد الطرق وتجديد القلاع والحصون رغم الصعوبات الاقتصادية والاجتماعية التي واجهته .

ومن الملاحظ أن أرباب الفكر الصوفي المعادي للسلفية ــ وهي العودة إلى الكتاب والسنة ــ والذين كانوا يؤثرون إلى حد بعيد على عقليات البربر حرضوا هؤلاء على الانتفاضة ضد السلطان عندما رأوا مصالحهم مهددة بالزوال ؛ هذا بالإضافة إلى أن جهود سليمان كانت فردية مما كان له الأثر في صعوبة تنفيذ مخططه الإصلاحي .

ومما يجب أن يُنَبَّه له أن الكتاب الغربيين ومن سار على دربهم من الملحدين اليوم المتسمين بأسماء إسلامية ، المقلدين للإفرنج ، المتخلين عن كل خلق وفضيلة زاعمين بجهلهم وتقليدهم الأعمى أن هذا هو سبيل الرقي والمدنية حاولوا جميعاً تشويه سيرة هذا الرجل والانتقاص من مكانته نظراً للافتراءات والادعاءات الباطلة التي نشروها حول سياسة المغرب في تلك الفترة (١٢٠٦ ــ ١٢٣٨ هـ / ١٧٩١ ــ ١٨٢٢ م) بوصف السلطان سليمان بأنه مارس سياسة العزلة وأغلق منافذ الاتصال مع البلدان الأوربية ، وبذلك أصبح المغرب متخلفاً ولم يعد يواكب التقدم العلمي والعصر المتطور .

وجدير بالإشارة أن هذه الحملة على السلطان سليمان وربط ما يتهمه الخصوم به من عزلة وتقوقع باعتناقه المذهب الوهابي إنما يراد منها الطعن في الإسلام ورميه بالتزمت والانغلاق لاسيما وأن الوهابية ليست مذهباً فقهياً بل دعوة إلى الالتزام بالكتاب والسنة وإحياء سيرة السلف الصالح .

إن أعداء الإسلام يحاولون على الدوام وبكل مايملكون من وسائل هدم هذا الدين وطمس معالمه لأنه يقف جداراً منيعاً في وجه أي غزو فكري وسياسي واقتصادي .

لست أدري كيف تجاهل هؤلاء الموتورون الحاقدون أن الإسلام دين العلم والحضارة والتقدم ، ولولا انفتاح المسلمين لما استطاعت أوربا أن تصل إلى ماوصلت إليه الآن من مدنية وتقدم علمي ؛ فعلى ضوء المنجزات الإسلامية في العصور الوسطى وعلى هديها أخذت أوربا المنهج التجريبي وبنت لنفسها الشخصية العلمية الرائدة ، وأقامت مدنيتها الحديثة ، إنهم يريدون بالانفتاح أن يفتح المسلمون أبوابهم

أمام التيار الثقافي الغربي لتكريس التبعية لهم في مجالات الحياة المختلفة ، أما رفض ذل التبعية والالتزام بمقتضيات الإسلام من التميز والعزة والوقوف في وجه الأطماع فذلك كله في نظر الأعداء عزلة وتخلف .

إن السلطان سليمان كانت له علاقات مع الدول الأوربية عن طريق القناصل الممثلين لدولهم والمقيمين في طنجة ، ولكن كان حازماً في سياسته حيث كانت الدول الأوربية الممثلة بالمغرب تؤدي إتاوة سنوية أو هدايا . فالسويد كانت على سبيل المثال تؤدي إتاوة قدرها (٢٥٠ ألف) ريال مغربي ، وقد تجلت سياسة سليمان في استغلال التنافس بين الدول الأوربية لحماية المغرب من أطماعها ، كما تجلت في التحكم في التجارة المغربية وعدم إطلاق الحرية للأوربيين في اقتناء مايريدون ، وفي فرض الرسوم الجمركية بكل ميناء لجباية الأعشار من التجار الأوربيين ، وفي تجهيز أسطول بحري يمارس أعمال الجهاد ضد سفن الدول الأوربية التي لم تعقد هدنة معها ، علاوة على تبني سياسة الإصلاح الداخلي عن طريق إشاعة الوعي الإسلامي الصحيح لولا عناد وتآمر المناوئين وأهل البدع .

وهكذا إزاء هذه المواقف الدالة على اليقظة والحزم من قبل السلطان للمحافظة على سيادة المغرب وإصلاح أوضاعه الداخلية لم يسع الصليبيين الذين أثيرت مخاوفهم إلا تزييف الحقائق التاريخية ورميه بالعزلة والتخلف نظراً لأنه ضيق الخناق عليهم ولم يسمح للدول الصليبية باحتواء المغرب في عهده □

---

* ـــ انظر ترجمة السلطان سليمان عند أبي القاسم الزياني : « الترجمانة الكبرى » تحقيق عبد الكريم الفيلالي ، المحمدية ، مطبعة فضالة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، والخبر عن أول دولة من دول الأشراف ، باريس ، المطبعة الجمهورية ، ١٣٠٣ هـ / ١٩٧٦ م .

ـــ ومحمد بن عثمان المكناسي : الإكسير في فكاك الأسير ، تحقيق محمد الفاسي ، الرباط ، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي بجامعة محمد الخامس .

ـــ ومحمد الضعيف الرباطي : تاريخ الدولة السعيدة ، تحقيق أحمد العماري ، الرباط : دار المأمون ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

ـــ وأكنسوس : الجيش العرمرم ، فاس ، المطبعة الحجرية ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م .

ـــ ومحمد مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، طبعة مصر ، ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م .

ـــ وعبد الحي الكتاني : فهرس الفهارس ، طبعة فاس ، ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م .

ـــ والناصري : الاستقصا في أخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ، مطبعة دار الكتاب ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م .



شؤون العالم الاسلامي ومشكلاته

- الشيخ حسن خالد وأهل السنة في لبنان .
- أزمة ديون العالم الثالث .. التاريخ يعيد نفسه .
- الشيخ سياف يرد على مثيري الفتنة .
- لمحات عن أندونيسيا.

الشيخ حسن خالد
وأهل السنة في لبنان

خسارة كبيرة تعرض لها أهل السنة في لبنان بمقتل الشيخ حسن خالد الذي كان الرمز المتبقي لهم في بلد تسوده شريعة الغاب ، بل أسوأ من ذلك ، خمسة عشر عاماً والبلد يغرق في الدماء ، ولا أحد يريد أن تتوقف هذه الوحشية في التعامل ، ولا أحد ينبض له عرق من الإنسانية لوقف هذا النزيف .

كانت دار الفتوى هي ملجأ الجميع في بيروت ، وكان الشيخ يداور ويتلطف ليبقي لأهل السنة بعض الخيوط التي يستطيعون التمسك بها في أجواء (المليشيات) وزعماء الأحياء و (الحارات) .

إن الطوائف الأخرى في لبنان ومن يساعدهم يستعملون مع أهل السنة المثل القائل : (استضعفوك فأكلوك) فأهل السنة هم الوحيدون الذين ليس لهم مليشيات ، وهم الوحيديون الذين لا يفرضون (الخوة) و (البلطجة) على رقبة الشعب المسكين ، ولذلك أصبحوا طعمة لكل طامع ، ووسيلة لتفجير الأوضاع وعدم استقرارها ، فإذا ماهدأت الأمور أو في طريقها إلى الهدوء ، وظهر في الأفق بعض المبشرات فإن الضحية والتجربة هم (أهل السنة) .

وقد يقال : ولماذا لايكون لهم قوة تردع من يعتدي عليهم ؟ هذا سؤال يوجه إليهم ونحن لانريد تبرير تصرفاتهم ، ولكن حتى في الوقت الذي كان عندهم بعض القوة ــ على خلل وضعف ــ ضربت

هذه القوة من الطوائف الأخرى .

كان الشيخ حسن خالد رحمه الله ذا شخصية هادئة ، يريد الخير للبنان ، وليس عنده مايخيف ، فلماذا قتلوه ؟ طبعاً لأنه ليس وراءه أحد ، وبقتله تتفجر الأوضاع وتستمر في طريقها المسدود ، وأيضاً يستريحون من شخصية كبيرة تقبل الحوار لإنقاذ لبنان ، كما استراحوا من الشيخ صبحي الصالح رحمه الله ، الذي لم يكن عنده مليشيات ولا عصابات ، ولم يتحزب يوماً مع أحد .

إن الأعداء يعلمون وإسرائيل تعلم أن أهل السنة هم في النهاية الذين يتصدون لكيد اليهود في فلسطين ، أو كيد الشيوعية في أفغانستان ، ولهذا هم المستهدفون دائماً ، والكيد والحقد موجه لهم دائماً ، وإنها شنشنة نعرفها من أخزم ...□



أزمة ديون العالم الثالث
التاريخ يعيد نفسه

إن أسباب أزمة ديون العالم الثالث لم تتغير منذ مائة عام ، تبدأ المشكلة بتهالك دائنين شرهين على الإقراض ، وحرص منهم على مد السكك الحديدية في الصحاري المترامية الأطراف ، وإقامة مصانع في الأدغال ، هذا من جهة ؛ ومن جهة أخرى حكام دكتاتوريون يجمعون بين الفساد والجهل ، تنفتح شهيتهم وشراهتهم إلى القروض ، فيحولون قسماً كبيراً منها إلى جيوبهم ، أو يعيدون قسماً آخر منها إلى حساباتهم في البنوك الغربية ، وبعد وقت قصير يحين موعد تسديد هذه الديون ، وهنا تبدأ الأزمة .

وهكذا كانت بداية مثل هذه الأزمة في الثمانينيات من القرن الماضي عندما حدث مااصطلح على تسميته بأول أزمة ديون عالمية ، وذلك بعجز الدولة العثمانية عن تسديد ديونها المستحقة ، وإعادة المفاوضات بشأنها .

وهاهي الأزمة تعيد نفسها في الثمانينيات من هذا القرن ، حيث أقرض الغرب المكسيك والبرازيل وفنزويلا وغيرها من دول العالم الثالث المفلسة التي اعتادت الاقتراض ، واستحلت طعمه .

إن مايمكن تعلمه من دروس التاريخ العثماني ؛ هو أن علاج بعض المشاكل قد يزيدها تفاقماً وسوءاً . فالدولة العثمانية نقلتها مشكلة الديون من كونها « رجل أوربا المريض » إلى أن تصبح « رجل أوربا الميت » ، ولم تفلح جهود الأوربيين في إحياء الجثة إلا في خلق مشاكل جديدة .

وفي هذه الواقعة التاريخية فائدة وعبرة لوزير الخزانة الأمريكي « نيقولاس بريدي » الذي يحاول أن يصوغ خطة لتخفيف ديون العالم الثالث ، بينما كان

سلفه « جيمس بيكر » مصراً على تسديد المقترضين (المفلسين) ديونهم بكاملها دون نقصان . أما الآن فإن بريدي يقترح أسلوباً أكثر ليونة وذلك بالتنازل عن جزء من هذه الديون .

إلا أن التجربة العثمانية لاتوحي بأن أي من الحلين يمكن تطبيقه بسهولة ؛ فإذا لجأنا إلى خيار (بيكر) فإن ذلك يتطلب من المقرضين التدخل بشكل سافر في إدارة اقتصاد الدول المقترضة .

وإذا لجأنا إلى خيار (بريدي) فإن ذلك سيؤدي إلى انهيار سمعة الدول المقترضة أمام العالم ، وفقدان الثقة بها ، كما حصل لسمعة الدولة العثمانية بعد عام ١٨٧٥ م .

وقد لاحظ « برناد لويس » [١] أن الشيء الذي لم يتغير خلال قرن من الزمن ــ رغم كل التغيرات التي حصلت ــ هو جهل المستدينين وجشع الدائنين .

وقع العثمانيون أول الأمر تحت وطأة الديون لأسباب تشبه كثيراً أسباب استدانة دول العالم الثالث ، وهي شراء أسلحة (عصرية) ، فعندما وقعت حرب القرم عام ١٨٥٤ لم يكن على العثمانيين ديون تذكر ، ولكن السلطان عبد المجيد الذي كان حريصاً على مساعدة بريطانيا وفرنسا ضد روسيا أصدر مرسوماً يسمح فيه للخزينة باقتراض ٣ ملايين جنيه ، وكانت تلك بداية نهم لا يشبع من قبل الأتراك إلى الأموال الأجنبية ، وذلك ببيعهم سندات ديون إلى مستثمرين أوربيين خصوصيين ، وغدا الاقتراض من الخارج لديهم عادة روتينية سهلة .

كتب المؤرخ البريطاني اللورد كنروز عن تلك الفترة من التاريخ العثماني يقول :

« أصبح الاقتراض من البنوك الغربية غاية في السهولة ، فقد كان المستثمرون الأوربيون يتفاءلون خيراً بما يردهم من تقارير مشجعة حول المصادر

١ ــ مستشرق أمريكي مشهور متخصص بشؤون العثمانيين .

الطبيعية الضخمة في تركيا ، ولكنهم تناسوا حقيقة عجزها عن استثمار تلك الموارد ، وقصورها الفادح في تسيير المسائل المالية .

وكان لدى العثمانيين مرض آخر معروف لدى العالم الثالث ، وهو نزعة القادة إلى إنفاق الأموال الطائلة من مال الشعب على أنفسهم ومصالحهم الخاصة ، وقد تفاقم هذا الأمر باعتلاء السلطان عبد العزيز العرش عام ١٨٦١ م ، فقد كتب السير إدوين بيرز في الكتاب السنوي لعام ١٩١٧ :

« كانت الإدارة المالية فاسدة تماماً ، حيث لم يكن يصل إلى خزينة الدولة من أموال الضرائب إلا ٤٠ بالمئة » .

وطوال فترة حكم عبد العزيز كانت الديون العثمانية تتراكم ، فقد ارتفعت من (٣) ملايين جنيه عام ١٨٥٤ م إلى حوالي (٢٠٠) مليون جنيه عام ١٨٧٥ وقد انهار هذا الهرم غير الطبيعي من الديون فجأة في ٦ أكتوبر من تلك السنة عندما عجز العثمانيون عن الوفاء بالتزامهم للدائنين ؛ فأعلن الباب العالي أنه سيدفع نصف الفوائد ، وتعهد بالتزامات جديدة تغطي الباقي .

وكما لاحظ كنروز فقد « كان هذا عجزاً حطم سمعة الحكومة العثمانية في الخارج ، وهكذا بعد دمار رصيدها وتخبط اقتصادها في براثن الفساد عجزت الدولة العثمانية ثانية عن الوفاء بالتزاماتها المعدلة ، وانتهى الأمر بالسلطان عبد الحميد أن ألقى السلاح ، ووافق على قيام مجلس مشترك : عثماني ـــ أوربي للإشراف على تسديد الديون .

وكان أن فقد العثمانيون التحكم المستقل باقتصادهم ، وسمحوا للتدخلات الأجنبية فيه ، فأصبحت مواردهم الطبيعية رهينة بيد القوى الأجنبية ، يساعدها عملاء محليون وطابور خامس من اليونان والأرمن ، وقد كانت الاضطرابات السياسية والاجتماعية الناجمة عن ذلك من أهم الأسباب التي ساعدت على ظهور حركة « تركيا الفتاة » وزوال الإمبراطورية إلى درجة يمكن معها التأكيد بأن الديون أدت إلى خنق العثمانيين □

دافيد أغناطيوس / الغارديان ويكلي ١٥ / ٥ / ١٩٨٩ م

تعليق حول قضية
الديون المتراكمة على دول العالم الثالث

إن وجهة النظر المذكورة حول ديون العالم الثالث موجهة أصلاً إلى القارىء الغربي ، وهذا واضح من قول الكاتب : « ولم تفلح جهود الأوربيين في إحياء الجثة إلا في خلق مشاكل جديدة » فمن زاوية النظر الإسلامية يعتبر هذا الكلام غير دقيق ــ إن لم يكن غير صحيح ابتداءاً ــ فالدول الأوربية لم تكن حريصة على حياة الدولة العثمانية ، وفي تعاملها مع العثمانيين كان الهدف الاستراتيجي لهذه الدول هو مزيد من الإضعاف ، ومزيد من الضغط . ولئن بدا أن بعض هذه الدول كانت تبدر منها أعمال تصب في مصلحة العثمانيين فهذا ليس مناقضاً للهدف الأساسي ، بل قد يكون ما تقتضيه المناورات السياسية ، والخلافات الداخلية فيما بين هذه الدول ، من أجل الظفر بأكبر قسط من جسم الفريسة بعد سقوطها .

ولكن ــ مع ذلك ــ ففي وجهة النظر هذه بعض الحقائق التي تصلح للاعتبار وأخذ الدروس .

فالإشارة إلى أسباب هذه الديون على جانب من الأهمية ، فلو نظرنا إلى حال الدول التي تتهالك على الاقتراض من البنك الدولي ومن غيره من المؤسسات الربوية التي تمتص دماء الشعوب لوجدنا أن هذه الديون لا تستعمل استعمالاً صحيحاً فيما اقتُرِضت له ، فبينما يكون الهدف المعلن من استدانتها هو إقامة مشاريع اقتصادية لتحسين حياة الشعوب ؛ تبقى هذه المشاريع حبراً على ورق ، أو يُبدأ بها فقط ؛ ثم تذهب هذه الأموال إلى جيوب بعض المُنتفعين الذين دأبوا على الكذب ، ومهروا به ووظفوا مختصين في ترويجه وتسويقه .

أو تنفق على شراء أسلحة وأعتدة يضع صانعوها وبائعوها مايحلو لهم من

أسعار ، وهكذا يتسلمون باليسار ماأقرضوه باليمين ، وغالباً ماتكون هذه الأسلحة قد تخطاها العصر وأصبحت لاغية في حمى صناعة السلاح التي تقذف كل يوم بجديد . ولا نريد هنا أن نتحدث عن أهداف التسلح ، وعن الجهات المقصودة فيه ، فهي أمر آخر يثير في النفس الشجون والآلام .

أو أن هذه الأموال تنفق دون أن يذهب منها نصيب قل أو كثر إلى أهل الحظوة ؛ ولكن علام تنفق ؟ وما المشاريع الحيوية التي تقام بها ؟ إنها مشاريع ديكورية أو تلفزيونية لا تعود بما هو مفيد وعملي على الدول المقترضة ، بل الهدف منها الفخر والخيلاء ، وإخفاء عقد النقص التي تتحكم في كثير من مقترحي ومخططي هذه المشاريع وإرضاء نزواتهم التي غالباً ماتشبه نزوات الأطفال الصغار أو الأشخاص غير الأسوياء .

إن من سياسة الدول الغنية ضرب الدول الفقيرة بعضها ببعض لإنهاكها حتى تظل بحاجة إليهم غير قادرة عن الخروج على شروطهم ، وهذا الهدف لايزال مستمراً من القديم إلى الآن ، فقد دأبت الدول الأوربية على إثارة القلاقل الداخلية والخارجية في وجه الدولة العثمانية التي كانت لقمة صعبة البلع أول الأمر ، حتى أجهزت عليها أخيراً ، وهذا مالا تزال تفعله مع الأقاليم التي انحسرت عنها الدولة العثمانية والتي شتتتها هذه القوى الغاشمة وقطعتها شذر مذر ، وأسمتها بأسماء من عندها ماأنزل الله بها من سلطان .

والتاريخ يحدثنا عن « الخديوي إسماعيل » كمثال صارخ على ذلك ، فحرص هذا الحاكم على أن تبدو بلاده قطعة من أوربا جعلها ترسف في قيود المستعمرين حوالي ثلاثة أرباع القرن ، ومن الذي لايذكر سفهه وتبذيره وتهوره عند حفل افتتاح قناة السويس ؟! ومن الذي لا يتعجب ويأخذه الأسى العميق عندما يقرأ قصة هذا المشروع التاريخي الذي كان يمكن أن يكون بأقل مما أحاط به من تضحيات وخسائر ونتائج لو أن الذين كان بيدهم أمر الناس يومذاك كانوا على مستوى من الحكمة والذكاء وحسن التدبير والحياء من تبعة التاريخ .

إن الأمثلة الموجعة الشبيهة بتبذير « الخديوي إسماعيل » تجل عن الحصر ، وإن الأموال التي تنفق على الكماليات في أغلب بلدان العالم الإسلامي

لاتكاد تصدق ، وإن جهود الشعوب وعرقها ودماؤها التي تقدم وقوداً للخطط الهوجاء أو العوجاء تنكشف عن أزمات تهدد بالشر المستطير هنا وهناك .

وإن الشيء الذي يندى له الجبين خجلاً ويوقع القلب في الحيرة الممزوجة بالأسف هو السطحية التي تعالج بها أزمات الدول المفلسة ، والإعلام الذي يسود الصفحات ويشحن موجات الأثير بالاحتجاج والهجوم على البنك الدولي وشروطه . فمن الحمق أن نهرع إلى استلام قروض هذا البنك باصمين بالعشرة على شروطه وقيوده ؛ ثم عندما تحين ساعة الحقيقة = ساعة الوفاء ، نضرب كفاً بكف ، وندعو بالويل والثبور على البنك الدولي وعلى الدول الغنية ، ونشن عليهم الحملات التي لاتجدي شيئاً وليست إلا تضييعاً للوقت بالكلام الذي لامعنى له .

إن الذي لايعرف حقيقة أن الدَّيْن « همٌّ بالليل وذل في النهار » لا ينبغي أن يلوم غيره ويتهمه بأنه أذله عندما يطلبه بالوفاء ، بل هو الذي أذل نفسه ، فلم يصبر على القلة ، أو لم يصبر عما هو غير ضروري ، بل « أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » .

لو فتشنا عن جذور الأزمات الاقتصادية التي تضرب البلاد التي سميت فقيرة لوجدناها أزمات أخلاقية = أخلاق فاسدة منبثقة عن عقائد منخورة . ومتى صحت العقيدة أنبثقت عنها أخلاق صحيحة ، وذلك الذي يصحح خطأ الحياة : حياة الشعوب والأفراد □



الشيخ سياف يرد على
الحملة الإعلامية التي تشن على المجاهدين العرب

دأبت بعض الصحف الغربية في الآونة الأخيرة على إثارة الفتنة والضرب على وتر العصبية المنتنة ، فراحت تكتب وتحاور الأفراد من داخل أفغانستان حول ماأسمته (العرب والوهابية) وربما يكون قد تجاوب معها بعض الجهلة المتعصبين فراحوا يرددون هذه العبارة لإبعاد الإخوة العرب الذين يشاركون في الجهاد الأفغاني .

والإخوة العرب ومن شتى الأقطار العربية يفخرون إذا كانوا يتبعون منهج أهل السنة ، منهج السلف ، وهي ظاهرة طيبة بين صفوف الشباب الإسلامي في هذا العصر ، وليس هناك شيء اسمه (الوهابية) وإنما هناك مصلح مجدد اسمه محمد بن عبد الوهاب ، كأي مصلح إسلامي أراد العودة إلى منابع الدين الصافية ، والذين يرددون هذه الكلمة ويعتبرونها تهمة معروفون في العالم الإسلامي . إن هؤلاء الإخوة العرب ليعتبرون الإمام أبا حنيفة من أئمة أهل السنة وهذا الإمام له مواقف رائعة في الدفاع عن السنة ومحاربة المبتدعة الذين انشقوا عن أهل السنة وكتب الأحناف مملوءة بالتحذير من الباطنيين .

وندعوا إخواننا العرب أن ينتبهوا لهذه المكيدة ، وينكروا الناس الذين لايعلمون بكتاب (الفقه الأكبر) للإمام أبي حنيفة وكتب أبي يوسف ومحمد ابن الحسن ، والطحاوي في الدفاع عن السنة .

وقد تنبهت -والحمد لله- وكالة البنيان الصحفية لهذا الأمر فسألت الشيخ السياف رئيس وزراء أفغانستان عن هذا الموضوع ، ونكرت مقتطفات من أقواله ، ونحن ننقل هذه المقتطفات كما جاءت رداً على مثيري الفتنة والتفرقة .

• في تصريح خاص لمجلة البنيان الناطقة بالعربية رد رئيس حكومة المجاهدين المؤقتة الشيخ عبد رب الرسول سياف على الحملة الشرسة التي تشنها في هذه الأيام وسائل الإعلام الغربية وخاصة إذاعة الـ بي بي سي ضد المتطوعين المسلمين الذين يعملون في الساحة الأفغانية . فقال : إن الدنيا بأسرها قد تكالبت على أمتنا الإسلامية وأن أعداء الإسلام يتضايقون من أي مظهر يدل على وحدة الإسلام والمسلمين . وأضاف سياف : لقد جعل الله الجهاد الأفغاني سبباً من أسباب تجمع بعض أبناء أمتنا الإسلامية المخلصين الذين توافدوا إلى خنادق القتال من شتى أقطار العالم الإسلامي والتحموا كتفاً لكتف ودماً لدم ، وأصبحوا صفاً واحداً في مقابلة من يريد اجتياح أمتنا الإسلامية واستئصال شأفتها وعقيدتها من جذورها .

ثم تحدث الأستاذ سياف عن دور المتطوعين من المسلمين في الجهاد الأفغاني فقال : لقد كان لهؤلاء الغرباء القادمين لمساعدة إخوانهم الأفغان والوقوف بجانبهم أطيب الأثر في رفع الروح المعنوية لدى المجاهدين حيث شكلوا بتواجدهم نموذجاً مصغراً للوحدة الإسلامية وجنسيتها « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

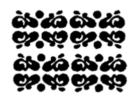
ثم عرّج الشيخ سياف على ماينشره الإعلام الغربي من تهم وأكاذيب باطلة حول هؤلاء المتطوعين قائلاً : لقد أغاظت الوحدة الإسلامية هذه قلوب أعداء الإسلام وضاقت بها صدورهم فلم يستطيعوا تحملهاوبدأوا بإعلان حربهم الشعواء بشتى الوسائل والأساليب ، وهانحن نسمع أبواق الكفر والمنافقين تتحدث عن هؤلاء الإخوة الذين سارعوا لخدمة هذا الجهاد ودعم إخوانهم المجاهدين وتتهمهم وتطعن فيهم وتختلق عليهم الكذب والأقاويل .

وأردف سياف يقول : إن هدفهم الرئيسي من وراء كل هذا هو إحداث فجوة بين أبناء الشعب الأفغاني المجاهد المسلم وبين إخوانهم في الله والعقيدة ، ويهدفون كذلك إلى النيل من طريق إعادة وحدة الأمة الإسلامية وتفريغ الساحة

للمؤسسات الكفرية والإلحادية حتى تنفرد بالإفساد داخل ساحات أفغانستان في المستقبل القريب باسم بناء وتعمير أفغانستان .

وتحدث الشيخ سياف عن الأنصار العرب فقال : إن هؤلاء لم يدخروا من الدنيا شيئاً بل باعوا دنياهم من أجل الدفاع عن دينهم وعن عقيدتهم وإيمانهم والذود عن أعراض هذه الأمة وحرماتها ، وبدأت أبواق الخبث والعفن تتهم إخواننا المتطوعين العرب بأنهم يحاربون مذهب أهل البلاد وأنهم كذا .. وكذا وكل هذه الأمور لا أساس لها من الصحة ولا رصيد لها من الواقع . وأن استشهاد العديد منهم لأصدق دليل على أنهم جاءوا ابتغاء مرضاة الله . وأن هذه الحملة الإعلامية الشرسة التي تشن ضد إخواننا الأنصار الذين نعتبرهم أفلاذ أكبادنا وهم أغلى من في الأرض من بني البشر الأحياء ، كما نعتبرهم أصدق نماذج في ساحة الأخوة الإسلامية .

ثم خاطب سياف الأنصار بقوله : أطمئنكم بأن الأفغان متنبهون إلى هذا الأمر ، ويعرفون حقائق هذه الحملة البشعة ، فواصلوا عملكم بكل ثقة واطمئنان ، وواصلوا مسيرتكم في درب الجهاد درب العزة ، ولن نسمح لهم بأن يفرقوا بيننا ! □



لمحات عن أندونيسيا

تشكل جاوة وسومطرة جزيرتين اثنتين من الجزر ذات الجمال الطبيعي التي تكون جمهورية أندونيسيا البالغ عددها (١٣٦٦٠) جزيرة (خمس جزر رئيسية ، وثلاثون أرخبيلاً) ، ومساحتها (٢) مليون كيلو متر مربع ، وفيها مائة بركان نشط تخرج منها الأبخرة والغازات ، ويبلغ عدد السكان (١٨٠) مليون ، وبهذا التعداد تمثل أندونيسيا خامس أكبر دولة في تعداد السكان في العالم بعد الصين والهند والاتحاد السوفييتي ، والولايات المتحدة .

وتمتد جزر أندونيسيا عبر (٣٢٠٠) ميلاً من المياه فاصلة المحيط الهندي عن المحيط الهادي ، وقد استغل المستعمرون الهولنديون أندونيسيا لمدة تقرب من (٣٥٠) سنة ، ولكنهم لم يوحدوا الجزر تحت إدارة مركزية مطلقاً ، لذا فعندما نالت أندونيسيا استقلالها سنة ١٩٤٩ لم ترث حكومة موحدة ولا هوية وطنية واحدة .

الشعار الوطني (الوحدة في الاختلاف) هو شعار صنع في القرن الخامس عشر ، يصف حالة البلد اليوم بشكل ملائم ، وتحوي التشكيلة الأندونيسية : الجاويين شديدي التهذيب ، والسندانيين عديمي الاهتمام ، الباليين البوجيين الملاحين ، والمندانيين الصناعيين ، وبقايا من البرتغاليين الذين احتلوا البلاد عام ١٥١٠ م .

بحلول سنة ١٩٦٥ كانت أندونيسيا الفتية تغرق بسبب التبذير الوطني والإفراط السياسي من قبل الرئيس الأول (سوكارنو) وكانت البلاد تنجرف نحو سيطرة الحزب الشيوعي الأندونيسي ، أكبر حزب

شيوعي في العالم خارج الصين والاتحاد السوفييتي ، فتحـرك (سوهارتـو) بسرعـة فنحـى (سوكارنو) وسيطر على مقاليد البلاد ، وكان أول عمل قام به حل الحزب الشيوعي مما أدى إلى ملاحقة الشيوعيين وقتلهم ، وكان عدد كبير من القتلى من الصينيين ، وبعد مضي أربع وعشرين سنة مازالت المدارس الصينية والأحزاب الصينية محظورة ، وقد جمع حكم (سوهارتو) بين التهذيب والمكر والقبضة الحديدية . فقد حل الأحزاب العنيدة ، وفتح أبواب أندونيسيا للمعونـة الخارجيـة والاستثمار ، وفي السبعينات بدأ الانتعاش بسبب البترول (يقدر احتياطي اندونيسا المعروف من البترول تسعة ملايين برميل) واليوم تلتف الطرق الحديثة حول الجبال وعبر الأدغال في سومطرة وسليبي ، وفي إيريان وتنتشر الآن حوالي ١٣٦ ألف مدرسة ابتدائية جديدة عبر القرى البعيدة ، وقد تضاعف انتاج الأرز ، وتوجد مشاريع صناعية ضخمة في البلاد ، مثل منشآت الغاز الطبيعي . إن أربعاً وعشرين سنة تعتبر طويلة بالنسبة للتاريخ السياسي الساخن لآسيا الاستوائية ، ويتساءل الكثير : ماذا سيحدث بعد سوهارتو ؟ في الانتخابات الأندونيسية سنة ١٩٨٧ فاز حزب سوهارتو السياسي المدعوم من الجيش بـ ٧٣٪ من مقاعد مجلس الشيوخ ثم عين سوهارتو مائة ضابط في الجيش في ذلك المجلس ، كما عين كل أعضاء مجلس الشورى الوطني الخمسمائة ، ثم انتخبه المجلسان للمرة الخامسة كرئيس لفترة خمس سنوات ، ويعتبر الرئيس الحالي كبيراً جداً في السن إلا أنه يواجه تحديات لم يواجهها من قبل فمعدل دخل الفرد بقي (٣٥٠) دولاراً في السنة ، وهذا دون مستوى معدل دخل الفرد في الفلبين ، ويبلغ عدد العمال في وظائـف دون مستواهم ٤٠٪ وينضم إلى العمال سنوياً مليونا عامل جديد ، ومع زيادة عمليات الاقتراض زادت الديون وزاد الفساد من المشاكل الاقتصادية حيث تنتشر الرشاوى والعمولات العالمية المعقدة ، ومن خلال شبكة من الاحتكارات يتحكم الأندونوسيون الصينيون باستيراد العديد من السلع الرئيسية محققين مكاسب كبيرة

لأنفسهم وأنصارهم ، وتعتبر عائلة سوهارتو وأقاربه المختلفين ومساعديه من المستفيدين .ـ

وفي نقاش لي مع الرئيس (سوهارتو) نفسه تحدثت فيه عن الفساد الموجود وعن استفادة عائلته وأصدقائه من وجوده في الحكم رفض الاعتراف بشيء من هذا ، وقال : إن من يقول هذا ينظر للأشياء بعين واحدة مغلقاً الأخرى . فأجبته : بالطبع ياسيادة الرئيس لكنك كجندي سابق تعلم أنك يجب أن تغلق عيناً عندما تصوب على الهدف . فأجابني ببرود شديد : حتى لو أغلقت عيني الاثنتين فإني مازلت أستطيع إصابة الهدف .

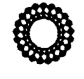
ويقطن العاصمة جاكرتا ثمانية ملايين شخص ، وفيها المباني الحديثة والفنادق والسفارات بالإضافة إلى الأعشاش والبيوت والأحياء القديمة الفقيرة .

وتعتبر جاوة من أكثر المناطق القروية كثافة سكانية في العالم ، ويعمل حوالي نصف سكان جاوة بالزراعة ، حيث يمتلك ثمانون بالمائة منهم أرضاً لاتكاد تكفي لسد رمقهم ، وقد أعادت الحكومة إسكان أكثر من ٧٠٠ ألف عائلة ضمن المشروع الحكومي للهجرة الداخلية من المناطق المكتظة بالسكان إلى حوالي ٦٠٠ مستوطنة في الجزر البعيدة .

إن تسعين بالمائة من السكان مسلمين ، وأشدهم تمسكاً بالإسلام (الأسهيون) الذين يقطنون السهل الساحلي شمال سومطرة ، فقد أعلنوا الجهاد ضد حكومة جاكرتا عام ١٩٥٣ ولم تهدأ الحرب إلا بعد أن اعترفت الحكومة بنوع من الاستقلال الداخلي وتطبيق الشريعة الإسلامية ، وأشد الأقوام بدائية يتواجدون في إقليم (دامينا) وينتمون إلى قبيلة ماسكونا ، وأرضهم عبارة عن أدغال لايمكن عبورها تتخللها محاجر كلسية ، ووهاد ضيقة ، وقد خاضت قبيلة (الماسكونا) لعشر سنوات خلت حروباً قبلية عنيفة وقتلوا كل

أجنبي تجرأ على تحدي حرمة أراضيهم ، إن الطريق الوحيد للوصول إلى هذه القبيلة هو عن طريق الجو ، وهكذا جاء المبشرون بالنصرانية ، وقد وجدت هناك أمريكيين من الكنيسة الانجيلية يدرسون اللغة القبلية ، وعندما سألت شاباً من القبيلة : كيف تعرفت الدولة عليكم ، أجابني بقوله : جاءوا منذ ثلاث سنوات وأخبرونا ألا نستقبل المنصرين ، وعندما سألته إن كان يعرف من هو رئيس أندونيسيا ، قال بسرعة (باك سوهارتو) و (باك) تعني الأب ، ثم قال : إنه الكبالا الكبير ، والكبالا تعني رئيس القبيلة □

عن مجلة ناشيونال جيوغرافيك
يناير ١٩٨٩



السيطرة الروسية في الإتحاد السوفييتي
في طريقها إلى الزوال

إن السيطرة الروسية في الاتحاد السوفييتي في طريقها إلى الضعف بسبب ارتفاع معدل الولادة عند المسلمين في وسط آسيا .

فحسب تعداد يناير من هذا العام (١٩٨٩) فإن الروس يشكلون ٥١٪ من مجموع السكان مقارنة بـ ٥٦٪ عام ١٩٥٩ ، و ٥٢٪ في إحصاء عام ١٩٦٩ ، في حين بلغ مجموع السكان في آخر إحصاء ٢٨٦٫٧ مليون نسمة وكان قبل عشر سنوات ٢٦٥ مليون نسمة .

إن نتائج هذا التعداد تعتبر تحولاً ديموغرافياً لازال يثير مخاوف الكرملين خلال ثلاثة عقود ، وإذا ظل اتجاه النمو السكاني على ماهو عليه فإن الأغلبية الروسية ستصبح أقلية في نهاية هذا القرن ومع هذا فإن الأرقام تعطي بعض الراحة لصانعي السياسة السوفييتية الذين يواجهون حالياً باضطرابات قومية على أطراف آخر امبراطورية مؤلفة من قوميات متعددة ، وعلى الرغم من أن المسلمين لا زالوا يتميزون بنسبة مواليد مرتفعة مقارنة بالسلاف ؛ فإن نسبة زيادتهم تراخت قليلاً منذ آخر إحصاء ، وأخطر توقعات علماء السكان الغربيين هي أن الشعب الروسي قد يهبط إلى ماتحت ٥٠٪ في هذا التعداد .

في كتاب مشهور نشر منذ عشر سنوات بعنوان « سقوط امبراطورية » تنبأ كاتبه بأن الشعب الروسي [1] سيهبط إلى ٤٦٫٨٪ في عام ١٩٩٠ .

والأرقام تشير إلى أن نسبة الولادات في جمهورية روسيا خلال عشر سنوات قد ارتفعت قليلاً منذ عام ١٩٧٩ أي إلى ٧٪ ولكنها لازالت منخفضة جداً عند نسبة ٣٤٪ في جمهوريات آسيا الوسطى .

وعلى المدى الطويل فإن تناقص سكان روسيا سوف يجعل من الصعب على السياسيين أن يستمروا في ادعاء تفوق التمثيل في اقتسام السلطة ، فالآن يوجد اثنان فقط غير روسيين ضمن الترويكا الحاكمة المؤلفة من ١٢ شخصاً ، هما وزير الخارجية « اداورد شيفارنادزة » من جورجيا ، و « فلاديمير شيربتسكي » من أوكرانيا ، والمسلم الوحيد [2] الذي وصل مرة إلى الترويكا « حيدر علييف » من أذربيجان قد طرد عند تسلم « غورباتشوف » السلطة عام ١٩٨٥ ، واتهم بفضائح رشاوى وفساد ، وأجبر على الخروج من دائرة صانعي القرار السياسي ضمن حملة تطهير في صفوف الحرس القديم ، وكذلك فإن الإحصاء يظهر استمرار الهجرة من الريف إلى المدينة ، حيث بلغ تعداد أهل الريف ٣٤٪ مقارنة مع ٥٢٪ عام ١٩٥٩ □

الغارديان ويكلي ١٤ / ٥ / ١٩٨٩ م



---

١ ـــ أي سكان روسيا البيضاء وهي أكبر جمهوريات الإتحاد السوفيتي . (التحرير)
٢ ـــ أي ينحدر من أصول إسلامية . (التحرير) .

بوتو .. خطوة تتبعها خطوات

جاء في مجلة الإكونومست بتاريخ ٣ / ٦ / ١٩٨٩ مايلي :

قامت بنازير بوتو بعزل الجنرال حميد غول من منصبه المهم كرئيس للمخابرات العسكرية الباكستانية واستبدلته بالجنرال شمس الرحمن كالو الذي يعتقد أنه أكثر تقبلاً لنصائح رئيسة الوزراء ، وبعزل الجنرال غول تكون بنازير قد نقضت عهداً بعدم التدخل في أمور المؤسسة العسكرية ، ويمنح قرار عزل الجنرال غول بنازير بوتو فرصة للتنصل من سياسة الدعم التي تبناها الرئيس الراحل ضياء الحق تجاه المجاهدين الأفغان .

وكان ضياء الحق يؤمن أن بإمكان باكستان والمجاهدين سوية تحقيق نصر للإسلام وذلك بإقامة حكم إسلامي في كابل وإنشاء كتلة إسلامية على تخوم الحدود الروسية ، وكانت فئات المجاهدين الأصوليين [١] تتلقى في عهده حصة الأسد من المساعدات العسكرية والمالية وقد سببت هذه السياسة انتقادات متكررة للجنرال غول الذي كان يشرف على تنفيذها .

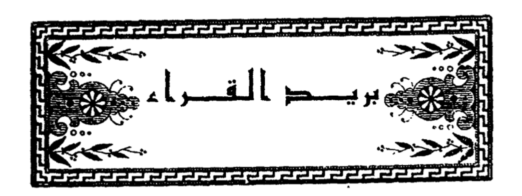
أما بنازير ، فإن إيجاد نهاية مبكرة للحرب الدائرة في أفغانستان أهم لديها من تحقيق نصر إسلامي ، كما أنها توّاقة إلى حل مسألة تواجد مايقرب من ثلاثة ملايين أفغاني على أرض باكستان .

ومن جهتها علقت حكومة كابل على قرار عزل الجنرال غول بقولها إن باكستان مستعدة لمفاوضات السلام وان تفكير الحكومة الباكستانية يدل على رغبتها في السير في هذا الطريق .

ومن المرجح أن تقوم بنازير بدفع فئات المجاهدين وحكومتهم الانتقالية ــ التي تتخذ من بيشاور قاعدة لها ــ على بذل جهود أكبر لكسب ثقة كل من المنظمات الشيعية التي تتخذ من إيران قاعدة لها والعناصر غير الشيوعية في حكومة كابل الحالية □

---

١ ــ يعنون بهم الأحزاب الأربعة .



قراءة ثانية في « البيان »

الأخ الفاضل رئيس تحرير مجلة البيان ، حفظه الله ورعاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

● فعن قناعة أكيدة بسلامة المنهج الذي تسير عليه مجلة « البيان » ومن منطلق الشعور بالمسؤولية تجاهها ، أكتب إليكم عن قراءتي الثانية بعد أن فرغت من مراجعة الأعداد الأخيرة ، وزادني ذلك ثقة بالمجلة وقدرتها على التميز ، ومحافظتها على شخصيتها المستقلة بين شقيقاتها من المجلات الإسلامية التي تصدر في عالمنا ، بل وعلى قدرتها الفائقة على الانتشار ودخولها إلى مكتبات الشباب المسلم ــ ضمن مناطق توزيعها ــ رغم أننا نعرف أنه لم يكن لها سابق دعاية قبل صدورها أو بعده .

ونحن القراء نسأل الله تعالى لكم ولأسرة البيان والمنتدى الإسلامي مزيداً من النجاح والثبات لأداء رسالتكم التي نذرتم أنفسكم لها ، ونسأله القبول وحسن القصد والصواب .

● قرأت الأعداد الأخيرة ، وأعدت مراجعتها قبل الكتابة إليكم ، لأعبر لكم عن مدى مانجده من تأثير لها في النفوس من خلال الحديث والمساءلة عن هذا « البيان » .

فقد حفلت الأعداد الأخيرة بمجموعة طيبة من البحوث المتنوعة والدراسات الجادة في مجالات العقيدة والعبادة والثقافة الإسلامية والفكر التاريخي ، إضافة للأبواب الثابتة عن الخواطر الرائعة في الدعوة ، ومشكلات المسلمين وشؤونهم في شتى ديار الإسلام وفي ديار الغربة ... وبرزت أسماء جديدة في المجلة تؤثر على مدى ثقة القارىء والكاتب المسلم بالمجلة التي لم تتجاوز عامها الثاني من عمرها المبارك الميمون بإذن الله تعالى .

● وحسبنا أن نشير هنا إلى الدراسة القيمة « وإذا قلتم فاعدلوا » التي نشرت على صفحات العددين الخامس والسادس ، وفيها أقام الكاتب ـ جزاه الله خيراً ـ موازين العدالة لتكون « مفتاح الحق وجامع الكلمة » فلعله يتحفنا بدراسات أخرى .

● وفي العددين السادس والسابع وجدنا بحثين في النبوة والرسالة ودور العقل البشري ، يبدو أنهما جزء من سلسلة مقالات لم تنشر بعد ، فلعلها تكتمل لتعطي صورة كاملة عن البحث ، ولعل الباحث ـ حفظه الله ـ يتابع جهده في ذلك .

● وكانت لفتة طيبة في العدد الثامن ، بقلم الأخ مدير التحرير ، إلى منهج البحث والتحقيق ، وضع فيها النسبة الصحيحة بين المتن والهامش في تحقيق النصوص ونشرها ، وفي الكتابة المتخصصة .

● وكان إخوانكم القراء ينتظرون في المجددين المعاصرين أن يجدوا بينهم اسم شخصية إسلامية لها مكانتها في النفوس وفي الدعوة الإسلامية ، وهي شخصية المودودي رحمه الله ، فلا يزال التساؤل قائماً عن سبب غياب اسمه ، ومكانته في هذا المجال مرموقة .

● وجميل أن تتابع المجلة نشر تعريف ببعض أعلام الفكر الإسلامي ومؤلفاتهم الرائدة ، كما فعلتم في العدد (١٢) عن الإمام محمد بن الحسن وكتابه ، وحبذا لو تابعتم نشر مقالات أخرى في هذا الجانب لتكون منارات مضيئة أمام القراء .

● ونأمل أن نرى مرة أخرى عودة بعض الأبواب التي خلت منها أعداد المجلة ، ومن ذلك : مشاهداتي في بريطانيا ، وحبذا لو تتسع الدائرة لمشاهدات من بلاد

غربية أخرى ، لتتضح الصورة والوجه الآخر للحضارة الغربية الخادعة ، وكذلك « من مشكاة النبوة » فهي زاوية تصل القارىء بمصادر دينه وتبين مكانة السنة في الهداية ... فحبذا لو كان ذلك باباً ثابتاً في المجلة ويسبقه باب آخر عن آية كريمة من نور كتاب الله تعالى .

وسبق أن نشرتم قصيدتين في موقفين رائعين لبعض شعراء الدعوة الإسلامية فيها شيء من الطرافة والعناية بالأدب الإسلامي ، فمزيداً أيها الإخوة الكرام ... ولتكن هذه الكلمات إشارة بعض مالفت الأنظار في المجلة مع مافيها من أبواب ثابتة نافعة إن شاء الله .

● وأخيراً حبذا لو أعطيتم مزيداً من الاهتمام بالإخراج الفني للمجلة ، فمثلاً في بعض « الشذرات » تبدأ القطوف بسطر واحد في أسفل الصفحة وتتمته في الصفحة الثانية ، ولعل المخرج يتمكن من جعلها في صفحة واحدة ، فهو أكثر جمالاً للصفحة ، كما أنه لايكون جميلاً بدء سطر ناقص في آخر الصفحة .

وقد فاتني أن أشير إلى أنني لست مع الأخ الذي يقترح عدم نشر رسائل القراء التي فيها شيء من المدح للمجلة ، بل مزيداً من ذلك ، ونحن على ثقة بأنكم لا تسعون لذلك ، فليكن هذا من باب عاجل بشرى المؤمنين ...

ومعذرة إن كنت أطلت وأثقلت .. ولكم خالص دعواتنا ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم : محمد عبد الله آل شاكر



استراحة البيان

إعداد : صالح الغفيلي

أولاً : قبس من النور :

قال عز وجل : ﴿ الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

من مفاهيم الآية :

يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله في تفسيره « صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم » :

« ... فمشروعية الله للحج وغيره من عبادات الإسلام المتنوعة هي تحرير لعقل الإنسان من الأوهام والأضاليل التي علقت به من مكر الدجاجلة والطواغيت ، وتطهير لقلب الإنسان وتصفية له من محبة غير الله والتعلق بغير الله ، وتخليص له من وشائج الأرض والطين وعصبية الجنس المفرقة بين البشرية .. ولهذا تجد آيات الأحكام مختومة بالوصية بتقوى الله أو بما يقتضي التخويف من الله » .

ثانياً : نافذة على الشعر :

هذه الأبيات من شعر الإمام الشافعي رحمه الله :

المرء بعلمه وتقواه

اصبر على مُرِّ الجفا مِن مُعلِّم
فإن رسوب العلم في نفراته

ومن لم يذق مر التعلم ساعة
تجرع ذل الجهل طول حياته

ومن فاته التعليم وقت شبابه
فكبر عليه أربعاً لوفاته

وذات الفتى والله بالعلم والتقى
إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته

ثالثاً : من رجال الدعوة :

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله وغفر له :

نسبه : هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي ، من قبيلة تميم .

مولده : ولد بالمملكة العربية السعودية ، القصيم بتاريخ ١٢ محرم عام ألف وثلاثمائة وسبع من الهجرة النبوية .

نشأته : توفي والده وله سبع سنين فتربى يتيماً ، ولكنه نشأ نشأة حسنة ، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم ، وقد قرأ القرآن الكريم بعد وفاة والده ، ثم حفظه عن ظهر قلب ، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم رحمه الله .

ومن مصنفاته :

١ ــ تفسير القرآن الكريم ، المسمى « تيسير الكريم المنان » .
٢ ــ الدرة المختصرة في محاسن الإسلام .
٣ ــ القول السديد في مقاصد التوحيد .
٤ ــ وجوب التعاون بين المسلمين .

مغالطة وتحريض حاقد

منصور الأحمد

هما حالتان ، على اختيارك إحداهما يتوقف الحكم عليك ، إما أن تكون حليقاً ؛ أو ملتحياً . هكذا أفادنا الدكتور : فؤاد زكريا أستاذ الفلسفة والعصرنة ، وحكيم هذا الزمان .

فإذا كنت حليقاً ، محفوف الوجه ، غليظ التقاسيم ، وأضفت إلى ذلك جرأة تتقحم بك موارد التهجم على كل من اختار الإسلام له طريقاً ؛ كنت خليقاً بوصف المتطور ، التقدمي ، المستنير ، عاشق الحرية ، والهارب من الظلام .

وإذا أعجبتك طريق الأنبياء ، وبدا لك أن تنضم إلى ركب أتباعهم ؛ فاخترت سيرة محمد ﷺ وأصحابه ، وآثرت الاقتداء بهم ، والسير على هديهم والتخلق بأخلاقهم ــ ومن هديهم إرخاء اللحية ــ هنا تكون قد جردت نفسك من نعمة العقل ، وحكمت على مواهبك بالتعطيل ، واستوجبت الحكم القاطع ، غير القابل للاستئناف ، من هذا الدكتور ومريديه بأنك جاهل غير قابل للتعليم .

وإذا سألتني : وهل من الإنصاف والعلمية والموضوعية التي يكثر هذا الدكتور الحديث عنها أن يطرد حكمه هذا على كل من أطلق لحيته ولو كان في شبه القارة الهندية ، ويحكم « **بقلة العقل ورثاثة الفكر** » على رجال مثل المودودي والندوي ، مع أن هؤلاء لم يدخلوا في معركة معه ، ولم يشعروا بوجوده أصلاً ؟! .

قلت لك : لا أدري ، ولا أفهم الموضوعية التي يدعيها أمثال هذا (الدكتور) إلا أنها ترك الحبل له على الغارب كي يقول مايشاء ، ويسب من يريد ، ولك أن تعد هذا التطرف في إطلاق الأحكام سَورة غضب على صاحب لحية قد يكون تصدى للرد عليه ، أو حسداً للمكانة الفكرية التي يتمتع بها الندوي والمودودي بين المسلمين عامة ، لا بين مسلمي الهند فقط ، بينما الدائرة التي تعرف فؤاد زكريا في مسقط رأسه يقلقه حجمها ، لأنها دائرة ضيقة ومنبوذة في بحر متلاطم ، دع عنك دائرة أتباعه الصغيرة في دار هجرته الصغيرة .

وطمأنت محدثي : لا تغضب ، ولا يؤلمك إتاحة جريدة القبس صفحتها الأخيرة ويوم الجمعة لهذا الموتور كي ينضحها بفكره ، فلعل قراءً لم يقرأوا فكر المودودي والندوي بعد ؛ يهرعون إليهما فيكتشفون فكراً أصيلاً ، وتحليلاً عميقاً ، وعفة في الجدل ، وسمواً في القصد والغاية أين منها التحريض الحاقد ، والمغالطة الثقيلة ، والادعاء الممجوج التي تطبع فكر فؤاد زكريا وأمثاله الذين اتخذوا الهجوم على الإسلام والمسلمين مهنتهم المفضلة :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت ، أتاحَ لها لسان حسود □



العدد العشرون : محرم / ١٤١٠ هـ ـ آب (أغسطس) ١٩٨٩ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن

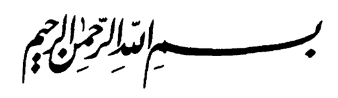
المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير
محمد العبدة

مدير التحرير
منصور الأحمد

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
..ges Place, Parsons Green
..ndon SW6 4HR U.K.
Tel : 01-731 8145
Fax : 01-736 4255



المحتوى

حول الصليبية والشيوعية

إن النظرية الشيوعية تعادي جميع الأديان ، حيث إنها تؤمن بما هو محسوس ، وتعتبر الإيمان بالغيب خرافة من اختراع فريق من الناس ـــ وهم رجال الدين ـــ كي يقودوا العامة بذلك ويسلبوهم حقوقهم ، ومن هنا ولدت مقولتهم : الدين أفيون الشعوب .

لكننا نشهد الآن بعد حوالي ثلاثة أرباع القرن من تطبيق الشيوعية في روسيا إفلاسها المريع في مهدها ، وكذلك إعلان إفلاسها في جميع الأقطار التي انتهجتها : في بولندا وهنغاريا ، ويوغوسلافيا ، وإفلاسها مع المكابرة في الاعتراف بذلك في الصين ورومانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وألبانيا ، وكوبا ، وإفلاس تطعيم النظم الأخرى بها كذلك ، إفلاس على كل صعيد ، ومشاكل وأزمات تعتصر الشعوب التي نكبت بها ، والتي فرت إليها في فترة سابقة من جشع الرأسمالية وفرديتها عادت مع الأسف تنادي بالرجوع إلى مافرت منه ، تستجير من الويل بالويل ، وتهرب من جحيم إلى جحيم .

وبينما يراقب بعض المسلمين في هذا العصر التغيرات بحزن وأسى ولا يزيدهم ذلك إلا قناعة واستمساكاً بدينهم الذي استمدوا منه بادىء ذي بدىء رؤيتهم أن الشيوعية مبدأ غير قابل للحياة ، مناقض للفطرة الإنسانية التي فطر الله

الناس عليها ، وهو وإن فرض فرضاً ، وطبق بالحديد والنار وأنهار الدماء وملايين الضحايا ؛ لكنه سيحفر قبره بيده ، وسينهار بنيانه فوق رؤوس بناته ، وهكذا كان .

بينما يراقب بعض المسلمين ذلك نرى البعض الآخر سادراً في غيه لاهياً عن نفسه ، يتعلق بسراب الشيوعية ليشفي نقمته على الدين ودعاته الذين حشا التبشير الشيوعي دماغه ضدهم ، ولفق الأكاذيب عليهم .

وعندما نقول الدين فنعني به الإسلام ، لأن أتباع الشيوعية من أهل الأديان الأخرى قد يكون بينهم من يحقد على الأديان عامة ، ولكن حقدهم على الإسلام من نوع خاص ، وله طعم مميز . وهذا واضح بجلاء في البلاد التي يغلب على أهلها الإسلام أو في البلاد التي فيها أقليات إسلامية .

ففي البلاد ذات الكثرة الإسلامية نرى أن الشيوعية نشطت وتنشط بين الأقليات الموتورة الحاقدة على الإسلام والمسلمين ، ومن أجل جذب المسلمين إلى شَرَك الشيوعية الكافرة حتى يتخلوا عن روابطهم الإسلامية ، وعصبيتهم الدينية .

يرفع رجال الأقليات شعارات مثل : الرابطة القومية ، الوطنية أو المواطنة ، والنضال المشترك ضد المستعمر ، وتكافؤ الفرص ، ونبذ الطائفية ... وقد تجوز هذه الخُدع على كثير من المسلمين الذين ورثوا من تعاليم دينهم البعد عن التفكير بأسلوب باطني يظهير شيئاً للاستهلاك ، ويخفي شيئاً عملياً للتطبيق ، فينخرطوا في هذه البدع ، ويقادوا إلى حيث ينكشف لهم بعد حين أن هذه الدعوة التي رفعت شعار المساواة هي أبعد ماتكون عن المساواة ، وحين ادعت النضال ضد المستعمر كانت تعقد معه الصفقات السرية من أجل أن تتمكن وتتحكم بالأغلبية ، وحين كانت تسوِّد الصحف وتنعق مهاجمة الطائفية كانت تقرب وتقصي ، وتعادي وتوالي على هذا الأساس الطائفي المقيت ، وحين كان الجو مشحوناً بالدعوة إلى « المادية التاريخية » و « اللينينية » و « الستالينية » و « الماوية » ؛ كانت عقائدها السابقة تسري تحت عجاج هذه الدعوات ، أو تكمن وتتربص ، ولا تغيب أبداً .

حيثما تسلط الشيوعيون وأشباههم في البلاد الإسلامية كانت قياداتهم يسيطر عليها الأقليات الحاقدة ، وتوجه من قبل من تنطوي قلوبهم على كره شديد

للمسلمين ، ومايلبث هؤلاء أن يقوم بينهم وبين الصليبية حلف يتضح أثره في تقليص كل مايعود بالفائدة على الأكثرية الإسلامية ، وانحسار كل تأثير لهذه الجموع التي يراد منها تحقيق أهداف غيرها بالقضاء على عقيدة الإسلام في النفوس ، وعلى أثر الإسلام في الواقع .

لقد فشلت الشيوعية في تحقيق مارفعته من أهداف ، وفي القضاء على ماجاءت للقضاء عليه ، فشلت في تحقيق المساواة ، وفشلت في إلغاء الأديان والقوميات ، وفشلت في تحقيق الفردوس الأرضي للناس الذين حكمتهم .

فالروس هم الذين يحكمون فعلياً شعوب الاتحاد السوفييتي بشكل لايختلف كثيراً عن حكم القياصرة السابقين ، وإذا كانت طبقة القياصرة أبيدت فقد حل محلها طبقة من القياصرة الجدد الذين لايختلفون في سيآتهم وعسفهم وجبروتهم واستبدادهم عن السابقين إلا أنهم كانوا من أغمار الناس فرفعهم مايسمى بالنضال الحزبي إلى التحكم والتصرف بمصير الآخرين .

وكذلك فشلوا في تحقيق الحد الأدنى من العيش الكريم لشعوبهم ، وفي الوقت الذي حاربوا فيه بعض مفاسد الرأسمالية كالربا مثلاً ازدهرت في ظلهم أوبئة اجتماعية أخرى لاتقل خطورة عن ذلك ، وضربت بجذورها ، وأصبح من العسير معالجتها مثل : الرشوة ، وفساد الذمم ، والسوق السوداء ،ونقص الانتاج ، وعدم الإخلاص في العمل ، وازدهار الطبقات الطفيلية في المجتمع .

أما القوميات ــ والتي كان الكثير يستحسنون حل الشيوعية لمشكلتها ، ويسوّقون النظرية الستالينية في حلها ، نراها اليوم وكأنما انشقت عنها الأرض فعادت أكثر نشاطاً وانتعاشاً ، وكأنما هذه الفترة تمثل بالنسبة إليها « سعد الخبايا » بعد شتاءٍ طويل وثقيل [1] .

والمسيحية التي ادعت الشيوعية أنها ستقضي عليها تحتفل بالذكرى الألفية

---

١ ــ في الحساب الفلكي الشعبي تبدأ خمسينية الشتاء في ١ شباط (فبراير) وهي مقسمة إلى أربعة أقسام كل قسم منها مدته حوالي أسبوعين ، وأولها سعد ذبح ، وهو أشدها برداً ومطراً ، فسعد بلع وفيه تبتلع الأرض ماء المطر ، فسعد السعود حيث يبدأ الدفء ، وآخرها سعد الخبايا حيث تخرج دوابُ الأرض وهوامُّها من مخابئها بعد فترة البيات الشتوى .

لدخولها روسيا ، والكنائس القديمة يزال عنها الغبار وتفتتح في احتفالات حاشدة ، بل نرى هذه المسيحية تعود بشراسة مشهورة في يوغسلافيا ؛ فتجبر الشيوعية أن تعود عن قوانين سنتها بالأمس القريب ، وتنتزع من المسلمين الألبان ماأعطتهم هذه الشيوعية المحتضرة ، في عرض للقوة والتحدي يذكرنا بمجمل النظرة الصليبية تجاه الإسلام .

إن مانحب أن نؤكده هنا ونقيم عليه الدليل ليس هو إفلاس الشيوعية على أرض الواقع ، وإنما الروح الصليبية المتعصبة ضد الإسلام والمسلمين في كل مكان ، والتي لا تموت ولا يدركها الفتور ، فقد تبرز كأوضح ماتكون مكشرة الأنياب إن صادفت ظرفاً مناسباً ، وإلا فقد تتذرى وتتخفى تحت هذه البدعة أو تلك ، عاضة على الأنامل من الغيظ مهمهمة متمتمة ، وهي في كلتا الحالتين لا تغفل عن عدوها الأول (الإسلام) ولا تفتأ عن إلحاق الضرر به في أي ميدان .

إن المسلمين حينما يكرهون الشيوعية ويحاربونها ؛ لا يفعلون ذلك لأنها تعادي الأديان ــ ومنها الإسلام ــ فقط ، لأن المسلمين يعتقدون بيقين ثابت أن الشيوعية مبدأ ولد ميتاً ، وحكمهم عليها ــ منذ عرفوها ــ ليس من باب التنبؤ والضرب بالرمل أو علم الغيب ، وإنما هو حكم منتزع من وحي عقيدتهم وهدي دينهم ، إنها مبدأ أرضي ، والمبادىء الأرضية لاتثبت للمبادىء الإلهية ، ولئن حرست هذه المبادىء الباطلة بالقوة الغاشمة فترة ما ؛ فلن تظل محروسة إلى الأبد ، لأن حراسها سيدركهم التعب ، وسوف ينتابهم مايرخي قبضتهم الحديدية ، وقد ينخدع أناس بالكذب يروجه آخرون يستثمرونه على أمل أن يحقق لهم هذا الكذب شيئاً ، فإذا اكتشفوا أنه سراب كفروا به .

إن مما دعا المسلمين أن يعادوا الشيوعية ويحاربوها أنهم وجدوا فيها ملاذاً لكل عدوٍ لهم ، يرفع رايتها حين يصعب عليه رفع راية غيرها ، ففي البلاد الإسلامية كانت موئلاً لكل أصحاب العقائد التي اكتسحها الإسلام بنصاعته ووضوحه ، فوجدوا فيها دعوة جديدة على الناس يتلاوذون في ظلها ريثما يحوزون السلطة ،

ولو أنهم رفعوا راياتهم الحقيقية من أول يوم لديسوا بالأقدام وسحقوا سحق العقارب .

ولذلك لو فتشت عن حقيقة رافعي هذه الراية بشيء من الصبر القليل لوجدت من يتلمظ بمحاربة الطائفية والأديان لا يحارب إلا الإسلام من بينها .

ولعثرت على من يخطب بمصطلحات الصراع الطبقي وحقوق الطبقة العاملة لصاً كبيراً وأفاقاً محباً للدنيا لا يطيب له العيش إلا باستخدام ماتنتجه الدول الرأسمالية التي يبيع المغفلين شتمها والتشهير بها .

والمسلمون حين يرفضون الشيوعية فليس خدمة للغرب ولا لأمريكا ؛ بل لأنها مع الصليبية تعمل على أن لاتقوم للمسلمين قائمة ، وأن لايكون لهم كيان ، ولا يبقى لهم مصدر رزق مستقل من سيطرة الغرب والشرق ، ولا ينعمون بفترة استقرار يعالجون فيه مشاكلهم بحرية وعدم تدخل □





حديث عن البديل

- ٢ -

د . عبد العزيز القارىء

من الذي يجب عليه أن يتولى تهيئة مجتمع مصغر داخل المجتمع الأكبر ، حتى يأوي إليه طلاب علوم الشريعة ؟ إنهم العلماء الربانيون . إذا التف حولهم أولئك الفارُّون بدينهم الباحثون عن النجاة وجدوا الكَنَف الطيب الحنون النابض بالحياة الحقيقية ، فينشأون فيه حتى يقوى عودهم ، وينبت ريشهم ، ويتهيؤون للطيران .

لقد جرت العادة أن كنف هؤلاء العلماء الربانيين يخرج طيوراً (أبابيل) حتى إذا تكاثرت فوجاً إثر فوج ، انقضت على (أبرهة) وجيشه وخيله ورجله قبل أن يبلغ الكعبة ، إن (أبرهة) يعرف جيداً هذه العادة .

نعم هذا هو شأن العلماء الربانيين ، وتلك هي عادتهم ، ولكن أين هم ؟ أحياناً تكون العقوبة الشاملة ليست خسفاً ولا مسخاً ولا طوفاناً ولا صيحة ــ والعياذ بالله ــ بل تكون حرماناً من أسباب النجاة ، فتنظر إلى المجتمع المتمرد الذي عمَّ فيه الفساد ، والتلف فلا تجد فيه عالماً ربانياً واحداً ، وربما ترى حشوداً من العلماء ، لكنهم ليسوا من ذلك الصنف الرباني الذي يربي الأمة بعلمه ودعوته .

ترى أصنافاً من العلماء شتى ، بعضهم ــ بل أسوؤهم ــ أولئك الذين يضمهم الحاكم إلى موكبه ،

فيمشون خلفه ، يطبلون ويزمرون مع المطبلين والمزمرين ويلهجون بحمد الطاغوت مع اللاهجين ، وبالشناعة جريمة هؤلاء المعممين ، الذين يفعلون ذلك وهم يلبسون جبة العلماء ، أي ضرر فادح يلحقونه بثلاثة مقامات : مقام الدين ، ومقام العلم ، ومقام الأمة .

قال واحد من هؤلاء لسيده : لو كان لي من الأمر شيء لجعلتك في مقام الذي لا يسأل عما يفعل .

(علماء الحاشية) هؤلاء ينتهون أسوأ نهاية ، ينتهون إلى سخط الله وسخط الناس ، وإذا سلمت الأمة من شرهم فهو أمر عجيب ، أما هم فما أبعدهم عن النجاة والسلامة ، أما سمعت كيف تبرأ النبي ﷺ من هذا الصنف من العلماء :

عن كعب بن عُجرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، وليس بوارِدٍ علي الحوض » (١) .

وأخبر ﷺ أن ارتياد أبواب السلاطين فتنة فقال : « من سكن البادية جَفَا ، ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتى أبواب السلاطين افتتن » (٢) .

ولذلك كان السلف يحذر بعضهم بعضاً من ذلك ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إن على أبواب السلاطين فتناً كمبارك الإبل ، والذي نفسي بيده لا تصيبون من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثله — أو قال : مثليه — .

هذا لأن الغالب أن السلطان يغلب من يرتاده على دينه فيهلكان معاً ، لكن قلة من العلماء يغلبون السلطان بقوة الحق الذي يصدعون به عنده ، فيكون ارتيادهم لهؤلاء بركة عليهم ، وبركة على الأمة ، ولذلك كان بعض أئمة السلف يخالطون الخلفاء ويجالسونهم ويؤثرون فيهم بعلمهم وقوتهم بالحق ، فمثلاً :

أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري من فقهاء الأمة الكبار ، جالس خلفاء بني العباس وعمل في

١ — رواه الترمذي في كتاب الفتن من جامعه ، وأحمد في مسنده : ٤ / ٢٤٣ .
٢ — رواه أحمد ٢ / ٣٧١ ، ٤٤٠ .

سلكهم ، بينما شيخه الإمام الرباني أبو حنيفة النعمان ابتعد عن أبوابهم ، بل ورفض بشدة مخالطتهم ، والعمل في سلكهم ، وكل من هذين الإمامين كان بركة على الأمة بما فعل ، فأبو يوسف رحمه الله أبرز من صحب من خلفاء بني العباس (هارون الرشيد) ومن مثل الرشيد من ملوك المسلمين ؟.

قال الحافظ الذهبي في ترجمته في (السير) :

كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ، ذا حجٍ وجهادٍ وغزوٍ وشجاعةٍ ورأيٍ .

وقال : وكان يحب العلماء ويعظم حرمات الدين ، ويبغض الجدال والكلام ، ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه ، لاسيما إذا وُعِظ [1] .

إقرأ كتاب (الخراج) لأبي يوسف حتى تعلم ماذا صنع هؤلاء العلماء في مجالستهم للخلفاء ومصاحبتهم للملوك ، أما إذا تعمقت في دراسة آثارهم وبركاتهم فاطلعت على شبكة القضاء القوية الرائعة في صدر الدولة العباسية والتي كان أبو يوسف من مؤسسيها ورعاتها ، فإنك حينئذ مطلع أكثر وأكثر على البركة التي أصابت الأمة من مصاحبة أبي يوسف وأمثاله من العلماء للملوك والخلفاء .

ومن المحدثين نجد أنموذجين : (سفيان الثوري) : ظل مقاطعاً لمجالس الخلفاء هارباً منهم ومن العمل في سلكهم ، بينما الحافظ (محمد بن مسلم بن شهاب الزهري) دخل على خلفاء بني أمية وجالسهم ، جالس عبد الملك بن مروان ، وهشام بن عبد الملك ، وعمر بن عبد العزيز ، وياليت كل الملوك مثل هؤلاء .

كان الزهري يأخذ من هؤلاء الخلفاء الأعطيات ويوزعها على الناس ، ولاينتظر حتى يعطونه ، يظل يسد حاجات الناس ويستدين ، حتى إذا ركبته الديون أخذ منهم فسد به أفواه الدائنين ، ولذلك فإن أخذه لأعطيات الملوك لم يؤثر على صلابته في الدين ، ولا منعه من الصدع بالحق ، والعادة أن من يأخذ لايتكلم ، لكن الزهري لم يكن يأخذ

١ ــ سير أعلام النبلاء ٩ / ١٨٧ .

لنفسه .

ذكر الذهبي في (السير) أن الخليفة هشام بن عبد الملك قال للزهري : من الذي تولى كبره منهم ؟ فقال : هو عبد الله بن أبي .. قال : كذبت هو علي بن أبي طالب . فقال الزهري : أنا أكذب لا أبا لك ! فوالله لو نادى منادٍ من السماء إن الله أحل الكذب ماكذبت ، حدثني سعيد وعروة وعبيد وعلقمة ابن وقاص عن عائشة : أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي [1] .

علماء السلف الربانيون إذن كانوا على مسلكين في هذا الصدد ، وكلهم كان نفعه للأمة عظيماً ، لكن الذين اختاروا البعد عن أبواب السلاطين والخلفاء كانوا أعظم أثراً ، لأنهم تفرغوا لتربية الأمة ، أمثال : أبي حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد ، وسفيان الثوري ، ومن بعدهم : ابن تيمية ، والعز بن عبد السلام ، وغيرهم .

إن وظيفة (العالم الرباني) وظيفة (استراتيجية) أساسية ، مصيرية ، ضرورية ، لاحياة للأمة بدونها ، وهي تتطلب قدراً كبيراً من استقلال (العالم) ، ولذلك أبى هؤلاء الذين سميناهم من (الأئمة الربانيين) أن يتولوا شيئاً من الأعمال الحكومية ، لأنهم انتدبوا أنفسهم لتلك الوظيفة (الاستراتيجية) التي هي أجل أثراً وأعظم بركة .

إن أي ثمن يقبضه العالم الصادق لمصلحة الأمة مقابل التخلي عن هذه الوظيفة (الاستراتيجية) لايمكن أن يبرر هذا التنازل الخطير ، أو يقلل من أثر هذه الخسارة الفادحة ، وربما ظن هذا العالم الصادق أن (المصلحة) التي حققها للمسلمين تبرر تخليه عن مهمة (العالم الرباني) لو كان أمثال هؤلاء العلماء الصادقين ذوي (كفاية) لفتحوا أعينهم على حقائق الأمور ومجريات الحوادث في هذا العصر ــ عصر الفتنة المبرمجة ــ ولعلموا أن الثمن الذي دفعوه وهم لايشعرون ثمن فادح لا تساويه تلك المصالح الجزئية القليلة التي حققوها ، مصالح في الغالب هزيلة لايمكن أن توصف بأكثر من فتات يلقي به أولئك المعربدون في أنحاء

١ ــ سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٩ .

العالم الإسلامي ، لقد دفع أولئك العلماء من مصلحة الإسلام والمسلمين أضعاف ماأخذوا ، وذلك بتخليهم عن (الوظيفة الاستراتيجية) ، تماماً كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

وهذا المآل مؤكد في ظروف مثل هذه التي يعيش فيها المسلمون اليوم ، في معظم البلاد الإسلامية هناك (استراتيجيات) وضعها المخططون والمبرمجون لا مكان فيها لهذا الدين الذي يحمله هؤلاء العلماء ، ولذلك فإن هذه الحكومات لن تسمح لهم بأكثر مما تسمح به تلك (الاستراتيجيات) الموضوعة سلفاً وكل الجهود العقيمة التي سيبذلها هؤلاء العلماء المساكين ستذهب أدراج الرياح ، لأنها ستظل مكبلة موثقة بالأغلال .

مع أن كثيراً من هؤلاء العلماء لا يتوفر فيهم شرط (الكفاية) الذي نص عليه الفقهاء وجعلوه شرطاً في كل من يتولى شئون المسلمين ، ومعناه الحنكة والخبرة السياسية ، والدهاء والذكاء السياسي ، فإدارة شئون الأمة ليست كالمداولة في مسألة فقهية .

إذا أردنا أن نفهم تماماً معنى (الكفاية) فلنستحضر أنموذجين : أحدهما لواحد من ملوك المسلمين العظام : إنه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، والآخر لواحد من أئمة الفقه الكبار من الربانيين : إنه أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، كلاهما كان يتمتع بحنكة سياسية رفيعة ، ودهاء سياسي عجيب ، وتمت المواجهة : المنصور مع أنه ملك فقد كان عالماً وفقيهاً ويعرف مامعنى أن يظل مثل أبي حنيفة رحمه الله خارج أغلال الدولة ، معناه أنه سيربي الأمة ، وصمم أن يولي أبا حنيفة القضاء لكن أبا حنيفة رفض ، هو فقيه وإمام من أئمة العلم ، لكنه مع ذلك كان سياسياً بارعاً ، إذن فهو يعلم مامعنى أن يقبل بوضع غل المنصور في عنقه ، معناه أن يتخلى عن مهمته الأساسية : التربية ، صمم المنصور ، وصمم الإمام ، وتحطم عناد الخليفة أمام صلابة الإمام ، فأظهر انهزامه بسجن الإمام .

الحاكم دائماً كلما أحس بالهزيمة أمام العالم الرباني فإنه يسجنه ، وربما يقتله ، إنها سنة قديمة ، تواصوا بها .

قد يقرأ كلامي هذا بعض

المتعجلين من المتفقهين فيفهم منه أنه دعوة عامة للشباب المتدين لمقاطعة (الوظائف الحكومية) والانعزال عن الحياة ، كما يدعوهم إلى ذلك بعض أهل البدع من (خوارج) هذا العصر أو (دراويشه) .

هذا تفكير خيالي غير فقهي ولا شرعي . أنا لا أتكلم عن الشباب ولا غير الشباب من طلبة العلم ، أنا أتكلم عن الأئمة ، عن العلماء الذين يمكن أن يؤدوا مهمة العالم الرباني ، علماء يفترض أن يقودوا الأمة ويوجهوها ، ويفترض أن يمسكوا بزمام الأمور ، ويحتضنوا المسلمين .

فالمقصود أن طلاب علوم الشريعة وشبابها إن لم يجدوا عالماً ربانياً يلجئون إلى كنفه ، كيف يفرون من ضغوط المجتمع الفاسد من حولهم ؟.

الهياكل الرسمية للتعليم الشرعي :

هناك في الساحة تعليم ديني ، له هياكله الرسمية ومؤسساته الحكومية ، هذا التعليم الرسمي لو رزق إشرافاً صادقاً وتولاه أناس ذووا عدالة وكفاية ، يمكن أن يكون له أثر عظيم في مجال التعلم والتعليم ، وفي مجال توجيه الشباب واستقطاب طاقاتهم وطموحاتهم ، وذلك بسبب الإمكانات الضخمة التي يمكن أن تتوافر له ، لكن المشاهد أن هذا التعليم (الرسمي) فاشل ، إنه لايخرج — في الغالب — إلا موظفين ، وإن خرج أحداً من العلماء فإنه يخرج أفواجاً غير مؤثرين ، كما أنه فاشل في إشباع طموحات الشباب المسلم ، أو استقطاب طاقاته المتفجرة حيوية وعنفواناً ، إنه تعليم لامفعول له ، منزوع الريش ، غير قادر على الطيران ، ومن ينشأ في حضنه أعجز عن الطيران .

وفي ظل تعليم بهذا الحال ليس غريباً أن تفسد مقاصد المتعلمين ، بل ليس مستبعداً أن توضع مناهج التعليم في ظل تلك المقاصد الفاسدة ، فالمشاهد اليوم أنه حتى (المؤسسات الدينية الرسمية) فصلت مناهجها لتخرج موظفين ليس أكثر ، الوظيفة أولاً وآخراً ، ولذلك فشلت هذه المؤسسات الرسمية في تخريج علماء عاملين مؤثرين ، بل وفشلت حتى في أشباع تطلعات الشباب ، وامتلاك الزمام لتوجيههم وقيادتهم ، ولهذا

فإن أكثر الحركات البدعية في صفوف هؤلاء الشباب والتوجهات التي يسمونها (متطرفة) إنما خرجت من تحت عباءة تلك الهياكل الرسمية .

لو كانوا يفقهون لأدركوا أن التعليم الرسمي هو (جثة ميتة) أشد خطراً منه وهو كيان حي وقوي !.

وراح المتفقهون يبحثون عن (البديل) ، فتخبطوا في ليل بهيم ، والطريق وعرة كثيرة المزالق ، طريق حفت بالمكاره ، فوقع بعض أولئك المتفقهين المساكين فريسة (البدع) والأفكار البعيدة عن مناهج السلف ، وفريسة المسالك الشوهاء الناقصة التي لا توصل سالكيها إلا إلى مزيد من الضياع ، وهذه نتيجة لازمة ، لأن الطريق التي وصفتها لا يمكن سلوكها بأمان إلا مع رائد خرِّيت (١) □

* يتبع *




١ ـ الخرِّيت : بخاء مكسورة وراء مشددة مكسورة : الخبير بالطرق والمنحنيات .

حديث في البناء

تغص الساحة الإعلامية أحياناً بالمناقشات ، والأخذ والرد ، وليست الغاية من وراء ذلك الوصول لنتائج ثم وضعها موضع التنفيذ ، فهذا ينحاز لمذهب معين في الأدب ، وهذا يخالفه ، وذاك ينحاز لمدرسة فكرية معينة ، وآخر يرد عليه ، وتسود الصفحات في المجلات والكتب ، وتبدأ المعارك ، ويرتاح البعض ظناً منهم أن هناك حركة ، وأن الدنيا بخير والحمد لله ، وينام قرير العين ملء جفونه ، وبعضهم يحب هذه المعارك ، كأنه يشاهد لعبة مصارعة يقضي معها وقتاً ممتعاً .

هذه المعارك وهذا السجال يذكرني بما كان يطلب منا ونحن في المرحلة الابتدائية أن نكتب مواضيع في الإنشاء : (أيهما تفضل الصيف أم الشتاء) أو (قارن بين الليل والنهار) أو (بين السيف والقلم) ... وعندما كبرنا كانت المناقشات : هل الوحدة العربية أم الوحدة الإسلامية — مع الأسف لم تتحقق واحدة منهما — وأمثال هذه المقارنات التي تستسهل الأمور ، وكأنها لاتحتاج إلى دراسة واعية متأنية كما تحتاج إلى تفصيل وتحقيق ، ومن ثم إلى تطبيق وتنفيذ .

وإنني أخشى أن يكون كل هذا من قبيل تفريغ الطاقة وإرضاء النفس ، أو الهروب من الواقع ، لأننا بهذا نشعر أننا نتحرك ، ولكنها

حركة في المكان ، بل أخشى أن يتحول هذا إلى مرض (الكلامولوجيا) .

هل تُقضى الأعمار ونحن نتساجل في مواضيع تحتاج لدراسات من متخصصين أذكياء ، متى إذن نؤسس مدرسة تربي الأجيال على الخلق القويم والعلم المفيد ، وتنقذهم من طرق التعليم التي تستهلك طاقاتهم بحفظ معلومات ثم صبها في نهاية العام على أوراق الامتحان ، ثم تنسى ، والشباب ثروة لاتقدر فأين استغلال طاقاتهم ؟

ومتى نبني مصنعاً نستغني فيه عن إنتاج الشرق والغرب ، ومتى نؤسس شركة تستثمر أموال المسلمين المكدسة التي لايعرفون كيف يستثمرونها ، وتتيح فرص العمل لمئات من الشباب الجامعي ، بل متى يكون عندنا مؤسسات علمية تشجع الإنتاج العلمي في كل شيء ، وتستفيد من طاقات العلماء والخبراء في شتى فروع المعرفة ، ويجد المبدعون بواسطتها طريقاً لتحقيق إبداعهم .

نعم ، لابد من الردود والمناقشات ولكن بقدر ، كرد على مبتدع أو طالب علم أخطأ في أمور علمية ونشرها بين الناس ، أو رجل مستهتر بأخلاق الأمة وآدابها ، كما أن المناقشة العلمية الهادفة التي نصل فيها لنتائج محققة هي شيء طيب ومقبول ، وقل مثل ذلك في الحوار الهادف ، إذا حسنت النوايا واستخدمت الأساليب المعقولة ، ولم يتحول إلى جدل عقيم ، القصد منه المغالبة وتسجيل الأهداف .

هذا هو المنهج الذي جاء به القرآن الكريم ، فلم يدخل في جدل عقيم مع النصارى ، بل قال : ﴿ تعالوا إلى كلمة سواء ﴾ ، وهذا مافهمه الإمام مالك بن أنس رحمه الله حين رفض مناظرة أبي يوسف بحضور الخليفة هارون الرشيد ، لأنه ليس من منهج الإسلام أن يتحول الدين لمناظرات والمتفرجون يشاهدون : من يغلب .

فالأصل هو البناء ، وبناء المؤسسات □



بيان أصول المعرفة في الإسلام
-٣-

د . عابد السفياني

لقد جاء عرض أصول المعرفة الإسلامية بما يناسب الفطرة البشرية ، وفيه احترام عظيم للعقل الإنساني يتناسب مع منزلة هذه الملكة التي هي أساس في الاقتناع .

فلنأت على عرضها بما يناسب المقام ، ولنتأمل كيف تكون الحجة ، وكيف يكون البيان ، ولنجدد العهد بتلك المسلمات التي هي عقيدة تابعي الأنبياء من جميع الأمم وفي جميع الأعصار .

وإليك الأسس التي جعلها الإسلام لأصوله في المعرفة :

الأساس الأول :

الكون مخلوق والإنسان كذلك ، وجميع العوالم محتاجة إلى من أنشأها ، كما هي محتاجة إلى من يحفظها ويدبرها ، ومنشئها وحافظها ومدبرها يستحيل أن يكون محتاجاً لشيء ، ولابد أن يكون له من صفات الكمال مايكون به مستحقاً لخضوع هذه العوالم له ــ عالم الإنس ، وعالم الجن ، وعالم الملائكة ، وعالم السماوات ، وعالم الأرضين ، وسائر العوالم ــ ولابد أن يكون قادراً على

تنظيم أمرها وإبداعها لتكون صالحة للحياة في غير اضطراب ولا تناقض ، بل في ثبات وشمول وتكامل .

ولذلك كان التذكير بآيات الله في مخلوقاته قد أخذ حيزاً كبيراً في القرآن ، وكان متكرراً ومفصلاً في مواضع كثيرة جداً ، ويرجع سبب ذلك إلى أن العقيدة التي سنشير إليها وهي ماتضمنته أصول المعرفة في الإسلام ، وهو جزء من الألوهية لايمكن أن تثبت بحال إلا على قاعدة راسخة معرفتها تتمثل في معرفة صفات الله على وجه اليقين والجزم لينتقل أثرها المباشر فيكون هو تحقيق توحيد العبادة (١) .

وأي عقل سوي تعرض عليه هذه المشاهد ، ثم لا يستسلم لحكم الله وينقاد ؟ ومن هذه المشاهد :

ـ مشهد السماء المرفوعة بغير عمد .

ـ مشهد الأرض الممهودة .

ـ مشهد الجبال المنصوبة .

ـ مشهد الزروع والثمار ، والشجر والدواب ، والرياح والبحار ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والأحياء والأموات ، والقبض والبسط ، والتصريف والتدبير .

وكل ذلك في نظام محكم دقيق لا تديره ولا تمسكه إلا قدرة عظيمة لايمكن للعقل أن يتصور حدودها ، وليس له إلا أن يتدبر ويتفكر في صفاتها التي دلت عليها الآيات المخلوقة المشاهدة ، وهي كثيرة جداً ، وتطارد الإنسان في كل لحظة ، وله أمام كل آية مخلوقة عبرة لو أنه تفكر وتدبر .

وإن كل من تدبر وتفكر سيعلم أنه لابد من تحقق الكمال في الصفات لمن كان له مثل هذه المخلوقات ، ومن ذلك كمال القدرة ، وكمال العلم ، وكمال التدبير والحفظ ، فهو القادر العليم المدبر الحفيظ ، كما أنه السميع البصير ليس كمثله شيء ، ولا يعجزه شيء في السماوات والأرض ، وقل مثل ذلك في بقية الصفات ، فإذا اتجه القلب الإنساني إلى من له هذه الصفات ، انتقل معه منهج التربية الإسلامية الذي يسعى لتقرير أصول المعرفة الإسلامية ويجددها ويؤكد عليها ، انتقل معه

١ ـ انظر منهج التربية على العقيدة في كتاب دراسات قرآنية للأستاذ محمد قطب .

خطوة أخرى ليعالج شبهات العقل الإنساني وقصوره ، ويحمي الفطرة من احتيال الشياطين لكي تقف أمام مسؤولياتها كاملة في الحياة الدنيا والآخرة .

الأساس الثاني :

والخطوة الثانية في هذا المنهج هي تعريف الناس بحقيقة الرسالة والرسول ، الذي يدل على الطريق الموصل إلى خالق السماوات والأرض الموصوف بتلك الصفات العظيمة التي يتملاها القلب فيحب المتصف بها ويخافه ويرجوه ، ويتطلع إلى رضاه ، وهنا يكون ذلك التوجه للقلب البشري قد حددت له الضوابط وعرف كيف يمضي في ذلك الطريق ، طريق العبادة لله .

وهذا أساس عظيم في تلك القاعدة التي سيشيّد منهج التربية والدعوة الإسلامية عليها أصوله في المعرفة .

ولكن إذا علمنا كيف اطمأن العقل والوجدان إلى الأساس الأول ، وشعرنا بحقيقة الإيمان ، فإن من حق العقل والوجدان أن يتلمس الحجة والدليل الذي يثبت صدق الرسول الذي سيدل على الطريق ، وستكون الرحلة على هذه الأرض حسب مايبلغه لنا ، ويكون الجزاء ، فيتقدم منهج التربية الإسلامية المعجز بدليل تندك حوله الشبهات ، ويزيد الذين آمنوا إيماناً فيقول :

إن مما يفرق بين الرسول الصادق والدعي الكاذب أن الأول معه معجزة من ربه وأعظمها (القرآن) وهو كلام الله الموصوف بتلك الصفات الذي توجه إليه القلب ليعبده ويفوز برضاه .

وللعقل الإنساني أن يتساءل فيقول : فكيف نفرق بين كلام الله وكلام غيره ، ولم لايمكن أن يتقوله بشر ؟ كيف نستيقن أنه كلام الله ؟ فيقدم منهج التربية الجواب : فيقول :

إن الكون كما مر في الأساس الأول ليس فيه إلا خالق ومخلوق ، وهذا الكلام إما أن يكون كلام الخالق وإما أن يكون كلام المخلوق ، فإن كان كلام البشر فلا يعجز المخلوقون أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله ، فهل أتى أحد بمثله أو بشيء من مثله ، لنستعرض

التاريخ :

المعارضون من الجاهلية الأولى :

وهم عرب أقحاح لامثيل لهم في الفصاحة والبلاغة والشعر والنثر ، ولم يستطع أحد منهم أن يأتي بآية من مثله ، وهم أمام التحدي ووسط الصراع .

الزنادقة في المجتمع الإسلامي الذي حاولوا التشكيك في القرآن ومنهم من اشتغل بالأدب والعربية ، ولم يستطع واحد أن يأتي بآية من مثله ، مع حرصهم البالغ على معارضته وتشكيك الناس فيه .

العصر الحاضر : والتحدي مازال مستمراً لم ولن ينقطع وكثرة خصوم الإسلام في هذا العصر لاتحصر ولا تعد ، وقد انقطعت حجتهم أمام هذا التحدي المستمر الظاهر المعلوم .

فإذا كان كلام البشر فأين البشر ؟!

وإذا كان من الأساطير ، فأين كتبة الأساطير ؟!

وإذا كان شعراً فأين الشعراء ؟!

وإذا كان سحراً فأين السحرة ؟!

أين هؤلاء وهؤلاء فإنه لم يأت أحد بآية من مثله ، ولن يأتي ، ومازال التحدي قائماً ، والخصومة محتدة ، والقرآن مستمر في البيان :

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ [البقرة / ٢٣] .

ولم يبق أمام العقل الإنساني إذا انكسر المخلوقون وسقطوا أمام التحدي ولم يستطيعوا ، لم يبق أمامهم إلا خالقهم فهو إذاً كلامه ، ووحيه إلى نبيه ورسوله ، فالرسول الذي تحدى الناس بهذا القرآن ، ومازال يتحداهم ، وربى أمة عليه ، ومازال أتباعه قائمين بما قام به من البيان وإظهار الحجة والتحدي ولم يستطع أحد أن يعارضه بشيء من مثله أو يعارض أتباعه بمثل ذلك ، لاشك أنه رسول صادق ونبي كريم ، أرسله الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

وهنا يصل العقل والوجدان إلى تأسيس قاعدة إيمانية بدأت من توجه القلب لله ثم تلمسه الطريق الموصل إليه فإذا هو أمام كتاب معجز ، ورسول صادق ، وكل ذلك وسط آيات محسوسة مشاهدة ، وأخبار

معلومة ومشاهدة أيضاً ، ومازالت تلك الآيات والمشاهد والأخبار تسير مع الحياة والأحياء ، تحفظ البناء الذي شيده منهج التربية الإسلامية ، وتمده دائماً وأبداً باليقين والحجة والثبات .

وإليك الآن محاورة بين العقل المؤمن والوجدان اليقظ ، تستبين بها أصول المعرفة في الإسلام .

محاورة بين العقل والوجدان :

العقل : الآيات المخلوقة ، والمشاهد العظيمة لايمكن أن يتصور وجودها ، ويستمر حفظها إلا بعلم شامل محيط ، وحكمة وإبداع وتدبير ، ورحمة وعدل وقدرة لايعتريها نقص ولا معقب لحكمها ، وليس فيه تناقض ولا اختلاف .

الوجدان : إني لأجد ذلك وأحسه ، إني متوجه من قبل إلى الذي فطر السماوات والأرض ... ولكن الشياطين تضلني وتغويني ، تقول كيف تعبد مالا تبصر ، فأعود وأقول : من الذي يقضي لي الحاجات ، وهو ملجئي وملاذي عند الكربات ، إنه الله ، فكيف لايكون علمه محيطاً ، ورحمته شاملة ، وعدله عظيماً ، وقدرته لاتحد ، إنه الله المعبود بحق دون سواه ، لا معقب لحكمه ولا تناقض فيه ولا اختلاف .

العقل : نعم هذا هو الحق الصراح ، ولكن لقد سمعت عجباً ، مشارب كثيرة في الفكر والنظر ، واختلاف عجيب بين أهل الملل والنحل ، وقيل وقالوا ، وظن وخرص يقتتل عليه الناس ، مع أنه يضرب بعضه ببعض ، ويكذب بعضه بعضاً ، ينتقض ويغير ، ويزاد فيه وينقص ، أمره جد مضطرب ، وأهله في قول مختلف .

أفلا يسمعون ؟! أفلا يبصرون ؟! أفلا يعقلون ؟! أفلا يتدبرون ؟! أين هم عن الرسول الصادق والكتاب المعجز الذي لا اضطراب فيه ولا اختلاف ؟!

فإن أرادوا خبر صدق عند الأمم السابقة وجدوه ، وإن أرادوا خبر صدق عن المستقبل ينفعهم لم يعدموه ، وإن أرادوا علماً عن صفات خالقهم جاء من البيان مايكفيهم ، وإن أرادوا بياناً عن الحلال والحرام والمباح كشف لهم عنه مفصلاً فعرفوه .

الوجدان : الحمد لله الذي ردني إلى ماشهدت به في أصل فطرتي وأقررت ﴿ وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [الأعراف / ١٧٢] .

وهنا يتعانق العقل المستسلم للوحي والوجدان الحي فيقولان :

أصل المعرفة في الإسلام :

(الله) الموصوف بصفات الكمال المطلق المنزه عن كل مايضاده ، هو ربنا ورب كل شيء ، أرسل رسوله محمداً ﷺ بالوحي ــ الكتاب والسنة ــ ليبين لنا كيف نعبده ، ونتربى عليه ، ونحكم به حكماً صادقاً عدلاً على جميع الأحداث والأشياء ، ويكون لنا موقف أهل الحق في إقامة الحياة الصالحة على الأرض ، فآمنا وصدقنا وخضعنا وعملنا بكل ماتضمنته شريعته من العقائد والأحكام ، والقواعد والأخلاق ، ليكون ذلك منهاجاً ربانياً ثابتاً نحيا به ونموت عليه ، ونورثه مصدراً للمعرفة لمن يقبله منا ويتبعنا عليه ، وليكون ذلك حجة لنا عند ربنا حين نلقاه جزاء أن جعلناه حجة علينا في الدنيا في جميع الأمور والأحوال .

فأصلنا المعرفي ثابت ثبات النوع البشري على الأرض ، وثابت ثبوت التكليف ، ودائم ديمومة الحياة ، لا يتغير بتغير الأزمنة والأمكنة ، ولا يتصور له نسخ ولا تخصيص ولا تقييد ولا معارضة من فطرة سوية ولا عقل راشد ، وهو أصل لانقبل مايعارضه من الملل والأهواء والنحل .

هذه أصولنا في المعرفة ندعو جميع المخالفين إليها ، ونعلمهم أنه لايثبت قدم الإسلام إلا عليها ، بها جاء رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام من ربه الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى □

شــذرات و قطوف

دعـــاء

رباه إنا نسألك الراعي الذي يطرد الذئب والنظّام الذي يجمع الحَب ، والدليل الذي يحمل المصباح ، والأستاذ الذي يعلمنا أن نصنع الإبرة والمدفع ، ونشق المنجم والحقل ، ونوفق بين الدين والدنيا ، ونوحد بين المنفعة الخاصة والمنفعة العامة .

أحمد حسن الزيات

أصل البلاء

« ... وماأقعد الهمم عن النهوض إلا أولئك المترفون ، يحرصون على طيب في المطعم ، ولين في المضجع ، وتطاول في البنيان ، وتفاخر بالخدم والخول ، ولا يراعون في حرصهم مابعد يومهم ويحافظون على لقب موضوع ، ورسم متبوع .... أولئك صاروا في أعناق المسلمين سلاسل وأغلالاً ، يحبسون هذه الأسود عن فريستها ، بل يجعلونها طعمة للثعالب ، لاحول ولا قوة إلا بالله » .

العروة الوثقى ، محمد عبده / ١١٢

تعليم الصغار

« إن الأمة إنما تعيش بالتجديد ، وإن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار ، إن هذه الأمة بطرق متنوعة تكُوّن من الأفراد الأميين ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها ، وتصوغهم في قوالب عقائدها ، ومناهج حياتها » .

جون ديوي

الشمل الصديع

تــرى يتألــف الشمـــل الصديـــع
وآمـــن مـــن زمانـــي مايـــروعُ
وتـــأنس بعـــد وحشتنـــا بنجـــد
منازلنـــا القديمـــة والربـــوع
ذكـــرت بأيمـــن العلميـــن عصراً
مضى والشمـــل ملتئـــم جميـــع
فلـــم أملـــك لدمعـــي ردّ غَـــرْبٍ
وعنـــد الشوق تـــعصيك الدمـــوع
لقـــد حُمِّـلت مـــن طـــول التنائـــي
عـــن الأحبـــاب مـــالا أستطيـــع

أبو المرهف النميري ، وفيات الأعيان ٥ / ٣٨٤

عبد الله بن المبارك
العالم المجاهد
ـ ٢ ـ

د . محمد بن مطر الزهراني

ثانياً ـ جهاده :

كانت حياة ابن المبارك كلها جهاداً في سبيل الله بنفسه وماله وعلمه . فكان رحمه الله يرابط في الثغور كثيراً ، وكان يحج عاماً ويغزو عاماً ، ومانزل بلداً في رحلته لطلب العلم ثم سمع منادي الجهاد إلا تجهز وخرج للغزو .

وكان رحمه الله يدعو إلى الجهاد ويحث الناس عليه لنصرة دين الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا .

كما كان ينعى على النساك القاعدين عن الجهاد كسلهم وخمولهم وسوء فهمهم لمعنى العبادة ، فهو يقول :

أيها الناسك الذي لبس الصو ... ف وأضحى يُعَدّ في العباد
الزم الثغر والتعبد فيه ... ليس بغداد مسكن الزهاد
إن بغداد للملوك مَحَلٌ ... ومناخ للقارىء الصياد (١)

وهاهو يراسل الفضيل بن عياض من ثغر من الثغور :

ياعابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

١ ـ تاريخ بغداد ١ / ٢١ ، ط السلفية بالمدينة النبوية .

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي وغبار خيل الله في
أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لا يكذب

فلما قرأه الفضيل ذرفت عيناه ثم قال : صدق أبو عبد الرحمن ونصح [1] .

وكان ابن المبارك فارساً شجاعاً ذا خبرة في فنون القتال والمبارزة مع حرصه أن لا يُرى موقعه من القتال ، كل ذلك ورعاً وحسبة لله سبحانه وتعالى .

روى الخطيب البغدادي بإسناده إلى عبدة بن سليمان المروزي قال : كنا في سرية مع عبد الله بن المبارك في بلاد الروم ، فصادفنا العدو ، فلما التقى الصفان خرج رجل من العدو فدعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل فقتله ثم آخر فقتله ، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه ابن المبارك ، فطارده ساعة فطعنه فقتله ، فازدحم إليه الناس فكنت فيمن ازدحم إليه ، فإذا هو يلثم وجهه بكمه ، فأخذت بطرف كمه فمددته ، فإذا هو عبد الله بن المبارك ، فقال : وأنت ياأبا عمرو ممن يشنع علينا !! [2] .

وأخرج الذهبي بإسناده إلى محمد ابن المثنى قال : حدثنا عبد الله بن سنان قال : كنت مع ابن المبارك ومعمر بن سليمان ــ بطرسوس ــ فصاح الناس النفير ، النفير ... فخرج ابن المبارك والناس ، فلما اصطف الجمعان ، خرج علج رومي فطلب البراز فخرج إليه رجل فشد العلج عليه فقتله ... حتى قتل ستة من المسلمين ، وجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة ، ولا يخرج إليه أحد ، فالتفت إليّ ابن المبارك ، فقال : يافلان إن قُتلت فافعل كذا وكذا ، ثم حرك دابته وبرز للعلج فعالج معه ساعة ، فقتل العلج ، وطلب المبارزة ، فبرز له علج آخر فقتله ، حتى قتل ستة علوج وطلب المبارزة ، فكأنهم كاعوا ــ أي جبنوا ــ عنه ، فضرب دابته وطرد

١ ــ تاريخ بغداد ١ / ٢١ ، ط السلفية بالمدينة النبوية .
٢ ــ المصدر السابق ١ / ١٦٧ ، ط السلفية بالمدينة المنورة .

بين الصفين ، ثمَّ غاب ، فلم نشعر بشيء ، فإذا أنا به في الموضع الذي كان ، فقال لي : ياعبد الله لئن حدثت بهذا أحداً وأنا حي ... فذكر كلمة ... !! [1] .

قال صاحب مفتاح السعادة : كان ابن المبارك يقضي جُلَّ وقته في الجهاد في سبيل الله ، وكان يقاتل ويبلي بلاء حسناً ، فإذا جاء وقت القسمة غاب ، فقيل له في ذلك ، فقال : يعرفني الذي أقاتل له [2] .

هكذا تكون النية في الجهاد ، إنه لأجل إعلاء كلمة الله وابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى لا لمنصب ولا لجاه ولا لمال ، إنما يكون الجهاد لنشر دين الله بين الناس ، وإقامة العدل في الأرض بتحكيم الكتاب والسنة ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، لا لمجرد تسلم السلطة لذاتها ولا من أجل تغلب حزب على حزب أو فئة على فئة .

ثالثاً ــ في مجال العلم :

تلقى ابن المبارك العلم على مشايخ بلده ثم رحل في طلب العلم على غيرهم كعادة الأئمة من السلف الصالح في طلب العلم [3] .

وكان سنه آنذاك عشرين سنة عند رحلته ، وأخذ العلم عمن أدرك من التابعين ومن بعدهم ، وأكثر من الترحال والتطواف إلى أن مات في طلب العلم والغزو ، قال الذهبي : روى العباس بن مصعب في تاريخه عن إبراهيم بن إسحاق عن ابن المبارك قال : حملت العلم عن أربعة آلاف شيخ ، فرويت عن ألف منهم ... [4] .

قال الذهبي : وحدث عنه خلق لا يحصون من أهل الأقاليم ، فإنه من صباه مافتر عن السفر ... [4] .

وقال الحافظ ابن معين : كانت كتب ابن المبارك التي حدث بها نحواً من عشرين أو واحد وعشرين ألف حديث [4] .

وقد كان لابن المبارك جهود ومشاركات في خدمة منهج أهل السنة والجماعة من خلال مجال العلم والتعلم ، ويمكن إيجاز تلك الجهود والمشاركات فيما يلي :

---

١ ــ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٦١ ، ط السلفية بالمدينة المنورة . ٢ ــ مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٢ / ٢٤٨ ، ط الأولى بالقاهرة . ٣ ــ قال يحيى بن معين : أربعة لا تؤنس منهم رشداً : حارس الدرب ، ومنادي القاضي وابن المحدث ، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث / معرفة علوم الحديث للحاكم / ٩ . ٤ ــ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٧٥ ــ ٢٧٦ . ٤

١ — منهج التعلم والتعليم .
٢ — علوم الحديث .
٣ — مؤلفاته .

أولاً : منهج التعلم والتعليم :

لسلفنا الصالح منهج في تعلم العلم ، إذ لم يكن عندهم فوضى علمية كما نشاهدها في عالمنا اليوم ضاربة أطنابها .

وهذا المنهج يقوم على أسس ومبادىء ثابتة ، ومن لم يسلكها يكون تعلمه ناقصاً قاصراً وربما كان علمه عليه لا له ، وهذه بلية كثير من طلبة العلم اليوم ، نسأل الله العافية .

وهذا الإمام العالم الرباني عبد الله ابن المبارك رحمه الله أحد مؤسسي ذلك المنهج وواضعي مبادئه الثابتة يوضح لنا ذلك المنهج قولاً وعملاً (١) .

— قال ابن المبارك : طلبت الأدب ثلاثين سنة ، وطلبت العلم عشرين سنة ، وكانوا يطلبون الأدب ثم العلم (٢) .

— قيل له بالشام — إلى كم تطلب العلم ؟ فقال : أرجو أن تروني فيه إلى أن أموت ، أليس يقال له — طالب العلم — يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في الماء ، أفلهذا متركه ؟ (٢) .

— وقال أيضاً : طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا (٣) .

— قال أبو صالح الفراء : سألت ابن المبارك عن كتابة العلم فقال : لولا الكتابة ماحفظنا (٤) .

— وقال نعيم بن حماد : سمعت ابن المبارك يقول : عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة (٥) .

— قال شقيق البلخي : قيل لابن المبارك : إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا ؟ قال : أجلس مع الصحابة والتابعين أنظر إلى كتبهم وآثارهم ، فما أصنع معكم ؟ أنتم تغتابون الناس (٦) .

وقال ابن المبارك : إن أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم العمل ثم الحفظ ثم النشر (٧) .

---

١ — كتب في بيان منهج التعلم عند السلف كتب كثيرة من أجودها وأجمعها كتاب « تذكرة السامع والمتكلم » لابن جماعه وهو مهم في هذا الباب .
٢ — غاية النهاية في طبقات القراء لابن الأثير : ١ / ٤٤٦ .
٣ — صفة الصفوة ٤ / ١٢٠ ، وفيات الأعيان ٣ / ٣٤ .
٤ — سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٢ .
٥ — المصدر السابق ٨ / ٣٥٣ .
٦ — المصدر السابق ٨ / ٣٥٣ .
٦ — المصدر السابق ٨ / ٣٥٣ .
٧ — مفتاح السعادة لطاش كبري زادة ٢ / ٢٤٨ ، الديباج المذهب ١ / ٤٠٨ .

هذه أوجز وأدق عبارة تضمنت الأسس والمبادىء الأساسية الثابتة لمنهج التعلم والتعليم عند السلف ، وهي نفسها عبارة الإمام سفيان الثوري ــ أمير المؤمنين في الحديث ــ حيث قال ــ وهو يوجه تلاميذه ــ : تعلموا هذا العلم ، فإذا تعلمتموه فتحفظوه ، فإذا حفظتموه فاعملوا به ، فإذا عملتم به فانشروه (١) .

ولا غرو فابن المبارك والثوري كلاهما تلقيا هذا المنهج عن السلف الصالح ، والسلف تلقوه عن النبي ﷺ الذي بعث معلماً للخير ومتمماً لمكارم الأخلاق ، وكل منهج للتعلم يخالف ذلك المنهج فهو منهج خاطىء .

ــ قال ابن المبارك : كاد الأدب يكون ثلثي العلم (٢) .

ومر من قبل قوله : « طلبت الأدب ثلاثين سنة والعلم عشرين سنة ، وكانوا يطلبون الأدب ثم العلم » .

وهذه ركيزة من ركائز التعلم الأساسية عند السلف وهي البدء بالأدب أولاً ثم العلم ثانياً ، وهذا معنى قول الحسن البصري وابن سيرين والشافعي : « كانوا يتعلمون الهدي أولاً ثم العلم » (٣) .

أما نحن اليوم فأحسننا حالاً الذين يعكسون هذا المبدأ ، أي أنهم بعد أن يفرغوا من طلب العلم يبدأون بطلب الأدب ، والغالبية العظمى لا يعرفون أدب الطلب ولا أدب العلم والتعلم ، فضلاً عن أدب الخلاف وأدب الفتوى وطرق الاستنباط والاستدلال ، فقد دفن أصحاب ذلك الأدب وذلك المنهج منذ قرون خلت رحمهم الله وأجزل لهم الثواب .

ــ وعن محبوب بن الحسن قال : سمعت ابن المبارك يقول : من بخل بالعلم ابتلي بثلاث : إما موت يذهب علمه ، وإما ينسى ، وإما يلزم السلطان فيذهب علمه (٤) □

---

١ ــ التبصرة والتذكرة للعراقي ٢ / ٢٠٠ .
٢ ــ صفة الصفوة لابن الجوزي ٤ / ١٢٠ .
٣ ــ تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعه / ٢ ، ط بيروت .
٤ ــ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٢ ــ ٣٥٣ ، ط أولى .

هجر المبتدع

ــ ٤ ــ

الشيخ بكر أبو زيد

ذكر الكاتب فيما سبق أدلة الهجر من الكتاب والسنة ، ويكمل الآن الأدلة بذكر دليل الإجماع .
التحرير

ثالثاً ــ الإجماع :

حكاه جماعة منهم : القاضي أبو يعلى ، والبغوي ، والغزالي .

قال القاضي أبو يعلى رحمه الله تعالى :

(أجمع الصحابة والتابعون على مقاطعة المبتدعين) .

وقال البغوي رحمه الله تعالى بعد حديث كعب بن مالك رضي الله عنه [1] :

(وفيه دليل على أن هجران أهل البدع على التأبيد ، وكان رسول الله ﷺ خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا من الخروج معه ، فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم ، وعرف رسول الله براءتهم ، وقد مضت الصحابة والتابعون ، وأتباعهم ، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ، ومهاجرتهم) .

وقال الغزالي رحمه الله تعالى :

(طرق السلف اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي ، وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة ، وكل من عصى معصية متعدية إلى غيره) .

وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى [2] :

(أجمعوا على أنه لايجوز

١ ــ شرح السنة ١ / ٢٢٦ ــ ٢٢٧ . ٢ ــ فتح الباري ١٠ / ٤٩٦ .

الهجران فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته مايفسد عليه دينه أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مضرة ، فإن كان كذلك جاز ، ورب هجر جميل خير من مخالطة مؤذية) .

وقال أيضاً في الاستدلال من حديث كعب بن مالك وهجر النبي ﷺ له هو والمسلمون [٢] :

(وهذا أصل عند العلماء في مجانبة من ابتدع وهجرته وقطع الكلام عنه ، وقد رأى ابن مسعود رضي الله عنه رجلاً يضحك في جنازة فقال : والله لا أكلمك أبداً) .

المبحث السابع

إعمال الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم لهذه القاعدة في حياتهم العملية في مواجهة المبتدعة :

لما ذرَّ قرن الفتنة بكسر قفلها : وقتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ، وبدأ المندسون يبدون ماكانوا يضمرون من كيد للإسلام والمسلمين ، أخذوا ينفخون في كير الفتنة ، وينشرون الهوى وينفثون البدعة ، بدع : القدر ، والخوارج والرفض ، والإرجاء ، وهكذا تتوالى كلما بعد الناس من عهد النبوة وأنوارها ، حتى داخلت البدع والمحدثات شعائر التعبد وصارت مفرداتها كحب منثور في كف كل لاقط .

لما كان الأمر كذلك واجه العلماء رضي الله عنهم فمن بعدهم هذه المحدثات العقدية والعملية ، بإيمان مستكمل ، وعلم جم ، وبصيرة نافذة فأظهروا من أنوار الشريعة الماحية لظلمة الضلال ماالكتسح هذه الأهواء ، وقضى على نابتها ، وأعملوا فيهم العقوبات الشرعية ، حتى قلموهم ، وأجهزوا على محدثاتهم في الدين ، وكان الزجر بالهجر مما وظفوه رضي الله عنهم في حياتهم العملية ضد البدعة ومبتدعيها تأسيساً على قاعدة (الولاء والبراء) والحب لله والبغض لله .

ومازال هذا النهج السوي شارعاً في حياة الأمة يعتمدونه في مواجهة

---

١ ــ فتح الباري ١٠ / ٤٩٦ .
٢ ــ بواسطة : تحفة الإخوان / ٤٥ .

المبتدعة ، مدوناً بأسانيده في كتب السنة ، وهذه جملة من المرويات في هذه الوظيفة الشرعية بخصوصها عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم :

فهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، لما أخبره يحيى بن يعمر عن القدرية قال له :

(إذا رجعت إليهم فقل لهم : ابن ابن عمر يقول لكم : إنه منكم بريء ، وأنتم منه براء) رواه مسلم وغيره [1] .

وعن مجاهد قال : قيل لابن عمر : إن نجدة يقول كذا وكذا ، فجعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيء [2] .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول :

(إياكم ومايحدث الناس من البدع ، فإن الدين لايذهب من القلوب بمرة ، ولكن الشيطان يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه ، ويوشك أن يدع الناس ماألزمهم الله من فريضة في : الصلاة ، والصيام ، والحلال والحرام ، ويتكلمون في ربهم عز وجل ، فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب .

قيل ياأبا عبد الرحمن : فإلى أين ؟ قال : إلى لاأين ، قال : يهرب بقلبه ودينه لايجالس أحداً من أهل البدع) [3] .

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال :

(ماكان شرك قط إلا كان بدوه تكذيب بالقدر ولا أشركت أمة قط إلا كان بدوه تكذيب بالقدر ، وإنكم ستبلون بهم أيتها الأمة ، فإن لقيتموهم فلا تمكنوهم فيدخلوا عليكم الشبهات) [4] .

وعن الفضيل بن عياض قال :

(من جلس مع صاحب بدعة فاحذره ، ومن جلس مع صاحب البدعة لم يعط الحكمة ، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن

---

١ ـــ صحيح مسلم ١ / ٢٧ ، مصنف عبد الرزاق ١١ / ١١٤ برقم : ٢٠٠٧٢ .
٢ ـــ اللالكائي برقم / ١٩٩ .
٣ ـــ المصدر السابق برقم / ١٩٦ .
٤ ـــ المصدر السابق برقم / ٢٠٠ ، والطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ٧ / ٢٠٤ .

من حديد ، آكل مع اليهودي والنصراني أحب إلي من أن آكل مع صاحب البدعة) (١) .

وعن الفضيل بن عياض : من أتاه رجل فشاوره فدله على مبتدع فقد غش الإسلام ، واحذروا الدخول على صاحب البدع فإنهم يصدون عن الحق (٢) .

وعنه أيضاً : في النهي عن مجالستهم (٣) .

وعنه أيضاً : في النهي عن مجالسته ومشاورته (٤) .

وعنه أيضاً : في النهي عن مجالسته وأنها من علامات النفاق (٥) .

وعنه أيضاً قال : أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة ينهون عن أصحاب البدع (٦) .

وعنه آثار أخر كما في ترجمته من (الحلية لأبي نعيم) (٧) .

وعن ابن المبارك : وإياك أن تجالس صاحب بدعة (٨) .

وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى أنه قال :

(من أصغى بإذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إليها ـــ يعني إلى البدع ـــ) . ذكره البربهاري في شرح السنة (٩) .

وروى اللالكائي بسنده عن ابن زرعة عن أبيه قال :

(لقد رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجيء إلى الحلق ، فكلما جلس إلى حلقة قاموا وتركوه ، فإن جلس إلى قوم لايعرفونه ناداهم أهل الحلقة الأخرى : عزمة أمير المؤمنين) (١٠) .

وعن ابن أبي الجوزاء قال : لأن يجاورني قردة وخنازير ، أحب إلي

---

١ ـــ اللالكائي ٣ / ٦٣٨ برقم / ١١٤٩ ، والبربهاري برقم / ١٣٠ . والحلية لأبي نعيم ٨ / ١٠٣ .
٢ ـــ اللالكائي برقم / ٢٦١ .
٣ ـــ المصدر السابق برقم / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، وابن بطة في الإبانة ١ / ٣٢ / ب .
٤ ـــ المصدر السابق برقم / ٢٦٤ ، وابن بطة في الإبانة ١ / ٤٢ / أ .
٥ ـــ المصدر السابق برقم / ٢٦٥ ، وابن بطة في الإبانة ١ / ٤٢ / ب .
٦ ـــ المصدر السابق برقم / ٢٦٧ .
٧ ـــ الحلية ٨ / ٨٤ ومابعدها .
٨ ـــ المصدر السابق برقم / ٢٦٠ ، والآجري في الشريعة ١ / ٦٤ .
٩ ـــ ص / ٦٠ .
١٠ ـــ شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٣ / ٦٣٦ ، رقم / ١١٤٠ .

من أن يجاورني أحد منهم ــ يعني أصحاب الأهواء ــ (١) .

وعن طاوس : جعل إصبعيه في أذنيه لما سمع معتزلياً يتكلم (٢) ..

وعبد الرزاق : امتنع من سماع إبراهيم بن أبي يحيى المعتزلي ، وقال : لأن الغلب ضعيف وإن الدين ليس لمن غلب (٣) .

وعن محمد بن النضر الحارثي : النهي عن الإصغاء إلى كلام المبتدعة (٤) .

وعن يونس بن عبيد : لا نجالس سلطاناً ولا صاحب بدعة (٥) .

وعن يحيى بن أبي كثير : إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره (٦) .

وعن إبراهيم بن ميسرة : ومن وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام (٧) .

وعبد الله بن عمر السرخسي : هجر ابن المبارك مدة لما أكل عند صاحب بدعة (٨) .

وقال سلام : وقال رجل من أصحاب الأهواء لأيوب : أسألك عن كلمة ، فولّى أيوب وهو يقول : لا ، ولا نصف كلمة ، مرتين يشير بإصبعيه (٩) .

ومثله عن أبي عمران النخعي (١٠) .

وعن الحسن البصري قوله : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم (١١) .

وعن محمد بن سيرين : في عدم سماع قراءتهم (١٢) .

---

١ ــ اللالكائي برقم / ٢٣١ ، وابن بطة ١ / ٤٣ / ب .
٢ ــ المصدر السابق برقم / ٢٤٨ ، وعبد الرزاق في المصنف برقم / ٢٠٠٩٩ ، وابن بطة في الإبانة ١ / ٤٠ / ب .
٣ ــ اللالكائي برقم / ٢٤٩ ، وابن بطة في الإبانة ١ / ٤٠ / أ .
٤ ــ المصدر السابق برقم / ٢٥٢ ، وابن بطة في الإبانة ١ / ٤٢ / أ .
٥ ــ المصدر السابق برقم / ٢٥٣ . ٦ ــ المصدر السابق برقم / ٢٥٩ ، والآجري في الشريعة ١ / ٦٤ .
٧ ــ المصدر السابق برقم / ٢٧٣ . ٨ ــ المصدر السابق برقم / ٢٧٤ .
٩ ــ المصدر السابق برقم / ٢٩١ . ١٠ ــ المصدر السابق برقم / تفسير القرطبي ٧ / ١٣ .
١١ ــ اللالكائي برقم / ٢٤٠ ، والدارمي برقم / ٤٧٠ ، وابن بطة في الإبانة ١ / ٤٠ / أ .
١٢ ــ اللالكائي برقم / ٢٤٢ ، وابن وضاح / ٥٣ ، والآجري ١ / ٥٧ ، وابن بطة في الإبانة ١ / ٤٠ / ب .

وعن أبي قلابة : لا تجالسوهم ولا تخالطوهم فإنه لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ويلبسوا عليكم كثيراً مما تعرفون (١) .

وعنه أيضاً : ولا تمكن أهل الأهواء من سمعك (٢) .

وأما الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، فالروايات عنه في ذلك من فعله ، وقوله ، وفتواه ، بلغت مبلغاً عظيماً .

وقال مالك : لا يسلم على أهل الأهواء ، قال ابن دقيق العيد : يكون ذلك على سبيل التأديب لهم والتبري منهم (٣) .

وقال النووي : وأما المبتدع ومن اقترف ذنباً عظيماً ولم يتب منه فلا يسلم عليهم ولايرد عليهم السلام ، كما قال جماعة من أهل العلم (٤) .

وقال أيضاً : السنة إذا مر بمجلس فيه مسلم وكافر أن يسلم بلفظ التعميم ويقصد به المسلم ، قال ابن العربي : ومثله إذا مر بمجلس يجمع أهل السنة والبدعة ، وبمجلس فيه عدول وظلمة ، وبمجلس فيه محب ومبغض (٥) .

وقال الخطابي رحمه الله تعالى : (... إن هجرة أهل الأهواء والبدعة دائمة على مر الأوقات والأزمان مالم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى الحق) (٦) □.

• يتبع •

١ ــ اللالكائي برقم / ٢٤٢ ، وابن وضاح ص / ٥٣ ، والآجري ١ / ٥٧ ، وابن بطة في الإبانة ١ / ٤٠ / ب .
٢ ــ اللالكائي برقم / ٢٤٦ ، وابن بطة في الإبانة ١ / ٤٠ / أ / ب .
٣ ــ فتح الباري ١ / ٤٠ .
٤ ــ فتح الباري ١ / ٤١ .
٥ ــ فتح الباري ١ / ٤١ وترجمة البخاري : باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين .
٦ ــ معالم السنن ٤ / .

متى نكون أعلم بأمور دنيانا ؟

سامي السويلم

ظلت السنة على مر العصور عَلَماً يستهدي به سلف هذه الأمة وأئمتها في عقائدهم وأخلاقهم ، ونوراً يستضيئون به في عصور الظلام والفتن ، ولم تزدها شبهات المشككين ودعايات المضللين سوى ثباتاً ورسوخاً في قلوب أهلها وأتباعها مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ [الرعد / ١٧] .

وتواجه السنة اليوم شبهاً عديدة ، منها ماهو ترديد لشبهات السابقين [١] ، ومنها ماهو حديث العهد ، قريب النشأة . وقد تكفل السلف الصالح برد تلك الشبه التي ثارت في عصورهم ، وأما مااستجد اليوم ، فإنه يستوجب على المسلمين عموماً ، وعلمائهم خصوصاً ، التصدي لها وبيان بطلانها ، خصوصاً تلك الشبه التي اختلط فيها الحق بالباطل ، مما قد يروج على بعض المسلمين .

وكان من هذه الشبه الحديثة : دعوى أن النبي ﷺ أعطى لنا الحق المطلق في تنظيم أمور دنيانا ، حتى ولو كان النبي ﷺ قد قال فيها حكمه ، اعتماداً على مارواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون . فقال : « لو لم تفعلوا لَصلُح » ، قال : فخرج شيصاً . فمرّ بهم فقال : « ما لنخلكم ؟ » قالوا :

١ ــ كشبهة رد أحاديث الآحاد في العقائد ، والاكتفاء بالقرآن عن السنة ، وتحكيم العقل في السنة وغيرها .

قلت كذا وكذا . قال : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » [1] .

فجعلوا هذا الحديث سنداً لهم في ردّ كثير من النصوص المتعلقة بأمور السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وشئون الحرب والسلم ، بل وحتى نصوص الطب ، بحجة : أنّا أعلم بأمور دنيانا !.

فياليت شعري ! ماالذي يبقى بعدُ من شريعة الإسلام ؟ أترى النبي ﷺ قد جاء ليعلمنا الوضوء والعبادات فحسب ؟ ﴿ سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ .

وليس غريباً أن تنشأ مثل هذه الشبهة في هذا الزمان الذي قُدس فيه العقل البشري ، وأعطي من الصلاحيات مالم يعطه في أي زمان مضى ، حتى أوج زمان المعتزلة وأشياعهم .

. وقد فتن كثير من المسلمين بمدنية الغرب وتنظيمهم لأمور معاشهم ، وتحت ضغط الانهزام النفسي والشعور بالتبعية ، راحوا يبحثون عن كل مامن شأنه أن يبرر لهم التملص من أحكام الإسلام ، ومحاولة تقريبه من أحكام الغرب ونظمه ، وصدق فيهم قول الشاعر :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا
فلا ديننا يبقى ولا مانرقع

فأول خطأ قاد هؤلاء إلى هذه الدعوى : هو هذا الموقف النفسي الذليل ، وكأنهم نسوا قول الله عز وجل : ﴿ ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴾ [آل عمران / ١٣٩] .

أما استدلالهم بهذا الحديث ، فقد أخطأوا فيه لسببين :

الأول : اقتصارهم على إحدى روايات الحديث ، وإهمالهم سائر طرقه وألفاظه .

الثاني : غفلتهم عن النصوص الأخرى المتعلقة بنفس الموضوع ، ووجه العلاقة بين هذه النصوص جميعاً .

ونحن نحاول في هذه العجالة أن نذكر ماتبين لنا في ذلك ، وإلا فالموضوع بحاجة لمزيد من البحث والدراسة . فنقول وبالله التوفيق :

---

١ ــ صحيح مسلم . ط عبد الباقي ٤ / ١٨٣٦ .

أولاً : أما روايات الحديث فقد ساق له الإمام مسلم في صحيحه (١) عدداً من الطرق ، كما يلي :

ــ ساق بإسناده إلى موسى بن طلحة عن أبيه قال :

مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل ، فقال : « ما يصنع هؤلاء ؟ » فقالوا : يلقحونه . يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح . فقال رسول الله ﷺ : « ماأظن يغني ذلك شيئاً » قال : فأُخبروا بذلك فتركوه . فأُخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال : « إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه . فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن . ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به ، فإني لن أكذب على الله عز وجل » .

ــ ثم ساق بإسناده إلى رافع بن خديج رضي الله عنه قال : قدم النبي ﷺ وهم يُؤَبِّرون النخل ــ يقولون : يلقحون النخل ــ فقال : « ما تصنعون ؟ » قالوا : كنا نصنعه . قال : « لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً » فنَفَضت أو نَقَصَت ، قال : فذكروا ذلك له . فقال : « إنما أنا بشر . وإذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر » قال عكرمة ــ أحد الرواة ــ : أو نحو هذا .

ــ ثم ساق الحديث من طريق عروة عن عائشة ، وثابت عن أنس ، الحديث بلفظه المذكور أول المقال .

ويلاحظ من خلال هذه الروايات مايلي :

١ ــ أن الروايات وإن تعددت ألفاظها فهي تحكي قصة واحدة . إذ حاشا النبي ﷺ أن يتكرر منه الخطأ نفسه أكثر من مرة . وعليه فإن الروايات المذكورة يفسر بعضها بعضاً . والتعدد في الألفاظ مرجعه إما إلى الرواية بالمعنى . كما قال عكرمة : أو نحو هذا ، وإما إلى الاختصار من جهة الراوي .

٢ ــ أن رواية طلحة رضي الله عنه أكثر الروايات وضوحاً وتفصيلاً ، ولا غرو ، فإنه قد شهد هذه الواقعة مع النبي ﷺ ، بخلاف

---

١ ــ ٤ / ١٨٣٦ . ولم نعثر على من خرج الحديث سوى الإمام مسلم . وقد اقتصر الحافظ السيوطي في عزو الحديث عليه . ووافقه على ذلك الشيخ الألباني . فالله أعلم . انظر صحيح الجامع رقم (١٥٠٠) .

سائر الصحابة الرواة للقصة ؛ رافع وعائشة وأنس رضي الله عنهم ، فليس في رواياتهم مايدل على شهودهم لها .

٣ ـــ أن النبي ﷺ لما رأى القوم يلقحون سألهم ـــ كما في حديث رافع ـــ : « ماتصنعون ؟ » وفي حديث طلحة : « مايصنع هؤلاء ؟ » وكان والله أعلم سؤال استفهام واستعلام مما يدل على أن النبي ﷺ لم يكن يعرف التلقيح من قبل . خصوصاً أن سؤاله وقع أول مقدمه المدينة كما أشار لذلك رافع رضي الله عنه . وهذا كسؤاله عليه السلام عن الرطب : « أينقص الرطب إذا يبس ؟ » [١] فمجموع هذا يدل على أنه ﷺ لم يكن له خبرة تامة بالزراعة ، وهو أمر لا يستغرب ممن نشأ في مكة ، فإن أهل مكة كان الغالب عليهم التجارة . بخلاف أهل المدينة فإنهم أهل زرع .

وهذا يفسر قوله عليه السلام في حديث عائشة وأنس : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » فالنبي ﷺ قال هذه العبارة فيما لم يكن له به علم تام وخبرة تامة . وكان المخاطبون أعلم به منه . ولهذا أضاف : « الدنيا » إليهم في قوله : « دنياكم » لا أنهم أعلم منه بالدنيا مطلقاً ، فإنه عليه السلام كان أعلم منهم بشئون الحرب والسياسة ، وتدبير الأمة ، وتصريف مصالحها ، وغير ذلك من أمور الدنيا . فعلم بذلك أن المراد بالدنيا في قوله : « دنياكم » مالم يكن عند النبي ﷺ منه علم تام . وليس المراد عامة أمور الدنيا . وسيأتي كيف يمكننا التفريق بين الأمرين .

٤ ـــ أن النبي ﷺ قال للذين يلقحون النخل ـــ كما في حديث طلحة ـــ : « ماأظن يغني ذلك شيئاً » فلم يكن رأيه عليه السلام آنذاك سوى ظناً ، وهو كقوله في حديث رافع : « لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً » فهو لم يجزم في رأيه ولم يخبر به خبر المتيقن من صوابه . بل قاله على سبيل الظن والترجي . وقد نص هو عليه السلام على ذلك في قوله : « ... فإني إنما ظننت ظناً .. » وهذا يبين أن قوله في حديث عائشة وأنس : « لو لم تفعلوا لصلح » هو

١ ـــ رواه الخمسة . وصححه الترمذي . انظر نيل الأوطار ٥ / ٣٠٨ .

بالمعنى ، وأنه على سبيل الظن لا الجزم كما هو ظاهر العبارة . قال الإمام النووي : (قال العلماء : ولم يكن هذا القول خبراً ، وإنما كان ظناً كما بينته الروايات) [1] .

٥ ــ أن النبي ﷺ بين ماالذي يلزمنا الأخذ به مما لا يلزمنا من كلامه ﷺ . فقال في حديث طلحة : « ... فلا تؤاخذوني بالظن . ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به ، فإني لن أكذب على الله عز وجل » فمقتضى القسمة في هذا الحديث أن كل ماجزم به النبي ﷺ فهو من عند الله [2] ، ويجب علينا الأخذ به ، بخلاف ماظنه ولم يجزم به ، فمقتضى الحديث أن ماكان كذلك فهو ليس من عند الله ، ولا يجب علينا الأخذ به . يوضح ذلك : أن النبي ﷺ لا يجزم إلا بما يعلمه ويتيقنه ، ومن الممتنع أن يكون علمه بالشيء مخالفاً لحقيقته .

أما الأول : فإن الله أدب نبيه بقوله : ﴿ ولا تقف ماليس لك به علم ﴾ .

وأما الثاني : فقد عصم الله تعالى نبيه عن الكذب وعن إضلال الأمة . وهو عليه السلام أنصح الخلق لأمته ، فإذا علم شيئاً فإنه مبلغه لها بمقتضى نصحه ، وقياماً بواجب البيان والبلاغ . وإذا بلغ أمته شيئاً وأخبرها به جزماً ، وكان المخبر مخالفاً للخبر ، كان ذلك كذباً وضلالاً للأمة بلا شك . وقد عصمه الله تعالى من الأمرين جميعاً ، إما ابتداءً وإما تسديداً بالوحي .

ويشهد لصحة القسمة المذكورة آنفاً قوله عليه السلام في حديث رافع : « إذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر » فالتنكير في قوله : « بشيء من رأي » مشعر بأن المراد ماكان على غير وجه الجزم والإلزام ، بل على وجه المشورة والاقتراح فحسب [3] .

---

١ ــ في شرحه على صحيح مسلم ١٥ / ١١٦ .

٢ ــ المراد : عن الله تعالى إما نصاً ، أي وحياً من الله كالقرآن والأحاديث القدسية ونحوها . وإما إقراراً ، بأن يجتهد النبي عليه السلام في أمر فيقره الله تعالى على ذلك . فبأقرار الله عز وجل لاجتهاد النبي عليه السلام صار اجتهاده حكماً لله تعالى . قال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ .

٣ ــ هذا وما بعده بناء على ثبوت لفظة « الرأي » ، وإلا فقد قال النووي ١٥ / ١١٦ : مع أن لفظة الرأي إنما أتى بها عكرمة على المعنى ، لقوله آخر الحديث : أو نحو هذا ، فلم يخبر بلفظ النبي ﷺ محققاً ا هـ . ومهما يكن فحديث طلحة صريح في المعنى لا يحتمل التبديل المخل .

يوضح ذلك أن كلمة « رأي » تستعمل فيما كان ناتجاً عن الخبرة البشرية مما هو قابل للخطأ والصواب ، كما في السيرة أن الحباب بن المنذر قال للنبي ﷺ يوم بدر : « يارسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الحرب والرأي والمكيدة ؟ » (١) وماكان كذلك فحاشا النبي ﷺ أن يجزم به ، وهو يعلم أنه يرد عليه الخطأ ، والجزم بالشيء إنما هو لتيقن صاحبه منه — طلباً أو خبراً — والعرب لا تسمي مثل هذا اليقين : رأياً .

فقوله عليه السلام : « بشيء من رأي » واضح في أن المراد ماكان أقرب إلى المشورة والاقتراح ، لا إلى الجزم واليقين .

فتحصل مما تقدم أن مقتضى القسمة في كلا الحديثين : أن كل ماجزم به النبي ﷺ — طلباً أو خبراً — فهو من عند الله تعالى (٢) ، ومن ديننا فيلزمنا الأخذ به ، وأما ماكان من كلامه ﷺ ظناً أو رأياً ، فقد رخص لنا النبي ﷺ في الأخذ به أو تركه . وليست القسمة كما فهمها أصحاب الشبهة : أن ماكان من أمور الدنيا مطلقاً فهو إلينا ، وماكان من أمور الدين فهو إليه عليه السلام ، والله أعلم .

فإن قلت : قد أكثرت من الشرح والتقسيم ، فهلا أتيت بمثال يوضح عبارتك ويؤيد مقالتك !.

فالجواب : أن أقرب مثال — والأمثلة متوافرة — هو مارواه البخاري في صحيحه (٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنه — في قصة بريرة لما خالعت زوجها مغيثاً وكان شديد التعلق بها — وفيه أن النبي ﷺ قال لبريرة : « لو راجعته » قالت : يارسول الله تأمرني ؟ قال : « إنما أن أشفع » قالت : لا حاجة لي فيه . قال الحافظ (٤) : « وعند ابن مسعود من مرسل ابن سيرين بسند صحيح : « فقالت : يارسول الله أشيء واجب علي ؟ قال : لا » .
فقوله ﷺ لبريرة : « لو راجعته » لايعدو كونه مشورة واقتراحاً كما

---

١ — تهذيب سيرة ابن هشام / ١٤٣ .
٢ — انظر هامش رقم (٢) من الصفحة السابقة .
٣ — من فتح الباري ٩ / ٤٠٨ .
٤ — المصدر السابق ٩ / ٤٠٩ .

بين ذلك ﷺ ، وليس جزماً فيجب عليها الأخذ به ، وقارن بين قوله عليه السلام : « لو راجعته » وقوله : « لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً » كيف تجدهما يصدران نفس المصدر ؟ والله أعلم .

فإن قلت : إن تقييدك لحديث التلقيح بما كان على سبيل الظن والرأي ، هو تخصيص للحديث بسببه ، وقد تقرر في الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ؟.

فالجواب : أن هذه القاعدة محل نزاع عند كثير من أهل العلم ، أولاً . وثانياً : إن الفرق كبير بين مجرد ورود العام على سبب ؛ وبين أثر السبب والسياق والقرائن في تخصيص العام — وهو ما نحن بصدده — كما نبه على ذلك العلامة ابن دقيق العيد .

وثالثاً : مع التسليم بالقاعدة فإن الأخذ بها مقيد بعدم قيام المعارض . فأما مع وجوده فإن من طرق الجمع حمل العام على سببه دفعاً للتعارض وإعمالاً لكل نص في مجاله (١) .

ولو أخذنا بعموم لفظ حديث التلقيح ، خصوصاً حديث عائشة وأنس رضي الله عنهما ، دون النظر في سببه وسياقه لوجدنا نصوصاً كثيرة متنظاهرة تعارضه وتصادمه ، ونحن نذكر هذه النصوص لأهميتها ولبيان وجه العلاقة بين هذه النصوص جميعاً .

ثانياً : وأما سائر النصوص في هذا الباب ، فهي علي نوعين : عام وخاص .

أما العام : فكقوله تعالى : ﴿ وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ... ﴾ الآية [الأحزاب / ٣٦] . فبين تعالى أنه لا خيار لنا أمام قضائه تعالى في القرآن ، وقضاء رسوله ﷺ في السنة .

وقوله تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [النور / ٦٣] .

وقوله « أمره » مفرد مضاف ،

---

١ — مثال ذلك : حديث ليس من البر الصيام في السفر . مع سائر النصوص المتظاهرة بإجازة الصيام في السفر مطلقاً . جمع بينهما العلماء بحمل الأول على سببه . انظر في هذا المثال ومقالة العلامة ابن دقيق العيد . نيل الأوطار ٤ / ٣٠٦ .

فيعم كل أنواع أمره عليه السلام .
وكقوله عليه الصلاة والسلام : « ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وماأمرتكم به فأتوا منه ماستطعتم » (١) .

فعلق الأمر على الاستطاعة لا على نوعية المأمور به .

وأما الخاص : فمنه ماأخرجه الإمام أحمد وأبو داود بسند صحيح من حديث عبد الله بن عمرو قال : « كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه . فنهتني قريش فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا . فأمسكت عن الكتاب . فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : « اكتب فوالذي نفسي بيده ماخرج منه إلا حق » وأشار بيده إلى فمه (٢) .

وصح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الصحابة قالوا للنبي ﷺ : « إنك تداعبنا ؟ » فقال عليه السلام : « إني لا أقول إلا حقاً » أخرجه أحمد والترمذي (٣) .

وإذا كان كل مايقوله ﷺ حقاً ؛ في الغضب والرضا ، في الجد والمزاح ، فلا رخصة لنا حينئذ في الإعراض عنه .

فهذه النصوص أظهر وأبين في الدلالة من حديث التلقيح . ولو سلكنا سبيل أصحاب الشبهة لأخذنا بهذه النصوص وأعرضنا عن حديث التلقيح . ولكن كلا الطريقين خطأ .

والذي عليه سلف هذه الأمة هو الأخذ بنصوص الوحي جميعاً ، والعمل بكل منها على وجهه الذي جاء عليه . ولا يضربون كلام الله وكلام رسوله ﷺ بعضه ببعض . ويقولون : ﴿ آمنا به كل من عند ربنا ﴾ .

فإن قلت : فما وجه الجمع بين حديث التلقيح وبين النصوص التي ذكرت ؟.

قلت : وجه الجمع ــ والله أعلم ــ يتلخص فيما يلي :

---

١ ــ أخرجاه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . راجع الأربعين النووية .
٢ ــ انظر في هذا الحديث : صحيح الجامع / ١٢٠٧ ، « حجية السنة » للأستاذ عبد الغني عبد الخالق ، فقد استوفى الكلام على طرقه ورجاله ، ص / ٣١٦ ، ٤٣١ ، ٤٣٧ .
٣ ــ صحيح الجامع / ٢٤٩٠ و ٢٥٠٥ .

أولاً : أن الأصل ، والقاعدة العامة ، هي الأخذ بأمره وقوله عليه السلام مطلقاً دون استفصال ، ودون الحاجة إلى البحث عن قرينة خاصة تلزمنا بذلك النص .

وهذا الأصل هو مقتضى العموم في النصوص الملزمة باتباع أمره صلوات الله وسلامه عليه ، فإنها لم تفرق بين أمر وأمر ، أو بين نص ونص ، بل عممت الإلزام بها جميعاً . ويقابل هذا الأصل العام :

ثانياً : مايمكن أن يستثنى من هذه القاعدة العامة بمقتضى حديث التلقيح ، وهو ماكان منه عليه الصلاة والسلام على سبيل الظن والرأي ، لا الجزم والحكم .

ولا تعارض بين حديث التلقيح وبين حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما . فإن النبي ﷺ إذا أخبرنا بأنه يظن كذا ، فما قال إلا الحق ، وإذا أشار علينا بشيء على سبيل الرأي ، فلم يعد الحق . إذ المشورة نفسها من الحق ، ولا يمكن أن يتأتى مثل هذا الجمع على مقتضى قول أصحاب الشبهة ، وبالله التوفيق .

فإن قلت : ومتى نعرف أن حديثاً ما هو على سبيل الظن والرأي أو على سبيل الجزم ؟.

قلت : لايحق لنا القول بأن حديثاً ما هو على سبيل الظن أو الرأي إلا بعد قيام قرينة خاصة وأمارة ظاهرة تفيد هذا المعنى . والنبي عليه السلام أنصح الخلق وأصحهم لأمته ، فلو أراد أن يشير علينا برأي دون إلزام لبين ذلك . ولو أراد إخبارنا بما يظنه لا مايعلمه ، لبين ذلك ، صلوات الله وسلامه عليه . ومالم تقم تلك الأمارة الظاهرة ، وتلك القرينة البينة ، فهذا كافٍ في وصف الحديث بكونه على سبيل الجزم والإلزام ، وهذا مقتضى الأصل الذي قررناه آنفاً .

هذا ماتيسر لنا في هذه المسألة . فمن كان عنده فضل علم أو تصحيح خطأ فلا يبخل به . والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين □

فن المقالة

منصور الأحمد

المقالة فن من فنون الأدب ، له أصوله ، ومميزاته ، وأهميته ، وهذا الفن ــ كما أنه يكون سبباً في شهرة بعض الكتاب ــ إلا أن كثيراً منهم يسيء استخدامه ، ويفشل أن يبني بينه وبين القراء جسراً بواسطته .

أما أهمية المقالة فهي سبيل مطواع يستطيع الكاتب أن يسخره لما يريد من الأفكار الخاصة أو العامة ، العلمية أو الأدبية ، ويمكن أن توصل هذه الأفكار بسرعة ودون التواء في أكثر الأحيان .

وقد حظيت المقالة في أدبنا العربي ، قديماً وحديثاً ؛ بمكانة لايستهان بها . ونستطيع أن نرصد خطواتها وتطورها .
وهي كغيرها من الفنون الأدبية ، أدركها ويدركها التطور حسب مايقتضيه تطور الأفكار والأساليب ، وحسب الظروف الثقافية والفكرية السائدة ، وقد ساعدت الصحافة وحركة النشر على ازدهار المقالة .

على أننا لانريد في هذه العجالة أن نكتب بحثاً أدبياً وافياً عن ذلك بل نحب أن نلفت النظر إلى أن المجلات ، ومنها مجلتنا « البيان » إنما تعتمد في جل ماتنشر على هذا الجانب من أساليب الكتابة ، ونجاحها مرهون بإدراك كتابها لما يجب أن تتميز به المقالة عن غيرها من فنون الكتابة .
والهدف من المقالة هو تقديم فكرة معينة إلى القارىء بأسلوب يختاره

الكاتب . وحتى تحقق المقالة الغرض منها لابد أن يتوفر فيها :

وضوح الفكرة ،

وضوح الأسلوب وجماله ،

وهذان الشرطان يلتقيان على قاعدة سابقة في ذهن الكاتب ، وهي : معرفته بمن يخاطب .

١ ــ الموضوع أو الفكرة :

يعتبر موضوع المقالة المحور الأساسي لها ، وهو الهدف منها ، وبقدر احتفال الكاتب به تحديداً وتوضيحاً يصل إلى هدفه في الإقناع . وأكبر الأخطاء التي ترتكب في المقالات الفاشلة أن لايكون موضوعها واضحاً في ذهن كاتبها ، وأن تكون الفكرة التي تدور عليها غامضة مبهمة ، أو ليست ناضجة ، أو ضائعة في خضم كلام لايعرف كاتبه العلاقة الصحيحة بينه وبين الفكرة .

٢ ــ الأسلوب :

الأسلوب هو القالب اللفظي الذي تصب فيه الفكرة ، مضافاً إليه الروح ، أو قل : النكهة التي تُحَسُّ أو تُدْرَك من هذا الأسلوب ، والتي تميز كاتباً عن آخر ، وهي التي عناها من قال : « الأسلوب هو الأديب نفسه » ، هي بصمته وتوقيعه الذي لايمكن تزويره .

فالأسلوب ليس كلمات مرصوفة رصفاً ، أو منتزعة من هنا وهناك لأدنى علاقة ، أو بدون علاقة في بعض الأحيان ، بل هي حصيلة دراسات الكاتب ومطالعاته ، ومجمل ثقافته ، إضافة إلى سمات مزاجه وطبعه .

والأسلوب الناجح يتميز :

بالوضوح

والجمال .

أما الوضوح فيكون باختيار الألفاظ المطابقة للمعنى ، والبعد عن تتبع الغرائب ، والحرص على طرائق التعبير العربية ، والبعد قدر الاستطاعة عن العجمة التي أصبح

التخلص في هذه الأيام منها هماً ناصباً .

وأما جمال الأسلوب فهو شيء يصعب تحديده ، لأن مبناه على الذوق ، وهذا الذوق يربى ويصقل بالقراءة وتتبع الآثار الأدبية الراقية .

إذا عرفنا هذا اتضح لنا أن المقالة ليست خطبة ملتهبة هدفها إثارة العواطف وشحن الخواطر بالكلمات والجمل المهيجة بعيداً عن الإقناع .

وليست بحثاً هدفه إظهار قدرة الكاتب على البحث والتنقيب والتوثيق ، وإثقال الهوامش بالمراجع والإحالات .

وليست فرضاً لمنهج علم معين في التأليف ، وإرباك القارىء بمصطلحات لا يدري عنها شيئاً ، أو يدري عنها القليل !

إنها باختصار فن أدبي جميل ، يشتمل على موضوع رئيسي يراد إيصاله إلى القارىء بطريق رشيق مقنع ، بعيد عن الإملال والإرهاق ، ويُتَلَطف إليه بمدخل أو استهلال يكون بمثابة الاستئذان للدخول إلى عقله وقلبه ، وأن لايُغادَر إلا وقد اطمأن الكاتب أن مايريده قد وصل ، فيلملم أطراف موضوعه بخاتمة تكون بمثابة التوديع الذي لايكون إلا عن تعارف وتصافٍ ووثاقة صلة .

في مكان آخر من هذا العدد وضعنا مثالاً تطبيقياً لمقالة أدت الغرض منها [١] ، فهي ليست بالطويلة ، و ليست بالقصيرة ، واستوفت شروط سهولة الألفاظ والتراكيب مع جمالها وقوة تأثيرها ، ووضوح الفكرة الرئيسية التي صاغ الكاتب من أجلها مقالته ، وحسن استدلاله على ذلك من الواقع العملي والتاريخي للإسلام ، ثم إدراكه للأصول دون الغرق في التفاصيل التي لاتغني شيئاً وقد ذهبت الأصول ، فقد درج الكاتبون في شأن الهجرة أن يشغلوا أنفسهم ويشغلوا الناس في سرد وقائع الهجرة ؛ دون الخوض في دلالتها العملية العميقة التي يحتاجها المسلمون اليوم ، فأراد أن يتخذ من حادثة الهجرة دافعاً مستمراً متجدداً للإصلاح وعلاج المشاكل المصيرية التي تكاد تعصف بالكيان الإسلامي □

---

١ ــ مقال : من إلهامات الهجرة .

من إلهامات الهجرة (*)

محب الدين الخطيب
رحمه الله

[مدخل : فرق بين الإسلام وغيره من الأديان]

في الإسلام ظاهرة يمتاز بها على غيره من الأديان التي تموج أقطار الأرض بأتباعها ، فأهل الديانات الأخرى ينحصر معنى (الدين) عندهم في العقيدة والعبادة ، فإذا ضُمنتا لهم في أي نظام من أنظمة الحكم اكتفوا بهما ، وأذعنوا لذلك النظام مهما كان ، ولا يعرفون دينهم إلا ساعة الاجتماع في المعابد .

أما الإسلام فكما أنه دين عقيدة وعبادة ، فإنه يشمل أيضاً الآداب في المنازل والمجتمعات ، والتعاون بين الأفراد والجماعات ، ويتناول العقود والمصالح والالتزامات ، وتتسع دائرته فتحيط بنظام الحكم كله .

★ ★ ★

[حكمة الهجرة الأساسية]

والمسلمون لا يعتبرون أنفسهم عائشين في بلد أسلامي ، إلا إذا ساد نظام الإسلام بلدهم ، وقامت فيه أحكامه وآدابه ، كما تقوم فيه شعائره وتسود عقائده ، وإذا تعذر على المسلمين إقامة أحكام دينهم ، وتأييد أنظمته الاجتماعية ، وآدابه الخلقية والبيتية ، وجب عليهم الانتقال إلى البلد الذي يعمل فيه بأحكام الإسلام وآدابه ، تكثيراً لسواد المسلمين ، وإعزازاً لأمر الدين ، واستعداداً لنصره وتأييده في العالمين . وإذا لم يكن للمسلمين بلد تتوافر فيه هذه الشروط ، وجب عليهم أن يتجمعوا في بقعة صالحة يقيمون فيها نظام الإسلام تاماً كاملاً ، ويتعاونون على حماية دعوته ، واتخاذ الأسباب والوسائل لتحقيق رسالة الإسلام كما جاء

* ـ نموذج تطبيقي اخترناه لمقالة جيدة .

بها صاحبها صلوات الله عليه ، وكما فهمها منه أصحابه والتابعون لهم بإحسان .

هذه هي حكمة (الهجرة) ، وهذا هو الباعث عليها والداعي لها . فالإسلام يجب أن يكون له وطن تقام فيه معاني الإسلام كلها ، ويعمل فيه بأحكامه وأنظمته في دواوين الدولة ، ومرافق الأمة ، ومعاملات الأفراد ، وآداب البيوت ، بقدر مايعمل فيه بشعائر العبادات ، وبقدر ماتحمى فيه حقائق العقيدة التي لايكون الإسلام إسلاماً إلا بها .

* * *

[دليل قرآني وتاريخي]

وقد غفل عن هذه الظاهرة من أمر الإسلام بعض الذين دخلوا فيه على عهد رسول الله ﷺ ، فلبثوا في وطنهم (مكة) مستضعفين فيها لا يستطيعون إعلاء كلمة الله ، لغلبة الباطل يومئذ على الحق ، ولا يهاجرون منها إلى المدينة فيقوى بهم الإسلام . فنزل فيهم قول الله عز وجل : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ (أي بعد إقامة دينهم في بلدهم ، وتخلفهم عن نصره وتأييده في دار هجرته) ﴿ قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض . قالوا : ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ . هذه الآية نزلت في قوم أسلموا ، وكانوا يؤدون صلواتهم على النهج الشرعي في منازلهم أو في الحرم إن استطاعوا ، وكانوا صحيحي العقيدة ، وغير مقصرين في العبادة . إلا أنهم كانوا سبب ضعف الإسلام ، بإذعانهم لنظام غير نظامه ، وإحجامهم عن تقوية الإسلام في وطنه ودار هجرته . ولما كان الإسلام دين يسر ، ومن مبادئه أن تقدر الضرورات بقدرها ، وأن يعذر أهلها ، كان تمام الآيات السالفة قول الله عز وجل : ﴿ إلا المستضعفين من النساء والرجال والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، وكان الله عفواً غفورا . ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً ﴾ (أي مذهباً وتحولاً) ﴿ كثيراً وسعة . ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه

الموت فقد وقع أجره على الله ، وكان الله غفوراً رحيما ﴾ .

* * *

[قلب الموضوع (الهدف الذي من أجله كتب الكاتب)]

إن النفس الإسلامية يريدها الإسلام أن تعيش في جو من النظام والحكم يسهل لها فهم هداية الإسلام ، ويحبب إليها العمل بهذه الهداية في كل ضرب من ضروب الحياة ، وتتوفر فيه حرية الدعوة إلى كل ماينشده الإسلام من حقيقة وخير ، فيتيسر القيام بهما جهاراً في جميع أحوال الفرد المسلم والجماعة الإسلامية ، ويكون فيه للحق قوة تقمع كل من يصد عن ذلك ، أو يحول بين المسلمين وبين الدعوة إلى هدايتهم والعمل بها في بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم ومجتمعاتهم . فإذا نشأت النفس الإسلامية ونمت تحت جناح نظام يقيم أحكام الإسلام ويحمي دعوته ويحمل الأمة على آدابه ، كانت هذه النفس قوة للإسلام ، تعمل على رفعته وتوسيع دائرته ، وكانت غصناً في دوحة الإسلام تزهر وتورق وتثمر في جناته . أما إذا نشأت ونمت تحت جناح نظام يخالف الإسلام ، ويخذل دعوته ، ولا يربي الأمة على آدابه ، فإن قوتها تكون معطلة عن تأييد الإسلام وتعميم هدايته .

إن (الهجرة المحمدية) من ديار الشرك إلى دار النصرة قد مضت بأهلها ، ولكن (الهداية المحمدية) لاتزال في أمانة المسلمين ، وهي في عصرنا والعصور الآتية أحوج ماكانت إلى تفكير المسلمين في صيانتها ، والتماسهم الأسباب لازدهارها وتعميم العمل بها .

لما هاجر النبي ﷺ بأصحابه من ديار الشرك إلى دار النصرة ، وكان للإسلام – على قلة أهله يومئذ – قوة بتلك القلة من أهله لا نكون صادقين لو زعمنا أن عندنا للإسلام مثلها اليوم مع كثرتنا واتساع آفاق أوطاننا ، فإن كانت الهجرة قد مضت بأهلها ، فإن القوة التي توخاها النبي ﷺ للإسلام بالهجرة ، لاتزال أنظمة الإسلام وآدابه وأهدافه مفتقرة اليوم وبعد اليوم إلى مثلها ، بل هي اليوم وبعد اليوم أشد افتقاراً إلى مثل تلك القوة مما كانت في زمن الهجرة .

★ ★ ★

نحن محتاجون اليوم — من معاني الهجرة وأهدافها وحكمتها — إلى أن ننخلع في بيوتنا عن الآداب التي تخالف الإسلام ، وأن نعيد إلى هذه البيوت الصدق والصراحة والنبل والاستقامة والاعتدال والمحبة والتعاون على الخير .

فالبيت الإسلامي وطن إسلامي ، بل هو دولة إسلامية . وقبل أن أتبجح فأنتقد ماخرج عن دائرتي من بيئات لا يفيدها انتقادي شيئاً ، يجب علي أن أبدأ بمملكتي التي هي بيتي فأهاجر أنا ومن فيه من زوجة وبنات وبنين إلى مايحبه الله من الصدق ، هاربين من الكذب الذي يكرهه الله ويلعن أهله في صريح كتابه . ويجب أن أنخلع أنا وأهل بيتي عن رذيلتي الإفراط والتفريط فنكون معتدلين في كل شيء ، لأن الاعتدال ميزان الإسلام ، ويجب أن نحب أنظمة الإسلام محبة تمازج دماءنا ، فنتحرى هذه الأنظمة في أخلاقنا وأحوالنا وتصرفاتنا ومعاملة بعضنا لبعض ، (هاجرين) كل ماخالفها مما اقتبسناه عن الأغيار وخذلنا به مقاصد الإسلام فضيعنا أغراضه الجوهرية .

إذا تربينا في بيوتنا على محبة الأنظمة الإسلامية ، وتأصل ذلك في أذواقنا وميولنا ، وتعودنا العمل به في مختلف ضروب الحياة ، فشا العمل به حينئذ من البيوت إلى الأسواق والأندية والمجتمعات ودواوين الحكم ، ولا يلبث الوطن كله بعد عشرات قليلة من السنين أن يتحول من وطن عاصٍ لله ، إلى وطن مطيع لله ، ومن وطن تسود فيه الأنظمة التي يسخطها الله ، إلى وطن تسود فيه الأنظمة التي أمر بها الله .

★ ★ ★

[نقد لواقع وتصحيح لما هو شائع]

نحتفل بذكرى الهجرة في كل سنة ونتكلم فيها عن الماضي فلا ننتفع بها في الحاضر . ولو أنا فهمنا الحكمة التي انطوت عليها حادثة الهجرة ، وعلمنا أن كتاب الله الذي نتلوه قد أنحى باللائمة على جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في مكة يصلون ويصومون ، ولكنهم ارتضوا البقاء تحت أنظمة تخالف

الإسلام ـــ فلا قوة لهم على تغييرها ، ولم يهاجروا إلى قلعة الإسلام ليكونوا من جنودها المتحفزين لتغيير تلك الأنظمة ـــ لعلمنا أن الإسلام لا يكتفي من أهله بالصلاة والصوم ، بل يريد منهم مع ذلك أن يقيموا أنظمته وآدابه في بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم ومجامعهم ودواوين حكمهم ، وأن عليهم أن يتوسلوا بجميع الوسائل لتحقيق هذا الغرض الإسلامي ، بادئين به من البيت ، وملاحظين ذلك في تربية من تحت أمانتهم من بنات وبنين ، ومتعاونين عليه مع كل من ينشد للإسلام الرفعة والازدهار من إخوانهم ، حتى إذا عم هذا الإسلام أرجاء واسعة ، تلاشت تحت أشعته ظلمات الباطل ، فكانت لهذا الأسلوب من أساليب الهجرة مثل الآثار التي كانت لهجرة النبي ﷺ وأصحابه الأولين .

[عود إلى الأدلة : الأدلة من السنة]

روى مسلم في كتاب الإمارة من صحيحه عن أبي عثمان النهدي أن مجاشع بن مسعود السُّلمي قال : جئت بأخي (أبي سعد) إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح فقلت : يارسول الله بايعه على الهجرة ، فقال ﷺ : « قد مضت الهجرة بأهلها » . قال مجاشع : فبأي شيء تبايعه ؟ قال : « على الإسلام ، والجهاد ، والخير » . قال أبو عثمان النهدي : فلقيت أبا معبد فأخبرته بقول مجاشع ، فقال : صدق .

وفي كتب السنن ـــ وبعضه في الصحيحين ـــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد بن ناقد الأنصاري أن النبي ﷺ قال : « المهاجر من هجر السيئات » .

وفي حديث عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة ، وفي حديث عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده ، أنه قيل لرسول ﷺ : « ... ماأفضل الهجرة ؟ قال : من هجر ماحرَّم الله » .

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل (٦ / ٢١) من حديث فضالة بن عبيد ابن ناقد أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع : « ألا أخبركم بالمؤمن ؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم . والمسلم ؟ من سلم الناس من لسانه ويده . والمجاهد ؟ من جاهد نفسه في طاعة الله . والمهاجر ؟ من هجر الخطايا والذنوب » .

* * *

[خاتمة تحض على صرف الأنظار إلى الغرض الأساسي]

فإلى الهجرة أيها المسلمون ...

إلى هجر الخطايا والذنوب في أعمالنا ، وأخلاقنا وتصرفاتنا .

إلى هجر مايخالف أنظمة الإسلام في بيوتنا ، وما نقوم به من أعمالنا .

إلى هجر الضعف والعطالة والإهمال والسرف والكذب والرياء ووضع الأشياء في غير مواضعها .

إلى هجر الأنانية والصغائر والسفاسف مما أراد نبي الرحمة أن يطهر منه نفوس أمته حتى تكون خير أمة أخرجت للناس كما أراد الله لها .

بهذا ، وبهذا وحده نحيي ذكرى الهجرة الشريفة ، ونحقق مقاصدها ، ونستمطر رحمة الله على بيوتنا ، وأوطاننا وممالكنا ، وهذا هو (الفلاح) الذي يدعونا إليه المؤذن خمس مرات في كل يوم عندما يدعونا إلى الوقوف بين يدي الله الكريم .

وبهذا تكون صلاتنا صلاةً إسلامية تصقل نفوس المسلمين والمسلمات ، وتصفيها ، وترتفع بها عن السفاسف ، وتجعل هذه الشعيرة من شعائر الله سبحانه ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ □



الأسرة المسلمة

ام اسامة خولة درويش

لاعجب أن تستأثر (نبيلة) بقلبي ، فهي صديقة الطفولة والصبا ، شاركتني لهو الطفولة البريء يوم كنا نلعب ونمرح ، وزاملتني في الصبا بدماثتها وحبها للخير الذي ملأ فؤادها ومشاعرها فحظيت لدي بمكانة اختصت بها عمّن سواها .

لقد حباها الله فضائل كثيرة فصانتها ، لم تبطرها النعمة التي تقلبت بها ، ولم يطغها الغنى الذي ترعرت فيه ، ولم يفسدها الجمال الباهر الذي يزري بالجميلات من بنات جنسها ، هذا فضلاً عما تمتاز به من أدب جم ، وعقل راجح ، ونظر سديد رغم صغر سنها ، فما أن نضج جسمها ونما عودها حتى تحلت بالحجاب الذي فرضه الله على المؤمنات ، فغدت بحق جوهرة مصونة ندر مثيلها .

ويحرص (عصام) أن يتزوج من (نبيلة) وهو جدير بذلك ، إنه من خيرة أقاربها ديناً وخلقاً ، علماً وأدباً ، مالاً وجاهاً .

وتمضي السنة الأولى من الزواج هانئة مطمئنة والحب الوارف يخيم على الزوجين السعيدين ، ولم لا والشرع رائدهما ، يلتزمان به فيؤدي كلّ حق رفيقه بصدر رحب ، وحب ودود ، لتظلل أسرتها سعادة نادرة ، وسكن حانٍ هانيء بعيد عن المشاكل والمنغصات .

تجد نبيلة في قيامها بواجباتها لزوجها وأهله عبادة تؤجر عليها ، فلا تسأم

ولا تضجر ، ولا تمن عليه ولا تبخل بجهودها المخلصة وعواطفها الفياضة ، ويجد عصام أن إعطاء كل ذي حق حقه إنما هو واجبه كمسلم يسعى للقربى من الله تعالى فيحفظ في (نبيلة) وصية الرسول ﷺ : « استوصوا بالنساء خيراً » فإن أخطأت أو ظهرت منها هفوة قال لها في مزاح ومداعبة ماأشبهها بالجد : (سنرفق بالقوارير ولن أدع قاروررتي تكسر أو تخدش » ، فتضحك ويضحك ، ويعالجان الأمور بالحكمة ، فتنقشع الغيمة ، وماكادت تمر السنة الأولى من الزواج حتى بدأت التساؤلات ، وهمسات نساء الحي : لِمَ لَمْ تحملْ نبيلة ؟

وتقترب أم عصام من نبيلة لتحدثها بحنانها المعهود حديثها الهامس يمازجه حرصها وشغفها لمعرفة سبب عدم الحمل : « يابنيتي إنك في عمر الزهور ، وهذه هي السن المثلى للحمل ، فلم تؤجلين الحمل ، وأنت تعلمين ثواب تربية الولد الصالح ، ولست بحاجة إلى من يذكرك » .

وكانت لحظة عصيبة ومؤلمة وصدمة غير يسيرة لأم عصام عندما قالت لها نبيلة : « إنني لا أستعمل أي عقار لتأجيل الحمل » ... بهتت أم عصام ولم تتمالك نفسها أن ترقرقت في عينيها دمعة حائرة حزينة على سعادة لم تكتمل .

وتمر الأيام ويزداد حديث الناس ، ويزداد تحرق أم عصام وتعلقها بولد يكون وارثاً لابنها ، وذكراً له وللعائلة جميعاً ، إنها وإن كانت تحب نبيلة ، ولكنها تعود وتردد المثل العامي : « ضلع أدنى من ضلع » .

وتتشجع هذه المرة للحديث مع ابنها في هذا الموضوع ، بدلاً من جرح مشاعر نبيلة ، وخشية إيذاء أحاسيسها في أمر لايد لها فيه ، وبنفس مفعمة بالمشاعر الكثيرة وفي مقدمتها الأحلام والأماني بولد يدرج في بيت ابنها قررت عرض الموضوع على عصام ، ويأتي الرد مماثلاً لما ذكرته نبيلة منذ سنتين :

« إنه لايوجد أي عائق جسمي عندنا ، وإننا ننتظر الفرج » وودت لو أشارت عليه بالزواج ، واحتارت كيف السبيل إلى إقناعه ، فهي تعلم مكانة نبيلة في قلبه ، بل وفي قلوب العائلة جميعاً ، قالت له وهي تغالب نفسها ، وبصوت ممزوج بالأسى والمرارة : إن الله تعالى يقول : ﴿ المال والبنون زينة الحياة

الدنيا ﴾ ثم صمتت ، ثم نظرت إليه وكأنها تريد أن تقرأ مافي ذهنه من خواطر ومافي قلبه من مشاعر ... ولم يطل الصمت ، فسرعان ماقطعه عصام وهو يتمم الآية : ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا ﴾ .

اكتفت الأم بهذا الرد ، ولم تحتمل الجلوس فخرجت بعزيمة مزعزعة ، وقد أظلتها سحابة من الحزن ، وكأنما أوصدت في وجهها أبواب السعادة كلها . أما عصام فلم يستغرب طلب والدته ، لقد سمعه مراراً من زوجته .

نعم زوجته نبيلة المؤمنة ذات الرأي الصائب ، كانت تعرض عليه الزواج ويسكتها قائلاً : « إنه يرضى بقدر الله وينتظر الفرج » وهاهي ست سنوات مرت على زوجين ، ترفرف عليهما السعادة والهناء .

وجاء قدر الله ، فاليوم موعد زفاف « سامية » لعصام ، إنه يوم عصيب في حياة نبيلة لا لأن زوجها سيتزوج من امرأة غيرها ، فكل امرأة تود لو أن زوجها لها وحدها ... هاهم أهلها جميعاً ، والدها ، والدتها ، وإخوانها ... قد جاؤوا مبكرين ، إذ ماعلموا بموعد الزواج إلا الليلة الماضية فقط ، وماكاد ظلامها ينقشع ويلوح ضياء الصباح حتى كانوا جميعاً عند بيت عصام ، إنهم يريدون ابنتهم ، نعم يريدون نبيلة ... فلا مكان لها في البيت بعد اليوم ... هذا رأيهم جميعاً . ولكن عصاماً قابلهم بصدر رحب وابتسامة رقيقة ، ودعاهم بلباقته المعهودة للدخول إلى المنزل قائلاً : « لن تروا في إلا مايرضيكم أنتم ونبيلة فأنتم أهلي » .

وقبل أن يتمها انبرى أخوها أحمد للكلام : إننا لسنا أ.... فأسكته والده . ولكن من يسكت الوالدة ؟ إنها تتحدث وتقول لابنتها : تعالي معنا معززة مكرمة ، إن بنت الفقر التي تخاف على نفسها من الجوع هي التي ترضى بالمذلة ، ولو كان يحبك لما أراد أن يتزوج عليك ، ولم يتم لنبيلة أن تسمع كل ماقالته والدتها ، الكل يتحدى ويهدد بالخلاص والطلاق ... وأصمتهم جميعاً قول نبيلة : « وهل التعدد حرام ؟ أليس ديننا يبيح التعدد ؟ أنا مسلمة وراضية » .
وجَمَ الجميع ، لقد عقدت المفاجأة ألسنتهم ، ولم يملكوا إلا أن يحملق بعضهم في وجه الآخر ... ثم انتهت الأزمة ، ومرت العاصفة ، وعاد الأهل وقد

أسقط في أيديهم ، إذ رفضت ابنتهم ترك بيت الزوجية ، ولسان حالهم يقول . « أنت الخسرانة » .

وتم الزواج الثاني ، ومرت ثلاث سنوات لم أر نبيلة خلالها ، وبقدر ماكنت تواقة لمشاهدتها وقد عدت من سفري ، بقدر ماكنت أتهيب من زيارتها خشية أن تثير آلاماً وأحزاناً كامنة .

وكانت الغلبة للشوق نحو صديقة الطفولة والصبا ، لأرى بعيني أغرب حياة يمكن تصورها في عصرنا ، إنها تعيد لأذهاننا صورة حياة سلفنا الصالح يوم كانت الهيمنة لشرع الله ، وهدي رسوله ، فيشيع في بيوتنا الرضى والوداد ، فهذه نبيلة هي هي ، لم تفارق البسمة العذبة شفتيها ، ولا الكلمة الطيبة لسانها ، ويلوح في عينيها رضى من نوع عجيب يحكي سعادتها الغامرة .

و « سامية » التي عرفتها لأول مرة لاتقل عنها رقة ودماثة ولطفاً ، وحتى في الجمال فهي أيضاً جميلة جذابة ، قد جللها نور المحبة والتسامح فزادها قرباً من القلب ، وبعد جلسة قصيرة تُعرّف نبيلة بجارتها (ضرتها) ثم تقول بزهو واعتزاز وهي تربت على كتف سامية :

مارأيك ، ألست ممن يحسن الاختيار ، باختياري لسامية ؟ لقد بحثت لعصام كثيراً فما وجدت خيراً منها ديناً وخلقاً ، والحمد لله لم يخب أملنا .

وإني إذ سمعت هذا الكلام لم أملك إلا الابتسام وغرقت في صمت مفعم بالإعجاب والإكبار .

وأثناء حديثها تناهى إلى سمعنا صوت بكاء طفل من غرفة مجاورة ، وبلهفة ذهبت إليه سامية لتعود حاملة طفلاً لايتجاوز عمره بضعة أشهر ، وتقول : إنه (نبيل) أخو (سامي) .

ومما قلل من حيرتي أن نبيلة ألقمت ثديها لـ (نبيل) فعلمت أنه ابنها ، لكن من سامي هذا ؟

إنه الطفل المرح ذو النفس المشرقة ، يجر وراءه سيارة لعب صغيرة ليصل إلى حضن نبيلة فتجلسه مع طفلها ، فلم أتمالك أن قلت : الحمد لله ، ماعنده

من خير لاينفد ، بارك الله لك في أولادك وأسرتك ياأخت نبيلة .

وخرجت سامية لتعد الضيافة ، وهذا ماعلمته من نبيلة إذ قالت : نحن هكذا ، كل واحدة منا تقوم بالواجب لضيوف جارتها ، حتى تتيح لها فرصة الاستمتاع مع صديقاتها . ثم اعتدلت في جلستها وكأنها تذكرت شيئاً مهماً فاتها وقالت : حقاً هذه أول مرة ترين فيها بيتنا بعد زواج سامية ، تعالي لأريك ترتيبنا الجديد للبيت .

ومشيت معها ، وكنت أود لو تعفيني من هذه المهمة ، لكني لم أشأ أن أرد طلبها ، سرت معها وأنا أغبطها على صبرها وأسائل نفسي :
ــ أهي راضية حقاً ، أم تمثل دور الرضا ؟!
ولم ألحظ شيئاً غير عادي في ترتيب البيت ، إلى أن قالت : « هذه غرفتي ، وهذه غرفة سامية » .

وشعرت بفضول غريب يدفعني دفعاً لأعرف رأيها بصراحة ووضوح ، ولم أكتف بما تبديه من الرضا والابتسام ، وتمنيت أن أسألها لولا أن بادرتني سائلة : مارأيك في ترتيب بيتنا ؟!.

قلت لها : ممتاز ، ذوق سليم ، وإبداع مريح لكم جميعاً ، فلا بكاء طفل يؤرق الأب المتعب ، ولا ضجيج يزعج الزوجين ، وهنا تشجعت وسألتها مداعبة :

ــ وأنت مارأيك في السكن في هذا البيت ؟.
ففهمتها على التو ، وقالت ضاحكم : حتى أنتِ ؟.

ــ إنه جنتنا وبهجتنا في دنيانا هذه ، ومنه إلى جنة الخلد إن شاء الله ، وتابعت كلامها : إن سامي ونبيل إخوة فيجب أن ينشأوا في جو المحبة الحقيقية ، وإلا كانوا ــ والعياذ بالله ــ أعداء ألداء ، يملأون البيت غماً ومشاكل .

وتأتي سامية بالضيافة وهي تردد كلمات الترحاب ووجهها يأتلق سروراً وسعادة وهي تقول :

كم يستغربَ الناس زواجي من عصام ، حتى أهلي لم يحتملوا أبداً سماع الموضوع ، لا لعدم كفاءته ، بل إنهم ينكرون أن أبدأ حياتي بأن أكون زوجة ثانية ، فقلت لهم :

ــ وهل أنا أفضل من أمهات المؤمنين ؟

ــ أليست الزوجة الثانية زوجة معززة مكرمة ؟

وتشارك نبيلة في الحديث :

ــ غريب أمر الناس ، كيف يستقبلون التعدد كاستقبال المحرمات ، بل أسوأ ، فقد يتساهل البعض في العلاقات المحرمة ، ويطلقون ألسنتهم في الحديث عن تعدد الزوجات ، إنها غيبة العمل الحق بتعاليم الشرع .

ولم أتمالك نفسي أن قلت :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وزادكما الله من فضله رضى وسعادة □



الفرقان .. يسكب الطمأنينة

د . مصطفى السيد

يحلو الإبحار ضد التيار
ضد الذين يرون الوقت عبئاً
والفكر اجترار
وانتظار ليوم بِكْر لا يجيء
ينفقون الأعمار
وليوم ثامن لا يؤوب
حتى يملهم الانتظار

— ٢ —

تجتاحني سيرة سفيان الثوري
كإعصار فيه نار
تقتلع الزبد جفاء
وتمسك ماينفع الناس
فيمكث
عطاء مدرارْ
ويدهشني الإمام أحمد
بزهده وهدوئه

فيحرك بغداد
من دهليزه وتتلاشى
هيمنة السلطة
أمام
طرقات الفكر الجبار
لقد ملأوا المكان
ونحن كحلقة ملقاة
بأرض فلاة
وهكذا فالمسألة
ليست
مسألة نص غائب
بل معضلة شخصية
متداعية
تختزن في أعماقها الماء
والناس
يتساقطون حولها
ظماء

ــ ٣ ــ

غاب الإنسان فصارت
الأرض يباباً عند (اليوت)
وغار الإيمان فصار الزمان
مفقوداً عند (بروست)
هذا ماتقوله :
قوافل المهاجرين
إلى فكر الغرب
والمهجرين إلى كفر

الشرق
إنهم يعودون
ولكن
يلجون
من باب التصوف
(ويُسَرِّبون) ولكن
من رتاج (١) القلب
بعد أن طحنتهم
هيمنة العقل

* * *

تصنم العقل وتَوثّن
وصدأ الروح وتفعن
(الفرقان) وحده هو الذي
(يسكب) الطمأنينة في
الآبار المعطلة
والأرواح المهجرة

— ٤ —

آه لهذا الإنسان
فلطالما
لمعت بروق المعرفة
بأني ﴿ قريب أجيب دعوة
الداع إذا دعان ﴾
ولكن طول العهد
بالعبودية
أبى عليه مفارقة
الواسطة البشرية □

---

١ — رتاج : باب .

وسائل الغزو الفكري في دراسة التاريخ

محمد بن صامل السلمي

مقدمة :

قال في لسان العرب : « مادة غزا » : غزا الشيء غزواً ، أراده وطلبه ، والغِزوة ــ بالكسر ــ ماغُزيَ وطُلب ، ومغزى الكلام مقصده ، وعرفت مايُغزى من هذا الكلام : أي مايراد منه ، والغزو : القصد .

وبهذا تنحصر معاني هذه المادة : في الطلب والقصد والإرادة ومعرفة مايراد ، والغزو الفكري ، بهذا التركيب الإضافي : مصطلح معاصر يعني البحث عن كيفية تأثر المسلمين بأفكار وخطط أعدائهم التي تضاد الشريعة الإسلامية ، وتسعى للقضاء عليها ، ولتحلل المسلمين منها ذاتياً دون استخدام القوة المباشرة .

يقول الدكتور عبد الستار السعيد : « الغزو الفكري تعبير دقيق بارع يصور خطورة الآثار الفكرية التي يستهين بها كثير من الناس لأنها تمضي بينهم في صمت ونعومة مع أنها حرب ضروس ... لاتضع أوزارها حتى تترك ضحاياها بين أسير أو قتيل أو مسيخ كحرب السلاح أو هي أشد فتكاً » [١] . وذلك أن الغزو العسكري واحتلال الأرض يثير في الطرف المقابل الحمية والنخوة وروح المقاومة ورد العدوان ، في حين أن الغزو عن طريق الفكر لايثير

١ ــ الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام / ٦ .

شيئاً من هذا عند كثير من الناس ، لأنه يتودد إلى النفس ، ويدخل إليها من عدة مداخل تناسبها : مداخل الشبهات من دعاوى التقدم والتطور ومسايـــرة ركب الـــحضارة والمدنية ... الخ . أو مداخل الشهوات ، من حب الأموال والسلطة والجاه وحب الظهور ، وتحقيق الرغبات الهابطة من الجنس والشراب وغيرها من ألوان الفساد والانحراف الخلقي والسلوكي وبذلك يسهل قياده ، ويُضْمَنُ تحوله واستمراره ذاتياً من داخل نفسه ، بل قد يصبح داعية لمبادىء العدو وأفكاره ، وهذه فتنة من أعظم الفتن ، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله من أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ [البقرة / ٢١٧] .

إن الصراع بين المسلمين والكفار دائم ومستمر ، وقد جرب عدونا سلاح القوة مراراً ، فما أجدى له نفعاً ، مما جعل قادتهم يفكرون في وسيلة أخرى وميدان آخر للصراع ، ولقد أدركوا أن السر في صلابة المسلمين وتفوقهم هو في إسلامهم ، ولذا حولوا ميدان الصراع من حرب المسلمين ذاتهم ، إلى حرب العقيدة الإسلامية ، وبهذا تغيرت ملامح المعركة ، فلم يعد ميدانها الرئيسي الأرض ولكنه الأدمغة والعقول ، ولم تعد وسيلتها السيف بل الفكر ، ولم تعد جيوشها الأساطيل والفــرق العسكريـة ولكنهـا المـؤسسات والمناهج بالدرجة الأولى ... (١) .

والذي يعنينا في هذا المقال هو البحث عن كيفية وقوع الغزو الفكري في علم التاريخ الإسلامي ، وكيف تأثرت دراسة تاريخنا بمناهج وخطط وأفكار أعدائنا ؟.

وسائل الغزو الفكري في تشويه التاريخ :

لقد تعرض التاريخ الإسلامي لأكبر قدر من الغزو الفكري ، وركز الأعداء على تشويه تاريخ الأمة

---

١ ـــ سفر الحوالي : العلمانية / ٥٣٥ .

الإسلامية ، ذلك أن التاريخ بالنسبة لأية أمة هو مجال اعتزازها وموطن القدوة فيها . فإذا كان تاريخ الأمة حافلاً بالأمجاد ، كما هو واقع تاريخ المسلمين ، فإنه بلا شك سيكون باعثاً لهم على النهوض والتمسك بالمبادىء والآداب والقيم التي جعلت الأجداد يحوزون هذا المجد والفخار ، ويصلون إلى هذا المستوى الراقي في بناء الأمة والحضارة ، ويبحثون عن السر الذي رفعهم إلى هذا المستوى ، وأنه إيمانهم بالله وتمسكهم بدينهم وجهادهم في سبيل الله ومن ثم يسعون جاهدين لانتشال أنفسهم من الوضع المتردي الذي وصلوا إليه ، وأمامهم الصورة الجلية والقدوة الممتازة في شخص رسولنا ﷺ الذي أخرج الله به الأمة من الظلمات إلى النور ، ومن الشرك والأهواء وتحكم الطواغيت إلى التوحيد والعدل والأمن والطمأنينة ، ومن الفقر وضيق الحال والشتات إلى الغنى وسعة الدنيا والآخرة والاعتصام بحبل الله . وكذا أصحابه رضي الله عنهم الذين حملوا الراية وآزروه ونصروه ، وأيضاً بقية الأجيال من السلف الصالح من العلماء والزعماء والقادة والمصلحين والدعاة إلى الحق .

والنماذج الممتازة في التاريخ الصالحة للقدوة ليسوا أفراداً يمكن حصرهم ، ولكنهم أجيال وأجيال ، في كافة مجالات الحياة ، العسكرية والسياسية والتربوية والعلمية والاقتصادية والاجتماعية وهذا لايوجد في تاريخ أية أمة أخرى لما لهذه الأمة من خاصية الاستمساك بالمنهج الرباني .

والتاريخ الإسلامي هو الذي يسجل هذه الصور السامقة ويوضح دور الأمة وأثرها وفضلها على البشرية ، ولذلك لا نستغرب إذا ركز الأعداء في غزوهم الفكري على التاريخ الإسلامي حتى ناله كثير من التشويه والتحريف والتجهيل والتزييف والتفسير الخاطىء لأحداثه ومزاحمته بتواريخ الأمم الجاهلية حتى يبدو حلقة صغيرة أو كماً مهملاً في تاريخ البشرية .

ولقد قام على تشويه التاريخ الإسلامي في العصر الحديث جيش بل جيوش من الاستشراق والتنصير ودوائر البحث ومكاتب المخابرات

في الدول الغربية ، واستطاعوا أن يجندوا مجموعة من ضعاف النفوس والمغرورين والجهلة وضحايا الغزو الفكري في العالم الإسلامي لمساعدتهم ونشر أفكارهم بين المسلمين .

ونذكر فيما يلي بعض الوسائل التي استخدموها :

١ ــ اختلاق الأخبار وإبراز المثالب :

وهذه أولى الوسائل التي استخدمها المستشرقون والمنصرون لتشويه صورة الحياة الإسلامية وعقيدة المسلمين وسيرة رسولهم ﷺ حتى ينفروا أبناء جلدتهم من الدين الإسلامي ، ويصورون المسلمين بأنهم وحوش وسفاكو دماء وأنهم يعيشون حياة تخلف وهمجية ، ويضعون قصصاً وحكايات تؤيد مايقولون ، كما أنهم يسعون إلى تسقط الأخطاء وجمع المثالب وإبرازها على أنها الصورة المعبرة عن تاريخ المسلمين ، وهذه الوسيلة كانت غالبة على الكتابات الأولى للمستشرقين الذين كتبوا عن الدين الإسلامي وعلومه وسيرة النبي ﷺ وتاريخ المسلمين ، سواء كانت مؤلفات أو مقالات في المجلات التي أنشأها المستشرقون في مختلف الدول الأوربية (هولندا ــ روسيا ــ ألمانيا ــ بريطانيا ــ فرنسا ــ أمريكا ــ إيطاليا) أو في دوائر المعارف العامة .

وقد قل استخدام هذه الوسيلة في الكتابات المأخرة لا إنصافاً للحقيقة وإنما تغييراً في الخطة لأن الوسيلة الأولى لم تعد صالحة ولا مقبولة حتى في المجتمعات الغربية .

ومن اطلع على كتب القوم وما تكتبه المجلات الصادرة عنهم ودوائر المعارف يجد ذلك واضحاً . وهذا مثل واحد من أخف الأمثلة (كارل بروكلمان) المستشرق الألماني الذي يعتبر حجة عندهم بل عند بعض الباحثين المسلمين ، ويعتبرونه من المعتدلين وقد يبالغ البعض فيعتبره من المنصفين في كتابه « تاريخ الشعوب الإسلامية » ولكن إذا قرأت في هذا الكتاب رأيت العجب العجاب ورأيت التشويه ، بل رأيت الجهل الثقيل ورأيت الكذب الصريح . يقول في (ص ٣١) : « الكعبة بناء ذو أربعة زوايا يحتضن في إحداها الحجر

الأسود ولعله أقدم وثن (١) عبد في تلك الديار ، وكانت الكعبة تضم تمثال الإله القمري هبل ، بالإضافة إلى الآلهة الثلاث المعبودة اللات والعزى ومناة » .

وقوله هذا إما جهل حقيقي وإما كذب وتزوير ولا أظنه يجهل موقع العزى واللات ومناة وهو يبحث في كتب الجغرافيا والبلدانيات الإسلامية التي تحدد مواقع تلك الأصنام .

وفي (ص ٨٥) وهو يتحدث عن مسيلمة وسجاح يقول : « ففيما كان محمد لايزال على قيد الحياة ظهر في تلك البلاد رجل اسمه (مسلمة) وقد دعاه المسلمون مسيلمة من باب التصغير الذي يقصد به التحقير ، وادعى النبوة » .

وهذه فرية ماسبقه إليها أحد ولا ضير أن ينتصر للكذاب المتنبيء لأن الكفر ملة واحدة . ومعلوم عناية العرب بعلم الأنساب وبالأسماء وكل مالدينا من كتب النسب والتراجم لاتذكره إلا باسم مسيلمة فمن أين جاء هذا الأفاك بهذا الاسم ؟ وقد جاء خبره واسمه في صحيح البخاري (٢) من قول الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينما أنا نائم رأيت في يديَّ سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إلي في المنام أن أنفخهما فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة » .

كما أن مسيلمة قد كتب إلى النبي ﷺ كتاباً يقول فيه : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله (٣) فهو أعلم باسمه من هذا المستشرق ، ثم إن الاسم سواء كان مكبراً أو مصغراً لايحكي الحقيقة ولا يحكم على الشخص من خلاله ، وإنما الحقائق والأحكام من المواقف والإيمان أو الكفر .

والحقيقة أن ماكتبه عن الرسول

١ ــ كرر وصف الحجر الأسود بأنه طقس وثني في ص ٦١ ، ٧٦ .
٢ ــ كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة ٨ / ٨٩ .
٣ ــ انظر البداية والنهاية ٥ / ٥١ ، وقال : رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال : حدثني سعد بن طارق عن سلمة بن نعيم بن مسعود عن أبيه وهذا إسناد جيد حسن .

ﷺ وتشريعات الإسلام وتاريخ الخلفاء الراشدين يمثل قمة السوء والحقد ، فقد رمى النبي ﷺ بكل نقيصة ، وقال عن الوحي أنه حالة من الصرع والهلوسة ، وقال عن وفاة النبي ﷺ أنه بسبب الحياة الزوجية الواسعة .

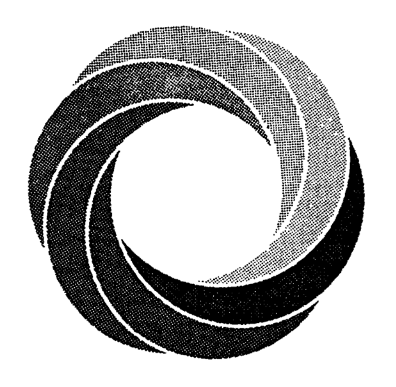
وكل الشعائر الإسلامية مقتبسة في نظره من اليهود أو النصارى أو الهنود أو الفرس ، ويدافع عن اليهود وينتصر لهم ويرى أن النبي ظلمهم ، بل ينكر أصل النبوة فيقول : نضجت في نفسه الفكرة أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة [1] . ويقول في نفس الصفحة : أعلن ماظن أنه قد سمعه كوحي من عند الله ، ويقول عن عائشة رضي الله عنها : « أرملة النبي الشابة المحبة للفتنة » [2] ، ويتبنى آراء الشيعة في القرآن وأنه محرف [3] ... إلى غير ذلك من الترهات المبنية على الكذب والافتراء .

وإن من وسائلهم أن ينقل بعضهم عن بعض ويرددون الفكرة الواحدة في مجموعة من الكتب والمقالات حتى إذا كثر القول بها ظن أنها حقيقة لاتقبل النقاش □

* يتبع *



١ ـ تاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان / ٣٦ .
٢ ـ المصدر السابق / ١١١ .
٣ ـ المصدر السابق / ١١٢ .



شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

- ☐ هل يعود ظاهر شاه لحكم أفغانستان ؟ .
- ☐ مسلمو كوسوفو في مواجهة الاضطهاد الصربي .
- ☐ السودان ودوامة التغيير .

هل يعود ظاهر شاه لحكم أفغانستان ؟

عبد الرحمن نموس

وصلنا هذا التقرير من بشاور يلقي فيه كاتبه نظرة على وضع الجهاد الأفغاني وبعض الأحداث التي تتفاعل على الساحة هناك ونحن إذ نشكر للأخ هذا الجهد الطيب كان بودنا لو انه توسع في بسط وجهة نظر قادة المجاهدين في هذه المشكلة .

- التحرير -

برزت للوجود من جديد احتمالات عودة ظاهر شاه وبقوة واضحة أكثر من أي وقت مضى ، فقبل ثلاثة أسابيع تكلم المهندس حكمتيار عن مؤامرة ثلاثية الأطراف تهدف لعودة ظاهر شاه ، والأطراف الثلاثة هم :

١ ــ ظاهر شاه نفسه .

٢ ــ بعض المتنسبين للجهاد « جماعة جيلاني » .

٣ ــ النظام الحاكم في كابل ممثلاً بمحافظ قندهار الجنرال « عبد الحق علومي » .

ولقد سألت المهندس حكمتيار عن تفاصيل الخطة فقال لي : تبدأ الخطة بأن يهاجم هؤلاء المنتسبون للجهاد مطار قندهار ولايبدي المطار إلا مقاومة ضعيفة بحيث يسقط في أيديهم وهو صالح للاستعمال . ويستمر هؤلاء في التقدم نحو مدينة قندهار بالاتفاق مع « علومي » الذي مايلبث أن يعلن استسلامه لهؤلاء ، وتكون هنالك في هذه الأثناء أيدٍ خفية توزع الأموال من أجل تحريك

الناس للقيام بمظاهرات تطالب بعودة ظاهر شاه . وفعلاً تقوم المظاهرات وتبدأ المرحلة الثانية بالتمهيد لاستقبال ظاهر شاه في مطار قندهار بشكل يشبه مجيء الخميني إلى إيران .

وعلى أثر ذلك توجه حكمتيار عن طريق مدينة « كويتا » الباكستانية إلى قندهار ليدير العمليات الجهادية بنفسه وليبذل جهده في وأد المؤامرة الخبيثة ، وبقي هناك حوالي أسبوعين يحرض المجاهدين على الجهاد وينبههم على خطورة المؤامرة المذكورة ، كما وجه خطاباً إلى المدنيين يطلب منهم فيه إخلاء المدينة حتى يتمكن المجاهدون من شن هجومهم الشامل دون المزيد من سفك الدماء .

ولكن بالرغم من كل ذلك ماتزال احتمالات عودة ظاهر شاه قائمة ولا تزال كل الأطراف تتحرك مؤيدة لهذه العودة ، وقد وصف حكمتيار الوضع أثناء عودته من قندهار بأنه خطر ، حيث وقفت عدة قوى في وجه المجاهدين سواء بشكل مباشر أو غير مباشر لتشكل عوامل مساعدة في عودة ظاهر شاه ، وتبدو هذه العوامل في شق منها داخلية ، وخارجية في الشق الآخر .

العوامل الداخلية :

١ ــ إلى الآن لم يتفق قادة الائتلاف السباعي على مستقبل البلاد وعلى من يحكم البلاد ، فبينما أغلب القادة يرون أنهم خضبوا تراب أفغانستان بدماء أكثر من مليون من أبناء شعبها لإعادة الحكم الإسلامي فيها « حكمتيار ، سياف ، خالص ، رباني » يرى قسم آخر أن هذا الهدف لايتعارض مع عودة ظاهر شاه الرجل المناسب الذي يمثل الاعتدال عندهم ، فهو رجل مسلم أفغاني وله خبرة سياسية طويلة في الحكم ، وقد عاشت البلاد في ظل حكمه فترة آمنة ورغدة « محمد نبي محمدي ، مجددي » ويميل بعضهم إلى استشارة ظاهر شاه في كل حركة وسكنة ، وقد ساعد هؤلاء في إنشاء بيت في مدينة كويتا الباكستانية القريبة من جنوب أفغانستان ، ومنطقة قندهار أسموه (بيت ظاهر شاه) ، وقد بدأ هذا البيت نشاطه كمركز إعلامي للملك ، فمنه توزع صور الملك بالزي العسكري وفيه تصنع أعلام أفغانستان التي كان معمولاً بها

في العهد الملكي « جيلاني » .

وقد تحدث السائق عبد الحي التابع لجماعة جيلاني إلى مراسل A. M. R. C عن هذا البيت قائلاً :

لقد قمنا بتوزيع منشورات من هنا تؤيد ظاهر شاه ، ويضيف المراسل : لقد حصلت على واحد من هذه المنشورات كتب بالفارسية وفيه هجوم على قادة المقاومة ، كما هاجمت منشورات أخرى من نفس المصدر حكومة المجاهدين المؤقتة إضافة إلى ذلك فقد نشط أتباع ظاهر شاه بإغراء بعض المهاجرين بالعودة إلى مناطقهم الأصلية في قندهار ، وقد رجع حوالي (١٠٠٠) عائلة حسب نفس المصدر إلى قندهار ، وأكد هذا الخبر أيضاً مصدر مسؤول في الاتحاد الإسلامي (مكتب كويتا) ، وذكر مصدر الاتحاد أن المجاهدين لا يهاجمون مناطق الدولة التي يستقر هؤلاء العائدون بالقرب منها ، وذكر تقرير إعلامي يصدر عن هيئات دبلوماسية غربية في إسلام آباد أن مابين مائة إلى مائتين عائلة أفغانية تقفل عائدة من مخيمات الهجرة في بلوشستان إلى كل من قندهار وهلمند ونيمروز في الجنوب الأفغاني .

٢ ــ بعض قادة المجاهدين فوجئوا بنتائج الانتخابات التي حصلت ضمن مجلس الشورى بمَدينة الحجاج في إسلام آباد من أجل اختيار حكومة المجاهدين المؤقتة ، إذ جاءت الأحزاب الأكبر حجماً والأكثر قوة في مراتب متأخرة بالترتيب بنتيجة هذه الانتخابات الأمر الذي جعل هذه الأحزاب تعدل رأيها حول موضوع إجراء الانتخابات العامة وتنتقل من موقف المعارض لها إلى موقف المطالب بها وبإلحاح ، وبدأت مثل هذه الأحزاب بالسعي مسبقاً لكسب تأييد شعبي وسياسي يضمن لها النجاح مستقبلاً مما اضطرها إلى إعطاء وعود جعلت جهات أخرى تطمع في المزيد من الامتيازات أو المكاسب من الحكومة .

٣ ــ لقد اعتمد التحالف الثماني الشيعي المقيم في إيران على المكاسب المادية فقط في تقديره للمواقف وتقييمه للمستقبل السياسي للبلاد ، فقد رفض هذا الائتلاف مشاركة حكومة المجاهدين المؤقتة في أي وزارة كما رفض الاشتراك في مجلس الشورى الذي اختار هذه

الحكومة . وعلق أي تقارب بينه وبين ائتلاف الأحزاب السبعة والحكومة المؤقتة على تطبيق ماوعد به مجددي بصفة شخصية لهذا الائتلاف أثناء زيارته لطهران في أواخر يناير وأوائل فبراير ١٩٨٩ م . وكان وعد مجددي بإعطاء الائتلاف ١٠٠ مقعد في مجلس الشورى ، وسبع وزارات وهي نسبة تساوي حوالي ٢٠٪ من كامل نصاب مجلس الشورى ، و ٢٥٪ من كامل نصاب الحكومة . علماً أن نسبة الشيعة إلى مجموع سكان أفغانستان لا تتعدى ٨٪ ورغم تعدد المحاولات وتكرار جلسات المفاوضات بين ممثلين عن الائتلافين إلى أن أي تقدم لم يحصل حيث لم يرض الائتلاف الثماني بكل المقترحات التي عرضت عليه . وأصر على حقه بمائة مقعد وسبع وزارات ثلاث منها وزارات هامة ، في هذه الأثناء كانت هنالك محادثات سرية تدور بين ممثلين عن التحالف الثماني وبين سلطات نظام كابل وقد وردت تقارير تفيد أن نجيب الله رئيس نظام كابل وعد الشيعة بإعطائهم الحكم الذاتي في مناطقهم وأهمها منطقة « هزاراجات » كما وعد بتعيين كريم خليلي الناطق الرسمي باسم الائتلاف الشيعي في حينه رئيساً للوزراء ، وعندما سئل حكمتيار عن المفاوضات بين الشيعة والنظام أجاب : وصلتنا تقارير بهذا الخصوص ولكننا نفضل الانتظار .

كما أن عبد الحق (أحد القادة العسكريين التابع لحزب يونس خالص في منطقة كابل) أصدر بياناً أكد فيه حصول مثل هذه المفاوضات بين نظام كابل وممثلين عن الشيعة برئاسة كريم خليلي .

ولما لم يحقق هذا التحالف مايصبو إليه من مكاسب رفض الاعتراف بحكومة المجاهدين واعتبرها لاتمثل كافة المجاهدين وبالتالي لايمكن اعتبارها حكومة شرعية من وجهة نظره .

٤ ـــ بعض القادة في الداخل لهم تحفظات حول هذه الحكومة ، فقد أعلن أحمد شاه مسعود (قائد قوات الجمعية الإسلامية التابعة للأستاذ رباني في بانشير والشمال) للتلفزيون البريطاني أن الأسس التي قامت عليها هذه الحكومة لا تمثل العدل ، إذ كيف تتساوى الأحزاب الصغيرة

والأحزاب الكبيرة بنفس عدد الأصوات حيث تم تعيين ستين عضواً عن كل حزب من الأحزاب السبعة ، ويعلق أحمد شاه مسعود : ولكن رغم ذلك سنطيع هذه الحكومة ونساعدها ريثما تنتهي مدتها وتبدأ الانتخابات العامة لاختيار حكومة أفغانستان .

كما سمعت من بعض المصادر المسئولة هنا أن بعض القادة الصغار في الجبهات بدأوا يفكرون بترك أحزابهم والانضمام للأحزاب المؤيدة لعودة ظاهر شاه ، وفي الغالب أن اثنين من هؤلاء نفذوا مافكروا به .

ثانياً : العوامل الخارجية :

بالإضافة إلى العوامل الداخلية التي ذكرت هنالك عوامل خارجية تساعد على عودة ظاهر شاه ، ومنها :

١ ــ ظاهر شاه نفسه : حيث يرى هو ومن معه أن حكومة المجاهدين الحالية لاتمثل كافة قطاعات الشعب ، ولم يتم تأسيسها على قاعدة واسعة ، ويدعو إلى ضرورة عقد لوياجركا في البلاد لاختيار حكومة المستقبل وتقرير مصير البلاد ، وهو موقف مضاد لموقف قادة المجاهدين اللذين يرون أن اللوياجركا « المجلس القومي الكبير » تقليد بالٍ مضى وقته وانتهى عهده أمام النهضة الثقافية الإسلامية والحضارية .

كما دعا أحد كبار مؤيدي ظاهر شاه ، وهو المدعو دكتور يوسف (رئيس الوزراء في عهد ظاهر شاه) في موضوع كتبه لإذاعة لندن باللغة الفارسية ضمن برنامج متسلسل تعده الإذاعة عن مستقبل أفغانستان إلى عقد هذه اللوياجركا كحل أمثل للقضية الأفغانية ، ولوضع حد لما وصفه بالاقتتال بين الأهل بعد انسحاب القوات الروسية .

ورغم عدم أهمية موقف ظاهر شاه ومن معه إذ لم يشاركوا في يوم من الأيام في هذا الجهاد حتى يكون لهم القسط الأوفى من قطف ثماره إلا أن الجهات الدولية تعول على هذا الموقف وترى ضرورة اعترافه بالحكومة حتى تكون محل اعترافهم هم .

فقد أوضحت باكستان ضرورة إشراك الائتلاف الثماني الشيعي

وظاهر شاه في حكومة المجاهدين حتى تكون محل اعترافها . وهذا الموقف ينسحب على دول أخرى في المنطقة .

٢ ــ موقف حكومة نجيب :

ترى إدارة النظام الحاكم في كابل أنها آيلةٌ إلى السقوط لا محالة بغض النظر عن طبيعة وماهية النظام المستقبلي القادم ، لذا فهي تسعى إلى أن يكون لها نصيب في هذه الحكومة المستقبلية ، وبما أن المجاهدين قد أعلنوا رفضهم وبشكل قاطع لمشاركة الشيوعيين في الحكم فكان لابد لهؤلاء أن يسعوا لتسليم السلطة إلى أي قادم يضمن لهم المشاركة ، وهذا الأمر متحقق بقدوم ظاهر شاه الذي لايرى مانعاً من تشكيل حكومة واسعة تشارك فيها كل الأنشطة السياسية في البلاد لذا أعلن نجيب الله عن افتتاحه جلسة « اللوياجركا » التي انعقدت خلال يومي ٢٠ ، ٢١ / ٥ / ١٩٨٩ م أن حكومته تبذل ماتستطيع من جهد لعودة ظاهر شاه إلى أفغانستان ووصفه بأنه رجل المرحلة ، وأشار نجيب أيضاً إلى أنه لابد لحزب الشعب الديمقراطي من ان يشارك في اي حكم مستقبلي .

وكرر هذه الإشارة في معرض رده على بيان بوش وبوتو بعد زيارة الأخيرة لأمريكا والذي طالبا فيه بتنحي حكومة نجيب عن الحكم .

وتأكيداً لمساعي نظام كابل في العمل على عودة ظاهر شاه تم تكليف الجنرال « عبد الحق علومي » محافظ قندهار بلعب دور مهم في هذه المسألة ، وبدأ الأخير فعلاً تحركه في هذا المجال ، فقد كان دوره في المؤامرة المذكورة ــ كما ذكرنا ــ أن ينضم بسرعة للقوات المنتسبة إلى المجاهدين ويدفع زبانيته لتحريك الناس بالتظاهر مطالبة بعودة ظاهر شاه ، كما بدأ علومي يوظف مخابراته بدفع الأموال للمهاجرين واستقدامهم إلى قندهار والمحافظات الجنوبية القريبة منها ليكونوا درعاً من أي هجمات متوقعة لإفشال المؤامرة ، وأداة في التظاهر لعودة الملك المخلوع ، وعمل نوعاً من المصالحة عندما سمح لبعض أدعياء الجهاد بالنزول إلى المدينة وزيارة من يشاؤون والتحرك بمنتهى الحرية شريطة عدم حمل السلاح ، ومازال عليه أتباعه [illegible] التآمر خصوصاً في مجال استقدام

أكبر عدد من المهاجرين إلى داخل أفغانستان .

٣ ـــ موقف باكستان :

بدأت باكستان تميل منذ بداية عهدها الجديد « مابعد ضياء الحق » نحو حل سياسي يرضي أكثر من طرف ، وقد تجلى هذا في العديد من النقاط البارزة في السياسة الباكستانية تجاه القضية الأفغانية .

وأول هذه النقاط تخفيف الدعم عن المجاهدين بنسبة كبيرة ، وقد ذكر بعض القادة أن الدعم الحالي يساوي خمس الدعم الذي كان المجاهدون يتلقونه سابقاً ، وذكر قسم آخر له علاقات أقوى مع الباكستان أن الدعم انخفض إلى الثلث .

كما عمدت الحكومة الجديدة إلى إقالة حميد غول رئيس المخابرات الباكستانية الذي يمثل التيار الأكثر تأييداً ودعماً للمجاهدين ، ووافقت على وجود نقاط مراقبة تابعة لهيئة الأمم المتحدة على حدودها مع أفغانستان بينما لم تطالب بمثل هذه [illegible] نعيه [illegible] الروسية .

وترى الإدارة الباكستانية نفس رؤية الغرب بأن حكومة المجاهدين الحالية لاتمثل كل فئات الشعب ، ولابد أن تكون الحكومة مبنية على قاعدة واسعة ، وقد ذكر غلام إسحق ضرورة إشراك الائتلاف الثماني الشيعي وضرورة إشراك المستقلين في أوربا « ظاهر شاه » حتى يمكن الاعتراف بهذه الحكومة .

كما توقف وزير الخارجية الباكستانية صاحب زادة يعقوب خان في روما أثناء رحلته إلى أمريكا وقابل ظاهر شاه وناقش معه بعض المسائل المتعلقة بالقضية الأفغانية ، كما قابل قبيل سفره بعض الزعماء الأفغان المؤيدين لعودة ظاهر شاه في مدينة كويتا الباكستانية .

وأخيراً صرحت بناظير بوتو في أمريكا أنها تريد تسوية سياسية في أفغانستان حتى يستطيع ٣٫٦ مليون مهاجر أفغاني في باكستان أن يعودوا إلى بلادهم ، ونقلت مجلة النيوزويك الصادرة بتاريخ ٤ / ٦ عن بوتو قولها : أنها لاترغب في حكومة أفغانية يتحكم فيها الأصوليون ، و[illegible] إلى مناوضات لايجاد حكومة موسعة ، ونفت نفس [illegible] عن

صاحب زادة يعقوب خان قوله : إن الحل العسكري غير مرغوب فيه ، وإن على الأمم المتحدة أن تساعد في إنجاز انتقال سلمي للسلطة .

٤ ــ الموقف الأمريكي :

لم تكن سياسة أمريكا في يوم من الأيام لصالح قضية إسلامية مهما صغرت أو كبرت حتى تقف لصالح الجهاد الأفغاني الذي يمكن أن يؤدي إلى قيام دولة إسلامية ــ بإذن الله ــ لكن هذه السياسة هي اليوم أشد وضوحاً في الوقوف ضد الخيار الإسلامي ، فموظفوا الإدارة الأمريكية يرون وجوب تعديل سياستهم تجاه القضية الأفغانية وانتهاج خطة جديدة تتمحور حول كيفية إيصال نظام غربي يسمونه « بالاعتدال » إلى السلطة وبطريق سياسي لا عسكري . [النيوزويك ٤ / ٦ .

كما أن الرئيس الأمريكي الذي أعلن عن اتفاقه في وجهات النظر مع السياسة الباكستانية تجاه حل سياسي للقضية الأفغانية قال في مؤتمره الصحفي الذي عقده مع بناظير بوتو : إن قضية أفغانستان لم تنته بعد ، ولقد تحدثنا أنا ورئيسة الوزراء الباكستانية عن طرق وأساليب تشكيل برلمان أفغاني غير منحاز لإحياء الأمن وتغيير الحكومة غير الشرعية في أفغانستان ، كما أكد همايون خان وكيل الخارجية الباكستانية وحدة المواقف الأمريكية الباكستانية عندما أجرى راديو صوت أمريكا بالفارسية حواراً معه فقال : إن الولايات المتحدة والباكستان تحملان نفس المواقف منذ البداية بخصوص مشكلة أفغانستان ، وتتفقان على حل سياسي لها ...

إضافة إلى ذلك فإن موقف الإعلام الأمريكي يعكس حقيقة الوضع في واشنطن ، فصحيفة النيويورك تايمز الصادرة بتاريخ ٢٢ / ٥ / ١٩٨٩ ترى أن مواصلة الدعم للمجاهدين عبارة عن مجازفة كبيرة خصوصاً بعد الانسحاب السوفييتي ، وترى الصحيفة أن الأحزاب الأقوى التي يقودها من وصفتهم بالأصوليين يملكون أهدافاً على النقيض تماماً من أهداف أمريكا ، كما دعت النيوزويك إلى وقف الدعم عمّن وصفتهم بالثوار لأن الدعم الأمريكي حقق حسب الصحيفة الانتصار بجعل

القوات الروسية تنسحب من أفغانستان ، أما الآن فإن هذا الدعم لا مبرر له وقد ينقلب ضد مصلحة أمريكا .

٥ ــ موقف هيئة الأمم المتحدة :

بدأت هيئة الأمم المتحدة بزيادة نشاطها من جديد فيما يخص القضية الأفغانية ، فبعد فشل كوردوفيز في حل القضية ووضوح عدائه للمجاهدين هدأت الأمور فترة ثم عادت لتبدو بشكل اقتراحات عجيبة من قبل هيئة الأمم المتحدة .

فبعض أركان هذه الهيئة يدعو إلى عقد مؤتمر دولي لبحث مستقبل أفغانستان ، ولقد كان الأولى أن تتم الدعوة لمثل هذا المؤتمر أيام تواجد القوات الروسية في أفغانستان لبحث مسألة احتلال هذه القوات لأرض الغير بشكل غير شرعي ، أما اليوم فالمسألة غدت مسألة داخلية بين حكومة غير شرعية جاءت على ظهر الدبابة الروسية لتحكم البلد ، وبين مجاهدين معهم الملايين من الشعب المهاجر من جراء القمع الوحشي الذي يمارسه العملاء في داخل البلاد ، وهؤلاء المجاهدون يطالبون وبحق تنحي الحكومة الشيوعية وقيام حكومة إسلامية تفي بمتطلبات شعب مسلم هاجر من أجل دينه ومعتقده .

كما حاول ديكويلار ومن خلفه صدر الدين الآغا خاني مبعوث هيئة الأمم المتحدة لشؤون المهاجرين سحب ورقة المهاجرين من أيدي المجاهدين باقتراح إنشاء أماكن محايدة في أفغانستان يتم ترحيل المهاجرين إليها ، وتشرف هيئة الأمم المتحدة على أمورهم المعيشية فيها .

وقد رفض المجاهدون هذا الاقتراح الذي أيدته باكستان لأنه لايمثل حلاً حقيقياً لمشكلة خمسة ملايين وثمانمائة ألف مهاجر يعيشون في باكستان وإيران ، ولأن المهاجرين لا يأمنون غدر الحكومة بقصف هؤلاء المهاجرين .

وأمام هذه العوامل فإنه من الواضح أن الأعداء يتكالبون على هذا الجهاد من كل حدب وصوب يريدون له أن يكون قتالاً ضد روسيا ، ويريدون له أن يكون حرباً وطنية لطرد محتل ثم لطرد عملاء هذا المحتل ، ويريدون له أن يكون كل شيء إلا أن يكون جهاداً إسلامياً ضد إحدى أكبر قوى الطاغوت في الأرض وعمل على رفع الراية الإسلامية وحرص عليها بكل إمكاناته .

إن استمرار الجهاد هو الذي يحبط هذه المؤامرات والهدف الأول والأخير هو مرضاة الله سبحانه على كل الأحوال فإذا أخلصت النوايا وصدقنا التوجه وتسلحنا بمزيد من الصبر وتلاحم الصفوف فإن الله سبحانه وتعالى وعد ﴿ ولينصرن الله من ينصره ﴾ والحمد لله رب العالمين □

مسلمو كوسوفو في مواجهة الاضطهاد الصربي

حسن علي أحمد

يشكل الصرب أكبر مجموعة عرقية في يوغسلافيا والتي تتكون من أكثر من عشر قوميات ، عانت يوغسلافيا ولاتزال بسبب الاختلاف بينها كثيراً من الويلات والقلاقل .

وأحداث مقاطعة كوسوفو خلال الشهور الماضية ليست إلا حلقة في تلك السلسلة الطويلة من الصراعات التي نشأت بين الصرب القوميين والمسلمين منذ قيام دولة يوغسلافيا بعد الحرب العالمية الأولى ، غير أنها تفاقمت واشتدت بعد وفاة تيتو عام ١٩٨٠ م ، وكان العامل الأول والرئيس في الحفاظ على وحدة يوغسلافيا رغم كل الفروق بين الجمهوريات الستة في القومية وفي فهم وتطبيق الاشتراكية .

ويتكون الاتحاد الفيدرالي في يوغسلافيا من ست جمهوريات ومنطقتين هما : مقاطعة كوسوفو ، ومقاطعة فويفودينا اللتان تتبعان جمهورية صربيا إدارياً ولكنهما تتمتعان بالحكم المحلي الذي زادت قوته بعد تعديل الدستور عام ١٩٧٤ م والذي بمقتضاه أصبحت مقاطعة كوسوفو ــ عملياً ــ كأنها جمهورية مستقلة .

بروز القومية الصربية :

لكن الصرب الذين يطمعون في السيطرة على كل يوغسلافيا ، وإعادة مملكتهم القديمة [1] أرادوا اتخاذ خطوات عملية في تحقيق ذلك بعد

١ ــ تمكن الصرب خلال تاريخهم الطويل من إقامة دولة لهم خلال القرن الثاني عشر ، كانت كوسوفو عاصمة لها ، غير أن ذلك لم يكن ليستمر طويلاً إذ تمكن الأتراك العثمانيون من قهرهم والقضاء على مملكتهم عام ١٣٨٩ م بعد معركة كوسوفو الشهيرة ، لتبقى كذلك خمسة قرون آتية . وانسحب الأتراك منها عام ١٩١٢ بعد خسارتهم في معارك البلقان .

ثمانية أعوام من الدعوة الصربية والعلنية إلى القومية الصربية وتفوقها العرقي ، وكانت البداية في مقاطعة فويفودينا حيث تمكنوا (وهم فيها أغلبية) بمظاهرة كبيرة شارك فيها أكثر من مائة ألف صربي من إسقاط جميع أعضاء المكتب السياسي الحاكم في المقاطعة ، ووضع صرب قوميين بدلاً منهم .

أما في كوسوفو ذات الأغلبية المسلمة (يشكلون حوالي ٩٠٪ من عدد السكان وهم من أصل ألباني) والذين أثبتوا أنهم لن يتنازلوا عن حقهم وأنهم سيضحون في سبيله بأموالهم في مظاهرات ١٩٨١ م والتي راح ضحيتها أكثر من ٢٠٠ مسلم ، فإن الحال قد اختلف كثيراً . وتقول مجلة التايم في عددها الصادر يوم ١٩ سبتمبر ١٩٨٨ م :

« اجتمع أكثر من سبعين ألف من الصرب في سميدريفر (بالقرب من بلغراد) في مظاهرة كبيرة للضغط على الحكومة المركزية ومطالبتها باتخاذ إجراءات فعلية وضم المنطقة » .

هذا ويعمل الإعلام الصربي على اختلاق الأعذار والأسباب لتهيئة الرأي العام اليوغسلافي لقبول هذا الاحتلال للمقاطعة ، فتنقل المجلة في نفس العدد عن راديو مير سمليانتش الكاتب الصربي المعروف اتهامه لسكان كوسوفو بالاعتداء على نساء وأطفال الصرب في المقاطعة ، وتمضي المجلة قائلة : « إن المسؤولين في كوسوفو نفوا أن يكون هذا قد حدث ، وأن غير الصرب في الجمهوريات الخمس الأخرى يتفقون على أن هذه الأخبار من الدعاية الصربية المغرضة .

وفي شهر سبتمبر ١٩٨٨ م رفضت قيادة الجمهورية الصربية برئاسة سلوبودان ميلو شفتش طلباً من الحكومة المركزية الفيدرالية بإيقاف المظاهرات والاحتجاجات ، ثم أعلنت عن إرسال قوة من البوليس الصربي إلى العاصمة برشتينا لمساعدة القوات الحكومية في الحفاظ على أرواح وممتلكات الصرب أمام اعتداءات المسلمين عليهم كما تدعي . ونقلت مجلة النيوز ويك (١٦ أكتوبر ١٩٨٨) تعليقاً على هذه الأحداث لمدير إذاعة جمهورية سلوفينيا المرئية يقول فيه : « لا أحد يقولها بصوت عال ، ولكن الجميع

قلق ويخشى أن تقود الأزمة الحالية لحرب أهلية » .

الاستيلاء على كوسوفو :

وفي وسط الحملة الإعلامية العارمة التي تؤكد على حق الصرب القديم في مقاطعة كوسوفو ، وعلى أن المسلمين فيها قوميون متعصبون يسعون للانضمام إلى ألبانيا ــ عدوة يوغسلافيا التقليدية ــ وعلى أنه لابد للصرب من الدفاع عن مواطنيهم والحفاظ على وحدة البلاد ، وأن ذلك لن يتأتى إلا بحرمان المقاطعة من الحكم الذاتي ، وإلحاقها نهائياً بالجمهورية الصربية ، اتخـذت السلطات الصربية في بلغراد المزيد من الاجراءات العملية للاستيلاء على كوسوفو ، فأزالت رئيس الحزب الشيوعي عظيم فيلاسي في ٢٧ نوفمبر ١٩٨٨ بعد أن اتهمته بالتعاون مع الانفصاليين ، وجعلت ثلاثة من أكبر الموالين لها في قيادة الحزب بدلاً عنه ، وبرغم أن قوات البوليس تمكنت من إيقاف عشرات الآلاف من المتظاهرين ، وفك الاعتصام الذي قام به بضعة آلاف من عمال المناجم في مدينة « تريبكا » في ٢١ فبراير الماضي ، وساد الهدوء المقاطعة لبعض الوقت ، إلا أن الموقف قد انفجر مرة أخرى بعد أن تمكن الصرب بقيادة ميلوشفتش من إقناع الحكومة الفيدراليـة بضم المقاطعة لهم وأعلن ذلك في يوم ٢٨ مارس ، ولا تزال المقاطعة ــ بعد ثلاثة أشهر ــ تموج بموجات من الاحتجاج وعدم الرضى ، في حين تصاعدت إجراءات القمع الحكومي بتدخل الجيش وإعلان حالة الطوارىء وحظر التجول الذي لم يتوقف حتى الآن .

وتفيد التقارير التي نقلتها وكالات الأنباء العالمية أن عدد القتلى قد جاوز (١٥٠) قتيلاً ، والمعتقلين بضعة آلاف ، في حين تقوم أجهزة الأمن الحكومية ومعظمها من الصرب بحملات تفتيش واسعة للمنازل لإرهاب الأهالي وزرع مزيد من الرعب .

أما في جمهورية صربيا فتجري الآن استعدادات هائلة للاحتفال بالذكرى المئوية السادسة لمعركة كوسوفو الشهيرة عام ١٣٨٩ م [١] ويتوقع أن يشارك أكثر من مليوني صربي (عددهم الاجمالي حوالي ٩

---

١ ــ حصل هذا الاحتفال فعلاً في عرض من التحدي والتهجم والتعاون بين الكنيسة الأرثوذكسية والشيوعيين الصرب القوميين المتعصبين ، تحت سمع العالم وبصره .

ملايين) في هذا الاحتفال ، وحول هذا الحدث نقلت وكالات الأنباء العالمية تصريحاً لترايكو فيتش زعيم الحزب الشيوعي هناك يقول فيه : « مع أن هذه المناسبة تحمل في طياتها ذكرى هزيمة الصرب أمام القوات العثمانية ، إلا أن الصرب يحتفلون اليوم لأنهم استطاعوا البقاء على قيد الحياة رغم قرون متعاقبة من السيطرة التركية ! » ومعروف أن الصرب لم يكونوا يحتفلون بهذه المناسبة من قبل ولكنها نكاية بمسلمي كوسوفو ، وتأكيد لسيادتهم على المقاطعة .

الإسلاميون في المواجهة :

وليست هذه التصرفات بمستغربة من الصرب الذين أعماهم تعصبهم لقوميتهم واعتقادهم بتفوقهم العرقي على من حولهم من القوميات الأخرى ، وهم إضافة لهذا من المسيحيين الأرثوذكس الذين يتأجج في صدورهم حقد دفين على الإسلام يدفعهم للثأر التاريخي من المسلمين ، والسعي للسيطرة عليهم وإعادة مملكتهم التي قضى عليها المسلمون مع نهاية القرن الرابع عشر .

ولذلك فقد سارعت صحيفة بوربا (الكفاح) الرسمية في بلغراد بنشر كتاب الضليل رشدي « آيات شيطانية » في حلقات مسلسلة حال صدوره في بريطانيا ، ولقد سعى الاشتراكيون اليوغسلاف ولأكثر من أربعين سنة متتالية لطمس شخصية المسلمين واقتلاع عقيدتهم وبث الظلمة في آفاقها ، وسخروا لذلك كل مايملكون من وسائل مادية ومعنوية ، وكان لهذه المحاولات — للأسف — أثر بالغ في إنشاء الجهل بالإسلام وحرمان أهله من إقامة شعائره التعبدية ، ولقد تضاعفت مثلاً عضوية الحزب الشيوعي في كسوفو من المسلمين مابين عامي ١٩٧٠ ، ١٩٨٢ م [١] . كما أن قيادة الحزب كانت دائماً بأيدي المسلمين .

وبرغم هذا كله فإن أحداث العامين الماضيين في كوسوفو وفي

١ — راجع : BURG, Steren.I.,(New Data on the league of communist of Yugoslavia), SLAVIC AEVIEW, Fall/winter, 1987, P 563 - 577 .

جمهورية بوسنيا وأحداث الأشهر الماضية تؤكد أن الإسلام هناك لم يمت وأن الوعي الإسلامي له أثره ، وكان ليوغسلافيا نصيب فيه رغم طول الوأد وطول الليل المضروبين على المسلمين فيها .

لقد شهدت السنوات الأخيرة في يوغسلافيا بناء العشرات من المساجد وبعض مدارس القرآن ، مع عودة كثير من المسلمين الذين عاشوا خارج البلاد ورجعوا وفي نفوسهم تصميم وعزم على تغيير أحوالهم والعمل من أجل المسلمين هناك .

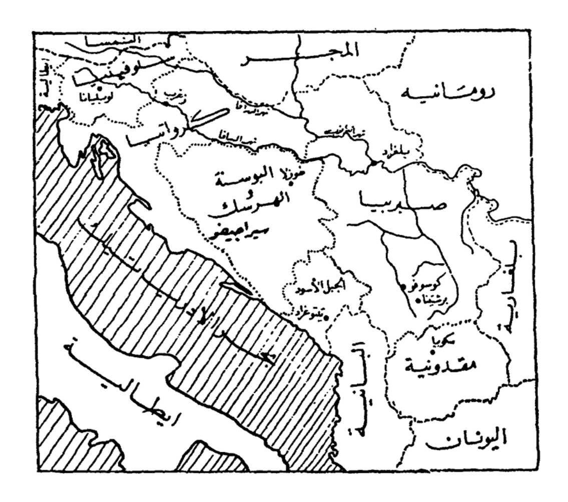
وفي سراجيفو تصدر اليوم صحيفة بريبورو (التجديد) الإسلامية التي يزداد توزيعها يوماً بعد آخر ، وهي وإن كانت لاتؤدي الدور المؤمل لها كاملاً في الظروف الحالية إلا أنها قامت بدور فعال وكبير في بعث الإسلام ، وربط المسلمين ببعضهم وتبني مجموعة من قضاياهم المهمة ، وهاهي تعلن على صفحاتها ــ بعد الأحداث الأخيرة ــ أن (٥٠٠) من أئمة المساجد في بوسنيا وجهوا إليها رسالة يطالبونها فيها بالدفاع عن المسلمين في كوسوفو ، وبأن يكون بعدها أكثر ريادة من قبل . كما قام هؤلاء الأئمة وعلى رأسهم الدكتور صالح كولا كفتش من مسجد الموستار في بوسنيا والشيخ سعيد سمايبك مفتى الهرسك بنقد كثير من أساليب الحكومة وسياستها في التعامل مع المسلمين .

والأهم من هذا هو مفاصلتهم للعلماء ، والأئمة المعينين من قبل السلطة ، حيث تمكنوا من إسقاط فرحات سينا من رئاسة المجلس الاستشاري الأعلى لبوسنيا ــ كرواتيا وسلوفينيا كما أنهم لا يزلون يطالبون باستقالة رئيس العلماء في يوغسلافيا حسين مويبك .

وهذه أول مرة يتحرك المسلمون فيها مجتمعين تحت قيادة واحدة معلنة ولا يزال الطريق أمامهم .

وكلمة أخيرة لابد لنا منها حيث الأحداث الدامية الأخيرة بدأت منذ شهور ولم تنته ، الأحكام العرفية

في كوسوفو لاتزال قائمة والاعتقالات مستمرة ضد المسلمين فيها ومع ذلك فلم تحرك الدول الإسلامية والعربية ساكناً ، ولم يجرؤ أحد على المساس بعلاقاته مع أحد أركان عدم الانحياز . إن العلاقات تتوتر وتقطع من أجل قضايا أقل أهمية من هذه الأحداث ولنا في علاقة الدول العربية مع بعضها البعض على هذا خير شاهد إن الإعلام العربي الذي عودنا على الاهتمام بأخبار وأحوال كل مناضلي العالم الثالث ، بل ويحرص على ترجمة ونقل أدبياته كلها مع الإشادة بها لم نعرف منه حيال مثل قضايا المسلمين هذه إلا الصمت ... ولا يزال ! □



السودان ودوامة التغيير

هل كتب على السودان وأمثاله من دول العالم الإسلامي أن يعيش أبداً في حالة ترقب وتغيير فلا يهدأ له بال ولا يستقر على حال ، متى تنتهي هذه الدورة بين المدنيين والعسكريين فلا العسكريون بتكوينهم وعقليتهم التي تربوا عليها استطاعوا تأمين الاستقرار والعيش الكريم ولا المدنيون بضعفهم وهشاشة ديمقراطيتهم التي يزاولونها استطاعوا عمل شيء كبير أو الوقوف في وجه المؤامرات التي يتعرض لها بلد ذو أغلبية إسلامية عربية ، وله عمق في داخل أفريقيا .

إن ممارسة هؤلاء السياسيين أقرب إلى البهلوانية السياسية (بوليتيكا) من ممارسة السياسة بمعناها الحقيقي ، أنهم يدعون الديمقراطية ولكنهم يمارسون الدكتاتورية بشكل مقنع ، فالحزب الكبير يريد ابتلاع الأحزاب الأخرى ، وبين هؤلاء المتلاعبين (الفاشلين) وبين العسكريين يستشري الفساد وتذهب الطاقات ، وتمزق الأوطان ، هذا إذا فرضنا في الطرفين الإخلاص الوطني على الأقل ، فكيف والأهواء ومطامع الدول الأخرى هي التي تتحكم .

أين دور العلماء والدعاة في تربية الشعب والاتصال به ، وتكتيل الجماهير المسلمة على ألا تخضع لهذه المؤامرات ولا تركن إلى هذا الضعف وهذا التمزيق .

إن تجمع الدعاة والعلماء وأصحاب التوجه الإسلامي أولى من تجمع بعضهم مع الأحزاب العلمانية التي تمارس اللعب على الحبال وتظهر لنفسها في كل مرة وجهاً جديداً .

ليس هناك أمل لهذه الأمة إذا كان علماؤها ومفكروها لايستطيعون قيادتها ، ويجب أن لايترك السودان ذو الوجه الإسلامي العربي يتحكم به أمثال قرنق ومن وراءه،والمسلمون هم المسؤولون □

الثقة بالنّفس

عبد الله حماد الجهني

إن من أهم مانفتقده في مجتمعاتنا اليوم الثقة بالنفس ، ذلك الإحساس الذي متى ماتلبس به الإنسان أحس أنه قادر على أي عمل يمكن عمله بإتقان . تلك الشعلة التي تضيء لحاملها الطريق لكي يتقدم على بصيرة ، ولا أقصد فيه ذلك الإحساس الذي يرتفع حتى يلامس الغرور ، ولا الذي ينخفض حتى يلاصق الخمول .

والناظر في مجتمعاتنا اليوم لايكاد يرى تلك الشعلة سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات ، ولقد حاول أعداء المسلمين وأذنابهم في القديم والحديث زعزعة ونزع هذه الثقة بتتالي الضربات والنكبات ، فلقد هزمنا كثيراً حتى فقدنا الثقة في النصر وأصبحت الهزيمة شيء عادي .

فإذا كانت الثقة في النفس هي المفتاح للنجاح والنصر ، فكيف ننجح وننتصر إذ لم تكن هذه الثقة موجودة .

الأسباب المؤدية للثقة بالنفس :

وتزرع الثقة أول ماتزرع في الصغر ولا يمنع أن يكتسبها الإنسان في الكبر وذلك بالرياضة النفسية .

وأهم محرك للثقة بالنفس هو التشجيع ، ويتضح هذا من خلال عرض قصتين وقعتا في غزوة خيبر في

آخر حصن من حضونها المسمى (الوطيح) .

أما الأولى فمع الزبير بن العوام حين قال ياسر اليهودي أخو مرحب وكان رجلاً قوياً : من يبارز ؟.
فقال الزبير بن العوام : أنا لك .
فقالت أمه صفية : يارسول الله يقتل ابني !
فقال لها عليه السلام : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فالتقيا فما هي إلا لحظة حتى سقط رأس اليهودي .

فانظر إلى الكلمات المشجعة من النبي ﷺ ماذا عملت . لقد عملت الكلمات في نفس الزبير أقوى مما عمله السيف بجسم اليهودي .

أما الموقف الثاني فمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فبعد تلك المبارزة اقتتل الناس ، وكانت الراية عند أبي بكر رضي الله عنه وشعارهم يومئذ : يامنصور أمت أمت ، فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع فأخذها عمر رضي الله عنه ، فقاتل قتالاً شديداً هو أشد من الأول ثم رجع ، فقال ﷺ : أما والله لأعطينها غداً رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فدعا علياً رضي الله وهو أرمد فتفل في عينيه ثم أعطاه الراية .

فخرج علي يهرول حتى ركز الراية تحت الحصن ، وبعد قتال شديد هو أشد من الأول تمكن علي من فتح ذلك الحصن بإذن الله .

وكيف لايفعل علي هذا وقد أخبره الرسول عليه السلام بما يصبو إليه من حب الله ورسوله وفوق هذا كله حب الله وحب رسوله له .

إنها كلمات تبعث في النفس الحماس والثقة ، فما أحوجنا اليوم أن نطلق مثل هذه الكلمات المشجعة التي تنطلق من أفواهنا لتلامس قلوب ونفوس الآخرين .

أسباب عدم الثقة بالنفس :

وأهم مايفقد الثقة بالنفس وخصوصاً عند الأطفال : الإسراف في نقد الأخطاء . والنقد الجيد كالدواء القوي يصلح الأجسام القوية ، ويهلك الأجسام الضعيفة ، فالنقد يزيد الشخص الواثق من نفسه فهماً وإدراكاً ، وأما الآخر فيهلكه وليس معنى ذلك أننا لانتقد أحداً بل هناك تفصيل :

أولاً : من نتقدهم مواجهة وهم

الراسخون الذين لاينقصهم النقد بل يزيدهم .

ثانياً : من ينتقد ولكن بطريقة غير مباشرة وهم من عرض نفسه للنقد .

ثالثاً : من لاينتقد بل يوجه ويشجع .

وقد اتضح من بحث دقيق أن الأطفال المنبسطين يضاعفون جهدهم عقب النقد في حين أن المنطوين يضطرب انتاجهم عقب النقد واللوم ، كما ظهر أيضاً أن بطيء التعلم يحفزه الثناء أكثر من النقد ، في حين أن النقد واللوم أجدى للموهوبين .

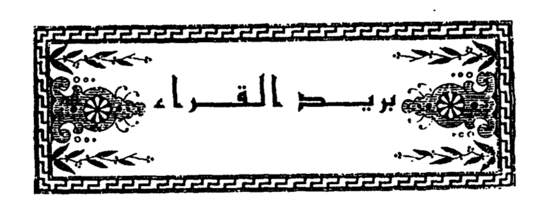
وأيضاً من الأشياء التي تعوق الثقة بالنفس : السخرية مما يديه الشخص من آراء وكبحه حين يختلف رأيه عن آرائنا ، فسرعان مايتعلم أن أفكاره تسبب له المتاعب ويرى من الخير أن ينقاد ويسكت ، والتناسب طردي بين الثقة في النفس والنتيجة .

هذا على مستوى الجماعات ، أما على مستوى الأفراد ، فعدم الثقة بالنفس نتج عنه الخوف من الخطأ ، والتردد وهذا بطبعه أدى إلى الجمود وإلى التقليد ، لأنه يرى أن التقليد أسهل عليه ، التقليد في الأفكار والتقليد في السلوك والتقليد في الشخصية .

فتراه يلغي عقله ويمشي وراء من يقلده مغمض العينين مقلداً لهم في الخطأ والصواب ، في الأقوال والأفعال ، لا يخالفهم لأنه يعتقد أنه دائم على الخطأ وهم على الصواب ، بينما نجد أن كبار المفكرين والمجددين كانوا يتميزون عن غيرهم بالثقة بالنفس .

فما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه الثقة مثل ثقة سماك بن خرشة أبو دجانة حين قال المصطفى : (من يأخذ هذا السيف بحقه) فقال أبو دجانه : وماحقه يارسول الله ؟ قال : (أن تضرب به العدو حتى ينحني) . فقال : أنا آخذه يارسول الله بحقه ، فأعطاه إياه .

فلو لم تكن عند أبي دجانة الثقة بنفسه لما أخذه □



الأخ صالح الحمد من جدة أرسل لنا رسالة مطولة تتضمن ملاحظات واقتراحات نجتزىء منها مايلي :

« الأخ رئيس تحرير مجلة البيان وفقه الله لما يحب ويرضى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

نحمد الله إليكم أن وفقكم إلى الاستمرار بالمجلة إلى هذا العدد دون أن تتنازلوا عما خططتموه للمجلة من منهج .. فمزيداً من هذا أعانكم الله ، وقد جمعت في رسالتي هذه بعض الاقتراحات والملاحظات البسيطة :

١ ـ في العدد (١٨) ص ٦ تحدثتم عن الأدلة التي كنتم تسوقونها خلال بحوث المجلة بقولكم : « ولقد سعينا منذ البداية ... » وهذا مالمسناه حقيقة من اطلاعنا على أعداد المجلة .. إلا أنني كنت أود أن يكون التحقيق ظاهراً للقارىء حتى يكون على ثقة مما يقرأ وينقل .

٢ ـ موضوع مدى تدخل الدولة في فرض الضرائب للشيخ عثمان ضميرية ، العدد (١٣) والتعقيب الوارد عليه في العدد (١٦) فبقي الرأي فيها معلقاً . ألا تفكر المجلة بعرض هذين المقالين لأحد العلماء للخروج بقول فصل .

٣ ـ موضوع (دعوة ابن تومرت) العدد ١٧ ، ١٨ ماهو الهدف منه ، أليس من أهداف دراسة التاريخ أن يكون للموضوع المراد دراسته امتداد في الحاضر

فيراد ربطه بهذا أو أن الامتداد تستخرج منه العبر التي يمكن أن نجنيها من قراءتنا للموضوع .

٤ ــ كثير من المجلات تعمد إلى إصدار أعدادها السابقة في مجلدات سنوية فلم لاتقوم البيان بمثل هذا ، علماً بأن الكثيرين ينتظرون ذلك ، ويتوقعون صدورها بين الحين والآخر لما للمجلة من مكان في نفوسنا .

ــ موضوع (تزوير التاريخ) العدد (١٥) وردت كلمة ياما أكثر المناسبات ، فهل هذه الكلمة عربية فصحى ؟.

ــ كم سيكون الاشتراك بعد جعل المجلة شهرياً .

وفقكم الله لما يحبه ويرضاه وسدد خطاكم .

المجلة :

نشكر الأخ صالح على اهتمامه الواضح بالعلم والثقافة وحرصه وغيرته على البيان فجزاه الله خيراً ، ونشكره مرة أخرى على اقتراحاته المفيدة وسنحاول تحقيقها حسب استطاعتنا .

أما مقال (دعوة ابن تومرت) فلو لم يكون إلا بحثاً تاريخياً بين فيه الكاتب فساد عقيدة ابن تومرت لكفى وليس كل بحث تاريخي يجب أن يكون فيه ربط الحاضر بالماضي .

وأما جملة (ياما أكثر المناسبات) في مقال (تزوير التاريخ) فهي صحيحة من ناحية اللغة العربية الفصحى .ومن الشواهد على ذلك :

ياما أميلح غزلاناً شدنّ لنا
من هؤليائكن الضال والسَّمُرِ

وهو من شواهد المغني وغيره من كتب النحو المشهورة .

ــ اشتراك المجلة موضح في العدد (١٩) .

الحلم الذي تحقق

كم كنت أحدث نفسي وإخواني في الله عن الحاجة الملحة إلى منبر إعلامي ينبثق من الأصالة المتمثلة في رؤية سلف هذه الأمة لجوانب الحياة ، ومن ربطه بواقع الأمة ، ومن التجديد الذي تعني به رسم الصورة الصحيحة الواضحة في أذهان الناس عن الدين بعد أن طُمست ولم تعد ناصعة كما كانت في عهد سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ...

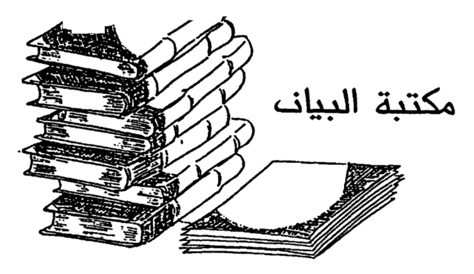
كم كنت أحلم بمنبر يشع منه الفكر الإسلامي الأصيل الذي يربط الماضي بالحاضر ، ويكون مواكباً لهذه الصورة المباركة حتى تؤتي أكلها بإذن ربها بعيداً عن الأغراض الدنيوية ... والتكتلات الحزبية ... لا تولي وجهها شطر جهة من الجهات ... ولا تخضع لسياسة غير سياسة يريدها الله فهو وحده الذي تنتظر منه العون والمساعدة ...

أيها الأخوة القائمون على مجلتنا الحبيبة : بارك الله في جهودكم وسدد خطاكم ، ولا تنسوا أنكم على ثغر عظيم مرابطون ، فلا يؤتى الإسلام من قبلكم ، ولا أخفي عليكم إعجابي « بكلمة في المنهج » فلتكن نصب أعينكم دائماً ، ولا تظنوا الطريق مفروشاً أمامكم بالزبرجد والياقوت ... وحذار حذار من سياسة « المقال يعبر عن رأي كاتبه ، ولا يعبر عن رأي المجلة » فما يضر الشاة سلخها بعد ذبحها .

وأهيب بالإخوة في مجلتنا الغراء أن يسيروا قدماً في طريق الدعوة إلى الله عبر هذه الوسيلة ، وأن يتحملوا مسئولية وعبء هذه الصحوة المباركة في بلاد المسلمين ، وأن يبطلوا مفعول تلك الألغام التي زرعها الحاقدون والأعداء في طريقها .
وتحياتي العطرة لكل القائمين على هذه المجلة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم : أبو معاذ محمود المختار

نشكر الأخ أبا معاذ على عواطفه الصادقة وعلى تشجيعه للبيان وللقائمين عليها ، ونرجوا أن نكون عند حسن الظن بنا .



إعداد : محمد الحسيني

د . عابد السفياني : المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها ، دراسة وتطبيقاً . نشر مكتبة المنارة مكة المكرمة ١٤٠٨ هـ ، ١٥٠ صفحة .

لخص المؤلف في خاتمة الكتاب أهم ماورد فيه ، ومن ذلك : أن من أهداف الاستشراق إبعاد الدين وسلطانه عن النفوس ، وأنهم ينظرون إلى الإسلام كنظرتهم إلى المسيحية ، وأيضاً فهم معادون للدعوات الإصلاحية السلفية ، ويروجون للدعوات العقلانية والمنحرفة ، وقد ناقش المؤلف بعض المصطلحات والكتب والاتجاهات التي تأثرت بالمستشرقين .

★ ★ ★

د محمد حرب ، العثمانيون في التاريخ والحضارة ، دار القلم دمشق وبيروت ١٤٠٩ هـ ، ٤٥٦ صفحة .

الدكتور محمد حرب عبد الحميد من عشاق التاريخ العثماني ، ومن أكثر الكتاب العرب معرفة به وحباً له ، قضى زمناً في تركيا ، درس اللغة والتاريخ العثمانيين ، ويأتي هذا الكتاب للدفاع وللإشادة بأمجاد الدولة العثمانية وتبرئة ساحتها ، وماكتب عنها من نقد . والمؤلف يبادرك منذ أول الكتاب بقوله : « ودولة العثمانيين أطول دولة في التاريخ ولا يطول عمر الدول إلا بحضارة وعدل ، وحضارة العثمانيين هي ذروة تطور الحضارة الإسلامية » [ص ٧] .

والكتاب يقدم للقارىء العربي مالم يكن يعرفه من جوانب هذا التاريخ ، وقد أثنى وزاد عما كتب السابقون في هذا المجال ــ مجال الدفاع ــ كعبد العزيز الشناوي ، وعلي حسون ، وزلّوم ، ومازلنا نرقب النظرة الوسطى بين الطرفين .

* * *

د زغلول راغب النجار : قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر ، كتاب الأمة ، قطر ١٤٠٩ هـ ، ١٤٦ صفحة من القطع الصغير .

هذا الكتاب يحمل الرقم العشرين من سلسلة كتاب الأمة الذي تصدره محاكم قطر ، وقد خرج في هذه السلسلة بعض الكتب الجيدة في قضايا متنوعة ، ومؤلف كتاب قضية التخلف أستاذ جيولوجيا وذو عاطفة إسلامية ، والكتاب على صغره مليء بالقضايا التي تستحق الاهتمام والفهم .

اعتمد المؤلف في كثير مما ساق على الإحصائيات الثابتة في مجال هجرة المال والعقول إلى الغرب ، ونسبة الأمية ، وظاهرة المجاعات في العالم الإسلامي ، كما عرض القضايا التقنية وجوداً وتطوراً ونقلاً إلى عالمنا ، وفي نهاية الكتاب قدم المؤلف وصفة علاج لتلك المشكلات في جانبيها المادي والمعنوي ، ثم قال : « وهي وسائل إن سهل تسطيرها على الورق فإن إخراجها إلى حيز الوجود يحتاج إلى جهود وجهود » .

نرجو أن يكون للجامعات ومراكز البحوث في العالم الإسلامي دور في الإصلاح وقد تجاوز عددها ٢٢٤ جامعة ، وأكثر من تسعمائة مركز للبحوث التقنية ، فهل يستمر دورها في إعداد الخبراء للتصدير ، وقد كان الجانب الاجتماعي والسياسي في هذا الكتاب بحاجة إلى مزيد عناية وتفصيل من المؤلف حبذا لو قام به □

شكر وتقدير

إدارة المنتدى الإسلامي تشكر الذين تبرعوا لدعم مشاريع المنتدى في مجال الدعوة ونشر العلم والوعي الإسلامي ، كما ترجو من الإخوة الذين يودون المساهمة في ذلك أن لايرسلوا تبرعاتهم نقداً ، بل بواسطة شك .

أعاننا الله جميعاً على أداء الأمانة ، وشكر الله للإخوة جهودهم ومشاركتهم .

الصفحة الأخيرة

المشـــاريع الســـياحية

عبد القادر حامد

هناك هبة مشهودة في تشجيع المشاريع السياحية والترفيهية في العالم العربي ، حتى إن المرء ليظن أن كل شيء أصبح للسياحة والترفيه ، قرى سياحية ، فنادق سياحية ، استراحات سياحية ، مسارح ، ملاهي ، مراقص ، منتجعات ... حمى السياحة تغمر الناس ، والمشاريع الاقتصادية عَقِمت إلا من هذا المصدر السخي !.

أين المشاريع الصناعية والتعدينية ، أين الخطط الطموحة التي تسخر الموارد الطبيعية بمساعدة التربية العلمية الحديثة التي أعددنا بها الأجيال منذ زمن ليس بالقصير ، أين الإمكانات والمواهب ، أين التكنولوجيا التي نباهي بمعاهدها وجامعاتها وخريجيها ؟.

أين الزراعة الحديثة التي يسد إنتاجها أفواهنا المفتوحة لإنتاج غيرنا ، وماذا حدث لأرضنا الصالحة المشهورة بخيرها ، والتي سال لعاب الأغراب من أجلها يوماً ومازال ؟ لقد تفرق أهلها عنها ، وزهدوا فيها ، وهي ليست خليقة بزهد ، وهرعوا إلى زوايا البطالة المقنعة ، خلف المكاتب التي قتلت الحيوية في النفوس ، وزرعت فيها « التنبلة » بدل الطموح ، والتطلع إلى الإيقاع بالآخرين بدل أن يحرص كل على ماينفعه ، ويستعين بالله ولا يعجز .

ولعل الذين ساقوهم إلى هذا المصير يشعرون أن هذه الجموع المتبطلة لابد لها من ترفيه ينسيها الويل الذي صارت إليه .

إن الشعوب الأوربية التي نقلدها بتشجيع السياحة مكفية من الضروريات متخمة من الكماليات ، وعندها المال الكافي الذي تستثمره في مثل هذه المشاريع ، وبمعنى آخر عندها طبقة وسطى هي الأغلبية ، أما نحن فإما قلة قليلة متخمة لاتعرف أين تنفق مالها ولاكيف تنفقه ؛ وإما كثرة مسحوقة تعيش على الكفاف أو أقل ، وليس من طبقة وسطى لها قيمة .

وعلى هذا فإن هذا الاتجاه الخطير إلى السياحة ، وهذا الانفاق عليها سيكون من نتائجه تعميق الهوة بين هاتين الطبقتين بحيث لايبقى بينهما شيء مشترك إلا الفساد الذي يهوون إليه باسم الفن والترفيه . هذا فضلاً عن الأزمات الاجتماعية التي تترتب على تحويل بلادنا إلى أماكن لهو وعبث وانحلال لطالبي اللهو والعبث والانحلال من أهل الغرب وأهل الشرق.



العدد الحادي والعشرون : صفر / ١٤١٠ هـ ـ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٩ م

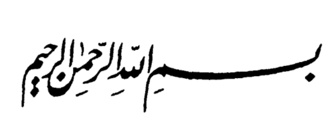
مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن

المنتدى الإسلامي

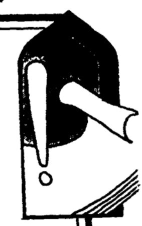
لندن

رئيس التحرير
محمد العبدة

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K
Tel . 01-731 8145
Fax : 01-736 4255



المحتوى



ولنصبرن على ما آذيتمونا

إذا أراد المشرفون على الإعلام الغربي أن يهاجموا شخصاً وينزلوه من عليائه ــ إذا كان في منزلة لها أثر ــ فإنهم يُطبِقون عليه من كل الجهات ، وتنهال الكتابات عنه انهيالاً ، وتنثال انثيالاً ، فمِنْ محلل لشخصيته وعيوبها ؛ ومن مكبر لأخطائه ودافن لحسناته ، ومستصغر لها ؛ أو مشكك في الباعث عليها ، ولايسلم منه حينذاك شيء ، لا جسمه ولا قسماته ، ولا ثيابه ولا طريقة إشارته ، ومايزالون يبدئون ويعيدون في ذلك خلال أسبوع أو أسبوعين حتى يجتمع لك مما قالته فيه الصحف والمجلات والإذاعات مقدار هائل يعجز عن الإحاطة به المتخصصون ، ويضل المؤرخ في محاولة البحث عن الحقيقة بين ثناياه .

وعلى العكس من ذلك إذا اتجهت النية إلى إحلال شخص مكانة مهمة فينقلب القدح مدحاً ، وتسخر الأقلام والأجهزة لاختلاق مزايا ومناقب ، بل تعد مكاتب متخصصة للرصد والتنبؤ من أجل المساهمة في صنع الشخصية ، وأمامنا مثل صارخ ومحير لأول وهلة ، ولكن هذه الحيرة سرعان ماتذوب بعد فترة تفكير قصيرة في ماوراء الكَتَبة ومايكتبون .

وهذا المثل هو : بنازير بوتو . فقد بدأت أجهزة الإعلام الغربية حفلة تنصيبها قبل تسميتها لهذا المنصب بمدة ليست بالقصيرة ، أي قبل موت ضياء

الحق ، وطبقت عليها نظرية « مرآة الكف [1] » (التي ذكرها مالك بن نبي) بمهارة ، بل بشطارة [2] . بل وضعت حواليها مرايا كثيرة كل منها عكست عليها لوناً طريفاً ، وأعطت لشخصيتها بعداً مسانداً .

أول هذه المرايا : أنها خريجة أكسفورد ونتاج الثقافة الإنكليزية العريقة وإذا كان للمتثقف بالثقافة الإنكليزية ذلك السطوع في البلاد التي استعمرتها بريطانيا يوماً ما ، فما بالك إذا كانت هذه الثقافة لبست لبوس « أكسفورد » وادّهنت بدهن « أكسفورد » ؟!

وثانية هذه المرايا : أنها بنت السياسي العريق ، والمتهم المظلوم الذي غدر به صنيعته (أي ضياء الحق) ليحكم البلاد حكماً فردياً طيلة أحد عشر عاماً بعيداً عن الديموقراطية التي كان يحبها ذو الفقار علي بوتو حباً جماً !

وثالثة هذه المرايا : أنها خارجة من بيئة إسلامية ، هذه البيئة التي تكبح المرأة ، وترى من غير الطبيعي إسناد بعض الوظائف والمناصب لها ، ولذلك فهي « صيد سمين » ، وإذا رشحت لرئاسة الوزراء في بلد مسلم فهذه سابقة لها مابعدها .

ومرايا كثيرة نصبت حولها ، ومبالغات وتملق ، لم يتركوا شيئاً لم يتناولوه بالوصف والتعليق : جسمها ، قوامها ، وشعرها ، وبسمتها ، ونظراتها وسحرها ، وتفاصيل ملابسها ، هذه فقرة من مقال عنها :

« بنازير بوتو التي قابلتها مصادفة في ردهة فندق ضخم ؛ رشيقة ، نضرة ، كانت تضع قطعة قماش شفاف على شعرها ، وترتدي بلوزة فضفاضة ، وسروالاً واسعاً ، كلاهما أبيض ، وعلى كتفيها شال قطني ذو لونين : خمري وأسود ، ممهور بأحرف اسم حزبها بالحروف اللاتينية (P.P.P.) والعربية (ب . ب . ب) [3] .

ألا ترى أنه يصف عارضة أزياء .

---

١ ــ ذكر ذلك مالك بن نبي في كتابه : « الصراع الفكري » .
٢ ــ بمعناها اللغوي لا العرفي .
٣ ــ The Guardian Weekley ٣٠ / ٧ / ١٩٨٩ م .

وخلال مدة قصيرة صنع الإعلام الغربي بنازير بوتو وأحلها هذه المكانة ، ومازالت مساحة المعجبين المسيّرين تتسع وتتسع ، وتضم في خضمها ناساً من مختلف الطبقات والمستويات والثقافات .

ونحن إذ نذكر ذلك ونستشهد به فلكي نرى كيف تصنع الأساطير في دهاليز الأساطير ، وهي أجهزة الإعلام ، ولكي نتبين مواطيء أقدامنا ، ونقيس قدراتنا إلى هذه القدرات الشيطانية التي يمتلكها هذا الإعلام الكافر الذي يحارب الحق بالأباطيل ، ويغطيه بالأساطير .

وإنه ليحز في النفس أن تنعكس الصورة الشريرة لهذا الإعلام على شعوب الأمة الإسلامية ، وتبتلى به في عقر دارها على أيدي المقلدين والممسوخين الذين يقلدون الغربيين في أسوأ أعمالهم ، وإذا كان الإعلام الغربي يترك مجالاً لوجهات النظر المختلفة أن تأخذ مداها مناقشة ومدافعة ؛ فإن ربيبه المتسلط فوق رقاب المسلمين لايؤمن بخرافة اختلاف الرأي ؛ بل يحب الوحدة والتوحد والتفرد ، فيحمل وجهة نظره الأحادية ، ويقرع بها الخصوم صباح مساء وإذا لم تدخل طواعية ، أدخلت قسراً ، وإذا استعصت العقول على حملها فلتلغ العقول ، أو فلتختف الرؤوس التي تحمل تلك العقول التي عجزت عن استحسان مالا يستحسن !.

إن القهر الفكري المضروب على المسلمين ــ وقد شارف هذا القرن على الانتهاء ــ ليزري بكل القهر الذي ذاقوه في تاريخهم الطويل ؛ وإن الاستبداد الذي ألفت فيه الكتب والمقالات عرفه للناس ، وعُرِّف به عن طريق ماكتب عنه في وقته ، أما مايتقلب فيه المسلمون اليوم فربما يبدو للأجيال اللاحقة على أنه نعيم مقيم ، ولسنا متأكدين إن كان التاريخ سيستنطق من شهوده من يمكنه النطق قبل أن تتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق .

لكن مهما أصر الغي على غيه ، وتشبث بباطله ؛ فإن على المسلم أن يقابل ذلك بالصبر والمصابرة ، والإصرار على الحق الذي يؤمن به ، ولا يلفته عن ذلك ما يلاقي من كيد وعنت ومكابدة ، فهذه هي سنة الله في أنبيائه ورسله وحملة دعوته ، ﴿ ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ، ولنصبرن على ماآذيتمونا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ □

بيان السنة للقرآن
(٢)

الشيخ مسفر الدميني

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد :
ففي حلقة العدد (١٨) وعند بياننا لقوله تعالى : ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ، ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ﴾ [البقرة : ١٩٦] عرضنا لما تعيشه الأمة الإسلامية اليوم من ذل وهوان وتحكم لليهود في أرضها ومصالحها وعلاقاتها .

وأن الأمل في زوال هذا الذل وهذه المهانة هو أمل فيما وعد الله عباده الصادقين المتقين من تمكين لهم في الأرض ، أما كيف يكون هذا التمكين ؟ ومتى يتحقق ؟ فهذا ماسنحاول الإجابة عليه في هذه الحلقة إن شاء الله تعالى .

بين سبحانه وتعالى في آية سورة النور صفات المستحقين للتمكين فقال : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [٥٥] .

فالإيمان بالله والعمل الصالح وعبادة الله وحده دون إشراك به هي الصفات التي يستحق من اتصف بها الاستخلاف في الأرض والتمكين وتبديل الأمن بالخوف ، ومالم تكن

عبادة الله خالصة من كل مايشوبها من أنواع الشرك فلن يحصل الأمن ولا التمكين ، ولا تكون العبادة خالصة إلا بالعقيدة الصافية ، فالعقيدة هي الأصل وعنها تقبل الأعمال أو ترد ، ولذا قدم سبحانه ذكر الإيمان على العمل فقال : ﴿ الذين آمنوا وعملوا ... ﴾ فالعمل من غير إيمان بالله لاقيمة له ، وكذا الإيمان لا يكون إلا بالعمل الخالص الموافق للشرع .

والناظر في أحوال الأمة يجد الاختلاف والفرقة والتشتت بين بلدانها وشعوبها ، بل بين أناسيِّ البلد الواحد والشعب الواحد ، وأسباب هذا الاختلاف كثيرة نذكر منها :

ظهور القوميات الجاهلية المبنية على التعصب للقوم أو الجنس أو البلد ، وهذه العصبيات أذكاها الاستعمار الأوربي لبلاد المسلمين .

ومنها : ظهور التيارات الفكرية المرتبطة بالغرب النصراني أو بالشرق الشيوعي ، وكان أثر هذه التيارات والأحزاب في عقيدة الأمة وفكرها قوياً بحيث قل أن تجد مثقفاً لا يميل أو ينتسب إلى حزب من تلك الأحزاب أو جبهة من تلك الجبهات المتعددة الأهواء والاتجاهات والتي يجمعها ــ غالباً ــ التنكر للإسلام عقيدة وشريعة ، أو إضعاف أثره في الأمة وعدم الثقة في إمكان قيام الدولة على أسس منه ، إضافة إلى مازرعه المستعمرون من حروب وعداوات بين شعوب العالم الإسلامي ، فقلما تجد دولة لاتضمر لجارتها عداوة أو تخشى منها حرباً .

وهذه الاختلافات وغيرها تحتاج إلى دراسة وبيان لكيفية الخلاص من آثارها مما لايتسع المقام لذكره ، لكننا هنا سنعرض إلى سبب آخر غير ماتقدم أحسبه جديراً بالتنبيه لخطورة أثره ، ذلكم هو الاختلاف الناشيء عن العقيدة في صفوف الدعاة إلى الله .

فإذا لم تجمعهم العقيدة الراسخة المستمدة من الكتاب والسنة على منهج سلف الأمة فما الذي يجمعهم إذاً ؟ هل تجمعهم المصالح المشتركة ؟ أو المصير المشترك ؟ إن العقيدة هي الأصل وهي عنصر الاجتماع والوفاق ، كما أنها سبب الخلاف والعداء والفرقة ، والداعي إلى الله عليه أن يتبين خطواته ، وأن

يعرف موقعه بين ثلاث وسبعين فرقة حتى لايكون من دعاة الضلالة الذين يدعون إلى النار وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً .

إن الصدق في البحث عن الحق هو أول أسس الوفاق والاجتماع ، فإذا صدق المختلفون من الدعاة في طلب الحق وُفقوا إليه أو أجروا عليه ، والكتاب والسنة النبوية هما الأصل ، وإليهما المصير عند الاختلاف ، كما أن فهم الصحابة والتابعين من سلفنا الصالح لنصوصهما أصل أمرنا بالأخذ به واتباعهم فيه بنص الكتاب والسنة .

وإذا كان الأمر كذلك فلننظر فيهما ونقف عند حدودهما فسنجد دون شك فيهما مايحسم الخلاف ويجمع الشتات ويؤلف بين القلوب المتنافرة ، والعقائد المتباينة فتصبح الأمة يداً واحدة ، والدعاة صفاً واحداً ، وبين يدي ذلك علينا أن نعلم أن الاختلاف الواقع بين الأمة أمر نحن منه على بينة ، فقد أخبرنا به رسول الله ﷺ ، كما أن هذا الاختلاف قديم فقد وقع في عصر أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا يمنعنا علمنا بوقوع هذا الاختلاف وقدمه في الأمة من العمل على جمع الشمل ولم الشتات وتوحيد الكلمة ، ذلك أن الذي أخبر بوقوع الاختلاف والفرقة قد أخبرنا بطريق النجاة ، وأعلمنا المخرج من تلك الفتن ، وجعل اتباع ماكان عليه هو ﷺ وأصحابه هو الحق والصواب الذي لامحيد عنه ، وألزمنا أن ندعو من ضل الطريق أو جهل المخرج إلى سواء السبيل ، وهذه مهمة سلفنا الصالح فيما مضى ، وهي مهمة الدعاة الآخذين سبيلهم اليوم ، وهل يظن أحد برسول الله ﷺ أن يخبر أمته باختلافها إلى فرق وأحزاب ولا يخبرها بالمخرج من الفرقة والاختلاف ، ولا يبين لها طريق الحق والصواب لتسلكه وتتخذه سبيلاً حتى تسلم من الوقوع في النار التي أخبر أن من ضل طريق الحق كان مستحقاً لها ؟ لا يظن به ذلك إلا منافق أو كافر ، ويكفي في رد هذا الظن السيء قوله ﷺ : « ليأتين على أمتي ماأتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل ، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك ، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا

ملة واحدة . قالوا : ومن هي يارسول الله ؟ قال : ماأنا عليه وأصحابي »[1] ، وللحديث طرق أخرى .

وإذن فالطائفة التي على الحق هي التي على مثل ماعليه رسول الله ﷺ وأصحابه ، ويبين هذا الحديث الآخر : « لاتزال طائفة من أمتي على الحق لايضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » [2] فهذه الطائفة هي الطائفة الناجية وهي بدون شك تلك التي سلكت سبيل النبي ﷺ وسبيل أصحابه ، وهم أهل العلم كما قال البخاري أو أهل الحديث كما قال ابن المديني والإمام أحمد رحمهم الله جميعاً .

وسبيل الصحابة الاتباع لرسول الله ﷺ لا الابتداع ولا التأويل أو التحريف أو التعطيل ، كما أن سبيلهم الوقوف عند النصوص الشرعية ، وجعلها المصدر للتشريع ، والحكم عند الاختلاف ، فلا يردون نصاً صحيحاً ، ولا يتأولونه أو يخرجونه عن ظاهره ، ولا يُحَكِّمون عقولهم في النصوص أو يُقدِّمون حكمها على حكم الله وحكم رسوله ﷺ ، كما لايتهمون السلف بأن طريقتهم في فهم النصوص أسلم وأنهم أعلم منهم وأحكم ، بل يرون طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم ، لأنها طريقة الأصحاب الذين أُمرنا باتباعهم ، فهم قاموا بالحق ، وهم الطائفة المنصورة المؤيدة الذين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، ومن ظن أنه أعلم منهم أو أحكم فقد ضل وغوى وخسر .

من كل هذا نعرف أن الحق واحد وأن الوصول إليه سهل يسير ، فما علينا إلا أن نأخذ الحق من مصدره ونسلك في فهمه واعتقاده مسلك من نقله إلينا من الأصحاب والثقات من الأتباع من سلفنا الصالح ، ولن تقوم للأمة قائمة إلا إذا اتبعت ذلك المنهج وسلكت تلك الطريق فهي طريق الوحدة والجماعة ومن سلك غيرها فقد بغى الفرقة والضعف والهوان ، ووقع في وعيد رسول الله ﷺ لمن سلك غير طريق أصحابه ومن تبعهم

---

١ ـ سنن الترمذي ٥ / ٢٦ ، وانظر العدد الثاني من « البيان » مقال : « التجديد في الإسلام » جزى الله كاتبه خيراً .

٢ ـ صحيح مسلم ٣ / ١٥٢٣ ، وانظر العدد الأول من « البيان » ففيه تخريج موسع للحديثين .

من الفرقة الناجية حيث قال : « كلهم في النار إلا واحدة ، قالوا : ومن هي ؟ قال : ماأنا عليه وأصحابي » .

أما متى يكون التمكين ؟ فهذا علمه عند الله ، وماعلى المؤمن إلا أن يسلك طريق الحق وسبيل الأصحاب والأتباع من السلف الصالح ، وأن يعمل على نشر دينه وعقيدة أهل السنة والجماعة ، وأن يبث العلم في الناس ، فأكثر مايؤتى الناس بسبب الجهل والهوى ، والجهل دواؤه العلم فمن تعلم العلم الشرعي فقد أخذ بأسباب الهدى والتقى ، فلا يمنعه الهوى من اتباع الحق .

وإن كنت واجداً من أهل العلم من ليس تقياً ولا موفقاً إلا أن الغالب على من تزود بالعلم الشرعي أن يكون أقرب إلى الحق ممن لا علم عنده من العوام والأعراب . قال تعالى : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وقال : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ، وقال ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : « ... ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يُعَلَّم من لا يَعْلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً » ،وقال ﷺ : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (١) .

فتعليم الناس العلم الشرعي ، وتربيتهم على عقيدة السلف ، هو أول طريق جمع الكلمة ولم الشتات ، وعلى طلبة العلم الأخذ من أفواه الشيوخ والعلماء وعدم الاتكال على الكتب والصحف فذلك هو سبيل السلف في أخذ العلم وتلقيه ، فسيرة الشيخ وسلوكه جزء من العلم الذي يأخذه عنه التلاميذ ، فإذا سلك الشيخ في أخذه وأدائه وتعليمه منهج السلف في الأخذ والفهم والتعليم ، وعلم طلابه أدب الطلب قبل العلم ، وأدب الاختلاف قبل الخلاف ، وأسلوب الحوار قبل الجدال ، والانتصار لله لا للنفس ، وقبول الحق ولو كان على لسان الخصم ، وعدم أخذ الناس بالظنة ، أو البحث عن

١ ــ صحيح البخاري ، كتاب العلم ١ / ١٥٩ ، مع فتح البخاري .

عثراتهم ومعاييهم ، أو تجريحهم بما لايجرح ، وغرس في نفوسهم حب الله وحب رسوله ﷺ ، واحترام السلف وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها ، إلى غير ذلك مما أثر عن سلفنا الصالح ، إذا فعل أهل العلم – طلاباً وشيوخاً – ذلك الأمر فسيتغير الحال ، وتنجلي الغمة ، وتتفق الكلمة وتقوى الأمة ، ويعز الله جنده ويمكن لهم في أرضه ، وهذا أمل نرى بوادره آخذة في الظهور فحلقات الدروس ، وندوات المساجد والمحاضرات المختلفة نرى الاقبال عليها كبيراً ، والرغبة فيها شديدة ، وأثرها على طلاب العلم خاصة ، وعلى المجتمعات الإسلامية عامة بيِّن ظاهر ، رغم مانرى في هذه المجتمعات من مظاهر الانحراف والفساد .

ومادام الكتاب والسنة هما المصدر والمرجع عند الاختلاف ، فعلى كل طائفة أن تنظر بعين الانصاف لترى ماذا تركت من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، أو أوَّلت من نصوصهما ، أو ردت من أحكامهما ، وعلى أهل العلم أن يلتقوا ليأخذوا الحق من مصدره ، ولا تمنع الأنفة المخطىء من الرجوع إلى الحق إذا ظهرت حجة خصمه إن كان صادقاً في بحثه وحواره ، لأن من كانت بغيته الحقيقة وهدفه الهدى والسلامة من الضلال ، فظهور الحق مع خصمه يسعده ويرضيه كظهوره على يديه ، أما من كان خصامه وجداله لشخصه لا للحق فإن هواه يمنعه من اتباع الحق إذا كان مع مخالفه .

ولقد كان أئمة أهل السنة والجماعة من سلفنا الصالح مثالاً يحتذى في أدب الحوار والنقاش ، وفي أدب التعلم والتعليم ، فهذا أحدهم يقول : ماجادلت أحداً إلا وتمنيت أن يكون الحق على لسانه ، وهذا عبد الله بن المبارك يقول : « طلبت الأدب ثلاثين سنة ، وطلبت العلم عشرين سنة ، وكانوا يطلبون الأدب ثم العلم » ، ويقول : « طلبنا العلم للدنيا ، فدلنا على ترك الدنيا » .

وهذا الاسترسال في بيان حال الأمة وسبيل جمع كلمتها لا يبعدنا

عن بيان الآيات السالفة الذكر ، فإن حال أمة الإسلام ـــ من حب للحياة الدنيا وركون إلى الدعة وترك الجهاد ـــ يشبه في بعض جوانبه حال اليهود الذين يحرصون على « حياة » ويهابون الموت ولو كان سبيلاً لعزهم ومجدهم ، ومن خاف الموت وترك الجهاد ، وفي تركه الهوان والذلة ، وهذا ماتعيشه الأمة اليوم إذ طوت راية الجهاد التي كانت ترهب أعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم من أمم الأرض الكافرة ، واستبدلت بها ولاءً لأعدائها ومغتصبي أرضها وأوطانها ، وتنكرت لدعوة الجهاد بعد أن تركت شرع الله وحكمه ، ولا خلاص للأمة مما هي فيه إلا أن ترجع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعقيدة السلف الصافية من شوائب الشرك بصدق وإخلاص وثقة فيما وعد الله .

إما إن ادَّعت الرجوع إلى الله للتجربة الإسلامية في اصطلاح الأوضاع الفاسدة ، فهذه توبة منافق مرد على النفاق لا إخلاص فيها ولا صدق نية .

رزقنا الله وإياكم العمل الصالح الخالص لوجهه ، وإلى لقاء في عدد قادم إن شاء الله تعالى □



ليعط كل ذي حق حقه

إن مايجري على الساحة الإسلامية في هذه الأيام من الخلط في الأسماء والمسميات شيء يدعو إلى العجب ، فالناس يطلبون من المفكر أن يكون فقيهاً ، ومن الفقيه أن يكون خطيباً ، ومن الواعظ أن يكون عالماً ، وقد يُسأل المتفقه أو المشتغل بعلم الحديث عن أدق الأمور السياسية فإذا أجاب أتى بالعظائم ، ويُسأل الواعظ الخطيب عن أدق الأمور في العقيدة أو الفقه فيجيب بإجابات غير صحيحة أو غير دقيقة ، وكأن المفترض في هؤلاء أن الواحد منهم إذا أتقن علماً معيناً أن يتقن باقي العلوم ، وبالجملة فالناس يريدون أمة في رجل وينسون أن المواهب والقدرات موزعة بين الناس ، وقد لا تجتمع عدة مواهب إلا في الآحاد من الناس ، وقد يفتح الله سبحانه وتعالى على البعض بالخطابة المؤثرة التي تلبي حاجة العاطفة والوجدان ، وعلى الآخرين بالحديث المشوق الهادىء ، ويتجه أناس نحو الكتابة وعالم الفكر ، والناس في هذا مابين عالم ومتعلم ، وكل يستفاد منه حسب طاقته وحسب اختصاصه .

يروى أن الخليفة العباسي المأمون أراد من المؤرخ الواقدي حفظ سورة من القرآن من أواسط المفصل فلم يقدر ، فقال المأمون : هذا رجل فتح الله عليه في التاريخ ، وقد وصف أحد نقاد العلم علماء عصره وقدراتهم ومكانتهم

فقال : سفيان الثوري عالم بالحديث ، والإمام الأوزاعي عالم بالسنة ، والإمام مالك عالم بهما جميعاً ، فالأمر واضح عند هذا الجيل حول قدرات الناس ومكانتهم العلمية ، فلا يرفعون أحداً فوق مكانته ، ولا يبخسون أحداً حقه ، بينما نرى اليوم أن أي متكلم او خطيب مفوه يقال له : العالم الشيخ الداعية ، وهذا خلط وتلبيس على الناس يجعلهم يسألون ويستفتون من لايصلح للفتيا والسؤال ، حتى أن بعض من أسلم من الأوربيين صار يُستفتى وهو أحوج مايكون إلى تعلم الإسلام على أيدي العلماء .

كان أستاذنا الكبير محمد أمين المصري رحمه الله مدرساً للحديث النبوي في قسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية وقد سمعته يوماً يقول : إذا كان هناك علماء فهو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، أما أنا فـ (طويلب علم) ، وهذا من تواضعه رحمه الله وشدة تحريه ونقده ، وكتابه (تفسير سورة الأنفال) يدل على تحقيق وعلم غزير .

يجب أن يعلم المسلمون أن هناك علماء وهناك طلبة علم ... ومتحدثون .. خطباء وكتاب .. فتوضع الأمور في مواضعها ، وترجع إلى نصابها ، ويستفاد من الطاقات كل في موضعه ، فالشخصية المحببة للناس الذي يتقن فن العلاقات العامة يصلح للتصدي لإرشاد الناس والتحدث إليهم ، والمفكر الإسلامي قد يكون بعيداً عن هذه الأجواء ولكن يستفاد منه في عمق الملاحظة ودراسة تطورات المجتمع وعلله وخفاياه ، وقد يطلب من العالم أكثر مما يطلب من غيره فالأصل فيه أن يكون (ربانياً) يربي الأمة ويسوسها ، فإذا لم يوجد فلنستفد من كلٍّ ومقدرته ومافتح الله عليه به □



بقية الحديث عن البديل
- ٣ -

د . عبد العزيز القارىء

في غياب العلماء الربانيين ، وفي ظل علماء الحاشية (١) تولد في نفوس كثير من طلاب علوم الشريعة روح التمرد ، فأعلنوا العصيان على العلماء .

ظاهرة واحدة لها جانبان متشابهان هما وجهان لشيء واحد : في غياب الفقهاء المجتهدين ، وفي ظل المقلدين الجامدين (المتعصبين لمذاهبهم لقلة علمهم) نشأ روح التمرد على مدارس الفقه ومذاهبه كلها من أساسها ، فوقعت أو تكاد تقع مهزلة فقهية .

وفي غياب العلماء الربانيين وفي ظل علماء الحاشية نشأ روح التمرد والعصيان في نفوس المتفقهين وطلاب علوم الشريعة ، ليس على العلماء فحسب ، بل على كل شيء ، تمرد على جميع الضوابط ، فإذا

١ ــ أي حاشية السلطان ، كما بيناه في الحلقة السابقة .

بأبرهة وجيشه ، يعكر صفوهم ، ويبدد اطمئنانهم هذا التمرد الذي أتاهم من حيث لا يحتسبون .

لاشك أنهم في حيرة دائمة : إن كان هناك علماء ربانيون فالخوف من انطيور الأبابيل ، وإن لم يكن فالخوف من انفلات روح التمرد من عقالها ، ولعل هذه مخوفة أكثر من تلك ، لأن هذه بلا ضوابط ، ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

وراح المتفقهون يعلمون أنفسهم بأنفسهم ، ويربون أنفسهم بأنفسهم ، وهذا أمر غير ممكن ، لا يستطيع أي صغير أن يرضع نفسه بنفسه ، لا ينبت ريشه إلا في المحاضن الصحيحة التي خلقها الله لذلك .

كل مجموعة ائتلفت من هؤلاء المتفقهين تجمعت حول نفسها تحاول التعلم ، ولكن أين المعلِّم ، أين الرأس ؟.

رأى الإمام أبو حنيفة حلقة في المسجد فقال : من هؤلاء ؟ قالوا : جماعة يتفقهون . قال : هل لهم رأس ؟ قالوا : لا . قال : لا يفقهون أبداً [1] .

في مجال علوم الشريعة عملية التعلم والتعليم أهم عنصر فيها هو (الرأس) ، أي العالم المعلم ، لأنه منوط به أمران مترابطان لا انفصام بينهما : التعليم والتربية : أي (التدبير والسياسة) ﴿ كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ [آل عمران / ٧٩] .

قال ابن جرير : الربانيون هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا ، ولذلك قال مجاهد : وهم فوق الأحبار . لأن الأحبار هم العلماء ، والرباني : الجامع إلى العلم والفقه البصر والسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية وما يصلحهم في دنياهم ودينهم [1] .

هذا هو معنى (الرأس) : أي عالم رباني يسوس أمور المتعلمين ويدير شئونهم ، ويربيهم ويعلمهم .

بدون هذا الرأس لا يفقهون أبداً ، لأن الفقه في الإسلام ليس نظريات

---

١ ــ تفسير ابن جرير : ٣ / ٣٢٧ .

مجردة ، ولا قوانين جامدة ، ولا معلومات منفصلة عن الحياة ، إنه علم وعمل ، علم أنزل للتطبيق ، وللحياة ، ولذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ يتلقون العلم والعمل معاً .

ولكن أمام ضغوط المجتمع الفاسد ، وقصور البديل المتاح سواء كان تعليم علماء الحاشية ، أو التعلم بلا رأس : كثرت الآفات التي يصاب بها المتفقهون اليوم .

من أخطرها فساد المقصد : ومن أعجب مظاهر فساد المقصد هذا الحرص العجيب على (الإمامة) والرئاسة العلمية ، هل يلهث جميع هؤلاء لنيل الإمامة ؟.

تجد متفقهين يفترض أنهم في أول الطريق ، حدثاء الأسنان ، وإن لم يكونوا حدثاء الأسنان فهم (حدثاء العقول) تجدهم يتعلمون أدوات الاجتهاد (أصول الفقه ، أصول الحديث ، تخريج الحديث ، علم الرجال ، أدلة الأحكام ، التفسير ، أصول التفسير ...) قبل أن يتعلموا الفقهين : فقه التوحيد ، وفقه الأحكام ، مع أنهما واجبان ليس على كل متفقه فحسب ، بل على كل قادر على التعلم ، بينما (الاجتهاد) لايجب على كل متفقه ، بل لايجوز أن يتصدى له أي متفقه حتى يكون أهلاً له ، ولا يكون أهلاً له حتى يجتاز مراحل علمية ، ويستوفي شرائط معينة لايسقطها ضجر هؤلاء المتفقهين بها ، لابد من ذلك وإن ضجر منه (حدثاء العقول) .

بعض العلماء المعاصرين ممن لم تتحقق فيهم صفة (الكفاية) ، أي الخبرة والحنكة ، لا أقول بعالم السياسة فحسب ؛ بل حتى بأصول التربية (الربانية) ، الحنكة والخبرة بتدبير شئون المتفقهين ، بعض هؤلاء العلماء يشجعون ظاهرة طلب الإمامة العلمية والجري وراءها من حدثاء الأسنان وحدثاء العقول تحت وهم أن ذلك يشجع على حرية التفكير .

منذ عام ١٣٨١ هـ رأيت ماذا صنع هذا المسلك ، وعشت في داخله متأثراً حيناً ، ومتفرجاً في أكثر الأحيان ، وشاهدت بعيني ماذا فرخ لنا هذا الأسلوب في تعليم المتفقهين ، فرخ لنا جيلاً جدلياً من الأئمة الصغار ــ صغار الأسنان أو صغار العقول ــ أتقنوا (الجدل)

بدلاً من العلم ، حتى إنهم كانوا يجتمعون حول (شيخ الحديث) في بعض الرحلات البرية يجادلونه طوال الليل حتى مطلع الفجر في مسائل معدودة لايتجاوزونها ، وأكثرها بينها الشيخ المذكور في كتبه التي صنفها ، لكنهم لا يقرأون ، لأن القضية عندهم لم تصبح قضية التعلم ، وإنما هي شهوة الجدل .

حضرت يوماً درساً فقهياً لأحد أفاضل العلماء ، وكان من عادة ذلك الشيخ أن يخصص الوقت بعد صلاة العشاء للأسئلة ، وتقدم فتى في سن (المراهقة) لم يخضرَّ شاربه بعد ، وبين الأذان والإقامة لم يطق صبراً حتى يأتي وقت الأسئلة بعد صلاة العشاء ، وحشر الفتى نفسه بين الصف حتى لاصق منكبي الشيخ ، ثم سأل :

الفتى : هل تُشترط الطهارة لمس المصحف ؟.

الشيخ : نعم .

الفتى : ماالدليل ؟.

الشيخ : قوله تعالى : ﴿ لايمسه إلا المطهرون ﴾ ، وحديث : « ألا يمس المصحف إلا طاهر » .

الفتى : أما الآية فلا دليل فيها لأن المراد بها اللوح المحفوظ ، وأما الحديث فالمراد به ألا يمسه إلا مسلم بدليل نهيه ﷺ عن حمل المصحف إلى أرض العدو .

والتفت إليه الشيخ فإذا هو فتى حدث السن ، فتبسم وقال له : ماالذي ترجح أنت ؟.

الفتى : أنه لا تشترط الطهارة لمس المصحف .

الشيخ : اعمل بما ترجح لديك .

هذا الأسلوب في تربية الشباب المبتدئين كان يمكن أن يُخرِّج علماء متحرري الفكر ، لو كان أسلوباً صحيحاً سليماً ، لكن التجربة التي شاهدتها بنفسي وعشت داخلها متفرجاً في أغلب الأحيان أثبتت أنه إنما يُفرِّخ (جدليين) بلا علم ، وأحياناً يفرخ أدعياء مغرورين يملئون الدنيا ضجيجاً وجدالاً ، وربما كتباً ، كل ذلك بلا علم ذلك لأنه فتح باب الاجتهاد على مصراعيه فدخله كل من هب ودب ، كأنما هي دعوة (الجَفَلَى) إلى الاجتهاد .

فكان من ظواهر هذا المسلك العجيب أمران عجيبان :

أولهما : أصبحت الساحة العلمية

مباحة لكل من هب ودب ، يصول فيها ويجول كل من اشتهى ولو لم يحمل سلاحاً ولا عدة ، فإذا بنا نشاهد أطباء يفسرون القرآن ، ومهندسين يصنفون في الحديث ، بل وعمالاً ومهنيين عوامَّ يتصدرون للفتوى والتصنيف في الحلال والحرام ، نعم إن تدبر القرآن والتفقه في الدين ليس محتكراً لطبقة من الناس ، فلا (كهنوت) في الإسلام ، تدبر القرآن والتفقه في الدين مطلوبان من كل مسلم ، لكن هذا شيء والتصدر للفتوى والاجتهاد والتصنيف شيء آخر .

الفتوى والاجتهاد والتصنيف في علوم الشريعة كل ذلك (حكر) على أهله ، وأهله هم كل من تحققت فيهم الأهلية (العلمية) حسبما يقرره أهل الاختصاص ، وحسب الضوابط والقواعد التي اصطلحوا عليها ، واستمر العمل بها إلى اليوم .

ثانيهما : أنه نتيجة لهذا المسلك العجيب في التعليم الذي جعل الدعوة الى الاجتهاد (الجفلى) ، أُصيب طلبة العلم أنفسهم بداء العجلة وسقوط الهمم ، ونفاد الصبر ، أو قل عدمه بالكلية ، أصبحت صدور طلبة العلم ضيقة ، وهممهم ساقطة هزيلة ، لم يعد هناك صبر ومصابرة ، ولا جلد على طلب العلم والجلوس عند رُكب المشايخ ، وملازمتهم لأخذ العلم والعمل عنهم ، أصبح طلاب العلم اليوم لايقدرون على إكمال متن – أي متن – في أي علم من العلوم .

وهكذا مع ضعف الهمم ، بل سقوطها ، ومع عموم البلوى بداء العجلة أصبحت هياكل التعليم الديني (الرسمية) يمكن أن تخرج متخصصين بالسنة النبوية لايحفظون حتى خمسمائة حديث ، ولم يقرأوا أمهات الحديث ، ويمكن أن تخرج متخصصين بعلوم القرآن والتفسير لايحفظون القرآن ، وقد يخطر في بال أحد من (دهاقنة) هذه الهياكل أن يخرج قراءً لايحفظون القرآن ، ومعظم (كليات الشريعة) اليوم تخرج متخصصين بالفقه لم يكملوا دراسة الفقه ، ولو على مذهب واحد من المذاهب المعتبرة .

نصف محدث ، ثلث قارىء ، ربع فقيه ، بعض نحوي أو أديب . أدباء لايحفظون المعلقات ولا اللاميتين ولا المقصورة ، نحويون

لايحفظون الألفية ولا الكافية الشافية بل ولا المُلْحَة أو الآجْرُومية ، قراء لايحفظون الشاطبية ولا الدرة ولا المقدمة ، بل ولا حتى القرآن . محدثون لايحفظون عمدة الأحكام ولا بلوغ المرام ، بل ولم يقرأوا من السنة شيئاً ولو نظراً . فقهاء لم يكملوا شيئاً من المتون على أي مذهب من المذاهب المعتبرة : العمدة أو الزاد أو منار السبيل ، الهداية أو القدوري ، المنهاج أو المهذب ، المختصر الخليلي أو الرسالة .

الناس جميعاً في عجلة من أمرهم ، ولذلك لجأوا إلى الاختصار ، اختصار كل شيء ، العلم اليوم مختصر ، والدين مختصر ، والعلماء مختصرون ، وما لايمكن اختصاره ، يلغى .

نحن المسلمون اليوم نمارس بعضاً أو جزءاً من الحياة الإسلامية الكاملة ، وهذا القصور أو النقص يسري في كل شيء ، ومن مظاهره قصور عملية التعلم ، وهذا النقص الفادح الذي أصابها .

والعجيب أنه صاحب كل ماذكرنا من ظواهر : ظاهرة أخرى أعجب وأشد نكاية بكل من يحلم مثلي بالتعلم على طريقة السلف :

بعض الحمقى من المتفقهين الذين اشتهوا التصدر للفتوى والاجتهاد وأرادوا التصدي للتصنيف والتأليف بلغ من هوس العجلة في العلم عندهم أن أرادوا تحت تأثير تلك الشهوة إلغاء سلم التعلم الذي صنعه السلف ، اختصاراً للطريق ، لأن هممهم ساقطة مثل غيرهم ، لكنهم يطلبون الإمامة ، شهوة الإمامة ركبتهم وتسلطت على عقولهم ، وهذا السلم الذي صنعه ونظمه السلف طويل ، يحتاج إلى همم عالية ، وإلى صبر ومصابرة ، وهم لا يستطيعون صبراً ، فأرادوا القفز من فوق الجدران :

ـــ من كتب الحديث اختاروا : نيل الأوطار ، وربما سبل السلام .

ـــ ومن كتب الرجال : تقريب التهذيب .

ـــ ومن كتب أصول الفقه : إرشاد الفحول .

وكل هذه المصنفات ـــ إن كنت تعرفها ـــ من أدوات الاجتهاد ، أعني أنها مصنفات تصلح للمجتهدين لا للمبتدئين ، أو المتفقهين الذين كل همهم الامتثال وإبراء الذمة .

أدلة الأحكام ، وكتب الرجال ، وأصول الفقه ، هذه أدوات للمجتهد الذي انتهى من تعلم الأحكام ــ أي الفقه ــ ، ومن تعلم العقيدة ، ومن تعلم علوم الوسائل .

وهل تظن أن هؤلاء المتعجلين يقرأون هذه الكتب ، ومعظمها للشوكاني رحمه الله أو يفهمونها ؟ إنهم مجرد صيادين ، يتصيدون المسائل تصيداً بلا فقه وبلا قريحة صحيحة ، أو ملكة علمية سليمة .

وليتهم سكتوا ، أو أن الأمر كان ضرره مقتصراً عليهم ، لكنهم تصدروا للفتــوى والترجيــح والاجتهاد ، وشرعوا يناقشون الآراء المذاهب ، ودخلوا في علم الخلاف ، وهو من العلوم التي لايقوى عليها إلا فحول الفقهاء ، ولما كانت القرائح فجة نيئة لم تستو بعد فقد عجزوا عن إدراك مغازي الكلام ومراميه ، فراحوا يخطئون العلماء ، ويردون على فحول الأئمة وكبار الفقهاء دون وجل أو أدب .

إن العجلة في العلم ، مع سقوط الهمم ، وقلة الجلد ، وعدم الصبر على التلقي ، مع تحكم شهوة طلب الإمامة وحب الرئاسة العلمية الذي تحكم في القلوب ، ومافي ذلك من فساد المقصد ، كل ذلك وفي ظل أصحاب ذلك المسلك العجيب من المعلمين الذي وصفناه بالدعوة إلى الاجتهاد (الجفلى) والذي لايتاح للمتعلم في ظله تعلم العلم ولا تعلم الأدب كل ذلك أدى إلى هذه الفوضى العلمية وهذا الهزال العلمي الذي عمت البلوى به اليوم .

كنا مع أحد شيوخنا جلوساً في الصحراء قريباً من طريق المسافر إلى الرياض ، وحضرت صلاة المغرب فقمنا نصلي بعد أن أذن أحدنا ، ومرت (سيارة) بها مسافرون ، فلما أبصروا جماعة الصلاة أوقفوا ركبهم وانضموا إلى الصلاة ، وبعد فراغنا من الصلاة قال أحدهم موجهاً كلامه إلى شيخنا المذكور :

ــ أفتني يامُطوع أنا سائق السيارة (التاكسي) وأنا مستوطن بالمدينة وأهلي بها ، وأنا دائماً مسافر بينها وبين الرياض لا أستقر بحكم عملي ومهنتي يوماً كاملاً في بلد ، ورمضان

على الأبواب ، فهل أصوم وأنا مسافر ؟.

وقبل أن يتنفس الشيخ ، تعجل واحد منا ــ وهو مثلنا من تلاميذه ــ فأفتى السائل بما يأتي :
الأفضل أن تفطر أخذاً بالرخصة ، فقد قال النبي ﷺ : « ليس من البر الصيام في السفر » ، فتفطر وتقضي بعد رمضان .
ــ قال السائل : لكنني مسافر دائماً ، ويثقل علي حبس نفسي شهراً كاملاً للقضاء .

ــ المفتي المتعجل : هذا هو حكم الشرع ، الأفضل أن تفطر ثم تحبس نفسك بعد رمضان شهراً للقضاء .

والتفت السائل إلى شيخنا الذي كان يتفرج على تلميذه حانقاً ، وقال : أنت ياشيخ ماذا تقول أفتني ؟

قال له الشيخ : تصوم رمضان في وقته لابأس بذلك ، لأنك في حكم المقيم .

وفرح السائل بعد أن سمع هذه الفتوى ، وظهر الارتياح على وجهه وقام منصرفاً وهو يدعو للشيخ كأنما وهبه الشيخ مالاً .

وجادل التلميذ المتعجل شيخه بعد انصراف الركب ، فقال الشيخ :
ــ مادمت ستلزمه بالإقامة شهراً للقضاء فلم لايكون هذا الشهر هو رمضان ويصومه أداء لا قضاء ، ثم ماالداعي لإلزامه بالإقامة وحبسه عن طلب الرزق ، وليس في صيام المسافر لو صام حرج ، فكيف وهذا حاله أشبه حال المقيم من جهة أن هذا دأب دائماً وعادته ، هو ليس شيئاً طارئاً عليه .

بل شاهدت مثلاً آخر أعجب من هذا ، كان ممن فرَّخهم هذا المسلك الذي وصفت آنفاً : رجل من العوام ، كان يعمل بواباً على باب (كلية الشريعة) بالمدينة النبوية ، التي درسنا بها أيام الصبا والشباب ، وكان هذا البواب رجلاً صالحاً محباً لحلقات العلم مداوماً على مجالسة المشايخ ، ولكن دون أن يتفقه ، وإنما هو مستمع فقط .

وكان مما سمعه من بعض المشايخ أهل ذلك المسلك العجيب أن على كل مسلم أن يجتهد على قدر طاقته في تبليغ العلم ، وأن الشروط التي اشترطها الفقهاء ماأنزل الله بها من سلطان ، فالنبي ﷺ قال : « بلغوا عني ولو آية » ، وفهم صاحبنا

من هذا الكلام أن هناك تفويضاً شرعياً لمثله أن يفتي حسب علمه وطاقته ، فجلس بين العوام يُذكِّر ويفتي .

إذا وعظهم ربما أفادهم ، لكنه حين يفتي كان يأتي بالعظائم ، وسمعت بذلك فأنكرته في نفسي ، فكنت إذا رأيته على باب (كليتنا) أداعبه ببعض غوامض المسائل ، ثم أقول له : ياأبا فلان إياك أن تفتي فتهلك الناس ، فالعلم كما ترى يحتاج إلى التعلم أولاً .

وحضرت يوماً مع صديق لي من طلاب العلم عشاءً في بيت من بيوت البدو القاطنين في شرق المدينة النبوية ، وكانت جلسة بدوية ، في فناء واسع مكشوف ، وفي ظلمة الليل البهيم ، لا يهتك ستر ذلك الظلام إلا خيوط من ضوء الحطب الذي كان يشتعل وسط حلقة الضيوف ، وعلى جوانبه أدوات (القهوة) ، لكن تلك الأشعة الضئيلة المنبعثة على استحياء من شعلة النار المتصاعدة من حول (دلال القهوة) لم تكن كافية لأن نتبين الجالسين ونحن نأخذ مجلسنا بينهم ، إلا أن صوت المتكلم الذي كانوا جميعاً يصغون إليه وهو يفتيهم ويجيب على أسئلتهم كان يشبه صوت بواب (كلية الشريعة) ... عجباً أبو فلان لا يزال يفتي الناس ؟!.

قال له سائل بدوي :

ــ أنا يامطوع إذا كنت ماشياً في أرض منقطة موحشة لاأنيس بها ولا أحد ولا أثر لحياة ولا لأحياء ، ثم وجدت فتاة كلها فتنة جالسة في ذلك القفر الموحش ، واستنجدت بي وطلبت مني أن آخذها معي لأوصلها إلى أهلها فهي ضائعة ، وأنا شاب أخشى الفتنة ، ولو أمنت على نفسي الفتنة لم آمن من كلام الناس وتهمتهم لي إن أنا أقبلت بها عليهم . فماذا أفعل ؟ أأتركها فتهلك ، أم آخذها مع خوفي من نفسي وخوفي على نفسي

وطربت لهذا السؤال ، وعجبت من فصاحة هذا البدوي في صياغته وإلقائه مع أن موضوع السؤال يعد من الواقعات التي يصادفها البدو أحياناً ، فهي ليست صورة خيالية ، وقلت في نفسي : الآن نسمع العجائب من فقه بواب (كلية الشريعة) . قال البواب المفتي :

ــ تتركها ولا تأخذها لأن العلماء قالوا : درء المفاسد مقدم على جلب المصالح .

وضحكنا أنا وصديقي من هذا الجواب ، وبينما كان السائل البدوي يناوش هذا المفتي العجيب ، ويراوده عله يغير فتواه كأنما الفتاة التي تصورها في السؤال ملقاة فعلاً في الفلاة تنتظر الفتوى ، قال لي صديقي : لايحل لنا السكوت .

قلت : ياأبا فلان ، هذه الواقعة فيها دليل من السنة .

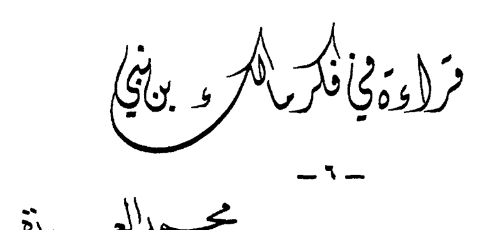
فلما سمع صوتي قال : ها .. هنا بعض المشايخ إذن هم أولى بالفتوى مني اسمعوا منهم .

وأكملت تعليقي على فتواه :

لما مر صفوان بن المعطل السلمي ووجد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في الفلاة ، وكان الركب قد مضوا إلى المدينة النبوية وحملوا هودجها ولم ينتبهوا إلى خلوه منها لخفة وزنها ، فجلست أم المؤمنين متلفعة بجلبابها حتى مر بها صفوان ، فلما رآها وعرفها استرجع ، ولكنه لم يتركها ، بل أناخ جمله ثم تنحى عنها حتى ركبت ، وأخذها إلى المدينة دون أن يلقي بالاً لما يمكن أن يقوله المنافقون ، وفعلاً هذه الواقعة هي التي استغلها المنافقون فرموا أم المؤمنين عائشة بالإفك ، ثم أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات قرآناً يتلى إلى يوم الدين ...

فلا يحل إذن للسائل أن يترك تلك الفتاة معرضة للهلاك أو حتى للفساد إذ قد يمر بها فاسق ، وذلك من أجل مفسدة متوهمة ، بل يتوكل على الله ويأخذها معه ويوصلها إلى أهلها وأجره على الله □





— ٦ —

محمد العبدة

ذكرنا في الحلقة السابقة رأي مالك بن نبي في الثقافة وكيف توجه ، ونتابع في هذه الحلقة رأيه في توجيه العمل ورأس المال ، والخطوط العريضة للاقلاع الاقتصادي .

أهمية الاقتصاد :

لم يعد الاقتصاد في العصر الحديث من الأمور الثانوية ، وماكان كذلك في القديم ، ولكن العصر الحديث زاده أهمية وزادت مشاكله حدة بسبب التقارب الجغرافي ، وظهور مذاهب الرأسمالية والاشتراكية التي جعلته من المحاور الرئيسية في حياتها ، وبسبب جشع الغرب ومحاولته إبقاء دول العالم الثالث مستهلكة

لإنتاجه « فأوربا التي تكتلت في القرن الحادي عشر من أجل الزحف الصليبي وتكتلت في القرن التاسع عشر في الميثاق الاستعماري ، تعود اليوم إلى تكتل جديد في صورة (السوق المشتركة) في الظاهر من أجل الصمود في وجه الاقتصاد الأمريكي والياباني وفي الواقع من أجل الزحف الاقتصادي على مناطق الحضور الأوربي سابقاً (العالم الثالث والإسلامي بوجه خاص) لترسي فيها دعائم وجود أوربي جديد بوسائل الاقتصاد » (١) .

وليس هذا موضع تفصيل نظرة الإسلام إلى الاقتصاد ولكن الذي لاشك فيه أن دولة أو أمة تعيش على فتات الموائد والإعانات من القمح والدقيق والقروض من البنك الدولي ، كيف يتسنى لها الاستقلال السياسي ، وكيف تبقى بعيدة عن ضغوط الشرق والغرب .

كان الطلب على الحاجات قليلاً في الماضي ، ولم تقع الشعوب الإسلامية فريسة الاستهلاك ، وبسبب التخطيط الاقتصادي الفاشل صار الفلاح ينتظر لقمة العيش من أمريكا ، وقد كان في السابق مكتفياً هو وأسرته في مزرعته وأرضه « فالعالم الإسلامي يواجه اليوم (حالة إنقاذ) تفرض عليه أن يتخذ قرارات صارمة في المجال الاقتصادي » (٢) .

ونحن لا نضخم من دور الاقتصاد ، ولكن ألم يكن كبار الصحابة تجاراً ومزارعين ، ولابد من إعمار الدنيا بالقدر الذي لاتنخرم فيه أمور الدين أو أمور الآخرة ، وكيف يكون المسلم عزيزاً إذا كان جل اعتماده على الكفار .

الاقتصاد اليوم أصبح علماً قائماً بذاته ، والظروف الحالية تتطلب تخطيطاً اقتصادياً يناسب حاجات وموارد بلادنا ، وإذا كان الغرب يسخر الاقتصاد للرفاهية والاستغلال ، فلماذا لا يسخره المسلمون للاستقلال ونشر الدعوة والجهاد .

الإقلاع الاقتصادي :

ولأهمية هذا الموضوع كان السؤال المتبادر : كيف ينهض المسلمون

---

١ ــ مالك بن نبي : المسلم في عالم الاقتصاد / ١٠٢ .
٢ ــ المصدر السابق / ٩٩ .

اقتصادياً ؟ وكيف يكون لهم اقتصاد مستقل ؟ فالعالم من حولهم في سباق رهيب ، المنتجون في الشمال على محور (واشنطن ــ طوكيو) يريدون بقاء العالم الآخر (محور : طنجة ــ جاكرتا) المحطة الرئيسية للاستهلاك ، « والمسلم في أول هذا القرن لاهو بالمنتج الذي يرعى حقه ، ولا المستهلك الذي ترعى حاجته ، لقد كان أداة عمل مستمر فقط ، ولم يتكون لديه وعي اقتصادي ولا تجربة في عالم اقتصاد غريب عليه بكل مفاهيمه » (١) .

وعندما حاول العالم الإسلامي النهوض تعثرت خطواته كثيراً ، وفشلت التجارب التي لم تأت عن دراسة لواقع المسلمين الثقافي ، بل أخذت من الشرق أو الغرب كأنها (وصفات) جاهزة لتطبيقها في أرض غير أرضها ، قامت صناعات قبل أن توفر الغذاء للعامل في المصنع ، واستقدموا الخبير الألماني (شاخت) ليطبق نظرياته في أندونيسيا ، ولكنه فشل لأن تجربته كانت مع الشعب الألماني وليس مع الشعب الأندونيسي .

ومن الناحية النظرية ، وعندما يكتب المسلمون عن الاقتصاد يبدو تأثير النظريات الغربية ، فهم يحاولون دائماً إثبات أنه يمكن أن تقوم بنوك دون ربا ، واستثمار دون ربا فكأن قضية المال هي الأساس الأقوى في الاقتصاد ، ولا يعرجون كثيراً على موضوع الإنسان الاجتماعي « فالمعنى الاقتصادي لم يظفر في ضمير العالم الإسلامي بنفس النمو الذي ظفر به في الغرب » (٢) أو لايعرجون على العمل وأهميته « فالعمل وحده هو الذي يخط مصير الأشياء في الإطار الاجتماعي » (٣) « وعندما كان المسلمون الأول يشيدون مسجدهم الأول بالمدينة ، كان هذا أول ساحة للعمل صنعت فيها الحضارة الإسلامية » (٤) .

وفي مجتمع ناشيء « فإن كلمة أجر تفقد معناها ، لأن العامل لاعلاقة له بصاحب عمل ولكن بجماعة يشاطرها بؤسها ونعماها ، فإعطاء ثلاثة حروف من الأبجدية عمل ، وإزالة الأذى عن الطريق عمل ، وغرس شجرة عمل ،

---

١ ــ المسلم في عالم الاقتصاد / ٧ .
٢ ــ المصدر السابق / ١٦ .
٣ ــ شروط النهضة / ١٦٢ .
٤ ــ المصدر السابق / ١٦٢ .

واستغلال أوقات فراغنا في مساعدة الآخرين عمل ... وهكذا » [1] .

توجيه رأس المال :

يفرق مالك بن نبي بين مصطلحي الثروة ورأس المال ، فالأول يستخدمه الفرد في ميدانه الخاص مثل عقاره أو قطيعه أو ورشته « فالثروة لاتسعى لغايتها كقوة مالية مستقلة ، بينما رأس المال ينفصل عن صاحبه ويتسع مجاله ليخلق حركة ونشاطاً ، ويوظف الأيدي أينما حل وحيثما ارتحل » [2] فالثروة مال ساكن ، ورأس المال مال متحرك ، والمطلوب من المسلمين توجيه المال في خدمة الاقتصاد الإسلامي « فالقضية ليست في تكديس الثروة ولكن في تحريك المال وتنشيطه ، بتوجيه أموال الأمة البسيطة إلى رأس مال متحرك ينشط الفكر والعمل » [3] وقد نتج عن عدم توجيه (المال) أن « زاد أغنياء المسلمين على فقرائهم في العطل برغم مايملكون من ثروات ، فكثير منهم لايهتمون بتولي طفل مسلم لتربيته تربية علمية » [4] « والأموال تنفق في توافه الأشياء وتترك المشاريع ذات النفع العام كالمدارس والمستشفيات إنها مشكلة توجيه رأس المال ، إنها مشكلة نفسية وليست مالية » [5] .

ومع هذه الدعوة إلى توجيه رأس المال إلا أن مالك يحذر الدول « من اختيار مبدأ التنمية الرأسمالية لأنها تكون كما لو قررت مبدئياً أن تضع عملها من أجل النهوض الاقتصادي في سجن المؤسسات المالية العالمية » [6] بل يرى أن المشكلة ليست في المال ولكن في تعبئة الطاقات الاجتماعية ، والرصيد الأساسي هو الإنسان ، « لو سمح لي أن ألخص وجهة نظر عبّرت عنها منذ ربع قرن لقلت أنه ليس من الضروري (ولا من الممكن) أن يكون لمجتمع فقير المليارات من الذهب كي ينهض ، وإنما ينهض بالرصيد الذي لا تستطيع الأيام

---

١ ــ شروط النهضة / ١٦٣ .
٢ ــ المصدر السابق / ١٦٧ .
٣ ــ المصدر السابق / ١٧٢ .
٤ ــ وجهة العالم الإسلامي / ٨١ .
٥ ــ المصدر السابق / ٨٣ .
٦ ــ المسلم في عالم الإقتصاد / ٧٢ .

أن تنقص من قيمته شيئاً ، الرصيد الذي وضعته العناية الإلهية بين يديه : الإنسان والتراب والوقت » (١) « إن الاقتصاد ليس قضية إنشاء بنك وتشييد مصنع فحسب ، بل هو قبل ذلك تشييد الإنسان ، وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات » (٢) .

وبمثل رأي مالك هذا قال ابن خلدون في مقدمته : « الكسب هو قيمة الأعمال البشرية ، والله سبحانه خلق جميع مافي العالم للإنسان ، وامتن به عليه في غير ما آية من كتابه ﴿ وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه ﴾ ﴿ وسخر لكم البر ﴾ ﴿ وسخر لكم الأنعام ﴾ ويد الإنسان مبسوطة على العالم » (٣) .

الزراعة والصناعة :

إن ظروف العالم الإسلامي تقتضي عندما يريد النهضة الاقتصادية أن يبدأ بالزراعة ، فهي الأساس ، وهي التي تمده ببعض المواد الخام ، وهي التي تحميه من الضغوط الاستعمارية ، هذا هو رأي مالك بن نبي الذي يكرره كثيراً في كتبه ، يقول :

« والأرض هي الوسيلة المأمونة ــ كما يقول اليوم الاقتصاديون الذين يدرسون مشاكل العالم الثالث ــ لضمان (إقلاع) مجتمع ما من مرحلة أولية إلى مرحلة ثانوية » (٤) « ولكي يصل الاقتصاد إلى مرحلة التصنيع فليس له مايعتمد عليه سوى الزراعة من ناحية والمواد الأولية (الخام) من ناحية أخرى ، وهذان هما ثديا الاقتصاد الإسلامي على العموم » (٥) .

وتجربة الجزائر هي أكبر مثال على ذلك حين اهتم بالصناعة وأهمل الزراعة ، ووجد الشعب والعمال أن المواد الضرورية للغذاء غير موجودة .

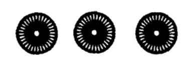
---

١ ــ مالك بن نبي : الرشاد والتيه / ٦٠ .
٢ ــ المسلم في عالم الاقتصاد / ٧٣ .
٣ ــ المقدمة ٢ / ٩٠٥ .
٤ ــ مشكلة الأفكار / ٤٠ .
٥ ــ المسلم في عالم الاقتصاد / ٢٤ .

لاشك أن وجهة نظر مالك بن نبي صحيحة بشكل عام ، ولا أظنه يعني أنه لابد من استكمال الزراعة حتى نبدأ بالصناعة ، ولكن الزراعة هي الأساس : وهذا شيء طبيعي بالنسبة للعالم الإسلامي ، فضعفه في الزراعة ومحاولة الانتفاش أنه صناعي جعلته يستجدي أخيراً المواد الغذائية من الغرب .

لم يقدم مالك بن نبي هنا نظرية متكاملة في الاقتصاد ، بل إشارات وخطوط عريضة فقط ، بل نستطيع القول أنه بسّط الأشياء أحياناً ، وهي أكثر تعقيداً وخاصة في ظروفنا الحالية . كما أنه وبسبب (السذاجة السياسية) وقع في غلطة كبيرة عندما ظن أن ماقام به قادة انقلاب (٢٣) يوليو في مصر مما سمي بـ (الإصلاح الزراعي) سيكون خطوة كبيرة في طريق الإصلاح الاقتصادي ، إن ماقام به هؤلاء لايعدو أن يكون ارتجالاً وتشنجات نفسية ضد الإقطاع وليس نابعاً عن خطة مدروسة فضلاً عن أن تكون خطة إسلامية ، وقد خرجت مصر بعد ذهابهم أضعف اقتصاداً مما كانت عليه يوم جاؤوا ، ولكن مالك الذي عاش في الغرب يفرح بأي خطوة يخطوها أهل المشرق مما يظن أنه من الإصلاح .

لم يعش مالك حتى يرى انهيار المجتمعات الاشتراكية ، سواء في الشرق أو في البلاد العربية ، وانهيار الاقتصاد المزيف ، وطبعاً لاتغني الوصفات من الرأسمالية فالأمل هو في المجتمعات الإسلامية التي « تعيد إلى عالم الاقتصاد أخلاقيته ، ويتلافى بذلك الانحرافات الإباحية التي تورطت فيها الرأسمالية ، كما ينجو من ورطة الماركسية المادية التي سلبت الإنسان مايميزه عن الآلات والأشياء » [١] □



---

١ ــ المسلم في عالم الاقتصاد / ٨٥ .

قيام وسقوط القوى العظمى [1]

بول كنيدي

عرض وتعليق : طارق عبد الحليم

حين تعيش أمة من الأمم حاضرها وتبني مستقبلها ، وهي ذاهلة عن ماضيها ، معرضة عن تراثها بكل ماتحمله الكلمة من معان ، فإنها تكون كالنبتة التي اجتثت من فوق الأرض ، وانقطعت عن أصولها ، ففقدت أصالتها وهويتها التي تعينها على البقاء ، لذلك لن تلبث إلا أن تموت .

وحين تغفل أمة عن حاضرها ومستقبلها ، وتكتفي بأن تعيش على ذكريات ماضيها السالف ؛ تجتر أحداثه وتردد ماكان لها به من مجد مؤثل دون أن تستلهمه العبرة لحاضرها ومستقبلها ، ليكون بناؤها مؤسساً على قواعد راسية ، فإنها تكون كمن يُخدع بالسراب حتى يموت ظمأ .

والأمة القوية ــ أمة الوسط ــ تصل ماضيها بحاضرها ، وتمهد بهما معاً طريق المستقبل ، من هنا تبرز أهمية علم « التاريخ » الذي يعرض أحداث الماضي كما كانت ، ثم علم

1 - THE RISE AND FALL OF THE GREAT POWERS
Econcmic change and Military conflict from 1500 - 2000, PAUL KENNED,
والمؤلف بول كندي أستاذ التاريخ بجامعة (ييل) وقد نشرته مؤسسة (هايمان) باللغة الإنجليزية عام ١٩٨٨ م .

« فلسفة التاريخ » الذي يحاول استجلاء السنن الاجتماعية الكامنة وراء تلك الأحداث ، كما يحاول علم الفيزياء أن يستنبط السنن الطبيعية التي سنها الله سبحانه لعالم المادة ... ومن هنا كذلك ، تظهر أهمية التعرف على مايستجد من محاولات في هذا الباب .

من هذا المنطلق ، وحرصاً على اطلاع القارىء على مايستجد من مساهمات بارزة في هذا المجال ، فإننا نقدم ـــ في هذا المقال ـــ كتاباً احتفلت به الدوائر العلمية والثقافية في العالم أجمع ، بل وأشار الكثير منها إلى أنه يعد من أهم الأعمال المتعلقة بالتاريخ السياسي والاقتصادي العالمي في هذا القرن . والكتاب بالفعل جدير بأن يطلع عليه المسلمون للتعرف على مايقدمه الغربيون من تفسير للتاريخ الاقتصادي السياسي ومايتوقعونه ، بناء على ذلك التحليل لصورة العالم في العقود القادمة .

أولاً : العرض :

ينقسم الكتاب الذي يقع في ٦٩٨ صفحة من القطع المتوسط ، إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي : الاقتصاد والاستراتيجية في عالم ماقبل التصنيع ، وفي فترة التصنيع ، واليوم وغداً ، هذه الأقسام الثلاثة مقسمة بدورها إلى ثمانية فصول ، سنقوم بعرض محتوياتها في السطور التالية .

في البداية يقرر الكاتب بإيجاز أن القوى النسبية بين الأمم الدائرة في العالم لاتظل ثابتة ، وذلك لاختلاف معدل النمو بين تلك الأمم ، إلى جانب الطفرات التكنولوجية التي تميز مجتمعاً عن الآخر ، ثم يبسط المؤلف نظريته عن ظاهرة بروز قوة دولية جديدة على المسرح العالمي ، واندفاعها لتقهر من حولها ولتحتل مكاناً بارزاً بين بقية القوى العظمى بأنها ترجع إلى ذلك التوازن الدقيق بين القوة « العسكرية » لتلك الأمة وبين قوتها « الاقتصادية » . وبشكل أكثر تفصيلاً فإن الانفاق القومي على القوة العسكرية التي تحفظ كيان مجتمع ما يجب أن يتوازن مع ماتنفقه تلك الأمة في سبيل تنمية مواردها الاقتصادية وتقدمها العلمي التكنولوجي ، والخلل في تلك النسبة ـــ لصالح أي الطرفين ـــ هو السبب الرئيسي في اندحار تلك الأمة وأفول

نجمها ، إذ لو طف ميزان القوة العسكرية لصالح التقدم العلمي والاقتصادي لصارت الأمة نهباً للطامعين ومرتعاً للغازين المترصدين لها من كل جانب ، ولو تغلبت آلة الحرب العسكرية على المؤسسات الاقتصادية والعلمية ، وابتلعت قوة الأمة لصالحها ، فإنها لن تلبث وسائلها وأجهزتها العسكرية أن تغدو قديمة أمام مايستحدث من وسائل متطورة في حوزة الأمم الأخرى ، مما يجعلها تُقهر عاجلاً أو آجلاً .

هو إذن ميزان دقيق يتراوح بين القوة العسكرية ودرجة التسلح من ناحية ، وبين القوة الاقتصادية التي تحفظ على الأمة مواردها وتقدمها من ناحية أخرى ، وكلاهما مكمل للآخر ، وكما يقرر المؤلف « آسفاً » فإن القوة لازمة لضمان التقدم والرفاهية ، كما أن التقدم المادي ضروري لحيازة القوة وضمان سيطرتها .

ويرسم الكاتب في الفصل الأول صورة متكاملة للمسرح العالمي حوالي عام ١٥٠٠ ميلادية ، حيث تركزت القوى العظمى في خمسة مراكز : امبراطورية مينج الصينية ، الامبراطورية العثمانية وتوسعاتها في الهند ، امبراطورية مسكوفي في شمال آسيا ، ودولة تاكوجلوا باليابان .. إلى جانب تلك المجموعة من الدويلات المستقلة المتناحرة في غرب أوربا ، تلك المجموعة التي لم يكن هناك في ذلك الوقت مايدل أي دلالة على أنها ستحتل المركز القيادي الذي تحتله في عالم هذا القرن ، ولعل أهم ماميزها عمن حولها من قوى عظمى هو أن تلك القوى كانت تعاني من عيوب السلطة المركزية التي بنيت ــ كما يرى المؤلف ــ على أسس فكرية عملية نمطية لاتسمح بإبداع أو تغيير ليس فقط في مجال الدين أو المعتقدات بل حتى في المجالات التجارية والعسكرية .

ويرجع الكاتب السبب في تطور أمم أوربا الغربية إلى ذلك التحرر السياسي من وطأة أية سلطة مركزية عليا ، مما جعلها تنمو وتندفع في طريق التقدم دون عوائق ، كذلك بسبب تلك المخاوف التي كانت تسودها من جيرانها ، فإنها قد

حققت تطوراً في مجال التسلح بشكل متصاعد ، جعلها تسيطر أخيراً على العالم المتحضر .

وقد قاومت أوربا بالفعل محاولتي السيطرة اللتين هددتا الاستقلالية الأوربية من قِبَل الأسبان وعائلة هابسبورج النمساوية خلال فترة المائة والخمسين عاماً التالية للقرن السادس عشر ، وكادتا أن توقفا عملية التقدم التي كانت قد بدأت تشق طريقها بالفعل ، كما أوضح الكتاب في فصله الثاني .

أما الفصل الثالث فقد عالج الفترة بين ١٦٦٠ ــ ١٨١٥ م ، حيث أخذت بعض القوى العظمى في الانحدار ، مثل أسبانيا وهولندا ، وظهرت قوى أخرى هي : انجلترا وفرنسا وروسيا والنمسا وبروسيا ؛ تلك القوى التي حكمت حركة العالم خلال القرن الثامن عشر . وقد عزا المؤلف ذلك لحسن إدراك تلك القوى لما يحتاجه عصرها من سيطرة بحرية ، وحيازتها لأساطيل هائلة تجوب البحار بحثاً عن الموارد الاقتصادية الجديدة .

وقد أشار الكاتب في الفصل الرابع إلى ذلك التوتر النسبي الذي ساد العالم ــ خاصة الولايات المتحدة وروسيا في محاولة توحيد الكتلة الجغرافية السياسية لكل من الدولتين ــ خلال القرن التاسع عشر ، ومامهد لانجلترا أن تحتل موقع الريادة في الاستفادة من الثورة الصناعية ومنجزات عصر البحار للدرجة القصوى سواء على الصعيد الاقتصادي أو العسكري ، وفي هذه الفترة ذاتها تخلفت دول كإيطاليا وفرنسا عن مركز الريادة لتحتله قوى أخرى قد تكون هي الوحيدة التي أُهلت في هذه الفترة لتشق طريقها في سبيل إحراز القوة والسيطرة ؛ وهي ألمانيا إلى جانب الولايات المتحدة وروسيا واليابان خارج نطاق أوربا الغربية .

وقد تميز النصف الأول من القرن العشرين بأنه كرس « عالم القطبين » الشرقي والغربي ، بعد ظهور القوة الأمريكية الهائلة على مسرح السياسة الدولية ، وكذلك دولة روسيا تحت النظام البلشفي . أما ألمانيا فقد أجبرت القوى الكبرى أن تقف في وجهها لتمنعها من تحقيق سيطرة امبراطورية مركزية لم يعد أوانها في عالم القرن العشرين

كذلك تميزت تلك الفترة بما أسماه الكاتب « أزمة القوى الوسطى » وهي الدول التي لم تبلغ مدى القوى العظمى في الاقتصاد والقوة ، ولم تنحدر إلى حد التخلف والتبعية كما هو حال « الدول النامية » .. وهو موضوع الفصلين الخامس والسادس .

ويلقي الكتاب في فصليه الأخيرين الأضواء على عالم السبعينيات والثمانينيات ، محاولاً التنبؤ بناء على الرؤية التاريخية والمعطيات الحاضرة ، بما عساه يكون صورة للقوى العظمى الآخذة في الظهور والأخرى الآخذة في الانحدار والأفول .

ويقرر المؤلف أن مركز الثقل العالمي يتحرك باتجاه دول منطقة الباسفيك ــ شرقيه وغربيه ــ كاليابان في المقدمة ، وهونج كونج وسنغافورة والصين ، وكذلك الولايات الشرقية الباسيفيكية لأمريكا وكندا ، وهو يؤيد ذلك بإحصائيات عديدة تؤكد أن معدل النمو الاقتصادي لتلك الدول يتجاوز معدلات نمو بقية الدول حتى العظمى منها بدرجة كبيرة ، ويعلل الكاتب ذلك حسب نظريته في التوازن الاقتصادي العسكري بعدم إنفاق تلك الدول على ميزانيات دفاعها مايخل بذلك التوازن .

ثانياً : التعليق :

وقد قصدنا ــ بعدما قدمناه من عرض سريع لمادة الكتاب وموضوعه ــ إلى تقديم بعض الملاحظات ، وإبراز بعض النقاط التي تعين القارىء على استكمال الفائدة منه ، كما تعين قارىء المقال على إعمال الفكر فيما أثرناه ، من خلال عرضنا للموضوع وتعليقنا عليه .

وأول مانثبته من الملاحظات هو أن الكتاب يعتبر تحليلاً للتاريخ الاقتصادي السياسي ، وليس معالجة لظهور الحضارات وانهيارها كما عالجها المؤرخون أمثال توينبي في دراسته للتاريخ ، وهو أمر لم يدعِهِ الكاتب لمؤلفه كما يظهر من عنوانه الجانبي ، والفارق بين النظريتين فارق كبير إذ كافة ماعالجه الكاتب من قوى إنما ينتمي إلى حضارة واحدة ، الحضارة الغربية بوجهيها الشيوعي والرأسمالي اللذين يشتركان في أصل

النظرة المادية العلمانية .

أي إن الكتاب قد تركز حول القوى الغربية ـــ أعني الدائرة في حيز الحضارة الغربية الحديثة ـــ بصفتها الغالبة في عالم اليوم ، ولم يلق بالاً لتحليل ماقد ينشأ من قوى خارج محيط الغرب وفي بقاع أخرى من العالم .

والكتاب قد بنيت فكرته الرئيسية على أن التاريخ إنما يُصاغ بتأثير القوى العسكرية الاقتصادية ، وأغفل تلك الايديولوجيات التي تصنع تلك القوى وتدفعها للظهور باديء ذي بدء .. فهو يصور العالم على أنه ساحة صراع اقتصادي مغلف بالصراع المسلح ، ليس إلا ... هذه الصورة وإن كانت تبدو صحيحة للنظرة العجلى إلا أنها تتجاوز بعداً أساسياً ، بل البعد الأساسي في صناعة أحداث التاريخ ... الفكر والايديولوجية ، خاصة في عالم « القطبين » اللذين ظهرا أساساً نتيجة لايديولوجيات فكرية معينة لاتزال آثارها تحرك العالم وتشكل قالبه الحاضر . وإن التقارب الشرقي الغربي الذي يلحظه المراقب لمجريات السياسة العالمية اليوم لايجب أن يبرر بأنه تنازل عن عالم المباديء والايديولوجيات الفكرية ليحل محله عالم المال ، بل إنه أقرب لأن يكون أيديولوجية جديدة يتحرك بها القطبان الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي كل لصالحه ، ثم لاننسى أن كلا الكتلتين إنما ينتميان لقالب حضاري مادي واحد فما المانع إذن أن يتقاربا حين تدعو الحاجة لذلك ، بل وتلح عليه إلحاحاً !

كذلك فإن الكاتب قد سوغ سبب نهضة دول أوربا الغربية ، وتفوقها على كافة ماعاصرها من الامبراطوريات المنهارة ، بأنه يعود إلى تلك السلطة المركزية العليا التي كانت سمة مشتركة لتلك الامبراطوريات ، والتي لم تقصر سيطرتها على النواحي الدينية أو الأخلاقية ، بل تدخلت حتى في الجوانب الاقتصادية والعسكرية لتحافظ على نمطيتها .. وتلك كان غلطتها القاتلة .

والحق أن ذلك التعليل ، وإن كان يحمل حقاً لاشك فيه ، إلا أنه لايجب أن يحمل على إطلاقه ، فنحن نرى أن أوربا الغربية نفسها تتحرك اليوم نحو إيجاد سلطة مركزية بدرجة

ما تتمثل في السوق الأوربيـة المشتركة ، توحيد العملة الأوربية وغير ذلك من المظاهر ، بل إن القوة العظمى في عالم اليوم ، الولايات المتحدة الأمريكية ، قد نشأت من اتحاد فيدرالي بين ولاياتها التي تتجاوز الخمسين ولاية ، تخضع كلها لسلطة مركزية عليا واحدة ، والأمر كما نراه ليس أمر مبدأ السلطة المركزية في حد ذاتها ، بل هو في خطأ التطبيق ، الذي يؤدي بأية سلطة مركزية ، حين تفقد القدرة على الرؤية الصحيحة ومتابعة مايجري حولها بوعي ويقظة ، وحين تقل ثقتها في اتباعها ومنفذيها ، مما يؤدي إلى وأد القوى المبدعة والقدرات البناءة في مهدها ، وإهدار فرص التقدم وإمكانيات التطور لدى الأمم والمجتمعات □

عبد الله بن المبارك
العالم المجاهد
ـ ٣ ـ

د . محمد بن مطر الزهراني

ثانياً ـ جهوده في علوم الحديث :

يعتبر ابن المبارك أحد الجهابذة النقاد المعتد بقولهم في الجرح والتعديل . وله اجتهادات في علوم الحديث ومعرفة في علم الرجال والعلل .

وقد عبر عن ذلك الخليفة هارون الرشيد عندما أُتي بأحد الزنادقة ليقتله ، فقال الزنديق : أين أنت من ألف حديث وضعتها ؟ فقال الرشيد : فأين أنت ياعدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك ينخلانها ويخرجانها حرفاً حرفاً (١) .

وهذه جملة من أخباره وآرائه في هذا المجال :

ـ قال الحافظ علي بن المديني : انتهى العلم إلى رجلين : إلى ابن المبارك ثم من بعده إلى يحيى بن معين (٢) .

١ ـ تذكر الحفاظ ١ / ٢٧٣ .
٢ ـ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٤ .

ـ وقال فضالة النسائي : كنت أجالسهم بالكوفة ، فإذا تشاجروا في الحديث قالوا : مروا بنا إلى هذا الطبيب حتى نسأله ـ يعنون ابن المبارك ـ (١) .

ـ وقال علي بن المديني أيضاً : ابن المبارك أوسع علماً من ابن مهدي ويحيى بن آدم (٢) .

ـ وقال الإمام أحمد : لم يكن أحد في زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه (٣) .

ـ وقال ابن المبارك رحمه الله : في صحيح الحديث شغل عن سقيمه (٤) .

ـ قال عبدان بن عثمان : سمعت ابن المبارك يقول : الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ماشاء (٥) .

ـ وعنه أيضاً قال : الذي يطلب دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سُلم (٦) .

ـ وقال ابن المبارك : ليكن الذي تعتمدون عليه هذا الأثر وخذوا من الرأي مايفسر لكم الحديث (٧) .

ـ وقال أيضاً : إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوىء ، وإذا غلبت المساوىء على المحاسن لم تذكر المحاسن (٧) .

ـ وسئل عبد الله بن المبارك عمن نأخذ ؟ قال : من طلب العلم لله وكان في إسناده أشد ، قد تلقى الرجل ثقة وهو يحدث عن غير ثقة ، وتلقى الرجل غير ثقة وهو يحدث عن ثقة ، ولكن ينبغي أن يكون ثقة عن ثقة (٨) .

ماأحوجنا اليوم نحن طلبة العلم إلى هذه الوصية وهذا التوجيه الكريم من الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك ،إنه يرسم منهجاً يجب أن يلتزم به طلبة العلم طول حياتهم .

---

١ ـ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٧ .
٢ ـ تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٤ .
٣ ـ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥١ .
٤ ـ المصدر السابق ٨ / ٣٥٧ .
٥ ـ مقدمة صحيح مسلم ١ / ١٥ .
٦ ـ الكفاية للخطيب البغدادي / ٢٩٢ .
٧ ـ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٢ ـ ٣٥٣ .
٨ ـ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٧٧ .

إن آفة الأخبار رواتها ، وماأقل الثقات في رواة الأخبار في عصرنا وأخص بالذكر طلبة العلم فهم قدوة الأمة وهم المخاطبون بوصية ابن المبارك ، والمفترض فيهم التوثق ، ودقة الفهم وتمحيص الأخبار والنظر فيمن يرويها : في دينه وعقله وضبطه وعدله ، في سيرته واتجاهه الذي يسير عليه في حياته ، لكن الواقع خلاف ذلك ، إذ أن مجتمع طلبة العلم اليوم أصبح في الغالب مرتعاً خصباً للإشاعات والأراجيف التي لا أساس لها من الصحة ــ وآفتها من مروجيها بينهم ــ ولا سيما تلك الإشاعات التي تتعلق بسمعة أحدهم ، فإنها تنتشر بينهم انتشار النار في الهشيم أو أسرع .

وكان الأولى بطلبة العلم وعلى وجه أخص من يزعمون أنهم دعاة إلى الخير أن يلتزموا منهج المحدثين في التثبت في الرواية والتمحيص للأخبار والنظر في أحوال الرجال ، فإن ذلك هو الموافق لمنهج الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح ، وهذا المنهج هو منقبة للأمة الإسلامية ، وميزة لها عن سائر الأمم .

ثالثاً : مؤلفاته :

قال الإمام الذهبي : دَوَّن ابن المبارك العلم في الأبواب والفقه وفي الغزو ، والزهد ، والرقائق وغير ذلك (١) .

وهذه جريدة أسماء مؤلفات ابن المبارك التي وقفت عليها فيما اطلعت عليه من المصادر :

١ ــ تفسير القرآن .
٢ ــ السنن في الفقه .
٣ ــ كتاب التاريخ .
٤ ــ كتاب الزهد ، طبع باسم : كتاب الزهد والرقائق بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي .
٥ ــ كتاب البر والصلة .
٦ ــ رقاع الفتاوى .
٧ ــ الرقائق .
٨ ــ الجهاد ، طبع بتحقيق الدكتور نزيه حماد (٢) .
٩ ــ الأربعين في الحديث .

---

١ ــ تذكرة الحفاظ ١ / ٢٧٥ .
٢ ــ قدم له الدكتور نزيه بمقدمة عن حياة ابن المبارك جيدة ، وقد استفدت منها في هذا البحث كثيراً ، فجزاه الله عني خيراً .

رابعاً : في مجال الإنفاق في سبيل الله :

كما كان ابن المبارك جواداً بنفسه في سبيل الله كان أيضاً كريماً جواداً بماله منفقاً في سبيل الله . ولا غرو فقد ورث ذلك من القدوة الحسنة رسول الله ﷺ الذي وصفه ابن عباس ــ كما في الحديث الصحيح ــ بأنه كان أجود من الريح المرسلة ، وأجود مايكون في رمضان .

وهذه نبذة من أخباره رحمه الله في هذا المجال :

ــ قال الحسن بن شقيق : كان ابن المبارك ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم ، وإنه قال مرة للفضيل بن عياض : لولاك وأصحابك ماتاجرت (١) .

ــ وقال علي بن الفضيل بن عياض : سمعت أبي وهو يقول لابن المبارك : أنت تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة ، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام ، كيف ذا ؟ فقال ابن المبارك : ياأبا علي إنما أفعل ذا لأصون به وجهي وأكرم به عرضي وأستعين به على طاعة ربي ، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به ، فقال له الفضيل : ياابن المبارك ماأحسن ذا إن تمَّ ذا (١) .

ــ وبإسناد الخطيب أيضاً إلى حبان ابن موسى المروزي قال : عوتب ابن المبارك فيما يفرق من الأموال في البلدان ، ولا يفعل في أهل بلده ، قال : انني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق طلبوا الحديث فأحسنوا الطلبة للحديث ، وقد احتاجوا فإن تركناهم ضاع علمهم وان أعنَّاهم بثوا علمهم لأمة محمد ﷺ ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم (١) .

هكذا يكون الفهم الصحيح لوظيفة المال في الحياة الدنيا ، إنه لصون الوجه والعرض وإعانة طلبة العلم والصالحين والاستعانة به على مرضاة الرب ، هذا هو فهم سلفنا الصالح لوظيفة المال ، فهل يقتدي بهم أرباب الأموال من أثرياء المسلمين اليوم ، فينفقون أموالهم في وجهها الصحيح .

---

١ ــ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٩ ــ ١٦٠ ، ط السلفية بالمدينة النبوية .

إن الإمام ابن المبارك يرسم لنا بسيرته العملية في ماله منهجاً بيناً واضحاً . إن هذا المنهج ليبين لأرباب الأموال الطريقة الصحيحة لتوزيع صدقاتهم وأموالهم التي ينفقونها في سبيل الله ، في هذا المنهج يبدأ بالإنفاق على من نفعه لدينه ولأمته أكبر ، أولئك هم طلبة العلم العاملون بعلمهم المشتغلون بنشر العلم لأمة محمد ﷺ عن طلب الرزق .

إنه من المؤلم حقاً أن نرى أموالاً كثيرة ــ تعد بالملايين ــ تنفق سنوياً من قبل أثرياء المسلمين ثم لاتؤدي هذه الأموال الأثر المطلوب من إنفاقها ، إنها تنفق دون تخطيط ودون هدف من إنفاقها سوى إرادة أصحابها أداء الحق الشرعي في أموالهم وكفى .

إن أموال اليهود تنفق لتخدم عقيدتهم وهدفهم الذي يسعون من أجل تحقيقه . وأموال الرافضة تنفق لنشر العقيدة الرافضية بين أهل السنة في جميع أنحاء العالم الإسلامي . وأموال النصارى قد أدت دوراً مهماً في تنصير أبناء المسلمين في أفريقيا وآسيا ، أما أموال أثرياء المسلمين فغالبيتها العظمى تنفق ولا تؤدي دوراً مهماً لأنها تنفق بدون وعي وبدون تخطيط ، وغالبها يوضع في غير محله .

إن أعداداً كثيرة من خريجي الجامعات العربية والإسلامية من أبناء المسلمين في أفريقيا وآسيا بحاجة ملحة إلى من ينفق عليهم ليتفرغوا للدعوة إلى الله ونشر العقيـدة الصحيحة بين المسلمين وغيرهم في تلك الديار المقفرة من الدعاة إلا من النزر اليسير ، إنهم بحاجة إلى عشرات من أمثال عبد الله بن المبارك ليتفقدوا أحوالهم ويعينوهم على بث العلم لأمة محمد ﷺ لشدة حاجة الأمة إلى علمهم لاسيما وهي تصارع الشرك والخرافة والتنصير والمبادىء الهدامة من علمانية وقاديانية وبهائية ورافضة وباطنية وغيرها .

ــ عن محمد بن عيسى قال : كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس ، وكان ينزل الرقة في خان فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث ، قال

فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب ، وكان مستعجلاً فخرج في النفير ، فلما قفل من غزوته ورجع الرقة سأل عن الشاب ، فقالوا : إنه محبوس لدين ركبه ، فقال عبد الله : وكم مبلغ الدين ؟ فقالوا : عشرة آلاف درهم ، فلم يزل يستقصي حتى دُل على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لايخبر أحداً مادام عبد الله حياً ، وقال : إذا أصبحت فاخرج الرجل من الحبس وأدلج عبد الله ، فأخرج الفتى من الحبس وقيل له عبد الله بن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك وقد خرج ، فخرج الفتى في إثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة ، فقال : يافتى إن كنت لم أرك في الخان ؟ قال : نعم ياأبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين ، قال : كيف كان سبب خلاصك ، قال : جاء رجل فقضى ديني ولم أعلم به حتى خرجت من الحبس ، فقال له عبد الله : يافتى احمد الله على ماوفق لك من قضاء دينك ، فلم يخبر ذلك الرجل أحداً حتى مات عبد الله [١] .

وهذه منقبة أخرى لهذا العالم المجاهد عبد الله بن المبارك ــ وما أكثر مناقبه ــ وهي تفقده لأحوال تلاميذه وقضاؤه حاجاتهم ، وهذه حال كثير من أئمة السلف يرحمهم الله ، مع تلاميذهم [٢] ، وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ الذي كان يتفقد أحوال أصحابه فيقضي حاجاتهم ويعين فقيرهم ويعود مريضهم ... ويعينهم جميعاً على نوائب الحق ، فهل من مشايخنا وعلمائنا اليوم من يفعل ذلك مع تلاميذه ؟؟ [٣] .

كم تخرج على أيديهم في الجامعات الإسلامية من أبناء أفريقيا وآسيا وغيرها ؟ فهل سألوا عنهم بعد تخرجهم ، هل عرفوا شيئاً من

---

١ ــ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٩ .

٢ ــ انظر ماكتبه ابن جماعة في تذكرة السامع والمتكلم ، الباب الثاني ، الفصل الثالث ، وخاصة النوع الثالث عشر منه .

٣ ــ لا يفوتني أن أنوه هنا بجهود سماحة شيخنا الفاضل عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله وبارك فيما بقي من عمره ، فهو من بقية السلف الصالح ، له جهود طيبة في هذا المجال ، رأينا آثارها في أفريقيا حيث يرعى كثيراً من خريجي الجامعة الإسلامية ــ بالمدينة النبوية ــ باعانتهم من ماله الخاص ، ومما يجمعه من المحسنين ، أسأل الله له دوام التوفيق إلى كل مافيه خير الإسلام والمسلمين .

أخبارهم ؟!!

إنهم يعانون في بلادهم من الفقر والفاقة ومن اضطهاد طواغيت بلادهم ، كما يعانون من هجوم أعدائهم من مبشرين وقاديانيين ورافضة وعلمانيين ، ولقد شاهدت ذلك بأم عيني أثناء زياراتي لغرب أفريقيا وجنوب شرق آسيا ، إنهم يحتاجون إلى مديد المساعدة بالمال والنصح والتوجيه والكتب العلمية النافعة ، وهم بحاجة إلى بناء مدارس لأبنائهم ليحفظوا عليهم دينهم وعقيدتهم وليحموهم من مدارس المبشرين والعلمانيين والباطنيين .

من غرر كلامه وشعره :

لقد كان ابن المبارك شاعراً وأديباً كما كان إماماً في الفقه والحديث والتفسير واللغة وغيرها من الفنون ، وكان والده يحفزه على حفظ الشعر وهو صغير ويكافئه على حفظ القصيدة بدرهم ، وكان ابن المبارك شاعراً مجيداً صادق اللهجة فلذلك كان لشعره وقع في النفوس ، ولاسيما أنه كان مليئاً بالحكم والمواعظ والنصح .

قال الدكتور نزيه حماد : (وشعر ابن المبارك ليس بالقليل ، غير أنه منثور في بطون مدونات العلم وكتب التراجم وأسفار التاريخ والأدب ، ويحتاج لمن ينقب عنه في مظانه ، ويعرف الناس بيواقيته ودرره ونفيس مكنوناته ، وانه لمهم حقاً باعتباره يمثل نموذجاً رفيعاً رائعاً من شعر الزهاد الأوائل والمجاهدين الحكماء من السلف الصالح ، فصاحبه قد قضى عمره في الجهاد والرباط والعلم والزهد ، فجاء شعره مرآة صادقة لتلك النفس الإنسانية السامية التي ارتقت في مدارج الكمال وعلت في مراتب الفضيلة ومقامات الإيمان والإحسان . وقد وصف الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء موهبته الشعرية الصادقة بقوله : كان ابن المبارك رحمه الله شاعراً محسناً قوالاً بالحق) . اهـ [1] .

١ ــ مقدمة كتاب الجهاد لابن المبارك / ٢٥ .

ومن شعره مايلي :

قال الذهبي : قال أحمد بن جميل المروزي : قيل لابن المبارك إن إسماعيل بن علية قد ولي القضاء فكتب إليه :

ياجاعل العلم له بازياً
يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها
بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما
كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك في سردها
عن ابن عون وابن سيرين
أين رواياتك فيما مضى
في ترك أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فماذا كذا
زل حمار العلم في الطين
لاتبع الدين بدنيا كما
يفعل ضلال الرهابين (١)

وعن سلام الخواص قال : أنشدني ابن المبارك :

رأيت الذنوب تميت القلوب
ويورثك الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب
وخير لنفسك عصيانها
وهل بدل الدين إلا الملوك
وأحبار سوءٍ ورهبانها
وباعوا النفوس فلم يربحوا
ولم تغل في البيع أثمانها
لقد رتع القوم في جيفة
يبين لذي العقل إنتانها (٢)

وأنشد أبو بكر الآجري لابن المبارك :

اغتنم ركعتين زُلفى إلى الله
إذا كنت فارغاً مستريحاً
وإذا ماهممت بالنطق بالبا
طل فاجعل مكانه تسبيحاً
فاغتنام السكوت أفضل من خو
ض وإن كنت بالكلام فصيحاً (٣)

وقال ابن المبارك يمدح حماد بن زيد مع التحذير من المبتدعة :

أيها الطالب علماً
إئت حماد بن زيد
فاستفد علماً وحلماً
ثم قيده بقيد

---

١ ــ تاريخ بغداد ٦ / ٢٣٦ ، سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٦٣ ــ ٣٦٤ ، وسأذكر فيما بعد قصة هذه الأبيات .
٢ ــ جامع بيان العلم وفضله ١ / ١٦٥ .
٣ ــ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٦٨ .

لا كثـــور وكجهـــم
وكعمـرو بـن عبيــد (١)

ـ وقال يمدح الإمام مالك إمام دار الهجرة :

يأبى الجواب فما يراجع هيبةً
فالسائلون نـواكس الأذقـان
هدي الوقار وعز سلطان التقى
فهو المهيب وليس ذا سلطان (٢)

وهذه نماذج من كلامه :

ـ قال ابن المبارك : إن البصراء لا يأمنون من أربع :

ـ ذنب قد مضى لا يدري مايصنع فيه الرب عز وجل .

ـ وعمر قد بقي لايدري مافيه من الهلكة .

ـ وضلالة قد زينت يراها هدى .

ـ وزيغ قلب ساعة ، فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر .

ـ وفضل قد أعطي العبد لعله مكر واستدراج (٣) .

ـ وقال أبو وهيب المروزي : سألت ابن المبارك ماالكبر ؟ قال : أن تزدري الناس ، فسألته عن العجب ؟ فقال : أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك ، ولا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب (٣) .

ـ قال حبيب الجلاب : سألت ابن المبارك : ماخير ماأعطي الإنسان ؟ قال : غريزة عقل ، قلت : فإن لم يكن ؟ قال : حسن أدب ، قلت : فإن لم يكن ؟ قال : أخ شقيق يستشيره ، قلت : فإن لم يكن ؟ قال : صمت طويل ، قلت : فإن لم يكن ؟ قال : موت عاجل (٤) .

مكانة ابن المبارك واهتمامه بإخوانه العلماء :

ـ قال أبو أسامة : كان ابن المبارك في أصحاب الحديث مثل أمير المؤمنين في الناس (٥) .

١ ـ تاريخ بغداد ٦ / ٢٩ ، جامع بيان العلم وفضله ١ / ١٢٧ .
٢ ـ العقد الفريد ٢ / ٢٢١ .
٣ ـ سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٥٩ ، وهي هكذا في السير وغيره « خمس » وليس أربع .
٤ ـ المصدر السابق ٨ / ٣٥٢ .
٥ ـ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٦ ، سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٤٠ .

ـ وعن أشعث بن شعبة المصيصي قال : قدم هارون الرشيد الرقة ، فانجفل الناس خلف عبد الله بن المبارك ، وتقطعت النعال ، وارتفعت الغبرة ، فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين الرشيد من برج من قصر الخشب ، فلما رأت الناس قالت : ماهذا ؟ قالوا : عالم من أهل خرسان قدم الرقة يقال له عبد الله بن المبارك ، فقالت : هذا والله الملك لا ملك هارون الذي لايجمع الناس إلا بشرط وأعوان [1] .

ـ أخرج الخطيب البغدادي بإسناده إلى الحمادين [2] قالا : كان عبد الله ابن المبارك يتجر في البز ، وكان يقول لولا خمسة ماتجرت ، فقيل له مَن الخمسة ياأبا عبد الرحمن ؟ فقال : سفيان الثوري وسفيان بن عيينة والفضيل بن عياض ومحمد بن السماك وإسماعيل بن عُلية . قالا : وكان يخرج فيتجر إلى خراسان فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال ونفقة الحج والباقي يصل به إخوانه الخمسة ، قالا : وقدم سنة ، فقيل له قد ولي ابن علية القضاء ، فلم يأته ولم يصله بالصرة التي كان يصله بها في كل سنة فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قدم فركب إليه فتنكس على رأسه ، فلم يرفع به عبد الله رأساً ولم يكلمه فانصرف ، فلما كان من غدٍ كتب إليه رقعة : بسم الله الرحمن الرحيم ، أسعدك الله بطاعته ، وتولاك بحفظه ، وحاطك بحياطته قد كنت منتظراً لبرك وصلتك أتبرك بها وجئت أمس فلم تكلمني ورأيتك واجداً علي ، فأي شيء رأيت مني حتى أعتذر إليك منه ؟

فلما وردت الرقعة على عبد الله بن المبارك دعا بالدواة والقرطاس ، وقال : يأبى هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا ، ثم كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم :

ياجاعل العلم له بازياً
يصطاد أموال المساكين

إلى آخر الأبيات وقد سبق ذكرها كاملة في الكلام عن شعره ، فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء ، فوطىء بساط هارون الرشيد وقال : ياأمير المؤمنين ألله الله ، ارحم شيبتي ، فإني لأصبر

١ ـ تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٦ ، سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٤٠ .
٢ ـ حماد بن زيد بن درهم ، وحماد بن سلمة بن دينار إماما مشهوران .

للخطأ ، فقال له هارون : لعل هذا المجنون أغرى عليك ؟ فقال : الله الله أنقذني أنقذك الله ، فأعفاه من القضاء ، فلما اتصل بعبد الله وجه إليه بالصرة (١) (*) .

دروس وعبر

ونختم هذا البحث ببعض الدروس والعبر من تلك السيرة العطرة لهذا الإمام المجاهد والعالم الرباني رحمه الله ورضي عنه :

أولاً : إن العالم المسلم يجب أن يعيش لدينه وأمته ونشر العقيدة الصحيحة بين الأمة وأن يبذل في سبيل ذلك كل مايستطيعه من نفس ونفيس وغال وثمين ، وهذا ماعبر به عبد الرحمن بن مهدي عندما وصف ابن المبارك بأنه كان أنصح علماء الأمة للأمة .

ثانياً : الفهم الصحيح للزهد هو ترك مابأيدي الناس والرغبة فيما عند الله ، وأن طلب المال لصون العرض والاستعانة على طاعة الرب وإعانة طلبة العلم والصالحين لاينافي الزهد .

وهذا الفهم جسده الإمام ابن المبارك في حياته العملية وفي قوله عندما عاتبه الفضل بن عياض على أمره لهم بالزهد والتقلل مع اشتغاله بالتجارة بالتجارة فقال : إنما أفعل ذا لأصون به وجهي وأكرم به عرضي وأستعين به على طاعة ربي ، لا أرى لله حقاً إلا سارعت إليه حتى أقوم به ، فقال الفضيل : ماأحسن ذا إن تم ذا .

ومن ذلك نفهم أن زهد الصوفية الداعي إلى الكسل والخمول وتعطيل الحياة ليس صحيحاً ، بل هو خلاف فهم السلف الصالح للزهد وخلاف ماأراده الشارع من المؤمنين .

ثالثاً : إن مهمة العالم المسلم ليست منحصرة في تعليم الناس العلم

---

١ ــ تاريخ بغداد ٦ / ٢٤٥ ــ ٢٣٦ .

* ــ هذه النصوص وأمثالها في فرار أئمة السلف من تولي القضاء والتحريض على تركه محمولة على أمرين :

١ ــ علمهم بوجود من يقوم به .

٢ ــ تركه ورعاً وحيطة لدينهم .

أما إذا ترتب على ذلك خلو القضاء ممن يقوم به أو تسلط الكفرة أو الفجرة عليه فتفسد مصالح الناس وتعطل أحكام الشريعة فلا ، ولا يفهم من ذلك أنهم يحرصون على اعتزال المجتمع والحياة كما يفعل دراويش الصوفية وخوارج هذا العصر .

وتلقينهم الأحكام ، وتحفيظهم المتون بل إن مهمته أوسع من ذلك ، انه القدوة العملية لمن يربيهم ويعلمهم الفهم الصحيح لطلب العلم والعمل به ، والفهم الصحيح لوظيفة المال في الحياة الدنيا ، والمعنى السليم للزهد .

فهو إلى جانب تعليمهم يتفقد أحوالهم وينفق عليهم ويوجههم توجيهاً عملياً فلا يعلمهم أحكام الجهاد وهو قاعد متخلف مع القاعدين ، ولا يعلمهم سُبل الانفاق وهو مقتر بخيل أو فقير عاطل ، ولا يعلمهم التواضع وسعة الأفق وهو متكبر غليظ القلب ضيق الأفق .

رابعاً : تلك المكانة التي كان يحتلها علماؤنا من السلف الصالح بين الأمة ، إنها مكانة عالية مكانها القلوب والأرواح ، مكانة لايبلغها أرباب المال والجاه المتسلطون على الأمة بالقوة والقهر والذين غالباً ماتكون محبتهم مصحوبة بالرياء والمداهنة ، وأصدق تعبير عن هذه المكانة لأئمتنا من السلف الصالح أمران :

الأول : ماقالته أم ولد لهارون الرشيد عندما رأت بأم عينها مكانة الإمام عبد الله بن المبارك في قلوب ونفوس الأمة ، فانطلق لسانها معبراً عن تلك المكانة : .. هذا والله الملك لا ملك هارون الرشيد الذي لايجمع الناس إلى بشرط وأعوان أو ترغيب وترهيب ...

هذه المكانة لم يكن لينالها علماؤنا لو أن أعمالهم كانت تناقض أقوالهم أو كانوا يؤثرون الدعة والراحة على التعب والنصب أو كانوا يؤثرون أنفسهم بالرفاه والعافية عن باقي الأمة .

خامساً : إن لسلفنا الصالح منهجاً في طلب العلم يتدرج فيه الطالب حتى يبلغ درجة الاجتهاد ولا يتجاوز الطالب مرحلة من تلك المراحل إلى التي تليها حتى يتقن المرحلة السابقة وقد أوجز ابن المبارك المبادىء الأساسية لهذا المنهج فقال : أول العلم النية ثم الاستماع ثم الفهم ثم العمل ثم الحفظ ثم النشر . وقال : كانوا يطلبون الأدب ثم العلم .

سادساً : العناية بالنابغين والأذكياء من طلبة العلم والعمل على تفرغهم لطلب العلم وتعليمه للأمة ومساعدتهم بما يحتاجون من المال وغيره .

هذا مافعله ابن المبارك مع النابغين من طلبة العلم في عصره ومن قبله فعله شيخه أبو حنيفة رحمه الله مع بعض تلاميذه النابهين .

هذا مايسر الله لي أن أكتبه عن ابن المبارك وأسأله سبحانه أن يرزقنا العلم النافع وأن ينفعنا بما علمنا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين □

هجـــر المبتـــدع

ـ ٥ ـ

الشيخ بكر أبو زيد

المبحث الثامن : الضوابط الشرعية للهجر :

هذا بيان (لميزان الشرع في الهجر) وهو من أهم أبحاث هذا الواجب الشرعي ، وعليه : فإذا علمنا أن الزجر بالهجر للمبتدع حتى يتوب إلى الله تعالى ، قد قامت عليه أدلة بخصوصه ، وأنه من أولى مفردات قاعدة الشريعة المطردة (الولاء والبراء) أي الحب والبغض في الله تعالى .

وعلمنا أيضاً : أن المقصود بالهجر : زجر المهجور ، وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله ، إلى آخر مقاصد الإسلام من مشروعية الهجر كما تقدم .

وأن الهجر الشرعي لحق الله تعالى (عبادة) من جنس الجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعبادة لابد من توفر ركنيها : الإخلاص ، والمتابعة ، أي بأن يكون الهجر (خالصاً صواباً) خالصاً لله ، صواباً وفق السنة ، وأن (هوى النفس) ينقض ركنية (الإخلاص) ، كما أن ركن

المتابعة ينقضه (عدم موافقة الهجر للمأمور به) .

إذا تقرر جميع ذلك : فليعلم أن الشرع الشريف يزن الواقعات والأحوال الداخلة تحت قاعدته العامة (الولاء والبراء) بميزان قسط ، وقسطاس مستقيم ، وسطاً عدلاً بين جانبي الإفراط والتفريط ، فلا تزيد عن حدها ولا تنقص عنه ، فتلتقي العفوية للمبتدع بالهجر مع مقدار بدعته باعتبارات مختلفة ، ومايحف بذلك من أحوال تنزل على قاعدة رعاية المصالح وتكثيرها ، ودرء المفاسد وتقليلها ، فنقول إذاً :

الأصل في الشرع هو : هجر المبتدع لكن ليس عاماً في كل حال ومن كل إنسان ولكل مبتدع . وترك الهجر والإعراض عنه بالكلية ، تفريط على أي حال ، وهجر لهذا الواجب الشرعي المعلوم وجوبه بالنص ، والإجماع ، وأن مشروعية الهجر هي في دائرة ضوابطه الشرعية المبنية على رعاية المصالح ودرء المفاسد ، وهذا مما يختلف باختلاف البدعة نفسها ، واختلاف مبتدعها واختلاف أحوال الهاجرين ، واختلاف المكان والقوة والضعف ، والقلة والكثرة ، وهكذا من وجوه الاختلاف والاعتبار التي يرعاها الشرع وميزانها للمسلم الذي به تنضبط المشروعية هو : مدى تحقق المقاصد الشرعية من الهجر من الزجر ، والتأديب ، ورجوع العامة ، وتحجيم المبتدع وبدعته وضمان السنة من شائبة البدعة ..

هذا محصل الضوابط الشرعية للهجر (١) ، لكن ليحذر كل مسلم من توظيف (هوى نفسه) وتأمير (حظوظها) على نفسه ، فإن هذا هلكة في الحق ، وهو شر ممن يترك الهجر عصياناً لأنه يعصي الله تعالى بترك الهجر الشرعي للمبتدع ، وإظهاره ترك الهجر باسم الشرع تحت غطاء وهمي باسم (المصلحة) و (تأليف القلوب) وهكذا ، فالتزام الهجر الشرعي للمبتدع بضوابطه الشرعية لاغير .

وعلى هذا التأصيل تتنزل كلمات الأئمة كالإمام أحمد وغيره .

---

١ ــ وهذا طرد لقاعدة الشريعة في العقوبة على قدر الجرم كما في تنوع عقوبات المحاربين لتنوع أحوالهم ، والفرق بين عقوبة السارق والمغتصب ، والفرق بين عقوبة الزاني المحصن وغير المحصن ، وهكذا في سائر العقوبات الشرعية بقدر الجرم ومايحف به من أحوال .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في المسلك الحق في الهجر :

« فإن أقواماً جعلوا ذلك عاماً ، فاستعملوا من الهجر والإنكار مالم يؤمروا به ، فلا يجب ولا يستحب ، وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات .

وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجروا مأأمروا بهجره من السيئات البدعية ، بل تركوها ترك المعرض لاترك المنتهى الكاره ، أو وقعوا فيها ، وقد يتركونها ترك المنتهي الكاره ، ولا ينهون عنها غيرهم ، ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها ، فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر مأأمروا به إيجاباً أو استحباباً ، فهم بين فعل المنكر أو ترك المنهي عنه ، وذلك فعل مانهوا عنه وترك مأأمروا به ، فهذا هذا ، ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه ، والله سبحانه أعلم » [1] .

فباعتبار اختلاف مرتبة البدعة من الإثم هو من عدة جهات [2] :

من جهة كونها كفراً أو غير كفر .

فالمكفرة مثل : البابية ، والبهائية ، والقاديانية ، وغلاة البريلوية .

وغير المكفرة مثل عامة البدع في العبادات حقيقية كانت أو إضافية ، وتأتي .

ومن جهة كون صاحبها مستتراً بها أو معلناً لها ، ففرق بين المعلن لبدعته الداعي لها ، وبين الكاتم لها ؛ لأن الداعية ، والمعلن لها ، أظهرها فاستحق العقوبة بخلاف الكاتم فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، هذا وهم في الدرك الأسفل من النار [3] .

ومن جهة كونها حقيقية أو إضافية :

فالبدعة الحقيقية هي : البدعة التعبدية المحدثة استقلالاً كصلاة الرغائب ، وليست بدعة إضافية ، ومثل القول بالقدر ، وصلاة الألفية ليلة النصف من شعبان ، وبدعة الموالد ، والأعياد الحكومية ، وعيد غدير خم لدى الشيعة ، وهكذا .

---

١ ــ الفتاوى ٢٨ / ٢١٣ ، وانظر منه : ص / ٢٠٦ .
٢ ــ انظر بسط هذه الجهات الست في : الاعتصام للشاطبي رحمه الله تعالى ١ / ١٦٧ ــ ١٧٤ .
٣ ــ الفتاوى ٢٤ / ١٧٥ ، ٢٨ / ٢٠٥ .

والبدعة الإضافية : هي الأمر المبتدع مضافاً إلى ماهو مشروع أصلاً بزيادة أو نقص ، مثاله :

الدعاء الجماعي بعد الصلاة ، فالدعاء مشروع وجعله جماعياً بدعة مضافة لم يرد بها النص ، وبناء العبادات على التوقيف ، وسجود الشكر جماعة ، واتخاذ التبليغ خلف الإمام سنة راتبة مع عدم الحاجة إليه ، وهكذا .

ومن جهة كونها بينة أو مشكلة : أي كونها ظاهرة المأخذ فهي بدعة متمحضة كبدع المآتم والموالد ، وصلاة الرغائب ...

أو بدعة فيها احتمال لاستشباه مأخذها ، مثاله : القنوت في صلاتي العشاء والصبح فإنه كان ثم نسخ وبقي المشروع فيها عند النوازل ، وشبهة الخلاف لاتصيره مشروعاً راتباً .

والحقيقة أن هذا الوجه : صوري لا حقيقي إذ البدع مشكلة المأخذ يلحق بها من الإشاعة والتعصب مايجعلها بينة ، والله أعلم [1] .

ومن جهة اجتهاده فيها أو كونه مقلداً : فالمجتهد مفترع للبدعة ، فالزيغ أمكن في قلبه من المقلد ، وإن كان كل منهما موزوراً لكن أثم من سن سنة سيئة أعظم وزراً ، والله أعلم [2] .

ومن جهة الإصرار عليها أو عدمه : أما الإصرار عليها فيجعلها من باب : الدعوة إليها فيكون داعية معلناً لها ، وأما عدم الإصرار فهو من باب كونها : فلتة ، وزلة عالم ، إذا كانت منه ثم لم يعاودها [3] .

ويختلف باختلاف حال المبتدع ومافيه من خير وشر : « وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر ، وفجور وطاعة ، ومعصية وسنة وبدعة : استحق من الموالاة والثواب بقدر مافيه من الخير ، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب مافيه من الشر ، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة ، فيجتمع له من هذا وهذا ، كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ، ويعطى من بيت المال مايكفيه لحاجته ، هذا هو الأصل

---

١ ــ انظر الاعتصام ١ / ١٧٢ ــ ١٧٣ .
٢ ــ وانظر الاعتصام ١ / ١٦٧ ــ ١٦٨ .
٣ ــ وانظر الاعتصام ١ / ١٧٤ .

الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة ... » (1) .

وفرق بين عالم تشربت نفسه بالبدع ، لكنه لم يختلط بعلماء أهل السنة ولم يتلق عنهم ، وبين عالم تلقى عن المبتدعة فنالت منه منالاً ، ثم خالط أهل السنة وعلماءهم وجاورهم مدة بمثلها يحصل برد اليقين بل يكون عاشرهم عشرات السنين ، ثم هو يبقى على مشاربه البدعية يعملها ، ويدعو إليها ، ويصر عليها ، فهذا قامت عليه الحجة أكثر ، واستبانت له المحجة فما أبصر . فهو من أعظم خلق الله فجوراً ، وغيضاً على أهل السنة .

فالأول في تأليف قلبه وتودده للرجوع إلى السنة مجال ، أما الثاني : فلا والله ، بل يتعين هجره ، ومنابذته وأبعاده ، وإنزال العقوبات الشرعية للمبتدعة عليه ، وأن يهجر ميتاً كما هجر حياً فلا يصلي أهل الخير عليه ، ولا يشيعون جنازته .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في حق بعض العصاة المظهرين لفجورهم :

« وأما إذا أظهر الرجل المنكرات ، وجب الإنكار عليه علانية ، ولم يبق له غيبة ، ووجب أن يعاقب علانية بما يردعه عن ذلك من هجر وغيره ، فلا يسلم عليه ، ولايرد عليه السلام ، إذا كان الفاعل لذلك متمكناً من ذلك من غير مفسدة راجحة .

وينبغي لأهل الخير والدين أن يهجروه ميتاً ، كما هجروه حياً ، إذا كان في ذلك كف لأمثاله من المجرمين فيتركون تشييع جنازته ، كما ترك النبي ﷺ على غير واحد من أهل الجرائم ، وكما قيل لسمرة ابن جندب : إن ابنك مات البارحة ، فقال : لو مات لم أصل عليه ، يعني لأنه أعان على قتل نفسه ، فيكون كقاتل نفسه ، وقد ترك النبي ﷺ الصلاة على قاتل نفسه . وكذلك هجر الصحابة الثلاثة الذين ظهر ذنبهم في ترك الجهاد الواجب حتى تاب الله عليهم ، فإذا أظهر التوبة أظهر له الخير ... » (3) .

---

1 ـ الفتاوى 28 / 209 ، وانظر ص / 228 ، بأبسط من هذا .
2 ـ رواه أحمد في : الزهد .
3 ـ الفتاوى 28 / 217 ـ 218 .

وفرق في حال المهجور : بين القوي في الدين وبين الضعيف فيه ، فإن القوي يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ به الضعيف في الدين كما في قصة كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم [1] .

وكذلك بالنسبة للأماكن : ففرق بين الأماكن التي كثرت فيها البدع ، كما كثر القدر بالبصرة ، والتنجيم بخراسان ، والتشيع بالكوفة ، وبين ماليس كذلك .

وهذا على ماأفتى به الأئمة أحمد وغيره بناء على هذا الأصل : رعاية المصالح الشرعية .[2]

« ويختلف باختلاف الهاجرين أنفسهم في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم » [3] .

فإذا كانت الغلبة والظهور لأهل السنة كانت مشروعية هجر المبتدع قائمة على أصلها ، وإن كانت القوة والكثرة للمبتدعة ــ ولا حول ولا قوة إلا بالله ــ فلا المبتدع ولا غيره يرتدع بالهجر ولا يحصل المقصود الشرعي ، لم يشرع الهجر وكان مسلك التأليف ، خشية زيادة الشر .

وهذا كحال المشروع مع العدو « القتال تارة ، والمهادنة تارة ، وأخذ الجزية تارة ، كل ذلك بحسب الأحوال والمصالح » [3] .

ومن أهم المهمات هنا : إذا كانت الواجبات لدى أهل السنة مثل : التعليم ، والجهاد ، والطب ، والهندسة ، ونحوها متعذر إقامتها إلا بواسطتهم ، فإنه يعمل على تحصيل مصلحة الجهاد ، ومصلحة التعليم وهكذا ، مع الحذر من بدعته ، واتقاء الفتنة به وبها ماأمكن ، وبقدر الضرورة ، فإذا زالت عاد أهل السنة إلى الأصل في الهجر ، وأبعد المبتدع .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في جوابه المحرر في الهجر المشروع :

« .. فإذا تعذر إقامة الواجبات من العلم والجهاد وغير ذلك إلا بمن فيه بدعة مضرتها دون مضرة ترك ذلك الواجب : كان تحصيل مصلحة

١ ــ انظر : فتح الباري ٨ / ١٢٣ ، كتاب المغازي .
٢ ــ الفتاوى ٢٨ / ٢٠٦ ــ ٢٠٧ ، وانظر ص / ٢١٢ ــ ٢١٣ فهو مهم .
٣ ــ الفتاوى ٢٨ / ٢٠٦ .

الواجب مع مفسدة مرجوحة معه خيراً من العكس ، ولهذا كان الكلام في هذه المسائل فيه تفصيل » [1] .

هذا وإن الناظر في أحوال المبتدعة من وجه ماهم عليه من الشناعات ، وإماتة السنن ، والنشاط في غير هدى والنصرة لغير حق ، وأنهم يفسدون على أهل السنة صفاء الإسلام ، رآهم مستحقين لما قاله الإمام الشافعي رحمه الله تعالى في أهل الكلام :

« حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على الكلام » .

« وإذا نظرت إلى المبتدعة بعين القدر ، والحيرة مستولية عليهم ، والشيطان مستحوذ عليهم رحمتهم ، وترفقت بهم ، أوتوا ذكاءً وماأوتوا زكاءً ، وأعطوا فهوماً وماأعطوا علوماً ، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة ﴿ فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء ، إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ماكانوا به يستهزؤن ﴾ » [2] .

وختاماً : احذر المبتدع ، واحذر بدعته ، وأعمل الولاء والبراء معه ، وتقرب إلى الله بذلك ، وبهجره الهجر الشرعي منزلاً له على قواعد الشريعة وأصولها في رعاية المصالح ودفع المفاسد ، وإياك ثم إياك من تأمير الهوى هجراً أو تركاً ، والسلام .

المبحث التاسع

عقوبة من والى المبتدعة :

كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق فالساكت عن الحق شيطان أخرس كما قال أبو علي الدقاق (م سنة ٤٠٦ هـ) رحمه الله تعالى [3] .

وقد شدد الأئمة النكير على من ناقض أصل الاعتقاد فترك هجر المبتدعة ، وفي معرض رد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على (الاتحادية) قال [4] :

---

١ ــ الفتاوى ٢٨ / ٢١٢ .
٢ ــ الفتاوى ٥ / ١١٩ .
٣ ــ شذرات الذهب ٣ / ٨٠ ، وفيات سنة ٤٠٦ هـ .
٤ ــ الفتاوى ٢ / ١٣٢ .

« ويجب عقوبة كل من انتسب إليهم ، أو ذب عنهم ، أو أثنى عليهم ، أو عظم كتبهم ، أو عرف بمساعدتهم أو معاونتهم ، أو كره الكلام فيهم ، أو أخذ يعتذرلهم بأن هذا الكلام لايدري ماهو ؟ أو من قال : إنه صنف هذا الكتاب ؟

وأمثال هذه المعاذير ، التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ، ولم يعاون على القيام عليهم ، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات ، لأنهم أفسدوا العقول والأديان على خلق من المشايخ والعلماء والملوك والأمراء ، وهم يسعون في الأرض فساداً ويصدون عن سبيل الله ... » .

فرحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية وسقاه من سلسبيل الجنة آمين ، فإن هذا الكلام في غاية الدقة والأهمية وهو وإن كان في خصوص مظاهرة (الاتحادية) لكنه ينتظم جميع المبتدعة ، فكل من ظاهر مبتدعاً فعظمه أو عظم كتبه ، ونشرها بين المسلمين ، ونفخ به وبها ، وأشاع مافيها من بدع وضلال ، ولم يكشفه فيما لديه من زيغ واختلال في الاعتقاد ، إن من فعل ذلك فهو مفرط في أمره ، واجب قطع شره لئلا يتعدى إلى المسلمين .

وقد ابتلينا بهذا الزمان بأقوام على هذا المنوال يعظمون المبتدعة وينشرون مقالاتهم ، ولا يحذرون من سقطاتهم وماهم عليه من الضلال ، فاحذر أبا الجهل المبتدع هذا ، نعوذ بالله من الشقاء وأهله .

المبحث العاشر

إشاعة البدعة :

نصيحتي لكل مسلم سلم من فتنة الشبهات في الاعتقاد ، أن البدعة إذا كانت مقموعة خافتة والمبتدع إذا كان منقمعاً مكسور النفس بكبت بدعته فلا يحرك النفوس بتحريك المبتدع وبدعته ؛ فإنها إذا حركت نمت وظهرت ، وهذا أمر جبلت عليه النفوس ، ومنه في الخير : أن النفوس تتحرك إلى الحج إذا ذكر الحجاز ، وعرصات الوحي ، ومواطن التنزيل ... وفي الشر : إذا ذكرت النساء والتغزل والتشبيب بهن تحركت النفوس إلى الفواحش .

وهذا الكتمان والإعراض من باب المجاهدة والجهاد فكما يكون الحق في الكلام فإنه يكون في السكوت والإعراض ، والله أعلم □

١ ـ انظر الفتاوى ١٤ / ٤٦٣ ـ ٤٦٨ ، مهم ٢٨ / ٢١٥ ، ٢٨ / ٢١٧ ، مهم كالقاعدة هنا .

- واستقام ربان الأسرة (قصة قصيرة
- زحوف النور (قصيدة)
- وسائل الغزو الفكري في دراسة التاريخ (٢)

واستقام ربان الأسرة

أم أسامة خولة درويش

تمد « فاتن » يدها المرتعشة لترفع (مظروفاً) وجدته قد وضع تحت الباب وتنظر إليه بدهشة وحيرة مربكة ، إنه لزوجها الدكتور (عبد الحميد) وبعنوانه ، ثم تعطيه له بصمت ينبىء عما يدور في نفسها من تساؤلات ...

ينظر الدكتور للمظروف ، وقد انقبضت أسارير وجهه ، ويقول : غير معقول ، نفس عنواننا ، وباسمي أيضاً !.

ويفض الغلاف ، ويتمتم قائلاً في دهشة :

ــ عجباً ، إنه من ابني سامر !.

ويغوص في خواطره المبهمة :

كيف اهتدى سامر إلى منزلي هذا ؟ ... لقد مضى على زواجي من (فاتن) خمس سنوات وماعرّفت أحداً به ...

خواطر كثيرة .

ـ وهل تزوجت إلا من أجل الراحة والاستجمام ؟! ثم يقول باستغراب :
ـ وماذا يريد سامر ؟! لقد كنت في منزلهم أمس ، أخذت لهم حاجتهم من الطعام والأدوات المدرسية !!

ولا يعير (د . عبد الحميد) كلام زوجته أي انتباه ، إنه مشغول بالرسالة انشغالها بسرية بيتها وعدم معرفة العنوان حتى من أولاد زوجها !

وتدافعت الخواطر السريعة إلى (د . عبد الحميد) حالما رأى رسالة (سامر) :
ـ هل ألم بأحد إخوته خطر ؟
ـ أم هل يريد تحديد موعد خطبة أخته « سلمى » ؟!
ـ أم أن صاحب البيت قد طالبهم بأجرته ؟!.

وفي بضع دقائق كانت الحقيقة تتضح وتظهر جلية بعد قراءة الرسالة ، فقد جاء فيها :

والدي الحبيب :

كم أبهجتنا زيارتك لبيتنا أمس ، وكم سررت لسماع صوتك العذب يتردد صداه في منزلنا ، وغبطت أشقائي الصغار أنك ناجيتهم ، ثم سارعت للخروج من الحمام متلهفاً لرؤيتك ، وإذا بي أجد البيت قد امتلأ طعاماً ، وأشياء كثيرة ـ جزاك الله خيراً ـ .

ولكني للأسف ماوجدتك ، فقد وضعتها وغادرت المنزل بسبب أشغالك الكثيرة ـ كما ذكرت والدتي حفظها الله ـ .

كم كنت أتمنى أن تخصص لنا من وقتك ، وأن تجعل لنا نصيباً من يومك لنحظى برؤيتك ، ونستمتع بحلو حديثك ، وجميل نصحك ـ لا حرمنا الله منك ـ ولا أكتمك أني ماإن رأيت الطعام الوفير إلا وقلت في نفسي :
ـ ياسبحان الله ! وهل يظن والدي أن السعادة في الطعام الوفير ، والمتاع الزائل ؟!.

ياوالدي العزيز : سامحك الله ! إن الأغنام ـ وهي لاتهتم إلا بأكلها وشربها ـ يتفقدها صاحبها باستمرار .

أتمنى أن نلقاك قريباً ، أباً رؤوفاً كما كنا نعهدك من قبل . ونحن لن ننسى ياوالدي الحبيب حقوقك علينا ، وارتباطك السعيد الذي حجبته عنا سنوات عدة .

لن نكون عثرة تحول دون سعادتك ، وسنبقى أبناء بررة . تحياتنا إليك وإلى حرمك المصون . وتحيات والدتنا الوفية إليكما .

ولدك : سامر

تنظر « فاتن » إلى « د . عبد الحميد » وهو يقلب الرسالة ومايزيد عن أن يطويها ويضعها في جيب جلباب النوم الذي كان يلبسه .

وأما « سامر » فكثيراً مايتحدث مع أمه التي أمضت عمرها تتمنى اليوم الذي ينتهي فيه زوجها « عبد الحميد » من دراسته ، وطال ما أضناها في تأمين الجو الدراسي المناسب له . إنها الآن بعد تخرجه تستعيد الماضي ، تتمنى لو دامت تلك الأيام ، حينما كانت أحوالهم المادية بسيطة ، إلا أنهم كانوا ينعمون بالمودة والاستقرار .

وأما « د . عبد الحميد » فعندما أحس بتحسن مركزه العلمي والاجتماعي ، وأنه قد حصل على شهادة « الدكتوراه » بدأت الأفكار تتوالى عليه :

ــ إنه في وضع اجتماعي مرموق ، ويحبذ أن تكون زوجته كذلك حتى تستطيع أن تمثله في المجتمع .

ــ وهذه « المرأة الطيبة الساذجة » كما كان يسميها ، هل يليق بها ذلك ؟!

هاهو سامر ولدها وقد علمته الأحداث ، يفتح قلبه لها ويعاتبها على ماظنه تقصيراً منها أدى بوالده إلى البحث عن امرأة أخرى ، وبنبرات خافتة حانية قال لها :

ــ لماذا ياأمي لم تكملي دراستك ؟! وأنت تعلمين أن زماننا زمان العلم والثقافة ؟!

وتتنهد (أم سامر) بحرقة وألم دفين ، والدمعة تلمع في عينيها وهي تجيب :

ــ والله يابني ماقصرت ، لقد بذلت قصارى جهدي في إقناع والدك لأتابع تعليمي ، وماكنت ألقى منه إلا السخرية والاستهانة بمطلبي .

لقد كان وضعنا الثقافي متقارباً عند زواجنا ، فإذا به ينمي ثقافته ، ويهملني

أنا أم أولاده وشريكة حياته ، فأصبح البون بيننا شاسعاً .

ثم تعلق بتجرد وموضوعية تحكي واقعها المرير :

ــ حقاً ، كم بين بداية الثقافة وبين الدكتور في الفلسفة من بون شاسع ! فما الذي أوصله إلى ذلك ؟!

ــ لا أريد أن أصفه بالأنانية حين فكر في مصلحته فقط وتعلم على حساب راحتنا ومصالحنا ، لكنه على كل حال تناسى أنني زوجته التي فشل حتى في تعليمها . كم كان يهزأ بالكبيرات اللائي يذهبن للدراسة ويقول (وربما يقصد الحاجة أم ممدوح بالذات وقد قاربت الخمسين من عمرها) :

ــ تصوري عجوزاً شمطاء ، تتوكأ على عصاها بيد ، وتحمل (شنطة كتبها) بيدها الأخرى !

ثم يقهقه ساخراً ... وماكانت ضحكاته تلك لتؤثر فيّ ، قلت له :

ــ أليس ذلك أفضل من بقائها أمية ؟! تتعلم القراءة والكتابة ، بدلاً من أن ترى جميع الصفحات سواداً ، لاشيء عليها إلا طلاسم لاتفهمها . ثم إني لست بعمر الحاجة إنها بعمر والدتي !

رد علي بازدراء ، وهو يرمقني بطرف عينه :

ــ تريدينني مثل الأحمق « حازم » الذي يوصل بيده زوجته إلى المدرسة في المساء ، شأنه في توصيل أولاده في الصباح ؟!

ثم يردف قائلاً باستعلاء :

ــ إنه فارغ ! وماذا وراءه من عمل ؟!

وتزيل (أم سامر) عن ولدها « الغبش » وتجلي الحقيقة بقولها :

ــ لا والله ماكان فارغاً ، إنه رغم أعماله الكثيرة ، يجد أن من واجبه تخصيص وقت لأسرته ، وهاهي زوجة « حازم » الآن في الجامعة ، وقد نفضت عنها أميتها ولحقت بركب الحضارة ...

يقولون يابني : وراء كل عظيم امرأة !!

أوما علم هؤلاء أن هذا يعني أيضاً ، أن أمام كل امرأة رجل ينير لها الطريق ويمهد لها السبيل ؟!

ثم تفطن لواقعها ، وتقول بتعقل :

ـــ من حق والدكم أن يتزوج ، سواء لأنه أصبح عالي الثقافة وامرأته شبه أمية ، أو لأدنى سبب رآه ، وليس له أن يكون الزواج سبباً في تهربه من المسؤولية ، والبعد عن تبعات الأولاد . أين العدل الذي أوجبه الإسلام ؟! أم ظن أن العدل في الطعام والشراب فقط ؟!

وتدخل سلمى لتخبرهم عن سخط شقيقها (سعيد) وخروجه من المنزل ، فيهب سامر واقفاً ، ليلحق بأخيه ، يبحث عنه بين المتسعكين والتافهين ...

وتفلسف سلمى ذلك بقولها :
ـــ هذا نتاج الحرمان من عطف الأب ورعايته ...!
ويقع قولها كالقذيفة على قلب أمها ، فتنفجر باكية ...
وتقبل سلمى على أمها ، معانقة مقبلة لوجنتيها ، تخفف عنها وتقول لها :
ـــ أبقاك الله ياأمي ، وجزاك عنا خير الجزاء ، إذ لولا صدرك الحنون ، وحدبك الدؤوب علينا ، لما علم إلا الله سبحانه ماسيحل بنا ...
ثم تقول ناقدة وحانقة :
ـــ يحبون تكثير النسل ...! أوما علموا أنه قد لا يزيد إلا في غثاء السيل ...! أوليس للتربية ونوعية النشأة عندهم أهمية ؟!

وتتذكر الأم أن من واجبها التقريب بين الأب وأولاده ، فتقول لابنتها في رضى واستسلام :
ـــ الحمد لله ، إن والدك يختلف عن غيره من الناس ، انظري أسرة « النزَّال » كم يعاني أولاده من الضيق والضنك ، بينما يتمتع والدهم وزوجته الجديدة بأبهى المتع ، وينعمون بأثمن الرياش وأعظم المسرات .
وتجيبها سلمى وكأنما لدغتها عقرب :
ـــ كفانا الله الشر أن يكون والدي مثل (النزَّال) أو أن تكوني أنت مثل زوجته الأولى ...
لقد وصل بها الأمر أن دست السم في طعام أرسلته له سراً ، واكتشف الأمر ، وقيدت الجانية إلى السجن ...
وتنصب سلمى من نفسها قاضياً حين تقول :

ـ لقد كان الأجدر أن يسجنون الأب تأديباً له على مافرط في حقها وبسبب ظلمها وظلم أولاده !!

وتردف الأم :

ـ الحمد لله أنكم لستم كأولاده ، فلا يكاد السجن يفرغ من أحدهم : هذا بتهمة الاحتيال ، وذاك للاقدام على الانتحار ، وآخر للنشل ...

وفيلسوفة البيت (سلمى) تعلق بثقة بالغة :

ـ طبعاً ... الحرمان العاطفي والشعور بالظلم ينميان الميول العدوانية . فالحمد لله الذي عوضنا بصدرك الحنون ياخير أم .

تقول ذلك وتنهال على يد أمها لثماً وتقبيلاً .

وأما « د . عبد الحميد » فلم يهدأ له بال ولم يقر له قرار . إنه كلما تذكر الرسالة عاد إلى قراءة سطورها ليجد الحقيقة أمامه واضحة : إنهم أولاده ، مهما هرب أو تهرب ... إنها زوجته مهما تعالى أو استعلى ... إنهم واقعه الذي يجب أن يتعامل معه ... ثم إنه واجبه الديني قبل كل شيء ... (العدل) ، به تستقيم الحياة ويوضع كل شيء في نصابه ... وماذا لو تعكر مزاج « فاتن » بعض الشيء ؟! فإن كانت تحبه حقاً فستقدر وضعه ، وإلا فلا خير فيها ...!!

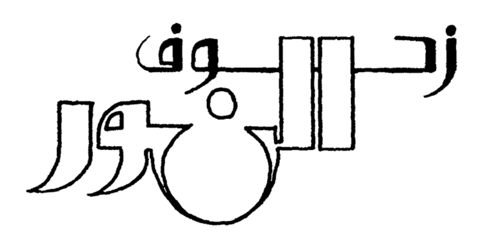
وإذا تبين لديه ذلك قرر مفاتحتها ومرافقتها لزيارة أسرته ... وبعد جلسات معدودة ، قضاها مع « فاتن » بين أخذ ورد صارت « فاتن » أخيراً طائعة راضية ، تشتري لابنته (سلمى) عقداً جميلاً لتحلي به صدرها بمناسبة خطوبتها ...

وانتعش فؤاد (أم سامر) بعد أيام قاحلة عانت فيها الكثير ... والتأم شمل الأسرة فعاد للبيت إشراقه وبهجته ، وفرح (سامر) وأشقاؤه بإخوتهم الصغار (أولاد فاتن) وأصبحوا يلاعبونهم ، ويركبونهم الأراجيح ويشترون لهم اللعب والهدايا والحلويات ... يستمعون إلى أناشيدهم الشجية ويحكون لهم القصص الممتعة .

لقد عادت البسمة إلى شفاه الجميع ، والكلمات الطيبة إلى أفواههم ، والأنس والسرور أصبح يغمر كيانهم .

وأحلى الساعات وأحبها إلى قلوبهم ، عندما تجتمع أسرتهم الكبيرة بمرحهم الحبيب وروحهم المتآلفة .

هاهي قد استقامت حياتهم عندما استقام ربان أسرتهم ، وثاب إليه رشده ، وحقق مايطلبه منه ربه : (العدل) □



بقلم : أبي معاذ الخالدي

الانفعال الحق بالإيمان يدفع للأمام
إن العقيدة قوة قدسية ليست تضام
إن العقيدة قمة شماء شامخة المقام
هيهات ليس يضيرها وغد تمرغ في الرغام
ياملتي السمحاء إن يشرق ضياؤك في الأنام
ويطل فجر زحوفك الغراء ينكسر الظلام

* * *

أهل العقيدة عند رب العرش في حصن حصين
لايستطيع نزالهم أحد فربهم المعين

هبت جنود الكفر والتخريب في هذا الوجودِ
وتألبت ضد العقيدة كل شرعات القرود
وتصايح الباغون في الدنيا كدمدمة الرعود
يارايةً رفت على بدر بماضيها السعيد
وتألقت من بعد في دنيا الورى للكون عودي
إن البرية في الضياع يقودها شعب اليهود !

★ ★ ★

وغداً سيشرق نورها الوضاء يهزأ بالدجون
إن الإله الواحد الديان خير الحافظين

★ ★ ★

أفلم يجد شعب الضلالة مسلماً صدق الولاء ؟
لله دون تزيف وتردد دون التـواء ؟
ليصيح في وسط العماية حاملاً هدي السماء :
« الله أكبر » يسقط الشرك المزين بالطلاء
« الله أكبر » صرخة الأجداد في يوم اللقاء
« الله أكبر » لايعوض فقدها طول البكاء !!

★ ★ ★

أيهود يومكمو دنا فلترقبوا الفتح المبين
الله يبعث جنده بالنصر .. ذلكمو اليقين

وسائل الغزو الفكري في دراسة التاريخ

ـ ٢ ـ

محمد بن صامل السلمي

تكلم الكاتب في الحلقة السابقة عن وسائل الغزو الفكري في تشويه التاريخ ، فذكر الوسيلة الأولى وهي اختلاق الأخبار ، وإبراز المثالب ، ويكمل في هذه الحلقة بقية الوسائل .

٢ ــ استخدام المنهج العلماني (اللاديني) في البحث والنقد :

وهذا من أخطر الوسائل وأعظم المنجزات التي حققها دعاة الغزو الفكري ، وتمكنوا من تقريرها في كثير من جامعات العالم الإسلامي ومراكز البحث العلمي ، ولهذا المنهج آثار سيئة على تراث المسلمين ودينهم لأنه قائم على أسس من الفلسفة الوضعية التي تنكر الوحي والنبوات ، ولا تقيم وزناً للمنهج الرباني . ومن عجب أن يدعي أصحابه الموضوعية والحياد العلمي [1] ، مع كونه غير شرعي وغير علمي ، أما كونه غير شرعي فأمر لايحتاج إلى دليل ، أما كونه غير علمي فقد ثبت بالاستقراء والتتبع لما يكتبونه عن التاريخ والثقافة الإسلامية أنه يقوم على الأسس التالية :

١ ــ عن منهج البحث العلمي الأوربي والحياد والموضوعية انظر منهج كتابة التاريخ الإسلامي / ١٣١ ــ ١٦٨ .

أ ــ العمل على إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها مسبقاً حسب أهوائهم ، ثم التحكم فيما يرفضون من النصوص المضادة لها بمجرد الهوى بل قد يصل الأمر ببعضهم إلى تحريف النصوص عندما يعجز عن تفسير النص على مايريد وانظر أمثلة لهذا عند ولهاوزن ، وكيتاني ، ولامانس ، وجولد تسيهر ، وفيليب حتى ، وكارل بروكلمان .

ب ــ الضعف العلمي وقلة الإحاطة بمصادر الثقافة والتراث الإسلامي الأساسية ، لذلك تأتي آراؤهم وأحكامهم ناقصة الأدلة الصحيحة من النص أو الاستقراء .

ج ــ الجهل بمراتب المصادر العلمية أو تجاهل ذلك ، ومن هنا يتحكمون في المصادر التي يختارونها ، فتجدهم ينقلون من كتب الأدب مايحكمون به في تاريخ الحديث النبوي ، وينقلون من كتب التاريخ مايحكمون به في الفقه ، ويصححون ماينقله الدميري (مثلاً) في كتاب حياة الحيوان ، ويكذبون مايرويه الإمام مالك في الموطأ ، ويهاجمون صحيح البخاري ، ويمجدون كتاب الأغاني [١] ..

د ــ فقدان الأمانة العلمية تجاه المباحث الإسلامية وذلك لخاصتين متأصلتين في النفسية الأوربية شهد بهما كاتب مطلع من بني جلدتهم هو محمد أسد [٢] ، وواقع الحال يثبت ذلك :

الخاصية الأولى : هي كراهية الأوربيين للمباحث الدينية نتيجة للصراع بين العلم والكنيسة الذي عاشته فترة طويلة من تاريخها .

والخاصية الثانية : الكراهة المتأصلة بينهم وبين المسلمين نتيجة للعداء التاريخي في الأندلس وفي الحروب الصليبية إضافة إلى مافي طبيعة النفس الكافرة من الجحود وكره الحق والإيمان وأهله ، وقد لاحظ هذا محمد أسد في كتابه : الإسلام على مفترق الطرق ، وقال : إن المستشرقين لايحتفظون تجاه البحث في الإسلام بموقف علمي متزن ... وذكر مجموعة من الطرق

١ ــ انظر : سفر الحوالي ، العلمانية / ٥٥٠ .
٢ ــ الإسلام على مفترق الطرق / ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٣ .

التي يلجأون إليها في تشويه الإسلام . (١) .

٣ ــ التفسير الخاطىء والفهم العجيب للنصوص :

وهذا راجع إما للجهل حقيقة ــ وهو أمر غير مستبعد ــ وخاصة أن جُلَّ المستشرقين لايكادون يدركون معاني الألفاظ العربية ودلالتها ولايحيطون بكتب العلم والثقافة الإسلامية ، فيقعون نتيجة لذلك في أخطاء فاضحة ، وإما تعمداً ، وهذا نابع من الحنق على المسلمين والعداء لهم ، وإننا نلحظ هذا التفسير الخاطىء في كتابات المستشرقين عن كثير من القضايا الإسلامية مثل الجهاد والرق ، ومكانة المرأة في الإسلام ، والنظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والمذاهب والفرق الإسلامية ... الخ ، لأن مثل هذه القضايا لاتفسر بناء على الوقائع التاريخية وحدها بل لابد للكتابة فيها من معرفة الأحكام الشرعية وأصول التفسير والفقه وقواعد الشريعة ، لأن معرفة هذه الأصول أمر لازم لمن يحلل النصوص التاريخية عن هذه القضايا ويفسرها ، وهذا الجانب من المعرفة مفتقد ــ مع الأسف ــ عند عامة من كتبوا في التاريخ الإسلامي من المعاصرين سواء من المستشرقين أو المتخصصين في التاريخ من أبناء المسلمين وهذا راجع إلى الفصل القائم في كثير من دور العلم بين الدراسات الشرعية والدراسات التاريخية .

ومن المعلوم أن التاريخ ليس هو الحدث وحده بل هو الحدث وتفسيره والحدث وباعثه . ولاشك أن العقيدة تأخذ جانباً كبيراً في تحديد البواعث والأهداف ، ومن هنا تأتي ضرورة معرفة الاتجاهات العقدية عند من صنعوا الحدث ومن كتبوه ومن فسروه ، حتى نستطيع أن نقدر التقدير الصحيح النسب الحقيقية لكل العناصر الفاعلة في الحدث التاريخي ، الذي هو عبارة

١ ــ انظر الصفحات / ٥٢ ــ ٥٥ ، ٥٨ ، ٦١ .

عن فعل صدر من إنسان في زمان ومكان معين وقبله ومعه ، وبعده قدر الله المحيط بكل شيء ، فلابد من إدراك هذه العناصر الثلاثة الفاعلة في الحدث التاريخي ومعرفة أثر كل عنصر منها وحجمه ، حتى نفسر الحدث التاريخي تفسيراً مقارباً للواقع .

٤ ـ الاعتماد على مجرد الهوى في النقد والتحليل للحوادث التاريخية :

إن نقد الأخبار يخضع لمقاييس وضوابط علمية قررها العلماء الذين كتبوا في هذه المجالات مثل علماء الأصول وعلماء الجرح والتعديل وعلماء المنطق ، ولابد من الالتزام بهذه الأصول في نقد الأخبار ، إذ لايجوز رد الأخبار لمجرد عدم قبول الإنسان لها وانشراح نفسه لما تدل عليه أو عدم تذوقه لمثل هذه الأخبار ، لأن الحكم بالذوق والهوى وعدم الموافقة الشخصية لايجوز أن يدخل في ميدان العلم وإنما هذا بميدان الأدب وماشاكله أليق لخضوعها للعاطفة والتذوق الشخصي ، أما الأخبار التارخية فإنها وقائع عن حقائق ولابد أن تنقد على أصول نقد الحقائق العلمية ، ومن الأمثلة على هذه الوسيلة مانجده عند كثير من المستشرقين وبعض من تأثر بهم مع ادعائهم مناقشة القضايا بمنطق العقل والعلم ولكن إذا فتشت في كتبهم وجدت أن ذلك مجرد دعوى لادليل عليها بل الواقع يناقضها ، وأن نقدهم للنصوص والأخبار هو بمجرد الهوى والتذوق والميل الشخصي ، انظر مثالاً على ذلك (طه حسين) في كتابه : على هامش السيرة، الذي قيل إنه أحسن كتاب له في الإسلاميات ، وتراجع فيه عن كثير من آرائه السابقة فكثيراً مايستخدم مثل هذه العبارات المثيرة للشكوك : (قيل ويقال ويروى ، وأكاد أقطع ، وأكبر الظن !! ..) وقد قال عن حديث متفق عليه : « وأكاد أقطع أن هذا الحديث مهما كان سنده غير صحيح » [1] .

---

١ ـ على هامش السيرة / ١٣٣ .

فبمثل هذا القول يرد حديثاً في الصحيحين ويَدَّعي مع ذلك اتباع المنهج العلمي بل ينتقد علماء المسلمين ويشكك في معلوماتهم ومنهجهم العلمي !!.

٥ ــ عرض جانب من الحقيقة ووضع الخبر في غير سياقه الصحيح :

وذلك أن التاريخ إذا عرض جانب منه وأخفي الجانب الآخر فإنه لايعطي الصورة كاملة بل يشوهها وخاصة إذا أخذت الصورة الضعيفة وجمعت النقاط السود ، فمثلاً إذا ركزنا في دراسة التاريخ الإسلامي على عرض جانب الأحداث الداخلية ، والحياة السياسية ، وقيام الحكام ، وسقوطهم ، وثورات بعضهم على بعض وقلنا بأن هذا هو التاريخ الإسلامي فإن الصورة تكون قاتمة ومشوهة ، لأننا أخذنا أضعف الصور وأشدها قتامة وقلنا هذه هي الحقيقة كاملة .

ولو أننا عرضنا مثلاً الجانب الذي ركز عليه صاحب كتاب الأغاني وأبرزناه على أنه التاريخ الاجتماعي والخلقي لأعطانا صورة مشوهة لمجتمع الحجاز وأنه عاش فترة من الخمول والانشغال بالملذات الحسية والغناء والطرب وماشابه ذلك .

وهذه النتيجة ــ مع الأسف ــ صرح بها وكررها كثير من الباحثين المعاصرين من أمثال أحمد أمين ، وطه حسين ، وشوقي ضيف [١] .. وغيرهم من مؤرخي الأدب وألمح إليها الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه (تاريخ الإسلام السياسي) وغيره من المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ هذه الفترة [٢] ... وهذه الصور مع افتراض صحة كل الأخبار التي أوردها صاحب الكتاب ــ وهو افتراض بعيد ــ لاتعطي الحقيقة كلها ، ولا تصلح حجة لإصدار حكم عام على المجتمع المدني والمكي ، لأن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني خاص بالأغاني العربية ، كما يدل عليه اسمه ، وكما صرح مؤلفه في مقدمة كتابه فهو إذن

---

١ ــ له كتاب : الشعر والغناء في المدينة ومكة في عصر بني أمية .
٢ ــ يحسن الرجوع للرسالة القيمة التي أعدها الدكتور عبد الله الخلف في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعنوان (مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية) .

حديث عن فئة خاصة أقلية النسبة للمجتمع ، وأيضاً هي أضعف نوعيات المجتمع وهي فئة المغنين والجواري والعبدان وأصحاب اللهو والمجون ، ثم إن صاحب الكتاب يعرض الجانب الضعيف من حياة هذه الفئة ، ولا يذكر مواطن الجد والشجاعة والرجولة والاستقامة من حياتهم ، ثم هي فئة لاتمثل المجتمع بأي شكل من الأشكال وإنما ينظر إليها العقلاء في كل وقت وعصر حتى مع تغير المفاهيم وبعد كثير من الناس عن حقيقة الدين إلى أنها فئة ساقطة ومحتقرة وخاصة في المجتمع الذي يتحدث عنه صاحب الكتاب ، فهذا الإمام مالك إمام دار الهجرة يقول عنهم : « إنما كنا نسميهم الفساق » [١] وليس من الأمانة العلمية أن نصدر حكماً عاماً على مجتمع من المجتمعات أو أمة من الأمم من واقع شريحة واحدة من شرائح المجتمع كبيرة كانت أم صغيرة ، بل لابد من النظر إلى كافة جوانب حياة الأمة الإيجابية منها والسلبية .

٦ ـ إضعاف دراسة التاريخ الإسلامي ومزاحمته بغيره :

إن من وسائل دعاة الغزو الفكري إضعاف دراسة تاريخ الأمة الإسلامية في المدارس والجامعات ومراكز العلم في العالم الإسلامي ، ومزاحمته من تواريخ الأمم الكافرة سواء القديم منها والحديث مما يضعف شأنه في نفوس الدارسين ، حيث يعطي لهم بصورة مختصرة ومشوهة ، بينما يفسح المجال لدراسات واسعة في التاريخ القديم ، ويربط سكان كل منطقة بتواريخ الأمم الجاهلية التي عاشت فيها ، ففي مصر الفرعونية ، وفي العراق البابلية والسومرية ، وفي بلاد الشام الفينيقية ، وفي اليمن السبائية والحميرية ، مما يوجد الوطنيات العرقية الضيقة ويفتت الوحدة الإسلامية ، ويشتت أوصال التاريخ الإسلامي ، بحيث يبدو وكأنه نقطة في بحر أو جدول صغير في نهر .

٧ ـ جعل واقع المسلمين في العصور المتأخرة الصورة الحقيقية لتعاليم الإسلام :

في عرض التاريخ الإسلامي في

---

١ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٠ / ٣٣٦ .

مثل تلك المراكز يجعل واقع المسلمين المتخلف هو الصورة الحقيقية لتعاليم الإسلام ، وهذا تشويه متعمد ومغالطة للحقائق العلمية والواقع والغرض من ذلك تزهيد المسلمين في دينهم والفصل بينهم وبينه حيث يصورون لهم الدين من خلال درس التاريخ بالصورة المتخلفة التي أنتجها واقع المسلمين المنحرف عن تعاليم الإسلام ، ثم يجعلون المسلم بين خيارين إما أن يصبر على التخلف إذا أراد التمسك بدينه ، وإما أن يأخذ سبيل التقدم لكن عليه أن ينبذ دينه كما نبذت أوربا دينها ، ويخفون في دهاء ومكر الخيار الثالث الذي هو البديل الصحيح عن الخيارين السابقين ، وهو النهوض بالأمة والرجوع بها إلى مستوى دينها الحق ، وبيان أن ماوقعت فيه الأمة من التخلف والانحطاط هو نتيجة طبيعية لتخلفها في عقيدتها وإسلامها ، لا نتيجة تمسكها به كما يصور ذلك أعداؤها ... ثم إن هناك فرقاً بين الدين الحق دين الإسلام ؛ وبين الخرافة التي كانت عليها أوربا وتسميها ديناً ، حقاً إن أوربا لم تتقدم مادياً وعسكرياً وعلمياً إلا بعد أن نبذت الخرافة وتخلت عنها وحررت عقلها من آثارها فإنها لم تكن على دين بل كانت على خرافة . ولا شك أن هذا الأسلوب في عرض المسألة وتصويرها هو من التلبيس المتعمد والتشويه المقصود الذي حاول المستشرقون زرعه في قلوب الناشئة من أبناء العالم الإسلامي .

٨ ــ إبراز دور الفرق الضالة وتضخيمه :

لقد وجد دعاة الفتنة من المستشرقين ومن لف لفهم وسلك طريقهم غايتهم المنشودة في الفرق المنحرفة والخارجة على سبيل السنة مثل الخوارج ، والرافضة ، والقرامطة وإخوان الصفا ، والمعتزلة ، والجهمية وأيضاً من الشخصيات الضالة مثل ابن سبأ ، وعبيد الله بن ميمون القداح ، والحاكم العبيدي ، وصاحب الزنج ، والحلاج ، وابن عربي ، وغيرهم فنشروا تراثهم واعتنوا بتاريخهم وضخموا أدوارهم وأقاموا المراكز والجمعيات لخدمة ذلك ، مع تصويرهم لحركاتهم وإبرازها على أنها حركات إصلاحية ومعارضة للفساد ، وهذا كله تزوير للحقائق

وإخفاء للأهداف الحقيقية التي تسعى تلك الفرق وأولئك الأشخاص إلى تحقيقها وهي تحطيم الخلافة الإسلامية ، وتبديل مفاهيم الدين الصحيحة بمفاهيم باطنية ووضعية ، والكفر ملة واحدة والكفار بعضهم أولياء بعض لذلك لانستغرب من المستشرقين إحياء تراث الفرق المنحرفة والشغب بها وبرجالها على التاريخ الإسلامي ، ومزاحمة سير رجاله وأبطاله ودعاته بسير قادة الفرق الضالة واتهام المؤرخين المسلمين بالتعصب ضدهم وتحريف تاريخهم ، لا نستغرب ذلك لأنه مقتضى كفرهم وعداوتهم لأهل التوحيد والإيمان فهم يكيدون للمسلمين ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، ولا يتوقع من ملل الكفر عدل ولا إنصاف ، ولكن المستغرب أن يناصرهم ويشايعهم من ينتسب للإسلام فيقوم بنشر سمومهم بين بني جلدتهم من المسلمين ليصرفوا به الأغرار عن الصراط المستقيم .

٩ ـ تجاهل الترتيب الصحيح لمصادر التاريخ الإسلامي :

التاريخ الإسلامي له مصادر أصيلة دونها أهل العلم وفق منهجية علمية أصيلة مستقلة ولها مراتب في التوثيق وفق شروط معلومة في المؤرخ وفي مايكتب ، ولكن دعاة الغزو الفكري من المستشرقين والمنصرين وأعوانهم من داخل العالم الإسلامي لايعرفون هذا الترتيب ، وإذا عرف بعضهم تجاهل ولم يلتزم حتى يحقق رغبته في تشويه التاريخ الإسلامي وأهله ، ولذلك نجدهم ـ كما سبقت الإشارة في سمات المنهج العلمي عندهم ـ يرجعون إلى كتب الحكايات والسمر وكتب الأدب مثل المستطرف ، والأغاني والحيوان ، وغيرها من كتب الطرائف والنوادر التي لم يقصد مؤلفوها تدوين الحقائق التاريخية بقدر ماقصدوا إلى جمع الأخبار والحكايات التي فيها تسلية وتغذية للمجالس بينما يغفلون كتباً من أوثق الكتب بما تضمنت من الحقائق التاريخية مثل كتب الحديث النبوي من المصنفات والسنن والمسانيد والجوامع التي تذكر أخبار السلف بالأسانيد ، ومثل كتب الفقه التي تذكر السوابق التاريخية والقضايا التي وقعت من القضاة والفقهاء والحكام ، ومثل كتب السير والتراجم .

ثم هم لايوجد لديهم ميزان للمرويات غير منهج التوسم [1] ، والاستعادة والترجيح العقلي ، وهذا غير كاف لمعرفة صحة الرواية ونقد الأسانيد الذي اعتنى به العلماء المسلمون في علم الجرح والتعديل ومصطلح الحديث وقوانين الرواية ، ومن المعلوم أنه لابد من إثبات صحة الأخبار والوقائع قبل البحث في تفسيرها وتعليلها .

وختاماً : هذه بعض الوسائل التي استخدمها دعاة الغزو الفكري في تشويه تاريخ الأمة الإسلامية ودينها ، وهي ليست كل الوسائل ففي حصرها صعوبة بل لاتنحصر لأنها تتجدد حسب الظروف والمقتضيات وحسب الأهواء والرغبات ، ولأن كيدهم مستمر كما أخبر الله جل ذكره في كتابه : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [البقرة / ١٢٠] .. وقوله : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ [البقرة / ٢١٧] . ذكرت هذه الوسائل تحذيراً وتنويراً لبني قومي وديني عامة ، وللمتخصصين في التاريخ الإسلامي خاصة ، رجاء أن ينفعهم الله بها ويتنبهوا لعظم خطر الدراسات الاستشراقية عن تاريخ المسلمين وحضارتهم ونظمهم ، والله الموفق والهادي □



١ ــ السلمي : منهج كتابة التاريخ الإسلامي / ١٣٥ .

□ الجهاد الأفغاني ، التعالي على الخلافات

□ بدء الجهاد المسلح في أرتيريا

□ مذابح الجمعة في مقديشيو ــ الصومال

الجهاد الأفغاني : التعالي على الخلافات

فرح المسلمون في كل مكان حينما انسحبت روسيا وجيشها الأحمر من أفغانستان تحت ضغط الجهاد الأفغاني الذي أقضى مضجع الشيوعيين وأذنابهم ، واعتبروا ذلك هزيمة للباطل الذي تقوده الشيوعية وانتصاراً للحق المظلوم المتمثل بالإسلام .

وقد وضع المسلمون أيديهم على قلوبهم خشية من بنيات الطريق والمنعطفات التي تنتظر إخوانهم المجاهدين في أفغانستان ، لعلمهم أن مواجهة المشاكل الداخلية قد تكون أصعب من مواجهة أعداء الخارج . وهذه قاعدة مطردة وسنة معروفة .

والمجاهدون ــ على مابذلوا من أرواح وتضحيات على كل صعيد ، وعلى ماأظهروا من شجاعة اعترف بها العالم ــ فإن فيهم مايخشى عليه ويخشى منه ، وصفوفهم ليست ممحصة تمحيصاً يدعو إلى الاطمئنان الكامل أنهم قادرون على التغلب على العقبات التي نصبت لهم هنا وهناك . وكل الناس يعلمون أنه لا روسيا ولا أمريكا ولا القوى المحيطة بأفغانستان ترغب في إقامة حكم إسلامي صافٍ من شوائب المساومات والتنازلات .

وإذا كنا لانحب الكلام على السلبيات ولا تضخيمها ، فإننا أيضاً لايحسن بنا أن نتجاهلها ونغفل عنها ، ومن أخطر ماسيؤثر على الجهاد الأفغاني وجود النزعات القبلية التي لها حساباتها الخاصة التي تختلف ومقتضيات الجهاد .

والقبلية إذا وضعت كهدف ، وعادى الإنسان على أساسها ووالى فإنها لاتأتي بخير أبداً ، وشواهد التاريخ ماثلة ، وأقربها وأجدرها بأن يأخذ الشعب الأفغاني منه عبرة ودرساً هو حال العرب الذين استغلهم الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ليضربوا بهم الأتراك ، ويقضوا على

كيان الدولة العثمانية ، واعدينهم بالاستقلال وتأسيس امبراطورية عربية وإعادة مجد التاريخ العربي ، فعمل هؤلاء الحلفاء على مصانعة القبائل العربية واستغلال حب هذه القبائل للمال ونزوعها الذي طال عليه الأمد إلى العصيان وحياة السلب والنهب ، فبثوا بينها الجواسيس ، ووزعوا عليها صرر الذهب ، وحرضوها أن تضرب مرافق الدولة ، وتسطو على الحاميات العسكرية بغارات دموية جعلت من المستحيل أن تكون هناك علاقة حسن جوار بين العرب والأتراك فضلاً عن علاقة أناس يجمعهم دين واحد ، وكانت النتيجة أن لادولة عربية قامت بل مِزَق دول ، ولا القبائل العربية اغتنت ، والمستفيد الأول والأخير هو القوى الاستعمارية وأعوانها وأذنابها .

نقول هذا الكلام بعد أن بلغنا ماوقع فيه المجاهدون من رفعهم السلاح على بعضهم ، فمهما كانت الخلافات بين المسلمين لاينبغي أن تؤدي إلى إراقة الدم بين المسلمين وتفتيت وحدتهم التي لايستفيد منها إلا العدو المتربص بهم ويفرح بها أشد الفرح . بل إن صحافة العدو تنتظر مثل هذا الحدث لتضخمه وتنفخ فيه حتى تنفر القلوب وتشحن الصدور وتجعل الأفغان مئة أفغان كما جعلت العرب اثنين وعشرين عرب .

إن هناك من يتربص بالجهاد ليكبر أخطاء المجاهدين ، وليحرك الإحن والأحقاد ، فلاشيء أقسى على أعداء الجهاد من وحدة المجاهدين ، ولاشيء أدعى لإبطال خططهم ومكايدهم من صدور المجاهدين على رأي واحد في المسائل المصيرية والهامة ، وإلا فبأي شيء نفسر أن تفتح دولة مجاورة أبواب سفارتها للتعزية بمن قتل في الحادث المؤسف ، هل طلباً للإصلاح ، أم إثارة للمشاعر وتحريكاً للخواطر وتعميقاً للفرقة بين أهل السنة ؟

إننا مع عدم رضانا أن يسفك المسلم دم أخيه المسلم لاختلافهما في وجهات النظر ؛ ندعو الإخوة المجاهدين إلى ردم الهوة بينهم ، وتجاوز الأخطاء حتى لاتستثمر هذه الأخطاء من قبل من لايرقب فيهم إلا ولا ذمة ، ولا يريد بهم جميعاً إلا الشر والوقيعة □

بدء الجهاد المسلح في أرتيريا

في يوم الجمعة ١٩ من ذي القعدة ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٣ من يونيو ١٩٨٩ م أعلنت المنظمات الإسلامية الجهاد ضد الأحباش المتسلطين محطمة الحواجز النفسية والمادية بعون الله ، فأخذت مواقعها القتالية في قلب أرتريا لاتخشى إلا الله ، لتبدأ الجهاد المقدس والمستمر فيها حتى النصر بإذن الله ، وفي هذه المناسبة نقدم هذه الدراسة عن القضية الأرتيرية .

مقدمة جغرافية وتاريخية :

تقع أرتيريا على الساحل الغربي الجنوبي من البحر الأحمر ، ويحدها شمالاً السودان ، ومن الشرق البحر الأحمر ، ومن الجنوب الصومال وأثيوبيا ، ومن الغرب أثيوبيا كذلك .

ومساحتها ٤٥ ألف ميل مربع ، وعدد سكانها أربعة ملايين ، ٧٠٪ مسلمون والباقي نصارى ، وكثير من قبائلهم يرجعون إلى أصول عربية ، ولهذا فاللغة العربية هي اللغة الأكثر انتشاراً ، وهي جزء من مملكة الحبشة المشهورة التي كان ملكها فيما قبل الإسلام يسمى النجاشي ، وكانت هذه المملكة تضم إلى جانب أرتيريا ، أثيوبيا ، وجيبوتي ، وجزءاً من الصومال وكينيا والسودان ، وقد دخل الإسلام إلى مملكة الحبشة عموماً ــ وأرتيريا جزء منها ــ في أول العهد النبوي حيث تمت أول هجرة في الإسلام إلى الحبشة كما هو معلوم من السيرة النبوية .

وقد ظلت أرتيريا تابعة للدولة العثمانية من عام ١٥٥٧ م إلى عام ١٨٦٤ م ، ثم انتقلت إلى سلطة الدولة الخديوية في مصر ، ثم احتلتها إيطاليا في عام ١٨٨٩ م وفي عام ١٩٤١ م احتلتها انجلترا ، وتآمر الانجليز مع هيلاسيلاسي ضد أرتيريا

المسلمة ، فأسسوا حزباً نصرانياً في الأمم المتحدة وصوتوا لإنجاح قرار يقضي بوجود حكومة أرتيرية تتمتع بسلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية في الشؤون الداخلية ، متحدة مع أثيوبيا فيدرالياً في الشؤون الخارجية والدفاع ، وذلك في سبتمبر عام ١٩٥٠ م ، وبعد سنتين احتل الجيش الأثيوبي المستعمرات التي كان يحتلها الجيش البريطاني ... وعندها أصبحت أرتيريا مديرية أثيوبية يحكمها ممثل الأمبراطور الحبشي ..

ومن ذلك الوقت وحتى الآن لازالت السيطرة الأثيوبية تجثم على صدور المسلمين في أرتيريا ، وخلال ذلك أقامت أمريكا قاعدة عسكرية كبرى ... وكانت أثيوبيا قد ألغت عام ١٩٦٢ م النظام الفيدرالي الشكلي وأعلنت دمج أرتيريا في أثيوبيا ، حدث ذلك بمساعدة من أمريكا التي تبنت القرار في الأمم المتحدة ... والتي منحت فيما بعد امتيازات استراتيجية على الأراضي الأرتيرية ...

مارس الطاغية هيلاسيلاسي وأوباشه أشد أنواع التعذيب والاعتداء على شعب أرتيريا المسلم ... وزج بالكثير منهم في السجون ، ومارس معهم أبشع أنواع التعذيب ، وارتكب جنوده جرائم تتنافى مع أبسط قواعد الأخلاق والإنسانية ، وقتل الناس أفراداً وجماعات وانتهكت الأعراض وعلقت الجثث ، واستخدمت السموم بالطائرات من أجل الإبادة الجماعية ، وفي شباط ١٩٦٧ م شنت قوات الطغيان الهيلاسيلاسية حملة إبادة ... ودمرت فيها أكثر من ٦٢ قرية وقتل المصلون ، وأحرقوا في مساجدهم أثناء الصلاة بعد إحكام إغلاق المساجد عليهم ..

وتحرك الشعب الأرتيري المسلم ، فاندلعت ثورة هذا الشعب ، وذلك في ١ / ٩ / ١٩٦١ وخرج فيها شباب كثير وكانت السمة الغالبة عليها سمة إسلامية ، وإن كانت تختلط بالروح الوطنية أحياناً ، وقد كانت قوية في بدايتها ، ولفتت أنظار العالم إليها بما أحرزته من انتصارات ، وشعر النصارى من الأريتيريين الذين كانوا يؤيدون أثيوبيا في استعمارها ، شعروا بأن الثورة قد تحقق انتصاراً يؤدي بالفعل إلى الاستقلال ، فرأوا أن من مصلحتهم الدخول في الثورة ، فدخلوا فيها ،

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن عدداً من الشباب الأريتيري الذي ينتمي إلى الإسلام اسماً دخلوا في صفوف الثورة بأفكار منحرفة .. فدخلوا وكل منهم يحمل معولاً للهدم داخل الثورة ... وماهي إلا سنوات قلائل حتى خرجت رؤوس الفتنة ... هذا شيوعي ماركسي ، وذاك بعثي اشتراكي ... وآخر قومي عربي .. فكان أول انشقاق على الثورة هو ذاك الذي قام به أحمد ناصر الشيوعي مع مجموعة من حزب العمل الشيوعي ، فانشقوا بجبهة أسموها (جبهة التحرير الأريتري) ، ثم قام المدعو عبد الله إدريس بانقلاب عسكري وأسر كل الشيوعيين بمن فيهم رئيسهم أحمد ناصر ، وأصبح هو رئيسها .

ثم انشقت (قوات التحرير الشعبية) برئاسة عثمان صالح سبي ، علماني الاتجاه ، ثم انشقت الجبهة الشعبية لتحرير أريتيريا بقيادة (أسياس افورقي) وهي حركة يسيطر عليها النصارى ، وترفع شعار الشيوعية ومدعومة من مجلس الكنائس العالمي .. لذا فهي حاقدة على الإسلام والمسلمين ، تنشر الزنا والفساد ، وهي الآن الوحيدة التي تصول وتجول على أكثر من ثلثي الأراضي الأريترية المحررة ..

وهناك قوات التحرير الشعبية ــ اللجنة الثورية ــ التي ترأسها عبد القادر جيلاني ، وهي مؤيدة من أحد الأحزاب القومية العلمانية العربية .

بعد ذلك تم تشكيل مايسمى بالتنظيم الموحد وذلك بدعم بعض الجهات العربية ، حيث تم هذا التشكيل :

أ ــ جبهة التحرير الأريترية بقيادة عبد الله إدريس .

ب ــ قوات التحرير الشعبية .

ج ــ قوات التحرير الشعبية اللجنة الثورية بقيادة عبد القادر جيلاني .

وتم هذا التشكيل العلماني في عام ١٤٠٥ هـ ، وهذه الجهات كما ذكرنا ... إما علمانية أو ماركسية أو قومية وطنية ... فلم تتبن أي واحدة منها الإسلام ، ولو حتى بالاسم .

الوجه الإسلامي للقضية الأرتيرية :

لم يكن المسلمون الصادقون من أبناء البلد الأرتيري ليتركوا قضيتهم

يعبث بها ذوو الاتجاهات الماركسية أو العلمانية من المسلمين والنصارى ويتفردون بتقرير مصير هذا البلد المسلم ... ولكنهم أدركوا أبعاد قضيتهم .. وأدركوا كذلك أن سبيل خلاصهم هو هذا الدين ، ولذلك لجأوا إليه وبدأوا بالدعوة من خلال انتظامهم في عدد من التجمعات والجبهات والاتحادات الطلابية الإسلامية والتي تشكلت بواسطة أبناء الشعب الأرتيري المسلم ، وكذلك من خلال تأثر عدد من الأرتيريين بالنشاط الإسلامي الموجود حولهم في السودان ، أو بواسطة الطلاب الأرتيريين الذين درسوا في بعض البلاد العربية ، وتأثروا بإخوانهم الدعاة هناك .

الصحوة للجهاد :

وقد كان للوضع الخطير الذي تمر به القضية الأرتيرية دور بارز في أن تتداعى هذه التجمعات الإسلامية لتوحيد كلمتها وصفها ضد الاستعمار الأثيوبي ، وضد المنظمات العلمانية المجرمة ، كما أن ممارسات الجبهة الشعبية داخل أرتيريا واضطهادها للمسلمين هناك أشعر هذه التجمعات بخطورة الموقف .

ففي شهر سبتمبر الماضي (عام ٨٨) اكتسحت هذه القوات الحاقدة — قوات الجبهة الشعبية — أكثر من ستين قرية من قرى المسلمين ، وأخذت الفتيات المسلمات من أهلهن قسراً ، وقتلوا الشيوخ والأطفال ، فقاومهم المسلمون بالسلاح الأبيض ، وسقط عشرات القتلى ، ومئات الجرحى ... وأصدرت الجماعات الإسلامية بيانات تندد بهذا الهجوم الوحشي وتحتوي على أرقام وإحصائيات مريعة من هول الجريمة .

ونتيجة لذلك تحرك المسلمون الأريتيريون اللاجئون في السودان في كل من كسلا وفي معسكرات سمسم .. ووجدت ماسميت « بالانتفاضة » وتكونت في كسلا لجنة سميت « اللجنة الإسلامية الشعبية للدفاع عن المستضعفين الأريتيريين » والتي تضم بعض الإسلاميين ، وجمهور من الشعب الأريتري في كسلا ، وقامت بندب المسلمين لمقاومة الجبهة الشعبية ونصرة إخوانهم في أريتريا .

كما أن الدور الإصلاحي الذي قام

به بعض الإسلاميين بين بعض القبائل الأريترية المتنازعة لأسباب عرقية قد ساعد في النهاية على تعجيل وحدة صف الإسلاميين هناك ، ففي ٢١ / ١ / ١٤٠٩ هـ حدث خلاف ونزاع بين قبيلة أساورتا وقبيلة الساهو الأريتريتين وذلك في منطقة أم سقطة والأسباب عرقية بالدرجة الأولى ، فتشكلت لجنة في سمسم وسميت (لجنة الوفاق الإسلامي الأريتري بمنطقة سمسم) هدفها إصلاح الحال وإنهاء الخلاف بين القبيلتين المسلمتين ، فبادرت نشاطها في المنطقة المذكورة ، واتسع مدى نشاطها ليشمل العديد من القرى ، وكانوا في كل منطقة يمثلون الناس ويذكرونهم ويدعونهم إلى الإسلام ليكون موحداً لهم وجامعاً بينهم ، حتى التقوا في منطقة كسلا (باللجنة الإسلامية الشعبية للدفاع عن المستضعفين الأريتريين) فاتفقوا على توحيد العمل الإسلامي ووضع برنامج عملي مرحلي ، ثم قاموا بمسح القرى والمناطق ، يقابلون الناس ، ويحثونهم على قبول الإسلام كحل وحيد للقضية الأريترية .

وكان مما توصي به هذه اللجنة وتدعو إليه هو تقوى الله ، ونبذ الفرقة ، وإعلان الجهاد تحت راية لا إله إلا الله وقيادة العلماء ، والحذر من المنظمات الشيوعية ، والشخصيات المشبوهة ، وكذا العصبيات المنبوذة وقد وجد حماس واستجابة في أوساط الشعب الأريتري لهذا التوجه وبخاصة بعد معاناتهم الشديدة من هذه المنظمات غير الإسلامية .

نشأة حركة الجهاد الإسلامي الأريتري :

ساعدت الظروف والإرهاصات التي ذكرناها ، على تهيئة جو إسلامي عام بين الأريتريين اللاجئين .. فانتهز الإسلاميون الفرصة وقاموا بزيادة حماس المسلمين وإذكاء روح الجهاد فيهم ، وتوحيد صفوفهم فنادوا بدمج الجماعات الإسلامية في جماعة واحدة ... ولاقت الفكرة قبولاً لدى جميع الجماعات الأريترية الإسلامية ، حتى تشكل مايسمى « بحركة الجهاد الإسلامي الأريتري » والتي عقدت مؤتمرها العام الأول في الفترة مابين ١٩ — ٢١ ربيع الثاني عام ١٤٠٩ هـ ، وتم فيه انتخاب مجلس

شورى يتكون من (٥١) عضواً ، من بينهم مجلس تنفيذي من ١١ عضواً ، وقد أصدر المؤتمر بياناً في نهاية الاجتماع أشاروا فيه إلى تسلسل الأحداث في أريتريا بدءاً من دخول الإسلام فيها وحتى الوضع الحالي ، وأعلنوا فيه عن قيام حركة الجهاد الإسلامي الأريتري ، وناشدوا جميع المسلمين لنصرة الجهاد الإسلامي الأريتري والوقوف إلى جانبه .

من متابعة مسيرة الأحداث السابقة ، وماحصل في النهاية من وحدة بين الأريتريين ومن معرفة الأشخاص القائمين على هذا الاتحاد تظهر لنا بعض النقاط :

١ ــ تحرك بعض القائمين على هذه الحركة الجديدة يمثل عاطفة إسلامية جياشة ، ونحسبها صادقة بإذن الله ، وهذه العاطفة الصادقة كانت كافية تماماً للتغلب على حزبية الشعارات التجمعية ، وكسر طوقها ، وتحطيمها ، والاندماج تحت لواء حركة جهادية واحدة وأمارة صحة في مسيرة العمل الإسلامي الأريتري .

٢ ــ القاسم المشترك بين جميع أفراد مجلس شورى هذه الحركة هو أنهم يتبنون عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد أعلنوا ذلك في بياناتهم وفي ماظهر من قياداتهم .

٣ ــ لاشك أنهم يعدون لأمر عظيم جلل ، وهو الجهاد في سبيل الله ، ضد قوى معادية ، وهم لايملكون أرضاً ولا عتاداً ، إلا أنهم أمام طريق شاق ، ويحتاجون إلى وقت غير قصير كي يشقوا طريقهم الجهادي وهم بحاجة إلى الدعاة إلى الله والجماعات الإسلامية أن تدعمهم بكل ماتستطيعه من توجيه ، ونصح ومعونة مادية .

وبعد فإن القضية الأريترية هي قضية إسلامية تهم جميع المسلمين الذين يهمهم أمر إخوانهم المضطهدين هناك والذين أصبحوا بين فكي كماشة ، فالاستعمار الأثيوبي من جهة ، والمنظمات غير الإسلامية من جهة أخرى ، ولا يمكن أن يخرج هؤلاء من المأزق إلا بالجهاد في سبيل الله وبالوحدة الإسلامية القائمة على منهج قويم ، وها نحن نرى الآن صحوة الإسلاميين في أريتريا من خلال وحدتهم الأخيرة ومن خلال دعوتهم إلى الجهاد في سبيل الله .. لذلك فنحن بعد أن ندعو الدعاة

والإسلاميين إلى مناصرة إخوانهم في أريتريا بعيداً عن أي شعارات حزبية قد تفرق شملهم بعد أن تجمعهم نود أن نذكر إخواننا الأريتريين بالملاحظات التالية :

١ ــ وجوب المحافظة على الوحدة القائمة على منهج أهل السنة والجماعة ، وعلى عقيدة التوحيد ، والحذر من دخول الشعارات الحزبية التي تفرق ولا تجمع ، والصدق مع الله ثم مع المؤمنين في هذا التوجه ، وأن يكون واقعاً مستمراً وليس شعاراً مؤقتاً .

٢ ــ اعلموا أنه لانصر إلا بوجود شروطه ، ومن أهم الشروط هو الاتباع والاجتماع ، اتباع منهج صحيح والاجتماع عليه ، وأن الانتكاسات التي تحدث داخل الساحة الإسلامية اليوم سببها الغفلة عن المنهج والذي أنشأ الفرقة ، ولن يكون أعداء الله إلا أقزاماً أمام جحافل المؤمنين التي تحمل نور التوحيد والإيمان ، المتوحدين تحت لواء عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة .

٣ ــ الحذر من وجود المنافقين داخل الصف ولو رفعوا شعارات إسلامية ، لأن ميادين الجهاد من الميادين التي تغري أمثال هؤلاء بالظهور ، وتجارة الجهاد من قبل رموز محسوبة على المجاهدين من أهم إشكالات قضايا المسلمين الجهادية اليوم .

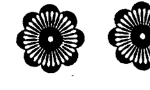
٤ ــ الاستفادة من دروس الجهاد الأفغاني الإيجابية والسلبية ، وبخاصة أن هناك تشابهاً كبيراً بين الساحتين من ناحية الانتماءات الفكرية وكذلك الولاءات السياسية ، فنستفيد من دروس إيجابية ضخمة أفرزها الجهاد الأفغاني ، ونحذر من سلبيات حصلت وتحصل هناك حتى لانكرر أخطاءنا .

٥ ــ رصد لعبة الأمم في منطقة أريتريا وجنوب السودان والصومال وشرق القارة عموماً حيث تترابط قضايا المنطقة هناك ، وتتآمر قوى كثيرة على المسلمين فيها ، وهناك مخططات وترتيبات لمستقبل المنطقة في أذهان أولئك ، فهناك مؤامرة صليبية ماكرة هدفها إقامة كيان أو كيانات صليبية في المنطقة ، وأطراف هذه المؤامرة من داخل المنطقة ومن خارجها ، فمن الداخل حركة قرنق

في السودان ، والجبهة الشعبية في أريتريا ، والجبهة الشعبية لتحرير تقراي ، وتنظيم رابطة الشعوب الأثيوبية ، ويدعم هذه الحركات دول مجاورة مثل كينيا ، وأوغندا ، وكذلك قوى خارجية ، ودول غربية ، كما أن لمجلس الكنائس العالمي دوراً مشبوهاً في التخطيط لإقامة كيان نصراني هناك ، وقد جاءت تحركات كارتر رئيس أمريكا السابق في المنطقة ، وكذلك محاولة الانقلاب الأخير في أثيوبيا لتصب في هذا الاتجاه .

والمنطقة مرشحة لمزيد من التفجيرات المستقبلية ، وما يصاحب ذلك من مقايضات بين القوى المؤثرة فيها ... لذا فنحن ننصح إخواننا بالحذر من الوقوع في لعبة المقايضات السياسية ، أو أن يكونوا مادة لبعض فصولها ، لذلك فالترابط بين الدعاة عموماً في كل أرض الله ، والتناصح بينهم كفيل بكشف مخططات خصومهم وكفيل بتفويت الفرص على أعداء الجهاد وأعداء المجاهدين .

وفي الختام نسأل الله أن يعلي كلمته ، وأن يعز دينه ، وأن يوحد المسلمين تحت رايته □




مذابح الجمعة في مقديشيو ـ الصومال

وقعت مذبحة شنيعة في الحادي عشر من ذي الحجة ١٤٠٩ هـ الموافق الرابع عشر من يوليو ١٩٨٩ م عقب صلاة الجمعة في معظم جوامع العاصمة مقديشيو ، مثل جامع الشيخ علي صوفي ، وجامع التضامن الإسلامي ، وجامع سيغالي ، وجامع الحاج يوسف ، وجامع حي سيناء ، وجامع صنعاء ، وجامع بيحاني ، وغيرها من الجوامع في العاصمة ، حيث هاجم الحرس الخاص لزياد بري المصلين ، وهم مدججون بالسلاح والعربات المصفحة داخل الجوامع وفتحوا وابلاً من النيران عشوائياً على جموع المكبرين داخل الجوامع المذكورة تكبيرات عيد الأضحى .

وتفيد الأخبار أن إطلاق النيران العشوائي قد شمل معظم العاصمة وضواحيها وكان الحرس الخاص يلتقطون جثث الضحايا فور سقوطهم على الأرض ثم يجمعونهم في أماكن خاصة ويحفرون لهم ويدفنونهم ليلاً في مقابر جماعية بواسطة الجرافات بدون غسل ، ولا كفن ، ولا صلاة ، وبدون علم ذويهم ، كما هرب كثير من الناس بجرحاهم إلى بيوتهم ومات بعضهم هناك بسبب عدم الرعاية الصحية لهم ، وتم دفنهم داخل بيوتهم خوفاً من جنود الحكومة ، كما وجد كثير من الجثث بعد أيام في الأزقة مما جعل عدد القتلى غير محصور حتى الآن لأن وفيات الجرحى مستمرة يومياً لعدم الرعاية الصحية ــ كما قلنا ــ ولخوف الناس من الذهاب بهم إلى مستشفيات الحكومة خشية الإبادة لذويهم وتدمير بيوتهم ، كما حدث لمن حاول ذلك كما أخبر شهود العيان من أهل البلاد ، وكما نشرت جريدة الخليج بالتاريخ ٢٢ / ٧ / ١٩٨٩ .

وقد لقي من جراء ذلك أكثر من ألف وستة وأربعين شخصاً مصرعهم ، ومن بين القتلى خمسون شخصاً أعدموا فور القبض عليهم دون محاكمة ، وذلك ماعدا الاغتيالات الجماعية .

وقد ألقي القبض على كثير من الإسلاميين ، منهم الشيخ إبراهيم محمد علي خطيب ومدرس جامع سيغالي ، والشيخ عبد الرشيد ، والشيخ علي صوفي خطيب ومدرس جامع الشيخ علي الصوفي ، والشيخ نور الدين علي أحمد الداعية المعروف في البلاد ، والشيخ شريف شرف مدرس التفسير بمسجد أربع ركن ، ومحمد علي طاهر الكاتب عن المخططات النصرانية ضد الإسلام في البلاد ، حيث زج بهم في السجون والمعتقلات حتى اكتظت السجون بهم ، مما اضطر الحكومة إلى نقل عدد كبير منهم إلى معسكرات التدريب مثل عيل جالي وطنانة ، ومراكز الشرطة .

أسباب هذه الحوادث :

١ ــ تزايد حركة التنصير في البلاد في السنوات الأخيرة حتى بلغ عدد هيئات التنصير أكثر من ٣٢ هيئة تنصيرية تتستر باسم الهيئات الخيرية لكن غرضها الوحيد نشر المسيحية وتنصير أبناء المسلمين ، وقد فسحت لهم الحكومة مجالاً واسعاً ، حيث أعطتهم الحرية كاملة ففتحوا في أنحاء البلاد مدارس خاصة لتنصير أطفال المسلمين ، ومراكز لتلقي الشباب مساعدات مادية ومحاضرات تنصيرية ، وتقدم لهم أيضاً وعوداً بإرسالهم إلى جامعات أوربا وأمريكا مستغلين بذلك أحوال البلاد المعيشية والإدارية السيئة ، وقد زعم ممثل الفاتيكان في الصومال أخيراً بأن أكثر من اثني عشر ألف شاب صومالي دخلوا في المسيحية في الآونة الأخيرة .

٢ ــ وبالمقابل فقد حاربت الحكومة نشاط الإسلاميين بالدعايات المغرضة المضادة ، وألقت القبض عليهم وأعدمت بعضهم ، وحكمت على كثير منهم بالسجن لمدد متفاوتة .

٣ ــ عداوة الرئيس الشديدة وكرهه للإسلام وأهله : فقد صرح بري عدة مرات بمناسبات مختلفة بتصريحات معادية للإسلام منها ماقاله حين أصدر قانون الأحوال الشخصية بأن الإسلام قد ظلم المرأة ، ونحن ننتصر لها ونسويها بالرجل في جميع المجالات في الإرث والنكاح والطلاق وغير ذلك . وزعم بأن خمسين في المائة من القرآن الكريم منسوخ إلا أن العلماء لايفهمون ذلك ، نشرت ذلك جريدة نجمة أكتوبر الحكومية بتاريخ ١ / ١ / ١٩٧٥ م ومن عادته أن يتهكم على العلماء ويقول على سبيل السخرية والاستهزاء : السفهاء فعلوا ذلك ، يعني العلماء الداعين للإسلام وقد حدث مرة أن واجهه أحد العلماء بنصيحة فقال : أكره الناس إلّي من قال لي اتق الله وخوفني بالله فهل الله سبع يأكل الناس ؟!

٤ ــ قتل الأسقف الإيطالي في مقديشو : قتل الأسقف الإيطالي في مقديشو ٩ / ٧ / ١٩٨٩ م بيد مجهول ، والجدير بالذكر أن المقتول لايعرف له قاتل حتى الآن ، وملابسات القتل تؤكد بأن الحكومة هي وراء ذلك الاغتيال لأن القاتل فر بسيارة الجيش ولأن الأسقف أعطى أسراراً كثيرة تتعلق بتجاوز السلطات لحقوق الإنسان في الصومال للجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة التي زارت البلاد قريباً .

ومع هذا فقد ألصق زياد بري زوراً وبهتاناً تهمة قتل هذا الأسقف الكاثوليكي بالإسلاميين ، فعل ذلك لكي ينتقم من الأسقف الذي أفشى أسراره من جهة ، وليتخذ من ذلك ذريعة لضرب الإسلاميين الذين ضاق صدره من نشاطهم المتزايد وتأثيرهم البالغ على الشعب من جهة أخرى ، ثم أراد إرضاء الفاتيكان وأعداء الإسلام عامة فأظهر لهم حزنه الشديد لقتل الأسقف المحبوب له كما يدعي ، ووعد من يعثر على القاتل بجائزة مالية قدرها عشرة ملايين شلنغ صومالي حسبما نشرت جريدتا البيان والخليج بتاريخ ١٨ / ٧ / ١٩٨٩ م كل هذه الأسباب وغيرها قد أثارت غضب الشعب الصومالي المسلم ، فأعلن العلماء على منابر المساجد غضبهم واستنكارهم لمطاردة العلماء واتهامهم بما هم براء منه كما استنكروا التسهيلات الواسعة النطاق

التي تقدمها الحكومة لحركات التنصير .

اغتيالات جماعية :

تفيد الأخبار الواردة أن السلطات تداهم الناس في بيوتهم ليلاً وتأخذ الرجال إلى خارج العاصمة وتطلق النار عليهم جماعياً .

وقد أفاد شهود عيان أن مئة وعشرين جثة وجدت ملقاة في منطقة (عين عدى) وكذلك وجدت جثث أخرى في منطقة (الجزيرة) وذكر ناس من أهل البادية أنهم رأوا حوالي ثمانين رجلاً يطلق عليهم النار ثم حفر لهم قليب كبير عند (طنانة) .

لاتغتروا بالتصريحات الكاذبة :

اعتاد زياد بري وأعوانه تضليل الرأي العام العالمي وفرض التعتيم الإعلامي عما يجري داخل الصومال ، فعلى المسلم أن يتتبع الأخبار الصحيحة من مصادرها الموثوقة ، وألا يغتر بتصريحات كاذبة من زياد بري وأعوانه الذين يشوهون الحقائق خوفاً من التنديد العالمي لجريمتهم البشعة اللاإنسانية .

حدثت هذه المذابح في مقديشيو بعد تدمير شمال البلاد تدميراً شاملاً بيد جيش زياد بري مستخدمين جميع الأسلحة العصرية في (هرجسة) و (برعو) وتوابعهما ، وقد فر من نجا من التدمير والرصاص من أهل تلك المناطق إلى الحبشة ، ومازالوا هناك لاجئين .

صرخة من مسلمي الصومال :

يستنجد الشعب الصومالي المسلم الجريح إخوانه المسلمين في أنحاء العالم كي يتوسطوا لدى سلطات الصومال للإفراج عن المعتقلين ، وإيقاف الاغتيالات الجماعية ، والسماح للعلماء بمزاولة نشاطهم كما يهيب الشعب بإخوانه المحسنين من ذوي القلوب الرحيمة أن يمدوا إليهم يد العون والمساعدة لإنقاذ المنكوبين والمتضررين من الأيتام والأرامل والعجزة حتى لايقعوا في شراك التنصير الحاقد □

رابطة العلماء في الصومال



وضوح الهدف

إخواني القراء : من خلال صفحات مجلتكم الغراء « البيان » اسمحوا لي أن أوجه لكم هذه الكلمات التي أخص بها إخوتي الشباب الذين هم أمل الأمة في إعادة الماضي التليد ، وبناء الحاضر الزاهر ، وتأسيس قواعد مشرقة لمستقبل الأمة .

إخواني :

الحياة تافهة عندما يجد الشاب نفسه بلا ضابط ، وفكره بلا محتوى ، وحياته بلا هدف ، ولا معنى ، مرحلة الشاب مرحلة حرجة ومنعطف حاد ، فالمرء يفترسه عاملا الفراغ وغموض الهدف ، فيسلبان الشاب فترة ذهبية من حياته ، يؤسس فيها القواعد الأولى لحياة هادفة قد تكون منطلقاً لآفاق أوسع .

فالهدف لابد من وضوحه ، وعندما نسأل عن الهدف لانذهب بعيداً ، فكتاب الله بين أيدينا يقول فيه عز وجل : ﴿ وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾

فتحقيق غاية العبودية بمفهومها الشامل هو الغاية والهدف في الحياة .

علمنا الهدف فهل يكفي ذلك للوصول إليه ، لا أظن أن هناك إجابة تزاحم قولنا بأنه لابد من علم ومعرفة دقيقة بواقعنا ، لكي نسير على بصيرة ، فعندما ننظر من حولنا نرى غزواً فكرياً خطيراً قد استشرى واستفحل خطره ونحن لاهون عنه غافلون ، فهو يسلك طرقاً خفية حتى ينفث سمومه ، ولا تدري الأمة إلا وقد ضاعت شخصيتها ، وزالت معاني أصالتها وقوتها ، سرى ذلك الغزو في جسد الأمة وترك بصماته على كل جزء من هذا الجسد ، وما كان ذلك السريان إلا نتيجة لـ :

١ ــ الفراغ الذي ملأ أوقات أفراد الأمة شيباً وشباناً ، نساءً ورجالاً .
٢ ــ ضعف الإيمان في قلوب أفراد الأمة ، إلا من عصم ربك ، وقليل ماهم .
٣ ــ غلبة الجهل المتراكم حتى في الطبقات التي تدعي العلم وحمل الشهادات .
٤ ــ قلة التربية الصحيحة السليمة للنشيء في البيت أو المدرسة ، أو أجهزة الإعلام ، أو أجهزة الترفيه أو الشارع .

إخواني الشباب ، ياأمل الأمة : ننظر إلى حالنا فلا نرى مايرضاه ذوو الهمم العالية من مخلصي هذه الأمة مما يجعل سؤالاً يؤرق أجفاننا وهو : ما منشأ ذلك الحال ؟ .

ولا يختلف اثنان على براءة مانعتقده من ذلك ، فعقيدتنا تدعونا إلى الصلاح والإصلاح ، واستغلال جميع الأسباب النافعة التي ترقي بنا وتعلينا ، علمنا ذلك وإدراكنا لواقع أمتنا يوجب علينا مضاعفة جدّنا ونشاطنا ، ولا نكون كمن رأى حال الأمة وحرج موقفهم فتخلى عنها كالجبناء ، والتفت إلى حضارات ومدنيات بُنيت على الكفر والإلحاد ، مزخرف ظاهرها خراب باطنها .

إن الأمة تريد منا شباباً عالمين عاملين وإلا فنحن في أمية من نوع آخر ليست هي الجهل بالقراءة بل هي الجهل بالتزام مانعتقده ونعلمه ونقرؤه التزاماً عملياً في كل شؤون حياتنا في : المنزل ، المكتب ، الشارع ، المصنع ...
إخواني : عليكم تلقى الآمال ومنكم يطلب الكثير ، فالطريق طويل والصعاب

فوق مانتصور ولكن قال تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ □

عبد الله سليمان الفراج

□□□□□

الأخ طارق علي السقاف ــ صنعاء .

أرسل رسالة طويلة يبدي فيها إعجابه بمجلة البيان ويتمنى لها التوفيق والاستمرار في خدمة قضايا الأمة الإسلامية ، ويتحدث أيضاً عن مشاكل المسلمين في أنحاء كثيرة من العالم ، ثم يبدي تعاطفه مع الانتفاضة في فلسطين المحتلة ، ويرى أن الأمل في الإسلام فقط كطريق لتحرير المقدسات وطرد الغزاة ، ثم يقول في رسالته :

« ... فلينظر المسلمون إلى حالهم اليوم ، وليتخذوا من الرسول ﷺ وصحابته مثلهم الأعلى ، بدلاً من أن يتخذوا من الممثلين والممثلات ، والمفكرين العالميين وعباقرة الغرب قدوة لهم ، وليهتموا بجيل الشباب ، ويحثوه على العلم النافع وذكر الله والتمسك بالتعالم الإسلامية ، بدلاً من اللهاث وراء الحضارة الغربية المادية ، لأن الشباب هم الجيل الذي سيتحمل مهام نشر دين الإسلام ، لذلك علينا تربيتهم تربية إسلامية صحيحة بعيداً عن المفاهيم المادية التي من شأنها تخريب المجتمعات ، كما يفعل الفكر الشيوعي الإلحادي القائم على إنكار وجود الله » □

من نشاطات المنتدى

أقيمت في مقر المنتدى الإسلامي بلندن الدورة الثانية للعلوم الشرعية لإعداد الدعاة وذلك بتاريخ ٦ محرم ١٤١٠ هـ الموافق ٧ أغسطس ١٩٨٩ م واستمرت لمدة أسبوعين دُرّست خلالها العقيدة الإسلامية ، أصول الفقه ، علوم الحديث ، أصول الدعوة ، اللغة العربية ، وحاضر العالم الإسلامي . وقد حضر لهذا الغرض مدرسون متخصصون في هذه العلوم .

وانتظم في هذه الدورة طلبة من أقطار متعددة بالإضافة إلى الذين أتوا من داخل بريطانيا .

وتأتي هذه الخطوة في إطار خطة المنتدى الإسلامي في تبني أمور علمية تنفع الشباب المسلم ، وتعمق وعيه وفهمه لواقعه ، وتزيده معرفة بالعلوم الشرعية النافعة أو التي تشتد حاجة المسلمين إليها في هذا الوقت .

والمنتدى الإسلامي إذ يشكر الأخوة الأساتذة الذين تبرعوا بالتدريس في هذه الدورة يأمل أن تستمر مثل هذه الدورات وبمشاركة أكبر من المدرسين والطلبة □

العربية والإسلام

إن اللغة رابطة من روابط الجنس ، وقد حرم الإسلام التعصب للجنس لأنه مفرق للأمة ذاهب بالاعتصام والوحدة واضع للعداوة موضع الألفة ، وقد نهى النبي ﷺ عن العصبية العمية الجاهلية وتبرأ ممن يدعو إليها أو يقاتل عليها ، وقد كان من إصلاح الإسلام الديني والاجتماعي توحيد اللغة بجعل لغة هذا الدين العام لغة لجميع الأجناس التي تهتدي به ، فهو قد حفظ بها وهي قد حفظت به . فلولاه لتغيرت كما تغير غيرها من اللغات ، وكما كان يعروها التغيير من قبله . ولولاها لتباعدت الأفهام في فهمه ، ولصار أدياناً يكفر أهلها بعضهم بعضاً ، ولا يجدون أصلاً جامعاً يتحاكمون إليه إذا رجعوا إلى الحق وتركوا الهوى ، فاللغة العربية ليست خاصة بجيل العرب سلائل يعرب بن قحطان ، بل هي لغة المسلمين كافة ، ولغة شعوب أخرى من غير العرب ، وطوائف من العرب غير المسلمين ، وماخدم الإسلام أحد من غير العرب إلا بقدر حظهم من لغته ، ولم يكن أحد من العرب في النسب يفرق بين سيبويه الفارسي النسب وأستاذه الخليل العربي في فضلهما واجتهاهما في خدمة اللغة ، ولا بين البخاري الفارسي وأستاذيه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه العربيين في خدمة السنة ، بل لم يخطر في بال أحد من سلف الأمة ولا خلفها قبل هذا العصر أن يأبى تفضيل كثير من الأعاجم في النسب على بعض أقرانهم وأساتذتهم من العرب في ماامتازوا به من خدمة هذا الدين ولغته ، ولا نعرف أحداً من علماء الأعاجم له حظ من خدمة الإسلام وهو يجهل لغته ، ولولا أن ظل علماء الدين في جميع الشعوب الإسلامية مجمعين على التعبد بقراءة القرآن المعجز للبشر بأسلوبه العربي ، وأذكار الصلاة وغيرها بالعربية ، ومدارسة التفسير والحديث بالعربية ؛ لضاع الإسلام في الأعاجم منها □

محمد رشيد رضا ــ الخلافة : ١٠٠



العدد الثاني والعشرون : ربيع الأول / ١٤١٠ هـ ـــ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨٩ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن

المنتدى الإسلامي

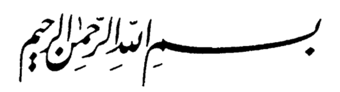
لندن

رئيس التحرير
محمـــد العبـــدة

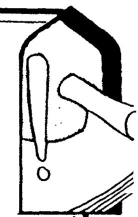
AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 01-731 8145
Fax : 01-736 4255

مكتب الرياض :

ص . ب : ٢٦٩٧٠
الرياض : ١١٤٩٦
تلفون : ٤٧٧٣٥٧٧
فاكس : ٤٧٧٣٥٧٧



المحتوى



التكلف قيود وأغلال

من صفات الرسول ﷺ التواضع والبعد عن التكلف ، وقد انطبعت رسالة الإسلام بهذا الخلق الذي هو انعكاس للفطرة السليمة . وليس أضر على الدعوة الإسلامية من التقيد بالرسوم والأشكال التي تعتبر حاجزاً بين كلمة الحق ووصولها إلى الناس .

والذي يدرس حركة انتشار الإسلام في العالم سيظفر بهذه السمة تميز سلوك المسلمين الأوائل بوضوح وجلاء ، فقد حملوا هذه الدعوة بحرارة وقوة ، هي صفة الإيمان العميق ، وببساطة وعفوية هي ميزة الخلق البعيد عن التعقيد ، وصفة النفوس الجادة التي لاتنشغل بالترف ــ بكل أشكاله ــ عن الحقائق .

إن الجنس العربي الذي حمل عبء الدعوة إلى الله قد اختاره الله لأسباب كثيرة يعلم الناس منها ويجهلون ، ومن هذه الأسباب أنه جنس فطري لم يتلوث

بأمراض المدنيات التي أفسدها الإنسان بغروره وجهله بنفسه ، ولم تقتل حيويته الفلسفات الجامدة والرسوم المتكلّفة التي قيدت كثيراً من البشر وتحكمت فيهم . ولذلك لم يكن يعبأ المسلمون الأوائل بكثير مما تواطأ الناس عليه من عادات ومراسم حين كانوا يجدونها تخالف ماأمرهم الله ورسوله به ، ولم يكترثوا بتحليل الناس وتحريمهم إذا لم يكن لذلك برهان ودليل مما أنزله الله أو قرره رسوله .

وليست هذه الكلمة مخصصة لإبراز خصائص الجنس العربي ؛ ولكن الغرض منها هو التنويه بهذا الخلق الأصيل وهو البعد عن التكلف في الأمور كلها .

لقد ابتعد المسلمون شيئاً فشيئاً عن فهم الإسلام ، ودبت فيهم أمراض اجتماعية وثقافية كثيرة ، ومنها تأثرهم بما وفد عليهم من أفكار غيرهم من الأمم . وهذا هو الواقع الذي كان ومازال ، والذي ينبغي أن لاينكر أو يجادل فيه ، لقد تراكمت مؤثرات أجنبية وأساليب غريبة لاعلاقة لها بالإسلام ، وليست من روحه أو من أصوله ، فحالت بين المسلمين وبين التفاعل مع الحياة بما يمليه عليهم الصحيح من أصول دينهم ، وأصبح المسلمون يحاربون في جبهات ثلاث :

جبهة أعداء الإسلام الخارجيين .

وجبهة أعدائه الداخليين .

وجبهة الأفكار الدخيلة التي اعتنقها المسلمون بحسن نية .

وقد تكون هذه الأخيرة أشد الجبهات .

إذا رجعنا إلى هدي النبي فإننا نجد أن سيرته ﷺ كانت حرباً على التكلف حيثما كان وفي أي صورة وجد ، التكلف في الأقوال والأفعال ، والتكلف في المعيشة ، فقد ذم الرسول الكريم ﷺ الثرثارين ، والمتفيهقين وذم التنطع ، وكان يجلس حيث انتهى به المجلس ، وينهى أن يسلك معه في توقيره وإطرائه مبالغات الأعاجم ، ولم يكن يتميز عن أصحابه بلباس أو شارة ، وكان طبعه أن يشارك أهل بيته أعمالهم ، ويشارك أصحابه نشاطاتهم ، ولم يكن الدين عنده مظهراً وهنداماً لايصح الإخلال به ؛ بل حقيقة قلبية ، وسلوكية نابعة من ذلك تفيض

خيراً لمصلحة الجماعة .

ماالذي نحتاجه اليوم في حياتنا الحاضرة من ذلك ؟.

إننا نحتاج إلى عزمة صادقة نصارح بها أنفسنا لنرى حيثما التفتنا حولنا أكداساً من الأعراف الثقيلة التي تراكمت على الصورة الصحيحة للإسلام ، هذه الأعراف التي اختلطت بالعقائد والأخلاق الإسلامية حتى أصبح من الصعب على كثير من المسلمين التمييز بين الأصيل والدخيل ، والضروري وغيره .

إن كثيراً من هذه الرسوم والأشكال جاء عن طريق المدنيات الوثنية ، وتبناه المسلمون في فترات متعاقبة ، فأعاقهم عن النهوض وعمل على شل حركتهم ، وأوضح مثال على ذلك الدولة العثمانية ، فقد ورثت هذه الدولة من الأعراف الجامدة والشكليات المكبلة ــ سواء من الإمبراطورية البيزنطية المغلوبة ، أو من الشعوب الكثيرة التي انضوت تحت حكم العثمانيين ــ ماأثر في بقائها ، وساعد على ضعفها فيما بعد ، ثم على انتهائها .

ونحن إذ نذكر ذلك نذكره لاستنباط الدرس الذي يفيد في الدعوة الإسلامية ، فلن تنجح هذه الدعوة إلا بمنهج يشكل نبذ التكلف أحد أعمدته الرئيسية ، اقتداء بسيرة محمد بن عبد الله ﷺ ، التكلف الذي يقيد العمل ، ويهمل الجوهر ، ويلتفت إلى مالاينفع ، إما لسهولته ، وإما لسهولة خداع الناس واسترضائهم بواسطته ، هذا التكلف المقيت الذي يهدر طاقات الأمة فيما لايجدي ولا يثمر غير الخيبة والغفلة ، التكلف الذي يجعل أمة تنفق الألوف المؤلفة على الجوانب التافهة ، وتقتر إلى أبعد حدود التقتير على الجوانب المهمة .

إن الأمم التي تبني المسارح والمسابح ومدن الملاهي ، وتستورد الفرق الفنية من كل جهات الأرض من جهة ، وتهمل التفكير الجدي في حل معضلة إطعام شعوبها حتى لاتلجأ إلى استجداء البنك الدولي والدول الغنية من جهة ثانية ؛ لهي أمم غارقة في بحار التكلف مكبلة بأغلاله ، وهي حين تخسر الملايين على مثل هذه الترهات التي تشغل شعوبها بها لاتخسر مالها ومدخراتها فقط ؛ بل تخسر

شعوبها وكرامتها ، ولا يبقى لها من شيء تفتخر به إلا الأكاذيب التي لن يصدقها أحد .

لامخرج لنا ، ولا أمل في تحسن الحال مالم ننفض عنا أردية التكلف ، وأثواب الزور ، وأن نصدق مع الله ثم نكون صادقين مع أنفسنا فنبحث عن عللنا ونعترف بها ، وإلا فالبديل عن ذلك هو الفضيحة .

ألم يشر النبي الكريم ﷺ إلى ذلك بقوله : « المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور » ؟!.

ونختم مانحن فيه بما علقه الشيخ محمد حامد الفقي في كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم » ص ١٥٠ ، من كلمة حق مشرقة ، حيث قال :

« ... والحق الذي لاشك فيه : أن الشيطان ما ركب إلى الأمة الإسلامية لإفسادها إلا مطايا منافقي العجم ، من فرس ، وهند ، وروم ، حتى أكبهم على وجوههم فيما هم فيه اليوم ، من انحلال ووهن ، في العقول والقلوب ، والاختلاف في العقائد ، والتفكير ، والأعمال . ولا صلاح لهم ؛ ولا علاج مما هم فيه إلا بأن يعودوا عرباً في لسانهم ، وتفكيرهم ، وأخلاقهم ، ليفقهوا القرآن ، ويعرفوا هداية الرسول ﷺ ؛ فيكونوا بها مسلمين يستحقون أن يحقق الله لهم ماوعد المسلمين الصادقين » □



جلسة فكرية

عبد القادر حامد

دار نقاش بيني وبين أحد الأصدقاء المعنيين بالثقافة والأدب وبالأوقات التي تمر بها الأمم بازدهار فكري ، أو بجمود وسكون ؛ وأسباب ذلك ، وماالأمور التي تؤدي بالأمة والجو الذي يلفها إلى إحدى النتيجتين فقال :

لم يحدث أن نهضت أمة نهضة فكرية دون تعاون واشتراك بين جهتين : بين القادة وبين الشعوب . وإن شئت الدقة فقل : بين القادة السياسيين وبين القادة الفكريين . وكل الظواهر التي يشمل خيرها أمة بعينها ؛ فينقلها من الجهل إلى العلم ، ومن التخلف والجمود ؛ إلى التقدم والحركة هي نتيجة هذا التعاون . ومتى انفكّ هذا التحالف والاتفاق الضمني بين هاتين الجهتين فهذا نذير الضعف والتحلل ، أو الفوضى وعدم الاستقرار .

قلت : إذن أنت ترى أن الأفراد لايستطيعون أن يقوموا بهذه المهمة بمعزل عن تحالفهم مع القادة ؛ فماذا تقول في الآثار التي تركها مفكرون ومصلحون عبر القرون لم يرتبطوا بقيادة تحالفوا معها لينجزوا ماأنجزوا ، بل منهم من كان في أماكن لم توجد فيها سلطة أبداً ، ولكنهم خلفوا آراء أحدثت تحولاً عجيباً فيمن جاء بعدهم ؟.

قال : إن الأفكار العظيمة قد تنتقل من عصر إلى عصر ، مثلها مثل البذور التي تدخر من وقت لآخر ، أو تجلب من بلد إلى آخر ... لكن هذه الأفكار لاتعمل وحدها ، بل لابد لها من حَمَلَةٍ يحملونها عن إيمان بها واقتناع ، ولكي تعطي أثراً ذا بال لابد

أن يتوفر لها المحيط الذي تتفاعل معه . أما إن كبتت وحيل بينها وبين الناس بشتى الطرق ؛ فمن أين لها أن يجتمع الناس عليها ، وتحدث مايرتجى منها ؟! نعم ؛ إنها لاتموت ، ولكن تأثيرها مؤجل إلى أن تحين ساعة إطلاق سراحها .

قلت : هل تعني أنه لابد من قوة مادية تقسر الناس على اتباع فكرة ما قسراً ، وتُكرههم على قبول وجهة نظر واحدة ، وتحارب ماعداها حرباً لا هوادة فيها ؟ إذن وقعنا في الاستبداد المؤدي إلى الطغيان وهدر الحقوق ، الذي يشل الشعوب ويقتل فيها الحيوية ويزرع فيها اليأس والهزيمة .

قال : كأني بك تنظر إلى أمثلة تراها ماثلة أمامك ؛ بأخبارها ومعاناة ناسها وتخشى أن يهدم طغيان ببناء طغيان آخر بديل ...

لاتنسَ أن هذه الأمم طبقت عليها مبادىء ليس بينها وبينها صلة ، وليست وليدة التدرج الطبيعي لنضج الأفكار الصحيحة ، وإنما هي نزوات متطرفة في رؤوس حفنة من أصحاب الأهواء ، فرضتها عوامل عديدة ، وهي من حيث المبدأ تخالف الفطرة البشرية ، وتخالف طبيعة الناس الذين طبقت عليهم ، وتخالف أصل النظريات التي اشتقت منها .

والأمر مختلف بالنسبة للإسلام ، فأنت لست بحاجة إلى قهر الناس لقبوله ، لأن له رصيداً غنياً في الفطرة البشرية ، ومن جهة ثانية فإن جذوره عميقة في تربة المجتمعات الإسلامية ، إنه الحق الذي لايحتاج إلى من يشق له الطريق ويبين محاسنه للناس ، بل إلى الذي يرفع العوائق الاصطناعية ، والسدود التي يتعمد وضعها أمامه أعداء الحق من كل ملة ، وفي كل عصر . وهو ــ في الوقت نفسه ــ ليس بحاجة إلى التفنن في اختراع أساليب دعاية شيطانية لنقنع الناس به سيراً على مبدأ : « الغاية تبرر الوسيلة » ، ولا إلى استيراد طرق تعذيب وحشية فاشية أو نازية أو شيوعية حتى نكبح جماح معارضيه .

قلت : هل يعني ماقدمت أنك في شك من أن في حياة الأمم لحظات مصيرية ، ومنعطفات حادة ، ولحظات تغيير شامل ، ينظر إليها دعاة التغيير ، فتجري في أحاديثهم ،

وعلى أقلامهم ، فيعبرون عنها « بالثورة » وتارة « بالانقلاب » ؟.

قال : أما إنه هناك منعطفات حادة ولحظات مصيرية في حياة الأمم فنعم ، وأما أن هناك شيء يصح أن يطلق عليه وصف « انقلاب » بالمعنى اللغوي الدقيق للكلمة ؛ فلا .

والخلل يحصل من أن سطحية الأفكار ؛ وسطحية كثير ممن ينشدون التغيير والتجديد في المجتمعات تنعكس سطحية في استعمال اللغة فيحدث خلط وتشويش ، وتضيع الحقيقة في زحمة الخلط والتشويش .

فكلمة انقلاب تعني ـــ من حيث مدلولها اللغوي ـــ أن الأوضاع انقلبت رأساً على عقب ، وأن كل شيء انعكس إلى ضده ، وأن هذا الانعكاس والتغيير حصل في فترة قصيرة جداً قد تكون نتيجة حركة عسكرية أو أهلية .. نقول هذا لأن الكلمة من حيث الوضع تستعمل لوصف واقع مادي ، ثم استعيرت لتعبر عن واقع معنوي أو ثقافي .

ولكن ، هل « الانقلاب » يحدث هكذا ، فجأة ، ودون مقدمات تمهد إليه ، وهل يغير كل شيء في المجتمع بضربة واحدة ؟ وبعبارة أخرى : هل التغيير الذي يحصل في مجتمع ما يحصل بخبطة واحدة دون أسباب ونتائج سابقة مترابطة ؟.

إن الواقع المشاهد لايقول بهذا ، بل يقر أن الحوادث التاريخية ـــ مهما كانت آثارها بعيدة الأثر وعميقة التأثير ـــ ليست إلا حلقات في سلسلة مترابطة ، وأن شهرتها وانطباعها في ذاكرة مجموعة من الناس راجع إلى أن الإنسان عندما يذهب لإعادة تركيب حلقات التاريخ من أجل فهمها ، وانتزاع القوانين والعبر منها ؛ إنما يحاول أن يركّب حلقات الماضي كما يحب أن يجدها هو . ولا شك أن ماضي الأمة كماضي الفرد ، فيه لحظات سعادة ، ولحظات شفاء ، والإنسان بطبعه لايحب إلا تذكر لحظات السعادة ، وتجاهل غيرها ، لأنه لايحب أن يتذوق طعم الشقاء مرتين ، فتراه عندما يبني تاريخه لايحب أن يستوقفه منه إلا مايرفع الرأس ، وقد يضرب صفحاً عما دون ذلك .

لكن فئة قليلة جداً هي التي تعيد تركيب التاريخ بأسلوب أقرب إلى

المنطق العلمي وتحاول جاهدة – بسعة علمها ، وصبرها ، وبعدها عن الهوى – رؤية جميع حلقاته = حلوها ومرها ، نقول : تحاول ، عن قناعة بأن الحياد والتعقل والموضوعية الباردة لا تتوفر كاملة في دراسة التاريخ ، مهما ادعى المدعون ، ولكن قدراً من ذلك – تنتج عنه النتائج الصحيحة والمقبولة – ممكن ، وهو القدر الذي طالب الله به عباده بقوله : ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا : كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة ، وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ، وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [الروم / ٩] .

أما الدهماء فغير قادرين إلا على رؤية وتذكر مايعتبرونه مهماً من الحوادث ولذلك ؛ حينما يديرون مثل هذه الكلمات : ثورة ، انقلاب ... على ألسنتهم ؛ يوقعهم نظرهم القاصر في نتائج خطيرة هي معالم بارزة في كل مجتمع عاجز .

فمن ذلك :

* **ينظرون إلى التاريخ على أنه قفزات وفرص ؛ لامجال يخضع لقانون السببية .**
* **تتحول النظرة إلى المجتمع إلى أنه مائدة قمار ، تحكمه قوانين الشطارة والخداع والصعلكة ، ولاتضبطه قوانين الجد والاجتهاد والتعب المثمر .**
* **يدب اليأس والكسل ، وتتراخى الهمم ، وتذبل الأرواح ، وتصاب النفوس بأمراض اجتماعية تميت الإنسان وهو حي .**
* **تطفو على سطح المجتمع الجيف المتحركة التي تزكم رائحتها أنوف أصحاب النفوس القوية ، والمبادىء القويمة ، فيتخفى أكثر هؤلاء ويتوارون ، ولا يبقى منهم إلا قلة حالها شبيه بحال مدينة ضربها وباء مهلك أو زلزال مدمر ، أو فتنة مشتعلة : هلك فيها من هلك ، وهرب منها من هرب ، ولم يبق فيها إلا فئة صغيرة ، عليها يقع دفن الجثث ، وتطهير الأمكنة ، وإخلاء من لايزال به رمق إلى مواقع العلاج .**

إذا رجعنا إلى اللحظات التي يصفها الناس بالمصيرية ، أو المنعطفات الحادة أو فترات الانقلاب نرى أن الذي أضفى عليها هذه

الأوصاف هم الناس لأغراض شتى ، ولحاجات في نفوسهم ، أما هي ــ في حقيقتها ــ فلا تعدو أن تكون حلقات في مجرى التاريخ .

ولاينبغي أن يفهم من كلامي أن فيه تقليلاً من قيمة بعض الأحداث ؛ ولكن الهدف منصبٌّ على أن أي حادثة مهما عظمت وعظم أثرها فهي وليدة ظروف أدت إليها ، وليست ضربة حظٍ عمياء ، أو رمية من غير رامٍ .

قلت : أريد منك الفكرة الرئيسية التي تستفاد من هذا الحديث ، حتى لايتشعب علينا الأمر فتضيع الفكرة ، ونخسر العبرة .

قال : الغرض الأساسي من هذا الحديث هو الإشارة إلى علة الجمود الثقافي والفكري الذي يخيم على العرب والمسلمين في هذه الفترة ، وهذه العلة هي انعدام التعاون الصادق بين طرفي القيادة في الأمة : الزعماء والعلماء ، ونظرة كل طرف إلى الآخر بعين الريبة والشك ، وقيام العلاقة بينهما على الخوف .

ففي ظل الخوف ينشغل الفكر بتحصيل المأمن بدل أن ينشغل بالإنتاج المثمر ، والخوف يعرقل المواهب إن لم يقتلها ، وفي ظله يفرخ اليأس والقنوط ، ويشيع الانشغال بما لايجدي ، وينتشر السخف بدل الثقافة ، وتروج الخرافات بدل الحقائق ، ويكثر مستثمرو الآلام والأوهام بدل الأطباء الحكماء ، ويهرب أغلب الناس من مواجهة الحقائق إلى بلايا كالخمر والمخدرات والتدخين ، وإلى ماقد يكون مثلها أو أسوأ أثراً كالأحاديث الفارغة ، والأدب المخدر ، والفكر الكسيح ..

كل ذلك مما يثمره الخوف والتوجس . ومالم تصحح هذه العلاقة المختلة ، وتبنى على أساس من الثقة والائتمان ؛ فلا أمل في خير ، ولا خروج من سبيل .

قلت : لكن الثقة والائتمان لن تكون مالم يكن طرفا المعادلة قويين أمينين ؟!.

قال : هذا ... أو مانحن فيه ! □

مقابلة

مع الشيخ

الدكتور عبد العزيز القارىء

يسر مجلة البيان أن تلتقي بالدكتور عبد العزيز القارىء الأستاذ بقسم الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، وقد التقى المحرر بفضيلة الدكتور وطرح عليه بعض الأسئلة فأجاب عليها مشكوراً .

١ ــ نرجو أن تعطي القارىء فكرة عن مسيرتك العلمية ، ومن من العلماء كان له الأثر الأكبر في حياتك العلمية .

ج : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .

فأجيب على هذا السؤال من باب التعارف المستحسن بين المؤمنين ، خاصة أنه سيتضمن الجواب تعريفاً ببعض العلماء الذين أدركتهم ، وإلا فإني أعلم قدر نفسي وقلة بضاعتي ، أسأل الله أن يغفر لي مالا تعلمون ، ويجعلني خيراً مما تظنون .

أقول : أول مابدأت في الصغر بقراءة القرآن وحفظه على والدي الشيخ عبد الفتاح بن عبد الرحيم القارىء رحمه الله ، وهو قرأ على شيخه أحمد بن حامد التيجمي المصري الزِّيدي بمكة المكرمة ، وإسناده متصل إلى النبي ﷺ ، وقد ذكرت ذلك في مقدمة كتابي (قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم ابن أبي النجود) ، وحفظت (التحفة) للجمزوري ، و (المقدمة) للجزري ، وهما منظومتان في التجويد ، ثم قرأت عليه قسماً من متن (القدوري) في الفقه

الحنفي ، وبعد وفاة والدي رحمه الله سنة ١٣٨٥ هـ تلقيت قراءة نافع بروايتي ورش وقالون على تلميذ والدي الشيخ محمد الأمين بن أيدا عبد القادر الشنقيطي ، وذلك بمضمن نظم (الدرر اللوامع في مقرأ الإمام نافع) لابن برِّي الغرناطي .

أما الدراسة في المدارس الحكومية فبدأتها في المعهد العلمي بالرياض ، ثم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من عام ١٣٨١ هـ إلى ١٣٨٩ هـ وتخرجت في كلية الشريعة بها ، ثم حصلت على درجة (الماجستير) ثم (الدكتوراه) في فقه السياسة الشرعية من جامعة الأزهر بمصر .

وأبرز من كان له أثر في نفسي أثناء الطلب بعد والدي رحمه الله ، هو سماحة الشيخ **عبد العزيز بن باز** ، أمد الله في عمره وبارك فيه ، فقد كان سماحته أثناء رئاسته للجامعة الإسلامية بالمدينة أباً مربياً ، وعالماً مُوجِّهاً ، فأثر بعلمه وعطفه وتواضعه ، وبمواقفه الصلبة في حماية منهج أهل السنة والجماعة ، وبنصحه للمسلمين رعاة ورعية ، وجرأته في الحق ، أثر بكل ذلك في نفوس أبنائه الطلاب ، وأنا واحد منهم إذ ذاك ، ثم فضيلة الشيخ **محمد الأمين الجَنكي الشنقيطي** ، مؤلف (أضواء البيان) وقد حظيت مع غيري من زملائي بدراسة أبواب القياس من روضة الناظر عليه رحمه الله ، وبحضور حلقته في التفسير في شهر رمضان من كل عام في المسجد النبوي الشريف ، وكان رحمه الله بحراً في العلم ، خاصة في علمي الأصول ، والتفسير ، ثم فضيلة الشيخ **محمد ناصر الدين الألباني** كان له أثر بالغ في لفت انتباه طلبة العلم لما دَرَّس بالمدينة النبوية إلى العناية بعلوم السنة النبوية ، والشيخ الألباني كما هو معروف يعد من أبرز علماء الحديث في عصرنا الحاضر أسأل الله أن يمن عليه بالصحة والعافية .

ومن الأئمة المتقدمين كان تعلقي وتأثري أكثر بإمامين : **أبي حنيفة** ، **وابن تيمية** ، فمنهجهما في الفقه والاستنباط وشموليتهما في التفكير وعمق فهمهما للإسلام كان مثار إعجابي وتعلقي . وربما أكون أدق تعبيراً إذا قلت إن أكثرهما تأثيراً في تكويني العلمي هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، فإن هذا الإمام الحنبلي بجهاده المتوقد ، وفكره المجدد ، وفقهه العميق ، وشمولية فهمه للدين ، ولقواعده ونصوصه لايملك طالب علم كامل القريحة أن يقاوم جاذبيته وقوة

تأثيره ، ولابد أن لعددٍ من أئمة السلف تأثيراً في نفسي وفي عقلي عندما كنت أدرس مؤلفاتهم كالإمام الشافعي ، والشاطبي صاحب الموافقات ، والاعتصام ، وغيرهما ، فطالب العلم في العادة يستفيد من كل منهل صافٍ يرده ، والمناهل الصافية لدى السلف ماأكثرها .

وقد كانت المدينة النبوية أثناء طلبي للعلم في ربوعها شرفها الله زاخرة بالحيوية العلمية والنشاط العلمي ، في حلقات المسجد النبوي الشريف أو في فصول الجامعة الإسلامية ، وذلك في السنوات من ١٣٨١ هـ إلى ١٣٨٩ هـ .

٢ ــ من الملاحظ أنه من كثرة الجامعات في العالم الإسلامي ، فإن عدد العلماء قل والمستوى العلمي ضعف فماهو السبب في رأيكم ؟.

أشهد أن العلماء قليل ، والمستوى العلمي لطلبة العلم هزيل ، وهذا من أخطر مظاهر التدهور في وقتنا الحاضر ، والسبب هو تدخل أهل السياسة والحكم في شئون العلم والعلماء ، وفي أمور الفقه والفقهاء ، ومتى ماتسلطت السياسة على العلم فإنه يضعف ويفسد حاله ، لأن العلماء حينئذ يفقدون حرية الحركة واستقلالية العلم ، وهذان من أهم دعائم المسيرة العلمية في تاريخ الإسلام ، إذا نظرت في تاريخنا وجدت عصور الازدهار العلمية هي تلك التي حافظ فيها العلماء على استقلالية مؤسستهم العلمية وعلى ابتعادها عن أهواء السياسة وتقلباتها ، ووقفوا في وجه السياسة إذا ماحاولت التدخل . هذه الاستقلالية للعلم والعلماء ضرورة ملحة ليس للمؤسسة العلمية في الإسلام فحسب بل للأمة كلها . فإن من عوامل الانهيار والدمار للأمة أن يصبح العلم أسيراً لشهوات السياسة ، فإذا لم يصدع العالِم بكلمة الحق عند السلطان الجائر من يصدع بها إذن ؟!.

٣ ــ إن كثيراً من الشباب لايتمكنون من الجلوس لطلب العلم على أيدي العلماء ، في هذه الحالة بماذا تنصحونهم ؟ وماهي الكتب التي يدرسونها لتحصيل العلم الواجب عليهم ؟

أحث كل شاب مهما كان مجاله واختصاصه الذي يشتغل به أن يحرص على

تلقي العلم في حلقاته على أيدي الشيوخ المعروفين بالعلم والورع ولو اقتضى الأمر تذليل بعض العقبات ، والرحلة في طلب العلم الواجب أمر وارد ، وهي طريقة السلف ، ولكن إذا تعذر على بعضهم فعل ذلك فعليه أن يسدد ويقارب وينتقي مايقرأ ويحرص على الكتب التي تجمع بين أمرين : السهولة ، واليسر ، وأن تكون على منهج أهل السنة والجماعة ، وليبدأ بدراسة كتاب مختصر في التوحيد ، مثل (تجريد التوحيد) للمقريزي ، أو العقيدة الطحاوية ، أو عقيدة أهل السنة والجماعة للشيخ ابن عثيمين ، ونحو ذلك من المختصرات الميسرة المفيدة ، وفي الفقه يختار متناً فقهياً مشروحاً ، مثل (العمدة) في الفقه الحنبلي ، أو (الكافي) كلاهما لابن قدامة ، فإن صعب عليه ذلك فليقرأ في كتاب (فقه السنة) للسيد سابق على مافي الكتاب من مآخذ إلا أنها لاتمنع من الاستفادة منه .

وأسلوب تلقي العلم من الكتب بدلاً من الشيوخ ليس من منهج السلف ، لكن عند الضرورة لابد مما ليس منه بد ، وأقترح لمن اضطروا إلى ذلك أن يخففوا من مخاطر هذا الأسلوب بالمدارسة ، وهي أن يجتمع الرهط من الشباب يتذاكرون العلم ، فلعل بعضهم يكون أفقه من بعض ، وبالسؤال كلما أشكل عليهم شيء ، أو اختلفوا في فهم مسألة ، والسؤال اليوم متيسر مع سهولة الاتصالات التلفونية وتقارب أطراف العالم بسببها ..

وهنا نصيحة مهمة أسديها لهؤلاء الشباب الذين نتحدث عنهم ، أن يحذروا من الغرور ، فإن هذه الآفة في العلم قاتلة ، تكون سبباً لحرمان صاحبها من الاستفادة ، وربما كانت سبباً لاستدراجه إلى مهاوي البدع وحفر التنطع . على الشاب المسلم أن يحرص على الاستفادة من كل من يثق بدينه ومنهجه وعقله وتجربته وعلمه وفهمه ، المهم أن يكون الذي تأخذ عنه دينك مستمسك بمنهج أهل السنة والجماعة (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) هكذا قال سلفنا .

٤ ـ نعلم أن لكم دراسة حول موضوع (الأحرف السبعة) للقرآن وعلاقتها بالقراءات القرآنية ، ماهي النتيجة التي وصلتم إليها في هذا البحث ، وماهي الوسيلة المثلى لتعلم التجويد ؟.

نشر البحث الذي تشيرون إليه في العدد الأول من (مجلة كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية) بالمدينة النبوية الصادر في عام ١٤٠٣ هـ ، وملخص ماترجح لديَّ في معنى الأحرف السبعة الواردة في الحديث المتواتر « أنزل القرآن على سبعة أحرف » أن المراد سبعة أوجه من أوجه القراءة ، وهذا حد أعلى لاختلاف الأوجه ، إذ أن القرآن العظيم منه مانزل على وجه واحد وهذا أكثره ، ومنه مانزل على وجهين ، ومنه مانزل على أكثر ، لكن لاتزيد الأوجه في مواضع الاختلاف من القرآن على سبعة ، وهذا الاختلاف لايضير النص القرآني لأنه من باب خلاف التنوع لا من باب خلاف التضاد ، فكل وجه تجد فيه زيادة في المعنى تناسب المعنى الأصلي ، وربما تكمله أو تفسره ، فمثلاً في قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن ﴾ .. الآية ، فقوله ﴿ يطهرن ﴾ بتسكين الطاء يحتمل أن يكون المراد منه انقطاع الدم ، ويحتمل أن يكون المراد الغُسل ، لذلك اختلف الفقهاء في ذلك ، فمنهم من أباح مجامعة المرأة بمجرد انقطاع الدم ، ولو قبل أن تغتسل ، ومنهم من اشترط لإباحة ذلك الاغتسال ، فجاء الوجه القرآني الآخر ﴿ .. حتى يطَّهرن ﴾ بتشديد الطاء والهاء مفسراً المراد ، لأن هذه الصيغة ـــ بالتشديد ـــ لا تحتمل غير الغُسْل ...

ثم إن في تعدد أوجه القراءة للنص القرآني وتنوعها تيسيراً للأمة ، ويتبين ذلك بصورتين :

الأولى : العربي الذي نشأ لسانه على لهجة معينة ـــ كالإمالة ـــ مثلاً . فإنه يجد سعة في الأمر إذا غلبه لسانه فأمال الألفات ذوات الياء أو هاءات التأنيث عند الوقف ، إذ يوافق ذلك حرفاً منزلاً ، لكن هذه التوسعة منضبطة بحدود المنزَّل ، لأن قراءة القرآن توقيفية .

الثانية : الأعجمي إذا غلبته عجمته أثناء القراءة فقلب الصاد سيناً ـــ مثلاً ـــ في قوله تعالى في سورة الفاتحة ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ... ﴾ ففي الأمر سعة لأنه وافق حرفاً منزلاً ، وهكذا إذا وافق القارىء عربياً كان أو أعجمياً شيئاً من الحروف المنزلة فإننا لانُثَرِّب عليه ، وإلا فإنه يُلام إذا لحن في القرآن مع القدرة

على تجنب اللحن .

والطريقة الصحيحة لتعلم قراءة القرآن وتجويده هي التلقي من أفواه الشيوخ المتقنين ، فإن لم يجد الشاب المسلم من يقرئه فليستعن بالأشرطة الصوتية لتعليم التجويد ، وبالمصاحف المرتلة بأصوات المجَوِّدين المتقنين كالشيخ محمود الحصري رحمه الله .

٥ ــ في زحمة التيارات الفكرية نلاحظ تركيز بعض الناس على الأفغاني ومدرسته ، فما هو رأيكم ؟.

رأيي أننا من الناحية الفكرية تجاوزنا بكثير مرحلة جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والمدرسة التي يسمونها بالمدرسة العقلية ، وهي أقرب إلى اسم المدرسة الترقيعية ، التي تحاول الجمع بين الفكر الغربي والإسلام ، وذلك بإخراج (طبعة عصرية) للإسلام ، ولو أدى ذلك إلى تحريف بعض عقائده أو شرائعه وتفسيرها تفسيراً بعيداً عن هيمنة الضوابط الشرعية والقواعد العلمية . ماحاجتنا إلى أمثال الأفغاني من الشخصيات التي يلف الغموض كثيراً من آرائها ومواقفها ؟ وفي علم الجرح والتعديل لايؤخذ من مجهول الحال ، ولا ممن كثرت أوهامه . ديننا والحمد لله واضح ، وضوابطه وقواعده واضحة ، ومنهجه واضح ، له منهج واحد هو منهج أهل السنة والجماعة الذين استمسكوا بمنهج الصحابة رضي الله عنهم في فهم النصوص وفقهها ، ومنهجهم في العلم .

ونصوص الكتاب والسنة ليست حمىً مباحاً لكل أحد يفهمها كما يشتهي ، بل يلزم أن يفهمها بمنهج الصحابة ، ويفسرها بمنهج الصحابة الذين هم المقصودون عند إطلاق مصطلح : السلف .

في خاتمة هذه المقابلة ، نشكر فضيلة الدكتور عبد العزيز القارىء ، ونسال الله له التوفيق في القول والعمل □

قراءة في كتاب

محمد حامد الأحمري

الكتاب : إقرأ وربك الأكرم .
المؤلف : جودت سعيد .
الناشر : أيمن نويلاتي .
الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م ٢٩٠ من صفحة القطع الصغير

يأتي هذا الكتاب بعد عدد من المؤلفات للكاتب الإسلامي المعروف جودت سعيد ، وقد سبقه « حتى يغيروا مابأنفسهم » و « العمل قدرة وإرادة » و « ومذهب ابن آدم الأول » وغيرها ، وقد سلسل هذه الكتب تحت عنوان : « أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع » كما سلسل أستاذه مالك بن نبي كتبه تحت « مشكلات الحضارة » .

يناقش المؤلف في هذا الكتاب قضايا عديدة جداً ، يوحي السياق بكثرتها وتزاحم أفكارها ، تضيق بها حيناً فترفضها ، ويدعوك زخم الفكر والإثارة إلى الغضب والعناد والاستمرار فتقرأ بلا توقف ، أسوق في هذا التعريف نزراً مما أثار الكاتب مشيراً إلى أفكار مهمة في الكتاب مقدماً مايمكن اعتباره مما لايتفق مع الفكر الإسلامي القويم معقباً بعدها بالإشارة إلى بعض الجوانب الرائدة والمهمة في الكتاب ملمحاً إلى أن

الحسنات يذهبن السيئات .

اتجاه انساني عالمي :

لدى الكاتب هذا الاتجاه الذي نسميه إنسانياً عالمياً مائعاً ، يتعامل مع ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ و ﴿ لانفرق بين أحد من رسله ﴾ وماإليها من الأدلة القرآنية ويفسرها تفسيراً خاصاً به . يقول بعد تقرير منهجه الغريب : « إن التسامح هو حاجة إنسانية عالمية ملحة في هذا العصر ، وظهرت آياته بأنه هو الذي يرث الأرض » [ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧] هذا التسامح الذي يلح عليه المؤلف ليس بالمفهوم الإسلامي إنما هو مفهوم فلسفي بارد يعرض لمشكلات العالم ، ثم يرى حلها بخيالات الفلاسفة فيرى أن المعرفة والتفكير العلمي سبيل لمجتمع إنساني بلا خلافات . وهذه مسألة تتعارض مع بدهيات الواقع والعقل والشرع . فهذا تاريخ البشر مشهود الآن ومعلوم من الماضي وذلك واقع البشر منذ « ابني آدم » والعقل يدل على تعارض المصالح وتنافس القوى واختلاف الأهواء . والشرع بين لنا أمر آدم وإبليس والخير والشر والمؤمن والكافر ، ﴿ ولا يزالون مختلفين ﴾ ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ﴾ ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ﴾ ﴿ قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ « بعثت بالسيف » لكأنه يلغي جهاد الدفاع فضلاً عن الطلب والابتداء ، إنه يُغيب الجهاد .

قضية الجهاد والقتل :

تغيب في هذا الكتاب مسألة الجهاد والمواجهة والصراع ، وقد جعل الله الجهاد حلاً لصلف الكافرين وإدبارهم وتجبرهم ، والكاتب منذ كتابه « مذهب ابن آدم الأول » قد قرر تشنيع إراقة الدماء في الأرض ، فهو لايرى لهذه المسألة وجوداً في عالمه الخيالي الفلسفي « الفاضل » وهو متأثر أو موافق لمالك بن نبي إذ جعل ــ الأخير ــ من غاندي صاحب الحلول السلمية مثالاً متبوعاً في بعض ماكتب .

وبلا شك إن الحل السلمي دائماً هو المقدم ولكنه ليس الدائم أبداً . تستولي الأمنيات السلمية والتعاون واللطف والمودة على خيالات الفلاسفة من قديم ، فالمدينة الفاضلة للفارابي ومن قبله ومن بعده فلاسفة اليونان والمزج الغريب عند إخوان

الصفا ثم برتراند رسل في العصر الحديث والروحانية المشرقية لدى ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران وأتباعهم ، وهذه النزعة الراكدة التي تسمى ركودها تسامحاً تظهر لدى المسلمين الآن وهم بحاجة لمن يوقظهم مع العلم أن قدسية المعرفة وبرودها ينتج على العكس أحياناً فلاسفة عدوانيين كـ (نيتشة) الذي مهد للنازية ، جودت يرى « أن السلام وليد العلم ، وأن الإنسان لم ينقذه إلا العلم » [ص ١٧] .

أي علم يريد ؟ هل يمكن للكاتب أن يفسر التاريخ وبخاصة الحديث بمعزل عن المعرفة التي قادت للصناعة فالسلاح فالأسواق والاستعمار . ألم يخدم العلم الحربين ويهلك البشرية ، ونحن الآن نعيش أقسى درجات الاستعمار الذي هو وليد العلم !! كيف تغفل خطورة الحد الآخر ، وقد ناقش شيئاً من هذا دون تمييز لحامل هذه المعرفة فالأمر عنده عام بلا حدود جادة .

الإغراب بلا داعٍ :

في الكتاب نص مجمل موهم لايليق وجوده مع مافيه من تعمية ، إضافة إلى مصطلحات ليست مفهومة لكثير من القراء ، قال : « إننا بحاجة إلى ابستمولوجيا جديدة لتحملها انتلجنسيا رائدة ، لنتخلص من الدغمائية الهابطة والمثيولوجيا المتغلغلة أو الثيولوجيا الخانقة ، وقد قرر علماؤنا ألا مُشاحة في الاصطلاح والمهم أن نفهم المعنى ثم كل واحد يستعمل اللغة التي تساعد على الفهم الميسر والعلم بالبيان وكل ماوصل إلى فهم الحقائق بأيسر السبل فهو الأولى » [ص ٢٥٧ ــ ٢٥٨] .

عجباً لهذا الكلام الذي ينقض بعضه بعضاً ، أي يسر وبيان وتوصيل للحقائق بأيسر السبل هنا ؟!

قد نقول لابأس ، لكن هذه الكلمات ذات معانٍ لايليق إطلاقها وبخاصة الثيولوجيا إنها تعني التوحيد ، علم الكلام وماحولها مما هو ضروري للمسلم والكلمة لاتميز بين مصطلح أهل السنة وغيرهم في مسائل علم الكلام أو التوحيد والكاتب يعتسف بعض التفسيرات حسب هواه أو فهمه كتفسيره : « إقرأ وارق » بأنهما عموم القراءة في أي مجالات القراءة [ص ٣٤] ، وتفسيره للنشأة الآخرة بأنها الأجيال

القادمة وليس البعث [ص ٢١٥] ثم هو يقدم الأسلوب المنطقي على النصوص [ص ٢٢٦] .

مكانة القراءة :

على الجانب الآخر : ناقش المؤلف في المقدمة والمدخل قضية القراءة ، ودلالة كلمات القرآن الأولى التي تلقاها رسول الله ﷺ أمره له أن يقرأ ولأمته أن تولي القراءة اهتمامها ، وذكر أن انجيل يوحنا بدأ أيضاً بـ « في البدء كانت الكلمة » وعقب بأمثلة وأرقام تؤيد مكانة القراءة لدى الأمم اليوم : منها أن اليابان تصدر خمسة وثلاثين ألف عنوان سنوياً تقريباً ، وهذا يمثل ضعفي ماينشر في الولايات المتحدة ، يستشهد بقول توينبي على « أن ارتفاع نسبة قراءة الكلمة المطبوعة هو الأساس الحضاري لتصنيف البلدان في العالم إلى دول متخلفة أو نامية أو مقتدمة »[1] [ص ٢٧] .

يرى الأستاذ جودت سعيد أن الذكاء ليس أسمى من القراءة ، وأن القراءة هي التي تقعد الأقزام على رقاب العمالقة ، ويشير إلى شهيد العلم الجاحظ الذي سماه شهيد الكتاب والقراءة (!) الذي مات تحت كتبه كأنموذج لحرص الأمة الناجحة على القراءة والعلم .

يؤكد المؤلف على قضية مهمة يفقدها الشباب والقارىء في هذه الأيام ألا وهي الكزازة من كتب وكتاب والتضييق على النفس في القراءة لنوع محدد من الكتب وعدد محدد من الكتاب . يقول :

« وإن القراءة المحدودة الضحلة المرعوبة لاتخلص من التقليد والآبائية » [ص ٤٢] ومما ساق : « إن كون النبي ﷺ أمياً معناه أن أحداً من البشر لن يأتي بشيء وهو أمي » [ص ٣٣] .

لقد نعى على الأمة إهمالها للقراءة وقال :

« إن الأمي غير قابل أن يبلغ الرشد ، وإن صلة الإنسان بالكتاب تغير من سحنة الإنسان وتؤثر في

---

١ ـ هذا انموذج للمقاييس المادية الصرفة دون مراعاة لجوانب أخرى كالتصنيف الذي يقيس نسبة مايستهلكه الإنسان من الكهرباء والماء أو مستوى الدخول الفردية . وهي كلها نظرات جزئية سطحية مادية لاتراعي روح الفرد ولا سعادته بجانب الوسائل المريحة فهي من التقدم المهم للإنسان .

عضلاته وسمات وجهه » [ص ٧٦] وأحياناً يغالي في أهمية القراءة بما يتجاوز المدى [ص ٧٧] ثم أنحى باللائمة على سذاجة المسلمين في تحرير المفاهيم فبدلاً من أن يفهموا سر ﴿ ن . والقلم ومايسطرون ﴾ بدل تعظيم القراءة والمعرفة تحول الأمر إلى جمع قصاصات الأوراق من الطرقات [ص ٧٩] .

الكتاب في مجمله من الكتب التي تستحق القراءة والتمعن وهو يحتاج إلى مزيد من الرد والتحقيق في كثير مما كتب ، وبعض أفكاره جديرة بالنشر والتأييد .

إنه يصدر في زمن شكا فيه المؤلف من عدم وجود الكاتب الذي يبعث نهم القراءة أي لم يأت بعد ورثة الأنبياء بجدارة [ص ٢٥٤] .

ثم يختم الكتاب بتواضع جم بقول : « آه لقد شوهت الفكرة وعرضت أفكاراً في منتهى الأهمية بشكل هزيل » [ص ٢٥٥] ثم كتب تلخيصاً مختصراً جداً لكتابه سماه دليل الأفكار .

إن هذا التقديم مشاركة في قراءة الكتاب وفهمه ونقاشه وليست عائقاً ولا حجراً بالمقررات السابقة حرصت على إبراز جوانب مهمة في الكتاب ، مهمة في خطئها وصوابها □



خواطر في الدعوة

ولولا رهطك لرجمناك

من المبادىء الأساسية في الدعوة الإسلامية التعاون والتناصر بين المؤمنين ، وتطبيق مبدأ الأخوة تطبيقاً عملياً ، والابتعاد عن خلق التفاخر الجاهلي بالأنساب والقبائل ، هذا هو الأصل ولكن قد تأتي النصرة والمساعدة الفردية من القريب أو العشيرة أو من صديق الدراسة ، لا من قبيل التدين والأخوة الإسلامية ، ولكن عصبية نسبية ، وأريحية ونخوة ، فهل يرفض المسلم هذا التأييد ، خاصة إذا كان في مرحلة الضعف ، مع أنه لايتنازل عن شيء من دينه أو عقيدته ، ولاهم يساومونه أو يطلبون منه المداهنة .

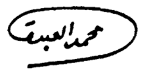
إن بعضاً من الشباب المسلم ولحساسية هذا الموضوع ، ولقلة فقههم في أصول الدعوة يرفضون مثل هذه المساعدة والتأييد ، ولكنهم لو تدبروا القرآن لوجدوا أنه ذكر قصص الأنبياء وكيف امتنعوا بأقوامهم أو قبائلهم عصبية من أذى الكفار ، قال تعالى حاكياً عن شعيب عليه السلام وقومه : ﴿ قالوا ياشعيب مانفقه كثيراً مما تقول ، وإنا لنراك فينا ضعيفاً ، ولولا رهطك لرجمناك وماأنت علينا بعزيز ﴾ [هود / ٩١] .

فهذه الآية تنبئنا أن الكفار لم يستطيعوا الوصول إلى شعيب بالأذى ، خوفاً

من قبيلته .

وكذلك ذكر تعالى في صالح وقومه : ﴿ قالوا : تقاسموا بالله ، لنبيتنه وأهله ، ثم لنقولن لوليه ماشهدنا مهلك أهله ﴾ [النمل / ٤٩] فهم يخافون من أولياء صالح عليه السلام (عشيرته الأقربين) ولو فعلوا به سوءاً لفعلوه سراً ، ولحلفوا لهم أنهم مافعلوا شيئاً ، وقال تعالى مخاطباً نبينا عليه الصلاة والسلام : ﴿ ألم يجدك يتيماً فآوى ﴾ أي آواك إلى عمك أبي طالب ، قال الشيخ الشنقيطي معلقاً على هذه الآيات : « وهو دليل على أن المتمسك بدينه قد يعينه الله ويعزه بنصرة قريبه الكافر ، ولهذا لما كان نبي الله لوط عليه السلام ليس له عصبة ظهر هذا فيهم لقوله تعالى : ﴿ قال لو أني لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ﴾ ولما ناصر بنو المطلب بن عبد مناف بني هاشم ولم يناصرهم بنو عبد شمس عرف النبي ﷺ لبني المطلب تلك المناصرة التي هي عصبية النسب ، لاصلة لها بالدين فأعطاهم من خمس الغنيمة مع بني هاشم وقال : « إنا وبني المطلب لم نفترق في جاهلية ولا إسلام » ومنع بني عبد شمس وبني نوفل مع أن الجميع أولاد عبد مناف » [أضواء البيان ٣ / ٤١] .

هناك فرق بين الموالاة والمداهنة ، وبين أن يعرض قريب أو صديق خدماته ومساعدته لمسلم ويستفيد المسلم من هذا لدفع ظلم أو تخفيف ضرر ، ويبقى الأصل هو عدم موالاة الكفار وزجر أهل الفسوق والبدع ، وكل هذا يحتاج لفقه في الدعوة واستقامة على الطريق □



صورة الثورة الفرنسية
في تطبيقاتها العربية

د . مصطفى السيد

أمة الصحراء ياشعب الخلود — من سواكم حلّ أغلال الورى ؟
أي داع قبلكم في ذا الوجود — صاح لا كسرى هنا لا قيصرا ؟!
من سواكم في حديث أو قديم — أطلع القرآن صبحاً للرشاد ؟
هاتفاً في مسمع الكون العظيم — ليس غير الله رباً للعباد

بين تأليه الشعوب بجعلها مصدراً للتشريع ، أو تأليه الفرد وتأليه الفكر في غاب الضلال يظل الإسلام فرصة البشر الوحيدة في الخروج من المآزق المعنوية والمادية ، وأبيات « إقبال » التي صدر بها المقال تفسير لقول الله عز وجل : ﴿ قل إن هدى الله هو الهدى ﴾ كما تحدد بوضوح : أن لا دور إلا للإسلام ، ولا بديل عن الإسلام إلا الإسلام .

أقول ذلك ، وقد بلغ صخب التنافس والتسابق على الإشادة والإشارة إلى منجزات الثورة الفرنسية ١٩٨٩ م بلغ هذا التنافس ذروته ، ولم ينكد على فرنسا فرحتها ، ويفسد عليها بهجتها سوى جارتها في الجغرافيا وشريكتها في التاريخ (بريطانيا) التي امتلكت من

الشجاعة مافتقدتها الوفود العربية الإسلامية التي راحت ترتجل معلقات الإطراء والمدح لهذه الثورة ودورها (٥) .

مميزات الثورة الفرنسية ، موجودة في بريطانيا قبل الثورة الفرنسية ، ودموية الثورة موثقة ومخلدة برائعة القاص الإنجليزي تشارلز ديكنز (قصة مدينتين) التي صدرت عام ١٨٥٠ م وقد حملت تاتشر نسخة من الكتاب هدية منها للرئيس ميتران .

أمر لافت للنظر أن تستحضر المرأة الإنجليزية تراثها أمام برج إيفل وفي قاعات الإليزيه ، ولكن النظر ينقلب حسيراً أن نجد رجالات العرب المسلمين لايحضرهم شيء عن الإسلام صاحب الدعوة العملية ليس لحقوق الإنسان فقط بل لحقوق الحيوان « أإن لنا في البهائم لأجراً ؟ فيجيب الرسول الكريم ﷺ : في كل ذات كبد رطبة أجر » عليك الصلاة والسلام يارسول الله وأنت تخاطب « أُحُد » « هذا أحد جبل يحبنا ونحبه » .

هذه العاطفة التي تمتد إلى الجلاميد الصلاد هل يمكن أن يسبقها شيء في الحقوق بكل صورها ؟.

ويقف رسول الله ﷺ لجنازة يهودي ، لا تقرباً إلى لجان حقوق الإنسان بل ليكون وقوفه ـ والله أعلم ـ سنة ماضية لاتظاهرة إعلامية .

وإذا كانت مبادىء الثورة الفرنسية « المقدسة » هي التي تحكم أوربا في مطالع القرن العشرين فلنر ثمرة ذلك .

يقول البير كامي ١٩١٣ ـ ١٩٦٠ الحائز على جائزة نوبل والذي يعد فكراً وشخصية جزائرياً بحسب المولد والنشأة ، وفرنسياً بحسب الثقافة والانتماء يقول :

(إن سبعين مليون أوربي بين رجل وامرأة وطفل قد اقتلعوا أو نفوا أو قتلوا خلال خمسة وعشرين عاماً بين ١٩٢٢ ـ ١٩٤٧) (١) .

أما ضحايا هذه الثورة عشية ظهورها فبلغت كما يذكر فيليب دوفاليه مؤرخ فرنسي معروف أربع مائة ألف مواطن في غرب فرنسا

---

٥ ـ لاغرابة في ذلك فموقف بريطانيا هو موقف الند للند أما مواقف الآخرين فهي مواقف العبد أمام السيد ، وقد يظفر العبد بالعتق الجسدي أما العتق النفسي فيحتاج إلى زمن طويل حتى يكون ، وقد لايحصل أبداً . التحرير .

١ ـ السير كامو : تأليف حرمين بري ، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ، ص ١٣ .

وحدها ، وفي مصدر آخر أن هذه المذابح الثورية (أتت على سبع سكان فرنسا) ، لقد قال أحد كبار الكتاب في الغرب (بيتر فايس) : (وضعنا ماكينة الثورة ، لكننا لانزال نجهل طريقة استعمالها) وأنا لاأدري إن كانت هناك ثورة حديثة قد تجاوزت هذا القول .

أما فكر الثورة الفرنسية ــ ونحن لانزال في دائرة المراجع الفرنسية ــ فهو تأليه العقل [1] .

وفي المصادر الغربية يقولون عن الثورة الفرنسية : « نصبت العقل معبوداً تقدم له القرابين وتقام له الشعائر » [2] .

ولم يكن الغرب مجمعاً على تقديس هذه الثورة ، فأهالي (فرساي) خذلوا كل توسلات ميتران للمشاركة في احتفالات الثورة ، ونفر من شباب جامعة السوربون اقترحوا إقامة نافورة في ذكرى الثورة ترش الناس بالماء وان يكتب عليها شعار الثورة معكوساً : غباء ــ حماقة ــ وحشية ، وعلى غلاف (نيوزويك) الأمريكية ٢٠ فبراير الماضي ١٩٨٩ مقصلة وجسم ممدود ورأس مقطوع والعنوان : مراجعة الثورة الفرنسية .

وإذا كان كلام الساسة المسلمين الذين شاركوا في أعراس باريس بمناسبة مرور قرنين على الثورة الفرنسية في أواخر يوليو تموز ١٩٨٩ والذين لهم قرص في كل عرس ، إذا كان كلام هؤلاء يصنف عادة أنه كلام بروتوكولي فالعجب العجاب يتأتى من كهنة الثقافة عندنا الذين يعدون بداية وجودنا وميلادنا الإنساني يوم دخلت خيول هذه الثورة مصر ١٢١٣ ــ ١٢١٥ ــ ١٧٩٨ ــ ١٨٠١ م إن هذا الوجه الخادع للثورة الفرنسية جعل قطباً من أقطاب التاريخ المصري ينشد في بداية كفاحه الوطني ١٨٩٥ : وهو مصطفى كامل ينشد ابتغاء الغوث من هذه الثورة :

أفرنسا يامن رفعت البلايا
عن شعوب تهزها ذكراك
انصري مصر ، إن مصر بسوء
واحفظي النيل من مهاوي الهلاك

---

١ ــ المصدر السابق / ٢٤٣ .
٢ ــ قصة الضمير المصري الحديث : صلاح عبد الصبور .

وانشري في الورى الحقائق حتى
تجتلي الخير أمة تهواك [1]

إن هؤلاء جميعاً من المبهورين بالثورة الفرنسية ينطبق عليهم قول جومار المشرف على بعثة الطهطاوي ورفاقه : « يظهر من فحوى كتاباتهم أنهم قبل أن يكتبوا يفكرون بعقل فرنسي لا بعقل عربي » [2] .

إن هؤلاء جميعاً يعدون « محمد علي » ١١٨٢ ــ ١٢٦٥ هـ الأب الروحي للدولة العربية الحديثة الوليدة العربية للثورة الفرنسية ، وإن رفاعة الطهطاوي الذي ولد في العام الذي انسحب فيه الفرنسيون من مصر ١٨٠١ ــ ١٨٧٣ هو المنظر الثقافي الأبرز لهذه الدولة ولتلك المرحلة .

وإن كان جمهور الكهنة في معابد الثقافة الهلنستية والغربية لابزالون في حالة استغراق تام وهم يرتلون أسفار الثورة الفرنسية ، فإن نفراً من الباحثين قد أخذ يقرأ هذه الثورة بعقل سليم معلنين أنها باتت من النفايات التاريخية وقد آن الأوان للدخول في مناقصة بيعها وتصفية ملحقاتها من علمانية وحقوق إنسان الخ الأطر الجميلة لمضامين فارغة .

إن الحملة الفرنسية على مصر قد نبهت مصر إلى تاريخها الفرعوني للالتفاف على التاريخ الإسلامي ، إن صورة فرعون الديكتاتور في القرآن كافية لمن ألقى السمع وهو شهيد .

إن الحملة الفرنسية قد اصطحبت معها أكثر من (٣٠٠) امرأة سافرة وكن أزواجاً أو خليلات للجنود وكن معرضاً أو نموذجاً لما تريده الثورة الفرنسية للمرأة المسلمة في مصر وهو أن تحاكي هذه النماذج الهابطة الساقطة [3] .

إن نابليون عمل من خلال المجلس الذي شكله لحكم مصر على نسف آيات المواريث التي تميز الرجال عن النساء [4] ، وذلك كله كان الأرضية التي انطلق منها دعاة تحرير المرأة ، ولقد كان الطهطاوي هو الجسر الأكبر الذي عبرت من فوقه أفكار الثورة الفرنسية .

---

١ ــ المصدر السابق / ٢٤٣ .
٢ ــ البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد : عمر طوسون .
٣ ــ دراسات في تاريخ مصر الحديث / ٩٤ د. عمر عبد العزيز .
٤ ــ المصدر السابق / ١٨٧ ، وكان اسم المجلس (فرمان الشروط) والذي وصم كل أعضائه من المصريين بالخيانة بعد رحيل نابليون .

والحق أن قراءة إسلامية لجهود الطهطاوي الفكرية باتت أمراً ملحاً لعدة أسباب :

* الثناء المطلق على الطهطاوي داعية ودعوة لدى كل حديث عن جذور النهضة ومن مختلف المنابر والمواقع الثقافية إلا من عصم ربك .

* أثر الطهطاوية في الحكم والحكومات العربية الحديثة والمعاصرة لأنه كان الجسر بين العرب والثورة الفرنسية ، والانطلاق من دعوته وتجربته لتدعيم وترميم كل جسور التقارب مع الغرب .

* دعوته نقض وإجهاض لدور الشريعة وإلا فبِـمَ نفسر كونه (أول من كتب للمصريين في المباحث الدستورية ، وعرب دستور فرنسا في ذلك الحين) ؟ [١] .

تترس العلمانيون واليساريون والتلفيقيون خلف الطهطاوية ليجتسبوا على الإسلام سيئات الحكم في العالم الإسلامي في كل الأعصر ، إرجافاً لإبعاد الإسلام عن قيادة الحياة والمجتمع .

ترتب على مشروع محمد علي — والذي نفذه فكرياً الطهطاوي — انكماش وتهميش لدور الأزهر التاريخي وذلك لصالح المدارس والبعثات التي شكلت العمود الفقري للبنيان الثقافي الجديد ، وألحق العلماء بهذا المشروع الجديد [٢] .

وإذا كانت إقامة رفاعة من فرنسا التي بدأت عام ١٨٢٦ قد وضعته بصورة نهائية وتامة في صف المبهورين والمحامين عن فكر الثورة الفرنسية فإن ذلك ماكان ليتم لولا جهود شيخه شيخ الأزهر حسن العطار أيامئذ ، هذا الشيخ (الذي فر إلى الشام عشية دخول الفرنسيين مصر ثم عاد ليلتقي معهم ويتصالح مع الحضارة الغربية بل يتجاوز ذلك ليعجب بالفرنسيات ويتغزل بهن وهذا ليس كلام الدوائر الإسلامية بل سطره رأس من رؤوس الحداثيين في مصر صلاح عبد الصبور في كتابه (قصة الضمير المصري الحديث) ص ٢٣ — ٢٤ ، ولو قال غير عبد الصبور هذا

---

١ — في الأدب الحديث ، عمر الدسوقي / ٢٦ .

٢ — مجلة الفكر العربي ، بيروت ، عدد ٤٥ ، من مقال من أكمل ماقرأت في تحليل دور الطهطاوي د حسن الضيقة بعنوان (الطهطاوي وعقيدة التحديث) .

الكلام لنبز بالعري من الوعي وألبس حلة التطرف وكسوة التعصب .

وهكذا (كانت أستجابة الطهطاوي الكاملة لما قدّم له في فرنسا من أطعمة فكرية ومعتقدية) .

(لقد صرعت العلمية الغربية الطهطاوي عالماً وعاملاً ، وأجبرته على أن يدفع ثمن حضوره على مسرح الفكر الحديث ، انقطاعاً كاملاً عن دورة الاجتماع الإسلامي الداخلية ، ولم يزوده هذا الحضور إلا بما يحتاجه في إطار الموقع الذي يحتله في أجهزة التجربة التحديثية لمحمد علي ، لم يكن مؤسساً لها ، بل ملتحقاً بها على سبيل التبعية الشاملة ، ولم يكن الطهطاوي أزهرياً متنوراً يواجه التجربة الأوربية عن قاعدة المكانة التاريخية للأزهر بل كان نتاج انهيار الدور التاريخي لهذه المؤسسة والتحاق أفراد محددين بالسلطة الناشئة (سلطة محمد علي) فالطهطاوي لم يكن أزهرياً متنوراً بقدر ماكان تعبيراً أزهرياً هامشياً لمشروع التحديث الناشيء على أنقاض مؤسسة الأزهر التاريخية) (١) .

إننا نتساءل لماذا أهمل دور الجهاد والقتال من قبل الشعب المصري ضد الحملة الفرنسية ؟ ولماذا أغفل رفض قطاعات كثيرة من الشعب للتفرنس بكل صوره ؟.

ولماذا كان البحث عن أسباب القوة خارج حدود المجتمع الإسلامي ؟ وبالتالي لماذا لم يبحث الطهطاوي عن مصادر القوة داخل بنيان المجتمع الإسلامي وداخل الخزين الفقهي والمخزون الفكري الإسلامي ؟.

ألم تكن سياسة الهروب هذه تكملة وتتويجاً لحالة هروب وانقطاع تاريخيين للسلطة في العالم الإسلامي عن النموذج النبوي التاريخي من جهة ، واستمراريته المتحققة في تيارات الأمة القاعدية في المرحلة التي تلت انقطاع رأس الهرم السياسي والفقهي الإسلامي عن النموذج النبوي الشريف) (٢) .

وإذا انطلت على الأذهان أكذوبة التحديث وأصالتها وفائدتها المحققة

---

١ ـــ من مقال : د . الضيقة .
٢ ـــ المصدر السابق .

فإننا نتساءل عن ثمرتها على الأرض هل كانت في هيمنة بريطانيا على مصر « المحدَّثة » لعشرات السنين ؟.

ولا بأس أن نثبت هنا ماقاله فهمي هويدي : « إن المصريين دفعوا كل فواتير التحديث وضرائب التغريب كاملة دون أن يجنوا من ذلك ثمرة تذكر » (١) .

ويقول لويس عوض مقوِّماً رجالات عهد التحديث قديماً وحديثاً :

« السادات وأبناء محمد علي فصيل واحد في الفساد ، وهذان العصران من أسوأ عصور مصر ، وعندما نتتبع العصرين سنجد أن التاريخ يعيد نفسه في الفساد والنهب وفتح البلاد على مصراعيها أمام القوى الخارجية » (٢) (*) .

لقد انفتحت اليابان على الغرب ، محتفظة بكل مقوماتها الذاتية واعتزازها بروحها ولغتها ، فأخذت دون أن تدفع ضريبة معنوية ، أما الانفتاح الطهطاوي فلم يبق ديناً ، ولم يأت بدنيا □

---

١ ــ الأهرام ، رمضان ٢٦ مه ١٤٠٩ هـ .
٢ ــ مجلة الشراع ، عدد ٣٦٩ .
(*) ويلاحظ القارىء كيف استثنى لويس عوض عصر عبد الناصر من عصور الفساد ولو أنه لم يفعل لقلنا : « صدقنا وهو كذوب » ! ولويس عوض هو لويس عوض ، وهل من عاقل ينتظر صدقاً منه ومن مدرسته ؟! والعصر المستثنى (وهو حلقة في سلسلة) هو العصر الذي صنع لويس عوض ، وسلطه ليفسد في الفكر ، ويحرب في الثقافة ، فكيف لايستثنيه ؟!.

أغير الله اتخذ وليا

محمد صالح المنجد

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، وبعد :

فولاية المسلم لربه هي مسألة المسائل وأصل الأصول التي تنشعب عنها التصورات ، وتنطلق منها المواقف .

وتزداد الحاجة للتركيز على هذا الأصل في غمرة الخلط الحاصل اليوم في ولاءات المسلمين ، وفي غيابة فقدان هذا الأصل عند من أمسكوا بشيء من الأزمة ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وهذا مقام مسافر فيه عرض لبعض مقتضيات هذه المسألة :

١ ـــ افراد الله بالولاية :

ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ قل أغير الله أتخذ ولياً ، فاطر السموات والأرض ... ﴾ ويربي القرآن المسلم على تحديد هذا الأمر بينه وبين نفسه وأمام الآخرين بوضوح وجلاء . ﴿ إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾ .

وولاية المسلم للرسل وللمؤمنين نابعة من هذه الولاية وهذه الولاية متبادلة بين العبد وربه ، ولاء العبد لله وتولي الله لعبده ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ .

إذن فولاء المسلم لايصح أن يتجزأ

شيء لله وشيء لغير الله .

٢ ــ إفراد الله بالعبادة :

﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له ... ﴾ والانصهار فيها حتى يصل العبد إلى الدرجة المبينة في حديث « .. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ... » .

٣ ــ توحيد مصدر التلقي :

عن الله وحده الذي يقول : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ... ﴾ ويقول محذراً : ﴿ اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء .. ﴾ فمصدر التلقي إذن هو الوحي فقط وليس القوانين الكافرة أو عادات القبائل أو أعراف المجتمعات أو بيوت الأزياء .. وحق التحليل والتحريم لله وحده وليس لأحد بعده سبحانه .

٤ ــ التحاكم إلى الله وحده :

القاعدة : ﴿ إن الحكم إلا لله .. ﴾ والاستفهام القرآني قوي انكاري ﴿ أفغير الله ابتغي حكماً ﴾ والقرآن يحدد موقف المخالفين لهذه المسألة في آية ﴿ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ... ﴾ فكيف إذاً صار المبدأ عند البعض الاعتراض على أحكام الله ؟ وكيف إذاً آل أمر الآخرين إلى أن كرهوا ماأنزل الله ، فأحبط أعمالهم ؟!

٥ ــ توحيد الانتماء إلى حزب الله « أهل السنة والجماعة » :

قال ابن القيم رحمه الله : « ومن صفات هؤلاء الغرباء التمسك بالسنة إذا رغب عنها الناس ، وترك ماأحدثوه ، وإن كان هو المعروف عندهم ، وتجريد التوحيد وإن أنكر ذلك أكثر الناس ، وترك الانتساب إلى أحد غير الله ورسوله : لا شيخ ، ولا طريقة ، ولا مذهب ، ولا طائفة ، بل هؤلاء الغرباء منتسبون إلى الله بالعبودية له وحده ، وإلى رسوله بالاتباع لما جاء به وحده ، وهؤلاء هم القابضون على الجمر حقاً ، وأكثر الناس ــ بل كلهم ــ لائم لهم » .

وتوحيد هذا الانتماء يفيد كثيراً

في تجميع الجهود وتوجيهها ؛ لرفع شأن أهل الحق وصد كيد أهل الباطل .

٦ ــ استبدال ولاية الله بالولاءات الجاهلية :

كثيرون أولئك الذين لايزالون يمتون بصلات وولاءات لأعداء الله بشكل جزئي أو كلي ، قد يأخذ صوراً مادية أو معنوية . على هؤلاء إن أرادوا النجاة من نار جهنم أن يستدبروا أهل الباطل ويولوا وجوههم لأهل الحق ، وتبني دين الله عز وجل ، وأن يقوم العزم في أنفسهم على عدم وصل حبال الكفار مرة أخرى .

كانت الولاءات في الجاهلية تتعدد بتعدد القبائل والعصبيات فلما جاء الإسلام أزالها وأبدلها بولاية الله ، وكان رسول الله ﷺ حريصاً كل الحرص على عدم تجديد وإحياء شعارات الجاهلية وولاءاتها في نفوس المسلمين .

روى البخاري رحمه الله تعالى تحت باب : ماينهى من دعوى الجاهلية : عن جابر رضي الله عنه قال : غزونا مع النبي ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا وكان من المهاجرين رجل لعّاب (يلعب بالحراب) فكسع انصارياً ، فغضب الأنصاري غضباً شديداً ، حتى تداعوا ، وقال الأنصاري : ياللأنصار ، وقال المهاجري : ياللمهاجرين ، فخرج النبي ﷺ فقال : مابال دعوى أهل الجاهلية ، ثم قال : دعوها فإنها خبيثة » .

ونظرة تقويمية للواقع تخبرنا أن ولاء كثير من العجائز في قعر بيوتهن خير وأحب إلى الله من كثير ممن ابتليت بهم الدعوة الإسلامية والذين تنازعتهم الولاءات للجاهلية من كل جانب ﴿ ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لايعلمون ﴾ .

٧ ــ محبة أولياء الله وفي مقدمتهم محمد بن عبد الله ﷺ :

في الصحيح المسند من أسباب النزول ، من رواية الطبراني في الصغير عن عائشة قالت : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله إنك لأحب إلى من نفسي وإنك

لأحب إلي من أهلي ومالي وأحب إلي من ولدي ، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك ، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت ألا أراك فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئاً حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية :

﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله ﴾ .

وهذا يقوي الأواصر والروابط بين أفراد المسلمين وخلاياهم في المجتمع الإسلامي الكبير ، ويقضي على دخائل النفس الخبيثة التي تنحرف بالمحبة في الله إلى أغراض أخرى ، وذلك إذا والى كل مسلم أخاه ، بحسب حاله من الإيمان والعمل الصالح □



الاستخارة

إعداد : عادل التل

المعنى اللغوي :

جاء في مادة خير : الخاء والياء والراء أصله العطف والميل ، ثم يحمل عليه ، فالخير خلاف الشر ، لأن كل أحد يميل إليه ، ويعطف على صاحبه ، والخيرة : الخيار . قال في اللسان : الخير : الكرم ، والخير : الهيئة ، والخير : الشرف . والاختيار : الاصطفاء .

والاستخارة : طلب الخير في الشيء وهي استفعال منه ، واستخار الله طلب منه الخيرة . ويقال استخر الله يخر لك ، والله يخر للعبد إذا استخاره ، اللهم خر لي أصلح الأمرين ، قال الأزهري : استخرت فلاناً أي استعطفته فما خار لي أي فما عطف . وهناك قصة طريفة حول أصل الاستخارة كما جاء في اللسان : إن الصائد يأتي الموضع الذي يظن فيه ولد الظبية أو البقرة ، فيخور خوار الغزال فتسمع الأم ، فإن كان لها ولد ظنت أن الصوت صوت ولدها فتتبع الصوت ، فيعلم الصائد حينئذ أن لها ولداً فتطلب موضعه ، فيقال استخارها ، أي خار لتخور ثم قيل لكل من استعطف : استخار .

المعنى الاصطلاحي :

من المعروف أن الخير هو كل مايرغب فيه الكل ، كالعقل والعدل والفضل ، والشيء النافع ، ولكن للخير وجهان : الخير المطلق وهو مرغوب فيه بكل حال وعند كل أحد ، ومنه « لا خير بخير بعده النار ، ولا شر بشر بعده الجنة » وخير مقيد وهو خير لشخص وشر لآخر ، مثل المال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو .

والاستخارة في الشرع : طلب خير الأمرين لمن احتاج إلى أحدهما ، والاستخارة تكون بالتوجه إلى الله تعالى وهي تختلف عن الاستشارة التي توجه للناس ، والاستخارة فيها دعاء ، ولكن دعاء خاص ومحدد في الشرع ، وقد ذكر النووي أنه يستحب أن يستشير قبل الاستخارة من يعلم حاله النصيحة والخبرة ، ويثق بدينه ... فإذا ظهر أنه مصلحة استخار الله في ذلك .

وتكمن أهمية الاستخارة بأنها تسليم مطلق لله تعالى وانقياد له وإذعان لمنهجه ، ورد الأمور كلها إليه والتبري من الحول والقوة بقوله تعالى : ﴿ وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ [الأحزاب / ٣٦] .

ومن خلال دعاء الاستخارة ندرك حقيقة هذا التوجه ، فقد روى البخاري عن جابر قال : « كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : فإذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني وعاقبة أمري ــ أو قال عاجل أمري وآجله ــ فاقدره لي ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي ، وعاقبة أمري ــ أو قال : عاجل أمري وآجله ــ فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به . ويسمي حاجته » .

من أحكام المصطلح :

والأصل في الاستخارة أن تكون في الأمر المباح ، أما الواجب والمستحب فلا يستخار في فعلهما ، إلا إذا تعارض في المستحب أمران . أيهما يبدأ به ، ويقتصر عليه ، وكذلك الحرام والمكروه ، لايستخار في تركهما ، وتتناول الاستخارة العظيم من الأمور والحقير ، فرب حقير يترتب عليه الأمر العظيم .

ولقد شرعت الاستخارة للمسلم لطلب الخير في المستقبل ، لذلك أبطلت عادات جاهلية كانت قائمة على طلب الخير للإنسان في المستقبل إلا أنها كانت تجري بأساليب غير شرعية ومنها :

الطِيَرة : وهي التشاؤم ، وأصل التطير ، أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير ، فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأي الطير طار يمنة ، يتيمن به ، واستمر ، وإن رآه طار يسرة تشاءم ورجع ، وربما كان أحدهم يهيج الطير ، ليطير فيعتمد الجهة التي يطير إليها فجاء الشرع ونهى عن ذلك ، وقد قال رسول الله ﷺ : « الطيرة شرك ، ومامنا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » أخرجه ابن ماجه وهو صحيح . وعن أبي هريرة : « كان النبي ﷺ يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة » أخرجه ابن ماجه وهو صحيح .

الاستقسام بالأزلام : وهي عبارة عن أقداح توضع فيها أوراق ثم يختار واحد منها ليأتمر بما كتب فيه ، وقد جاء في سورة المائدة مانهى عنه ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وأن تستقسموا بالأزلام ﴾ .

السحر : وهو طلب معرفة الغيب من السحرة . وفعل السحر كفر ، والذهاب إلى الكهنة والعرافين والمنجمين وكل هذا باطل باجماع علماء المسلمين ، وكذلك ماهو معروف قديماً بضرب الرمل أو الحساب على النجوم أو الأبراج أو الاطلاع على الفنجان أو قراءة الكف ، وكل هذا باطل وغير شرعي .

وتنتشر هذه الانحرافات كلما ابتعدت الأمة عن شرع الله واتبعت الأهواء ، ولاعاصم من الفساد إلا بالعودة إلى منهج الإسلام نستمد منه مفهوم الحلال والحرام ، ونستفتيه في شؤون حياتنا كلها . وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه الترمذي : « اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء » □

شذرات وقطوف

دور المعلم التجدد كل يوم

إن الذين يتصورون عمل المعلم على أنه مثل باقي الوظائف أو الأعمال الأخرى ، أي عمل رتيب لايتغير ولا يتبدل من يوم لآخر مثله في ذلك مثل المحاسب الذي يجلس خلف مكتبه يراجع عشرات أو مئات الفواتير والمستندات والدفاتر ، الذين يتصورون عمل المعلم من هذا النوع ... يخطئون فهم طبيعة عمل المعلم خطأ كبيراً .

إن المعلم يواجه في كل يوم من أيام عمله تحدياً جديداً يتمثل في حماس الشباب الذين يحيطونه بأفكار جديدة وأسئلة متنوعة ، وربما بمشاكل متجددة أيضاً ، إن كل يوم عمل في حياة المعلم إنما يمثل تحدياً جديداً عليه أن يقابله بما يستحق وبما يتمشى معه . ليس هذا فحسب ، وإنما كل درس يدخله يحتمل هذا المعنى ، إذ إن كل فصل يختلف عن الآخر من حيث طلابه ، ومن حيث حماسهم ونشاطهم وتفاعلهم ، بل إن نفس الفصل في الصباح يختلف عنه في الظهيرة ، وذلك رغم أنه يضم نفس الأطفال أو نفس الشباب ، وذلك أخذاً في

الحسبان عاملي النشاط في الصباح والتعب والإرهاق بعد الظهر .

د . محمد عبد العليم مرسي ــ المعلم والمناهج ... وطرق التدريس / ٢٣

تربية الأطفال

ثم تأتي مشكلة الأطفال ، سينشئهم على الإسلام ويفسدهم الشارع والمدرسة والمجتمع كله .. ومع ذلك فلا خيار ... وليس هناك بديل .. ولا حلول سحرية للمشكلات ! لا تستطيع ــ ولا يجمل بك ــ أن تحجز طفلك عن الشارع ... إنما عليك أن تقوم بعملية غسيل يومية لما أصاب طفلك ...! وقد تفلح في ذلك تماماً وقد لا تفلح ، ولكن عليك المجاهدة الدائمة في كل حال ، وهو عذاب ومشقة ، ولكنك تؤديه لله ، وتعلم أن جزاءه الكامل عند الله ، ويعينك في ذلك أن تجعل العلاقة بينك وبين طفلك قوية متينة عميقة ، فحين يكون الطفل محباً لوالديه ، متعلقاً برضاهما عنه ، يكون وزن البيت في حسه أثقل من وزن الشارع ، فيستطيع البيت من ثم أن يصلح مايفسده الشارع ، كله إن وفق الله ، أو بعضه على الأقل بإذن الله .

محمد قطب ــ منهج التربية الإسلامية ٢ / ١٩٣

من مكائد إبليس

لم أرَ لإبليس أصيد ولا أقبح ولا أحمق من كلمتين ألقاهما على ألسنة دعاته ، إحداهما : اعتذار من أساء بأن فلاناً أساء قبله ، والثانية : استسهال الإنسان أن يسيء اليوم لأنه قد أساء أمس ، أو أن يسيء في وجه ما ، لأنه قد أساء في غيره ، فقد صارت هاتان الكلمتان عذرين مسهلين للشر .

ابن حزم ــ الأخلاق والسير في مداواة النفوس / ٣١

جمال الدين القاسمي [1]

سليمان عبد الله الياسين

هو أبو الفرج محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل ابن أبي بكر المعروف بالقاسمي ، إمام الشام في عصره ، محدثاً ، فقيهاً ، مفسراً ، مصلحاً وأديباً .

ولد الشيخ القاسمي في مدينة دمشق ، يوم الاثنين لثمان خلت من شهر جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين وألف ، نشأ في بيت علم وفضل ، فوالده كان فقيهاً ، عالماً ، أديباً ، أفاد منه الشيء الكثير ، فكان هذا عاملاً بالإضافة إلى ذكائه واستعداده وقدراته على أن ينشأ نشأة علمية صالحة .

أخذ العلوم عن مشايخه على طريقة القدماء ، نظراً في الأدلة ، وتوثيقاً للنصوص ، ووقوفاً على أقوال السلف الصالح ، الذين تعتبر أقوالهم مرجحة لما يقع من خلاف في عصور المتأخرين ، كل ذلك في حياة تقليدية يظهر عليها الجمود ،

---

١ ــ انظر ترجمته في : تاريخ علماء دمشق ، الأعلام للزركلي ، مقدمة قواعد التحديث ، ترجمة لحياة القاسمي لولده الأستاذ ظافر القاسمي ، شيخ الشام جمال الدين القاسمي ، محمود مهدي الاستانبولي ، مقدمة محاسن التأويل .

والجهل والتقليد .

نشأ الشيخ القاسمي في ظروف كانت الطرق الصوفية فيها في أوج انتشارها ، يعتنقها العامة حول بعض المشايخ الذين يشغلونهم عن العمل النافع الذي أمروا به لإقامة المجتمع الصالح .

من هذا الوسط المختلف المشارب والمآرب دعا الشيخ القاسمي إلى العلم ، ونبذ التعصب والتقليد ، وتصفية العقيدة مما علق بها من أفكار وفلسفات واعتقادات دخيلة ، وإرجاع مجد الإسلام ، ورفع شأنه ، وجعله الحكم على شئون الحياة كلها .

فكانت النتيجة أن اجتمعت عليه الجموع ، وهذا حالهم في كل زمان ، فهم يختارون الأوساط التي تعينهم على ترويج ونشر أفكارهم ومعتقداتهم .

إن صفحات التاريخ لتضع أمام كل باحث ومفكر وطالب علم ، حقيقة ذات أهمية كبيرة وهي أن الخاصة من الرجال والعلماء والمفكرين هم وراء التجديد ، ولا أقصد بالتجديد تغيير حقائق هذا الدين العظيم ، الذي تكفل الله بحفظه ، ولكنه تجديد العودة إلى الأصول ، وتغيير المفاهيم الدخيلة ، سواء في العقيدة ، أو السلوك ، أو في مجال النظر والاستدلال .

لقد آمن القاسمي رحمه الله بنبذ التعصب والجمود ، وفتح باب الاجتهاد لمن ملك القدرة على ذلك ، وكثيراً ماكان يستشهد بأقوال الأئمة الأربعة للتدليل على أفكاره ، فكان يقول : « إن من يطلع على كتب هؤلاء الأربعة رحمهم الله يرفض التقليد ، لأنهم أمروا تلامذتهم بالاجتهاد ، وأن لا يجعلوا كلامهم حجة ، وينقل كلاماً للمزني ــ وهو من أئمة الشافعية ــ في كتاب الأم للشافعي فإنه يقول : أنقل لكم كلام الشيخ الشافعي لا لتأخذوا به ، فإنه كان نهانا عن التقليد فيقول : يجب الاحتياط بالدين ، والأخذ بالكتاب والسنة » [1] .

وعليه فقد لفقوا له تهمة خطيرة يستحق عليها السجن والتعذيب ؟!

١ ــ شيخ الشام جمال الدين القاسمي ، الأستانبولي / ٤٤ .

إنها تهمة الاجتهاد ، وتأسيس مذهب جديد في الدين سموه (المذهب الجمالي) وشكلوا لذلك محكمة خاصة مثل أمامها مع لفيف من العلماء ، كان ذلك سنة ١٣١٣ هـ وله من العمر ثلاثون عاماً ، ثم خلوا سبيله .

يقول في كتابه الاستئناس ص ٤٤ : « وإن الحق ليس منحصراً في قول ، ولا مذهب ، وقد أنعم الله على الأمة بكثرة مجتهديها » .

وفي كتاب إرشاد الخلق ص ٤ يقول : « وإن مراد الإصلاح العلمي بالاجتهاد ليس القيام بمذهب خاص والدعوة له على انفراد ، وإنما المراد إنهاض رواد العلم ، لتعرف المسائل بأدلتها » .

ونحن اليوم في عصر قد كثر فيه الخلاف ، وذهبت فيه العقول منازل كثيرة ، ماأحوجنا إلى نبذ التعصب ، وتحرير العقل من الهوى ، والسعي وراء الأدلة الصحيحة ، فندور حيث دارت ، ونتمسك بها ولا ننتصر لرأي ذاتي فربما كان خطأ أو صواباً .

أخذ القاسمي العلوم عن كثير من المشايخ أمثال : الشيخ سليم العطار ، قرأ عليه شرح الشذور ، وابن عقيل ، وجمع الجوامع ، وتفسير البيضاوي ، وسمع منه دروساً من صحيح البخاري دراية ، والموطأ ، ومصابيح السنة .

وقرأ على الشيخ بكري العطار ، والشيخ محمد الخاني ، ووالده الشيخ محمد سعيد القاسمي ، وكان يحضر دروس الشيخ عبد الرزاق البيطار ، مجدد مذهب السلف في الشام ، وقد استفاد منه الشيء الكثير .

وكان جميع أساتذته من المعجبين بذكائه ونباهته ، يتوقعون له مستقبلاً مشرفاً ، ويتطلعون إلى مايتحقق على يديه من نهضة عظيمة لمنطقة أحوج ماتكون إلى الدعاة الذين يدعون إلى الله وفق أصول أصيلة في العقيدة والمنهج والتصور .

لقد اتصف رحمه الله بصفات العلماء الحميدة ، فكان سليم القلب ، نزيه النفس واللسان ، ناسكاً ، حليماً وفياً لإخوانه ، جواداً سخياً على قلة ذات يده ، يأنس به جليسه ولا يمل حديثه ، حريصاً على الإفادة من أوقاته ولو كانت قصيرة ،

فقد جمع مفكرة جميلة حوت من الفوائد واللطائف الشيء الكثير ، سماها « السوافح » وكان يربي تلاميذه على حب الاعتماد على النفس ، وعدم الكسب بالدِّين ، والركون إلى الطغاة والظالمين ومسايرتهم على ضلالهم ، رغبة في عَرَضٍ من أعراض الدنيا ، ويستشهد على ذلك بابن تيمية ، فإنه عَرَض عليه الحاكم منصب قاضي عسكر براتب مغرٍ فأعرض عنها مخافة أن يكون عبداً وأسيراً لها .

وعن آثاره العلمية يقول ولده الأستاذ ظافر القاسمي في مقدمة كتاب قواعد التحديث عند الترجمة لأبيه :

« أما كتبه التي ألفها فقد قاربت المئة ، وأقدم ماعثرت عليه من مؤلفاته مجموعة سماها (السفينة) يرجع تاريخها إلى عام (١٢٩٩ هـ) ضم فيها طرائف من مطالعاته في الأدب ، والأخلاق ، والتاريخ ، والشعر ، وغير ذلك ، وله من العمر ستة عشر عاماً ، ومضى يكتب ويكتب إلى أن عجب الناس من بعده كيف اتسع وقته — ولم يعش إلا تسعة وأربعين عاماً — لهذا الانتاج الضخم ، فضلاً عن تحمل مسئولية الرأي ، وترجيح الأقوال ومناقشتها ، والرجوع إلى المصادر ، وفضلاً عن أعبائه العائلية ، فلقد كان له زوج وسبعة أولاد ، وفضلاً عن إمامته للناس في الأوقات الخمسة دون انقطاع ، ودروسه العامة والخاصة ، وتفقده للرحم ، ورحلاته ، وزياراته لأصدقائه ، وغير ذلك من المشاغل » [1] .

ومن مؤلفاته رحمه الله : **محاسن التأويل** : وهو تفسير للقرآن الكريم امتاز بأنه ينقل من كل تفسير خير مافيه على منهج السلف ، وهو مطبوع بـ (١٧) جزءاً .

دلائل التوحيد ، اصلاح المساجد من البدع والعوائد ، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، شذرة من السيرة النبوية ، رسالة الاستئناس لتصحيح أنكحة الناس ، كتاب المسح على الجوربين ، تعطير المشام في مآثر دمشق الشام ، حياة البخاري ،

---

١ — مقدمة قواعد التحديث / ٣١ .

شمس الجمال على منتخب كنز العمال ، ميزان الجرح والتعديل ، موعظة المؤمنين في إحياء علوم الدين . وغيرها من الكتب والرسائل والمقالات .

وكان للقاسمي رحمه الله ميول شعرية فمن نظمه ماكتبه في دلائل التوحيد :

أدلة في وجود الحق قاهرة
راحت لها شبه الإلحاد منكسرة
الحق يعلو ولا يعلى عليه فمن
ناواه كانت جنود الله منتصرة

ونظم يرد على بعض الجاحدين الذين اتهموه ووشوا به إلى الوالي :

زعـم النـاس بأنـي
مذهبـي يدعـى الجمالـي
وإليـه حينمـا أفـ
ـتي الورى أعزو مقالـي
لا وعمـرو الحـق إنـي
سلفـيّ الانتحـال
مذهبـي مافـي كتـا
ب الله ربـي المتعالـي
ثـم ماصح مـن الأخـ
ـبار لا قيـل وقـال
أقـتضي الحـق ولا أر
ضى بـآراء الرجـال

وهناك جوانب مشرقة ، كان يتصف بها الشيخ القاسمي رحمه الله ، حري بالدعاة وبالمصلحين وبطلاب العلم أن يتحلوا بها : إنها عفة اللسان والقلم ، وسعة الصدر ، ورحابته ، وبشاشة الوجه وطلاقته ، فقد كتب ولده الأستاذ ظافر القاسمي عن هذا الجانب فيقول : « عرف عن القاسمي أنه كان عف اللسان والقلم ، لم يتعرض بالأذى لأحد من خصومه ، سواء أكان ذلك في دروسه الخاصة أو العامة ، أو في مجالسه وندواته ، وكانت له طريقته في مناقشة خصومه ، لم يعرف أهدأ منها ، ولا أجمل من صبره ، وكثيراً ماقصده بعض المتقحمين في داره ، لا مستفيداً ، ولا مستوضحاً ، ولا مناقشاً ، بل محرجاً ، فكان يستقبلهم بصدره الواسع ، وعلمه العميق ، فلا يخرج المقتحم من داره إلا وقد أفحم وامتلأ إعجاباً وتقديراً » [1] .

وكانت وفاته مساء السبت ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢ هـ ودفن

١ ــ قواعد التحديث / ٣١ .

في مقبرة الباب الصغير بدمشق .

لقد كان رحمه الله عالماً قدوة له أثر طيب في نفوس معاصريه وطلابه ، وترك آثاراً علمية نحن أحوج مانكون إليها في هذا العصر الذي قل فيه العلم والعلماء مع تعطش الأجيال الإسلامية وحاجتها إلى الموجهين والعلماء الربانيين .

﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهمْ اقتده ﴾ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين □





حتى داخل جدران بيتك

عبد الحميد إبراهيم

غير مسموح لك أن تلقن أولادك ماتشاء من الأخلاق ، وتنشئهم على ماتريد من التربية ، ولا نريد أن ندخل في جدل قد يطول حول هل للأب دور في تنشئة أولاده على أخلاق معينة أم لا !.

هذه هي النتيجة لفقرة من برنامج إذاعي سمعته من إحدى إذاعاتنا العربية ، وهذا البرنامج مخصص لمشاركة جمهور المستمعين في إيجاد الحل لبعض مشاكل المستمعين الاجتماعية .

فقد عرض مقدم البرنامج ثلاث مشكلات ، مختارة اختياراً خاصاً ، وقدمت تقديماً موجهاً على لسان ممثل ، أو ممثلة ، وسوف أختار مشكلة واحدة ، وأعيد روايتها باختصار ، وأحاول أن أضيف وجهة النظر الأخرى التي لايحب معد البرنامج أن تذكر فيتجاهلها تجاهلاً ، وغطاها بقدراته (الذكية) التي اختير لتقديم مثل هذا البرنامج على أساسها ، وبالإمكانات الموضوعة تحت يديه .

فتاة في السابعة عشرة من عمرها ، متفوقة في رياضة معينة ، ومشاركة في مباريات على المستوى الوطني ، والفرصة متاحة لها كي تشارك في مباريات دولية ، ولكن حينما تعرض الأمر على أبيها ، يضع اعتراضه على أن تسافر من أجل ذلك ، فتلح عليه وترجوه ولكنه يبقى عند رأيه ، ومع أن رأيه هذا غير ملزم لها واقعياً وقانونياً ؛ لكنه من الناحية الأخلاقية والدينية له اعتباره ، وهكذا كان

التعليل الذي قدم ، وكأن الأخلاق والدين أمر طارىء على المجتمع وقوانينه ، وبلية تراعى لكونها بلية ومصيبة فقط ، وأخيراً يخيرها بين أن تسافر لهذه الغاية وتضحي برضاه عليها ، وبين أن تكتفي بما حصلت عليه على المستوى الوطني ، وتلتفت إلى دراستها .

وهنا يطلب إلى المشاركين أن يدلوا بآرائهم : هل يشجعون البنت أن تضرب برأي والدها عرض الحائط وتذهب حيث تشاء ؛ أم ينصحونها أن تقف عند مايريد أبوها ؟.

خرج أربع إناث للتعليق :

كانت الأولى والثانية مسؤولتان في رعاية الشباب بالجامعة واتفقتا على أن تشارك الفتاة في المباراة الدولية ، والتسويغ الذي استندتا إليه أن المشاركة في البطولات الرياضية خارج البلاد تكون تحت إشراف ورعاية من القائمين على هذا الشأن ، وأنه لاداعي للتشدد والتمسك من قبل الوالد برأيه ، لأنه بذلك يقف عقبة أمام طموحات ابنته ، ويحرمها من فرصتها ، وربما انعكس ذلك على نفسيتها بالمشاكل والأمراض ، من جهة أخرى فإنه سيء الظن بالمسؤولين .

تقدمت الثالثة وهي ــ من صوتها ــ تبدو لامبالية ، ومتروكة هكذا ، دون تربية بيتية صحيحة .. وقالت : أنا رأيي أن تسافر ولا تلتفت إلى رأي والدها وعندما رد عليها مقدم البرنامج : بأن ذلك سيغضب والدها منها قالت : إنه سيغضب لمدة قصيرة ، وسيرضى عنها بعذ ذلك . ولما قال لها المقدم : وهل تحبين أن تغضبي والدك ، قالت : أنا أفعل مأأشاء ثم آتي والدي وأقول له : يابابا أنت قلبك كبير وحنون والخ فيرضى عني وتنتهي القضية !.

وتقدمت الرابعة بحل (يتزيا بزي الحكمة والتعقل كتسوية للموضوع !) وقالت : تفعل كل مايمكنها من أجل إقناعه حتى تسافر وهو راضٍ عنها ، فأجابها المقدم : ولكن قد لايقتنع ويرفض كل المحاولات : عندها قالت : بعد كل هذا يكون الذنب ذنبه ، لأنه لايقبل المنطق ، وإذا خالفته وذهبت لا تُلام !.

عند هذه النتيجة بدا أن البرنامج قد وصل ذروة التشويق ، وحقق غرضه ،

فالتفت معد البرنامج إلى حَكَمٍ يفض النزاع وكان موظفاً رسمياً كبيراً والحق أن هذا الموظف ــ كما بدا ــ لايزال يحمل بين جنبيه أثارة نفس تميل إلى الإنصاف ــ وإن كان ذلك على استحياء ، أو قل : على خوف من النتائج ــ فقدم رأيه بصورة رجاء إلى البنت محفوف باستثارة عاطفتها فقال :

أنا رأيي أن لاتسافر ، ولا تتسبب في إغضاب والدها عليها ، وإذا كان ذلك سيؤدي إلى حرمانها من فرصة الفوز ؛ فأنا واثق أنها بطاعتها لوالدها ستعوض هذه الفرصة المتاحة وسيحالفها التوفيق و...

وهنا ختم معد البرنامج هذه الفقرة بموافقته على هذا الرأي ، لكن من دون أن يترك التعقيب على ذلك بما يظهر أنه غير مقتنع داخلياً ، وقدم تعزيته للفتاة على هذه الخاتمة فقال مافحواه :

الأستاذ فلان وضع النقاط على الحروف ونحن نضم صوتنا إلى صوته ونقول للفتاة بنت السبعة عشر : اسمعي كلام والدك وإذا أدى ذلك إلى ضياع الفرصة عليك ، والتضحية بطموحاتك ، فلا بأس ! فالإنسان تضيع من أمامه فرص كثيرة في الحياة ، وجايز (!) أنك لن تفوزي في المباراة الدولية ، وجايز (!) أنه سيكون لك مستقبل زاهر آخر في غير الرياضة .

ملاحظات عامة على هذا البرنامج :

١ ــ ينتقي هذا البرنامج قضايا خاصة لتخدم هدفاً محدداً .
٢ ــ أسلوبه في طرح الآراء أسلوب انتقائي موجه .
٣ ــ يشيع الآراء التي تخالف ماهو سائد في المجتمع من أعراف وتقاليد نابعة من الدين والعقيدة .
٤ ــ يعرض الآراء الإسلامية مشوهة أو محرفة ويفسرها على هواه .
٥ ــ كثيراً مايجعل السلوكات الطارئة والمنحرفة هي الأصل ، وماعداها هو الشاذ السلبي الذي ينبغي أن يحارب .

ملاحظات خاصة بهذه الفقرة المعروضة :

١ ـــ عدم الحياد في انتقاء الشخصيات الأربع لإبداء رأيهن، مما أعطى إيحاءً بأن المجتمع بأسره لا يوافق الأب في موقفه من سفر ابنته . وهذا غير صحيح .

٢ ـــ أظهرت حجة المسؤولين من رعاية الشباب أن سلوك الأب ليس خطأً شخصياً فحسب ، بل هو غير قانوني أيضاً وينطوي على مخالفة القوانين العامة وهي إساءة الظن بمؤسسات الدولة .

٣ ـــ وكذلك أوحت حجة هاتين المسؤولتين ـــ وبوضوح ـــ أن الأب يسيء استعمال مسؤوليته كأب ، حيث يقف أمام سعادة ابنته ، ويسبب الشقاء لها . وهذا مما يشجع البنات والأولاد على عصيان والديهم مهما كانت الحجج التي يستندون إليها في منعهم من بعض الأعمال لأنهم يتحولون في نظرهم من آباء مهمتهم توفير السعادة لأبنائهم إلى جلادين أو مستبدين جالبين للشقاء .

٤ ـــ وضع حجة الولد مقابل حجة الوالد فيها مافيها من الاجحاف والظلم في إظهار أمرين لايطابق ولا يساوي أحدهما الآخر على أنهما متطابقان متساويان .

إن اللاشعور أو اللاوعي عند المستمع سيرتفع بحجة الولد ؛ بينما سينحط بحجة الوالد حتى يتسنى له أن يوازن ويقارن ـــ وهذا الفعل له أثره على شريحة عريضة في المجتمع وهي التي تبدأ من سن التمييز حتى سن الرشد العقلي ، شاءت أم أبت ـــ .

٥ ـــ جواب الثالثة يوحي بأنها تستند إلى حقيقة مستمدة من الواقع (فهي واقعية) وهذه الحقيقة هي أن غضب الوالد على ولده ، غضب من نوع خاص ، ليس كأي غضب آخر في بواعثه وأهدافه ، إن شئت فقل : غضب مصطنع ، يصطنعه الإنسان من أجل تربية أبنائه التربية الصحيحة ، ويجنبهم النتائج المؤلمة التي قد تختفي عن أنظارهم وهم في حمى اندفاعهم ، فهو شفقة لابسة ثوب غضب ، وحرص وضن بشيء ثمين يخفيه صاحبه بهذا الغطاء تمويهاً وهذا النوع من الأولاد الأذكياء يستغلون هذه الحقيقة استغلالاً سيئاً يعود عليهم وعلى المجتمع بأسره بالفوضى والاضطراب ، ويساعدهم على ذلك أن آباءهم ـــ نتيجة ظروف نفسية وضغوط من الواقع ـــ ضيعوا تأثير هذا السلاح التربوي بضعف

الإرادة ، وبالتطرف في (التدليل) فتمخض عن ذلك موجة كاسحة من الأهواء المنطلقة التي يصعب كبحها ، وكان أن بدأت تتحلل سلطة البيت شيئاً فشيئاً ، وتخلي المكان ، وتلقي القياد لسلطة الشارع التي أنتجت خليطاً غير متجانس يبعث الغثيان ، ويشهد على مسببه بالفشل العام .

٦ ــ جواب الرابعة يظهر أن الأب بعيد عن المنطق والعقل ، يحتاج مايصلحه ويعيده إلى رشده . وإذا علمنا أن نظرة الأب هذه تستند إلى أصل مستمد من أحكام الإسلام ومن تعاليم رسول الله ﷺ من أن المرأة لاتسافر مسيرة ثلاثة أيام إلا ومعها ذو محرم ، وأنها لاتخرج من بيت وليها أو زوجها دون إذن منه وإلا لضرورة ، وأن الضرورة تقدر بقدرها ، وأن الإسلام لايجيز ولا يبيح هذا الانطلاق السافر ، وهذا الاختلاط الذي لاضرورة له باسم الفن تارة ، وباسم الرياضة تارة أخرى ؛ وبإضفاء صفات البطولة على مثل هذه الأعمال التي هي في ميزان الإسلام فساد ، وأشر ، وبطر ، وانفلات ــ إن لم نقل غير ذلك ــ .. إذا علمنا أن نظرة الأب تستند إلى هذه القواعد أو إلى بعضها على الأقل ؛ فهذا يعني أن كل هذه القواعد والأحكام مخالفة للعقل والمنطق ، وسينتج عن ذلك بالضرورة أنه حيثما كانت أحكام إسلامية وإرشادات ربانية ، وتوجيهات نبوية فلا عقل ولا منطق ثمّ ، وأن العقل والمنطق في اتجاه غير ذلك الاتجاه .

٧ ــ جواب الموظف الرسمي الكبير يظهر أن كثيراً من المسؤولين يتمتعون بحس من المسؤولية ، وأنهم لو أتيحت لهم الفرصة لأظهروا أنه ليس من مصلحة أي نظام أن يشجع على الانفلات والتمرد على سلطة الأسرة ، ولكن هؤلاء غالباً مايحجزهم الخوف عن المجاهرة بالآراء الحقة .

٨ ــ إن نتيجة البرنامج النهائية تبين أن كثيراً من المشرفين على البرامج الإعلامية يستغلونها استغلالاً بشعاً لإظهار وجهات نظرهم الخاصة ، وحجب وجهات النظر الأخرى بحيل مستترة أو مكشوفة ، وليست هذه الآراء متطابقة بالضرورة مع وجهات النظر الرسمية ، أو تمثلها تمثيلاً صحيحاً ، وهذا يشير إلى مرض آخر مستشر في حياتنا الثقافية والفكرية يعيقنا عن إنجاز النافع ، واستبعاد الضار ، ويمنعنا من التفكير في مشاكلنا وحلها بأسلوب علمي بعيد عن التحيز والمداراة

والتعصب لما يوافق الهوى ، نعني مرض الشللية والمحسوبية ، فعلى الرغم من التغني بمحاربة الروح العشائرية والطائفية والحزبية والمحسوبية ، وإبعاد غير الأكفاء عما لايحسنونه من الأعمال ؛ فإن هذه الأمراض وأشباهها تفتك من وراء ستار ويضيع في دخانها الإنصاف والعدل ، ويصنف الناس على أساسها ، فيقدم بعضهم ، ويقصى الآخر .

إن هذه البرامج المبنية على التحريف والتشويه والبتر لاتثمر في المجتمع إلا اضطراباً ، لاتؤصل فكراً ، ولاتقوم سلوكاً ، بل لاتزيده إلا تمزيقاً وانقساماً وتوتراً ، فإذا كان يظن معدوها أنهم يستهدفون الإصلاح فقد ضلوا الطريق ، وإذا كانوا يقصدونها قصداً ، ويعرفون ماتؤدي إليه ، ويصرون على ذلك ؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل □

المسلم قارئاً ومثقفاً

جاسر الجاسر

القراءة عمل إيجابي بلا شك لأنها أول وأهم المراحل التي ينفض بها الإنسان غبار الجهل من رأسه ليحل محله نور المعرفة وضياؤها ، وهكذا تكون القراءة معرفة ونمواً ، وتكون وعياً ونضجاً ، فكل خطوة يخطوها القارىء تصبح فيما بعد سلماً إرشادياً يساعده على وضوح الرؤية ودقة الحكم ، ويظل نضجه العقلي يتنامى بصورة مطردة ليصبح بعد ذلك محكاً حساساً وصادقاً لكل محاولة تضليلية وكل محاولة غزو خارجية أو داخلية ، وهنا نستطيع أن نسمي القارىء مثقفاً .

وهذا يعني بداهة أن كل قارىء ليس مثقفاً لأن بعض القراء رغم فهمهم للمعرفة ، وحرصهم على استمرار القراءة يفتقدون حساً نقدياً أولياً يستطيعون من خلاله تجنب الغث أو على الأقل إدراك غثاثته أو خطورته إن كان مضاداً ، ومثل هؤلاء القراء تكون قراءاتهم ـ إلا ماشاء الله ـ ضرراً عليهم وعلى غيرهم لأنهم يصبحون مجرد أبواق مضخمة لهجمات شرسة مضادة دون وعي منهم أو إدراك وإنما بسبب اندفاعهم الأهوج ، وافتقادهم التكوين المعرفي الأصيل والضروري للتعامل مع الأشياء .

وهذا خطأ وقع فيه عدد كبير ممن يطلق عليهم تجاوزاً المثقفين المسلمين ، والذين تكون قراءاتهم

واختياراتهم كحاطب الليل .

والمشكلة أن هؤلاء عادة يصبحون مسئولين أو مشرفين أو تربويين أو إعلاميين بحيث يستشري خطرهم ، ويعظم ضررهم فيجرفون معهم أجيالاً من الشباب الذين تعاملوا معهم كمصادر أصلية ومباشرة للمعرفة ، ولكن الرائد في هذه المرة كذب أهله .

يجب بدءاً أن نقول أن الثقافة التزام ، بمعنى أن المثقف فرد يتحرك من منطلق ثابت ، ويستند دائماً على إطار مرجعي ثابت ، يرجع جميع القضايا والمشاكل التي تعرضه إليه ، ويمررها من خلاله ــ أقصد من خلال الإطار ــ حتى يعرف صلاحيتها من عدمها .

وهو دائماً ثابت في موقفه ، فخور بالتزامه ، حريص على عرض قضيته والدفاع عنها ضد كل هجمة .

وحتى يصبح الإنسان مثقفاً فلابد أن تكون قراءاته منذ البداية موجهة بما يتناسب مع تكوينه الفكري الأساسي ، بمعنى أن المسلم لكي يكون مثقفاً فلابد أولاً أن يكون تكوينه العقائدي سليماً وقوياً ولابد أن يستشعر معنى وأهمية كونه مسلماً صحيح الاعتقاد ، وهذا يعني أن تكون قراءاته الأولية تأسيسية حتى يتعرف على جوانب دمه بشكل كامل وأن يعرف مايراد به ، لأن استشعار الخطر هو أول ضمان على سلامة الخطوة القادمة .

ولابد أن يكون فخوراً بهذا الانتماء وأن يشعر بتميزه وتفوقه وأفضليته ومهما كانت الظروف الظاهرية توحي بغير ذلك لأن الاعتقاد النفسي بالتفوق هو المقدمة لقلب وتغيير مثل هذه الظروف ، ولابد أن يكون مقتنعاً بعمق بأن الأفراد الآخرين قد يقعون في الخطأ ، ولذلك فإنهم ليسوا مصدراً مأموناً في كل الأحيان ، وإنما يجب أن يقرأ لهم بحذر وترصد فإن الكلمة الخاطئة قد تصبح فيما بعد نواة لقناعة مغايرة ، وهذا أمر يتساهل فيه معظم المثقفين حتى تدور عليهم الدائرة .

وهكذا فإن المثقف المسلم يعي بحدة معنى إسلامه ، وأنه يجب أن تكون خطواته وفق النسق الإسلامي ، بمعنى أنه لايمكن أن توجد قضية يمكن معالجتها وفق منهج مغاير للإسلام لأن هذا الأمر ليست له

سوى دلالة واحدة : الانحراف .

إن مما تشتمل عليه الحياة الفكرية في العالم الإسلامي نوعين من المثقفين : مثقف ارتدادي التفكير . ومثقف إمعة . وكلا النوعين خطر على الأمة ، فالمثقف الارتدادي فرد يتخذ العلمانية موقفاً صريحاً وإطاراً مرجعياً ، وهو يعي حتماً مايفعل ، بل إنه يفعله بقصد وتخطيط ، ويسعى للهدم الصريح تحت اسم الثقافة والتجديد والتطوير !!.

ويزعم هذا المثقف أن الحضارة الغربية بكل إسقاطاتها وبكل انحرافاتها ملك للإنسانية ككل ، وأنها تمثل أرقى ماتوصلت إليه البشرية في مجال الفكر والإبداع (!!) وأن الوسيلة الوحيدة لتقدمنا هي أن نلحق بركابهم ، ونتعلق بأذيالهم ، حتى لو دخلوا جحر الضب لوجب علينا أن نتبعهم ، لأنهم أدلاء هذا العصر ومرشدوه ، ومن تخلف عنهم تاه وضاع .

وهذا النوع من المثقفين يختبىء تحت مظلة المنافقين ، فيبطن الشر ويظهر الخير حتى يتمكن من بث سمومه ، ويتخذ من الحرية ستاراً ويدعي أنه يجب علينا معالجة مختلف القضايا بمرونة ، فلا نسمي القصص الجنسية عهراً ودعارة ، ولكنها أدب راق وفن رفيع ! وللأسف فإن أكثر من تعج بأسمائهم الصحف والمجلات ويطفون على سطح الثقافة العربية هذه الأيام هم من هذا القبيل يشيعون الأفكار الدخيلة ، ويسفهون أصول الثقافة الإسلامية ويسخرون من الدعاة إلى الحق ، وينشرون الفوضى والفساد في أذهان الناشئة التي حيل بينها وبين الينابيع الفكرية الصافية .

وهكذا يتحرك المثقف الارتدادي بكل سهولة ويسر بل وبترحاب أيضاً ، ويكون تحت الأضواء مما يسهل له بث سمومه ونشرها بين قطاع كبير من الشباب .

أما المثقف الإمعة فهو لا يمحص قولاً ولا يرد حرفاً ، والحق أنهم ليسوا مثقفين حقاً لأنهم لايملكون رؤية ثابتة محدودة يتحركون من خلالها ، ولأن مواقفهم مائعة ومتناقضة ، بل إنها أحياناً متغيرة حسب تغير وتبدل المدارس الفكرية التي يغترفون منها .

ويفتقد المثقف الإمعة الوعي ، لأن الوعي إمكانية إيجابية يتجاوز

المرء بواسطتها مكامن الخطر ومزالق الضياع ويعاني الإمعة من « مركب نقص » فيشعر أن القوة والمنفعة للآخرين أعني الأوربيين على وجه الخصوص ، ويتصور بحسن نية وسذاجة أن مناهجهم الفكرية هي الأصلح والأنسب لهذا العصر ، ويظن أنه من الممكن أن يسايرهم ويتابعهم حتى يستقل ثم بعد ذلك يرجع إلى دينه ، وهذا غباء مركب ، ومثل هذا لايرجى منه خير ، لأن من شك في صلاحيته وقوة منهجه الإسلامي فكأنما شك في أنه من عند الله ، وهكذا يمرق من الدين ، وإذا ظن مسلم ذلك فهو ليس بمسلم ولا يمكن أن يكون فاعلاً ونشطاً في خدمة الإسلام ، بل إن المذاهب الأخرى هي التي تستفيد منه ، ويكون بين ظهرانينا كأنه طابور خامس ، بل أسوأ من ذلك أحياناً .

وحتى لانكون متشائمين فإن فئة مخلصة تكافح عن هذه العقيدة ولكنهم يتعرضون للهجوم من الطائفتين السابقتين ، فالارتداديون يدركون خطرهم وقوتهم ، ولذلك يهاجمونهم بعنف . أما الإمعات فإنهم يعتقدون أن هذه الفئة المخلصة تسيء إلى الفكر الإسلامي وتحط من منزلته في نظر الآخرين ! وبالتالي يعترضون طريقهم .

ولكنها فئة مؤمنة ، تعرف أن تجاهد في سبيل الله ولذلك لن يثنيها عن عزمها شيء وستواصل طريقها بإصرار وكفاح وقوة ، ويجب على هذه الفئة المؤمنة أن تهتم بالنشء من أبناء المسلمين وأن تأخذ بأيديهم حتى لايجرفهم التيار المدمر .

إننا نواجه في هذه الفترة تحديات خطرة ، ومالم يكن تكويننا العقائدي سليماً فالله وحده أعلم بما سيؤول إليه مصيرنا □

* * *

لمحات في إصلاح النفس

عثمان جمعة ضميرية

دعوة الإصلاح والتغيير :

إن الدعوة الإسلامية التي حمل لواءها خاتم الأنبياء ﷺ ، لم تكن دعوة إلى إصلاح جزئي يعالج انحرافاً معيناً وقع فيه المجتمع فاحتاج إلى عملية ترقيع أخلاقية أو اجتماعية تنقذه من الهاوية التي تردّى فيها أو أشرف على الهبوط فيها ، عندما ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس .

ولكن هذه الدعوة الخاتمة ، جعلها الله تعالى دعوة تغيير شامل لما بالنفس والمجتمع ، لينشيء بذلك أمة خيّرة فاضلة : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران / ١١٠] .

وجعلها أمة قائدة رائدة وشاهدة على الأمم الأخرى ، لأنها هي الأمة الوسط العدل في عقيدتها ومنهجها : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [البقرة / ١٤٣] .

عملية بناء الأمة :

هذه الأمة التي تبث الخير ، وتحمل الحق إلى العالم كله ، ليثوب

إلى دين الله الواحد ، لم تكن عملية بنائها وتربيتها عملية سهلة ، هينة لينة ، ولم يكن الطريق إلى ذلك قفزات سريعة ، يستعجل فيها الداعون الوصول إلى الهدف المنشود . ولكنها كانت عملية بناء متكامل ، يبذل فيها المسلمون الجهد والعناء ، ويصبرون على أشواك الطريق الذي يسيرون عليه بخطىً متئدة متدرجة ، كل خطوة تسلمهم إلى تاليتها ليكونوا بذلك على الجادة المستقيمة من الطريق بعد تلك المجاهدة والمصابرة : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ [العنكبوت / ٦٩] .

أثر الفرد في الإصلاح :

فلم يكن عجباً ــ والحال ماذكرت ــ أن يبدأ رسول الله ﷺ بوحي من ربه في تربية الأمة كلها بتربية أفرادها أولاً ، فالفرد هو الخلية الأولى في بناء المجتمع ، فليكن هو نقطة البدء في الإصلاح والبناء . فإن إصلاح مجموعة من الأفراد في كل بلدة ، إصلاحاً يجعلهم أئمة في الهدى والخير والاستقامة هو الذي يؤدي إلى استقامة شؤون البلدة كلها ونظافة حياتها الاجتماعية ...

الرسول ﷺ يربي جيل مكة :

وظل رسول الله ﷺ في مكة المكرمة ثلاثة عشر عاماً يعني بتربية أفراد من أمته ، حتى إذا اجتمع له منهم عشرات ، شرع في بناء الدولة الصالحة والحضارة الإنسانية ... إن أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وابن مسعود .. وأمثالهم من الرعيل الأول ، هم الذين أقاموا صرح الدولة الإسلامية والحضارة المؤمنة المشرقة ، وهم الذين كان يجتمع إليهم رسول الله ﷺ في شعاب مكة وفي دار الأرقم ، وفي فناء الكعبة ، يقوي أرواحهم ، ويصقل نفوسهم ، ويهذب أخلاقهم ، حتى إذا مضى ﷺ لربه تعالى والتحق بالرفيق الأعلى ، كان لهم في التاريخ شأن أي شأن ! وكان لهم في هداية البشرية نصيب وأي نصيب [١] .

التأثير بين الفرد والمجتمع :

ومن سنة الله تعالى في الحياة

١ ــ انظر : أخلاقنا الاجتماعية للشيخ مصطفى السباعي رحمه الله .

الاجتماعية أنه لايتم تغيير ما بالمجتمع حتى يبذل المرء جهده في عملية التغيير النفسي أولاً : ﴿ إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ [الرعد / ١١] . وهذا التغيير والتزكية للنفس هو مفتاح الفلاح وسبب الفوز : ﴿ ونفس وماسواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ﴾ [الشمس / ٧ ــ ١٠] ﴿ فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ﴾ [الليل / ٥ ــ ٧] .

فلا صلاح لمجتمع إلا بصلاح أفراده ، ولا صلاح للفرد ألا بتهيئة المناخ الطيب النظيف ، فهناك علاقة متبادلة بين هذا وذاك ، ولعل في هذا إشارة إلي واحدة من الحكم الكثيرة التي تتجلى في دعامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لتكوين الرأي الفاضل والمجتمع النظيف ، الذي يعرف المعروف ويدعو إليه ، وينكر المنكر ويحذر منه .

الطريق العملي للإصلاح :

ولعلك تتساءل ــ أيها المسلم الغيور ــ عن الطريق العملي لهذا الإصلاح الذي ينشده الإسلام للفرد ، ليكون خطوة على طريق الإصلاح الشامل للمجتمع الإنساني كله ؟

● وماأظن أن أحداً ينازع في أن الخطوة الأولى في بناء النفس وإصلاحها ، هي التي تقوم على التوحيد المطلق لله سبحانه ، وأن يشعر الإنسان بعبوديته الخالصة لله سبحانه ، فيمتلىء قلبه محبة وإجلالاً لله ، ليدفعه ذلك إلي طاعته واتباع أوامره ومتابعة نبيه ﷺ : ﴿ ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة / ٢١] . ﴿ اتبعوا ماأنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ماتذكرون ﴾ [الأعراف / ٣] .

وقد فطر الله تعالى الإنسان على التوحيد : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لاتبديل لخلق الله ﴾ [الروم / ٣٠] .

ولن يقبل الله تعالى من إنسان ديناً غير هذا الدين : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران / ١٩] ، ﴿ ومن يتبغ غير الإسلام ديناً فلن

يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران / ٨٥] .

وهذه هي العقيدة التي تحرر صاحبها من الوهم والخرافة ومن العبودية للهوى والشهوة والشيطان ، لتجعله عبداً لله تعالى وحده ، فيشعر عندئذ بحريته الحقيقية وإنسانيته الكاملة .

● وهذا القلب الذي أصلحته ليكون سبباً لصلاح الفكر والشعور والجسد ، سيكون قلباً حياً حساساً ومحكمة داخلية في نفسك ، تشعرك بالمسؤولية ، وتدفعك إلى القيام بالواجب ، فتنصف من نفسك لغيرك ، وتترك الانتصاف لها من الغير ، فإن فعلت ذلك كنت أحسن الناس خلقاً وأطيبهم معاملة ، فغدوت أحبَّ إليهم من نفوسهم وأقرب إليهم من أقاربهم ، وهذه هي الخطوة الثانية على الطريق .

● ويبقى أمامك أن تعود إلى هذه النفس فتجملها بالمعاني الفاضلة وتحملها عليها — ان استعصت عليك — وإلا فإنها ستنبع من نفسك وتفيض على الآخرين من حولك .
فإن العقيدة لابد أن يظهر أثرها في الأقوال والأعمال ، فهي المرآة التي ينعكس فيها سلوك الإنسان ومعاملته لربه سبحانه ، وللناس من حوله ، وإلا كانت عاطفة فائرة ، أو مستسرة في القلب ، أو كلمات يديرها الإنسان على لسانه ، لاتجاوز الحنجرة ، وأصبحت أماني لاتنفع صاحبها : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولايجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ﴾ [النساء / ١٢٣ — ١٢٤] □

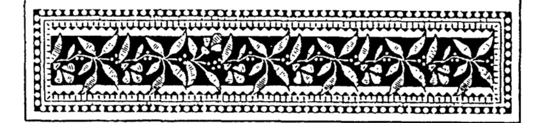




منبر الشباب

□ وجهة نظر .

□ الفراغ .



وجهة نظر

أبو زكريا عباس

لقد امتن الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة أن جعلها أمة وسطاً ، وهو شرف يجب أن يحافظ عليه المسلمون ، حتى لاتغرق سفينة الأمة في بحار الفتن ، ولا تضطرب بأمواج الفرقة والشقاق . إلا أن هذا الشرف ــ وللأسف الشديد ــ قد ضاع فيما ضاع من خصائص هذا الدين ومقوماته ، حتى أصبح اختلال التوازن وعدم الاعتدال والحيدة عن الوسطية سمة مميزة للمسلمين ، وخصوصاً في العصر الحاضر ، ولقد حدث هذا بتأثير من قوتي شد وجذب ، إحداهما جنحت إلى التفريط ، وهو تقصير في أداء الواجب مذموم ، والأخرى جنحت إلى الإفراط ، وهو غلو منهي عنه حتى في شعائر التعبد .

ثم نتج عن هذا تخلخل بناء الإسلام الكامل ، حتى أصبحت كثير من المفاهيم الإسلامية أشلاء متناثرة على أرض الإسلام لاتمثل شيئاً من حقيقته في واقع المسلمين .

ومن المؤسف جداً أن يسري هذا الداء العضال إلى كيان الدعوة المتماسك وبنيانه المرصوص لينخر فيه كما ينخر النمل الأبيض في الورق العتيق ، حتى يفقده صفة تداعي سائر الأعضاء لشكوى العضو الواحد ..

حدث هذا حتى في صفوف الدعاة المخلصين حينما فقدت نظرية النسبة والتناسب في أساليب الدعوة من أجل البناء المتكامل المتين .

ومن هنا تشعبت الطرق واختلفت الموارد وتعددت المناهج للدرجة التي تجعل اللبيب حيران ، والطبيب

الماهر عاجزاً عن تشخيص الداء ، ناهيك عن معرفة الدواء .

فتارة تكون مصيبة المسلمين في حسه هي مجرد جهلهم بهذا الدين ، وعدم النضج الفكري الذي ينشيء لديهم القناعة التامة بدينهم ، ولذلك فالعلاج الذي ينبغي أن يوصف في مثل هذه الحالة هو عرض نظرية الإسلام وحقائقه وأصوله العامة ، وكشف القناع عن زيف الحضارة الغربية الكافرة ، وفضح المخططات اليهودية الخبيثة ، وفضح عوار السياسة ، وحبائلها ؛ حتى يتضح الصبح لذي عينين ، ويتسنى للمسلمين القناعة الفكرية بما يملكون من كنوز السعادة ، ومفاتيح القيادة ، التي تجعلهم بحق خير أمة ، وبعدها يصبح السلوك والتعامل الإسلامي أسهل من شرب الماء البارد !

وهو في نظره تارة أخرى جهل عوام المسلمين وكثير من أبناء الإسلام ، وخصوصاً أهالي القرى النائية والبوادي والبلدان الفقيرة التي أطبقت على أهلها الأمية بأحكام الإسلام الفقهية وأركانه الأساسية ، فهم في أشد حاجة لمن يعلمهم أمور دينهم ، وحينئذ فالعلاج الناجع هو صرف الجهود لتعليمهم وشد الرحال لتدريسهم وتوجيههم .

ومرة ثالثة : أن المشكلة تكمن في الجهل ولاشك ، ولكن المبادىء العامة للإسلام معلومة ومعروفة لدى الكثير من أبنائه ، فلماذا لايكون هناك الفهم العميق للعلوم الإسلامية وذلك بالعكوف على طلب العلم الشرعي ومعرفة القواعد الفقهية والمصطلحات الحديثية ، لأنه حينما يعكف أبناء المسلمين وطلاب العلم على دراسة العلم ومسائله ، فسوف تحل مشاكلهم الناتجة عن الجهل تلقائياً ، بالإضافة إلى أن العلوم والمناهج الإسلامية بحاجة إلى تصفية وتنقيح حتى يستقي أبناء المسلمين من معين صاف صحيح .

ومرة أخرى : ربما يكون هذا تضييعاً للوقت وتبديداً للجهود ، فالعلم ليس كل شيء ، والناس بحاجة فقط إلى تنبيه ووعظ وإرشاد وجلاء للقلوب التي غلب عليها الران ، لأنهم مسلمون ، وقلوبهم طيبة ، ونياتهم حسنة ، ولا يحتاج كبير جهد ، فالعلة فقط هي أنهم انشغلوا بدنياهم عن آخرتهم وبهواهم عن أوامر ربهم ، فلذلك ليسوا في حاجة إلا

إلى كلمات الوعظ والنصح والخطب المنبرية التي توقظ القلوب من غفلتها ، وتنفض عنهم غبار الشهوات والشبهات فيعودون إلى الله ربانيين حنفاء .

ومرة رابعة أو خامسة يملي عليه أن مكمن الضعف وسر الانحطاط ليس هذا أو ذاك ، فإن المسلمين ليسوا بحاجة إلى الدروس والخطب فهي تلقى عليهم بكرة وعشياً ، دون أن تغير من واقعهم شيئاً ؛ إن الطريق هو الطريق التربوي ، فالمسلمون في أمس الحاجة إلى قدوة حسنة ، وأنموذج عملي يسيرون على خطاه ، وبذلك تستقيم خطوات المجتمع كله — حتى وإن كانوا لايدركون من العلم إلا قليلاً ! — والبلسم الشافي حينئذٍ هو أن يربى شباب الإسلام بخاصة لأنهم عدة الأمة وعتادها بوسائل التربية المختلفة التي تتفق وروح الإسلام في سلوك عملي ، وتعايش واقعي ، حتى يمثلوا القدوة المطلوبة للمسلمين بل وللنـاس أجمعين !.

وأخيراً يجد من يقول له : ألم تقرأ التاريخ ؟ ألم تعرف نقطة الانحراف وبداية خط الانكسار ؟ ألم تدر أن المسلمين لم يصبهم ماأصابهم إلا حينما تخلوا عن الجهاد المقدّس ، وأعرضوا عن هذه الفريضة العظيمة التي بواسطتها تظهر عزة الإسلام وقوة المسلمين ؟ فلماذا — إذاً — تذهب بعيداً ، إن العلاج بين يديك . إنه إحياء هذه الشعيرة والانخراط في سلك المجاهدين في سبيل الله فإما النصر وإما الشهادة ، وهذه نهاية الأرب وغاية المقاصد ... وماذا تريد بعد الشهادة في سبيل الله ؟.

ويترك صاحبنا تائهاً في طريق الصحوة ، لايدري أين يسير ... ومن أن ينطلق .. وهل يترك جميع هذه الوسائل ؟ وماهو الحل الصحيح إذن ؟ هل يسلكها جميعاً ؟ وكيف يتم له ذلك ؟ هل يسلك أحدها ؟ وماذا يختار منها ؟ هل يختار أشرفها وأرفعها في نظره ؟ أم يختار أسهلها وأقصرها عليه ؟ ولماذا ؟ وماهو ضابط المسألة ؟ ثم ماذا يكون موقفه بعد ذلك من الطرق الأخرى ؟.

والسؤال الأخير الذي نطرحه عليه : أليست جميع هذه الأساليب صحيحة ، وإن كان الخطأ والقصور

قد يطرأ على أي منها ، وإن كان الإفراط أو التفريط قد يتسلط على أي منها ، ولعل الجواب يكون (نعم) ! ولكن الأمر الذي يندى له الجبين أن تغيب عن أذهان كثير من سالكي هذه السبل تلك الحقيقة ، ويظن كل من سلك طريقاً منها ــ سواء لقناعته به ، أو لميول ورغبات نفسية معينة لديه ، أو لقدرات وملكات وهبها الله إياه ، أو لضرورة الواقع والظروف الزمني ، ومتطلبات المرحلة ، أو لغيرها من الأسباب ــ أن هذا فقط هو سبيل الدعوة الصحيح والوحيد . فيظل يدعو إليه ويضخم هذا الجانب على حساب الجوانب الأخرى ، وربما يحققها ويلقي اللوم على إخوانه السائرين فيها ، بل وربما يدعو إلى حصر جهود المسلمين ــ كل المسلمين ــ في رقعة محصورة وزاوية ضيقة فتكون بؤرة مضيئة حقاً ولكن حولها هالة كبيرة من الغبش والظلام ...

وإنما ظن هذا وأمثاله هذا الظن لغلبة هواه الذي جعله ينظر إلى الأمر من زاوية ضيقة ، أو لأنه يرى أن التوازن والتوافق بين جميع هذه الأساليب ضرب من المستحيل ، ومادرى أنها جميعاً روافد تصب في مصب واحد وأن الجمع بينها ممكن جداً ، والدليل على ذلك أنه وجد في سلف هذه الأمة من تحققت فيه هذه الجوانب المختلفة ، وهو فرد واحد .. فهو المعلم ، وهو الداعية .. وهو المربي .. وهو المجاهد .. وهو الواعظ وهو وهو .. إلى غير ذلك ، فإذا أمكن تحقيق هذا التوازن في حياة شخص أفلا يمكن تحقيقه في حياة أمة ؟ □



الفــراغ

إسماعيل بن صالح آل عبد الرحيم

أحسب أن المجتمع يستطيع الخلاص من مفاسد كثيرة لو أنه تحكم في أوقات فراغه ، لا بالإفادة منها بعد أن توجد ، بل بخلق الجهد الذي يستنفد كل طاقة ، ويوجه هذا وذاك إلىماينفعه في معاشه ومعاده ، فلا يبقى مجال يشعر امرؤ بعده أنه لاعمل له .

إن الفراغ في الشرق يدمر ألوف الكفايات والمواهب ، ويخفيها وراء ركام هائل من الاستهانة والاستكانة ، كما تختفي معادن الذهب والحديد في المناجم المجهولة !

يروى عن عمر بن الخطاب أنه قال : اني لأرى الرجل فيعجبني ، فإذا سألت عنه فقيل : لاحرفة له ، سقط من عيني .

وقال أيضاً : إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللاً (أي فارغاً) لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة ...

وقال حكيم : من أمضى يوماً من عمره في غير حق قضاه ، أو فرض أداه ، أو مجد أثله ، أو حمد حصله ، أو خير أسسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عق يومه ، وظلم نفسه !

والفراغ داء قتال للفكر والعقل والطاقات الجسمية ، إذ النفس لابد لها من حركة وعمل ، فإذا كانت

فارغة من ذلك تبلد الفكر وثخن العقل وضعفت حركة النفس واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب ، وربما حدث له إرادات سيئة شريرة ينفس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ (١) .

وقد نبه المصطفى ﷺ إلى غفلة الألوف من الناس عما وهبوا من نعمة العافية والوقت فقال : « نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » (٢) .

ويقصد بالفراغ : الخلو من المشاغل والمعوقات الدنيوية المانعة للمرء من حيث الاشتغال بالأمور الأخروية .

وفي الحديث الآخر : « اغتنم خمساً قبل خمس » ــ وعد منها ــ : « وفراغك قبل شغلك » (٣) .

يقول بعض الصالحين : فراغ الوقت من الأشغال نعمة عظيمة ، وكان السلف الصالحون يكرهون من الرجل أن يكون فارغاً لا هو في أمر دينه ولا هو في أمر دنياه ... ولهذا قيل : الفراغ للرجل غفلة وللنساء غلمة .. أي محرك للغريزة .

ويشتد خطر الفراغ إذا اجتمع مع فراغ الشباب الذي يتميز بقوة الغريزة والجِدة (٤) وفي هذا يقول أبو العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة !

ويقول آخر :

لقد هاج الفراغ عليه شغلاً
وأسباب البلاء من الفراغ

ولقد قطع الله تعالى المعذرة لأهل الفراغ .. بقوله : ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ، ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً ﴾ [الإسراء / ١٣] فأتاح لهم التكسب من نعم الله وفضله والنظر في مخلوقاته والتفكر فيها

١ ــ من مشكلات الشباب : الشيخ محمد بن عثيمين .
٢ ــ رواه البخاري ، رقم ٦٤١٢ .
٣ ــ رواه الحاكم في المستدرك ٤ / ٣٠٦ .
٤ ــ أي القدرة المالية .

واسترجاع طاقات العقل بما ينفع من أمور الدنيا والآخرة .

وبتعدد أنواع الفراغ يمكننا تقييم الحالات التي يصاب بها الشخص من اهدار الأعمال على هامش المفسدة ، فجعل الله صفة « الفراغ العقلي » للدواب وذلك لأنها غير مهيئة لاستخدام عقلها ، فشابهها الإنسان عندما يعطل دور عقله في تحصيل العلوم النافعة ، وهذا هو سر تمييز عمر بن الخطاب رضي الله عنه للرجال حين قال : « أصل الرجل عقله ، وحسبه دينه ، ومروءته خُلُقه » (١) .

فلابد من إدراك أهمية ملء الذهن بما ينفع ، فإذا عاش الإنسان في فراغ عقلي فإنما كتب على حياته الدمار ، وأما من ملأ عقله بما ينفعه في دنياه وآخرته فالفوز حليفه في الدنيا والآخرة ، وذلك لأنه كان يغذي عقله لما خلق له في تدبر أمر الله جل علاه والحقوق اللازمة له والتفكر في مخلوقات الله كما أمر تبارك وتعالى بذلك حين قال : « وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ [النحل / ١٢] .

وأما الفراغ القلبي .. فأوضح الله تبارك وتعالى أن ملء الفراغ القلبي يكون بالإيمان ، وهذا ماأكده ابن مسعود رحمه الله حين طلب منا أن نتفقد قلوبنا في المواطن الإيمانية بقول : « اطلب قلبك في ثلاثة مواطن : عند سماع القرآن ، وفي مجالس الذكر ، وفي أوقات الخلوة ، فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لاقلب لك » (٢) .

وماعليك في هذه المرحلة إلا أن تقضي على هذا الفراغ بتقوية صلتك بالله ، حتى تضع في قلبك إيماناً قوياً بدل فراغ قاتل يسمم حياتك .

والنفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل وذلك هو الفراغ النفسي ... فمن أطلق لنفسه العنان تهوي به ذات اليمين وذات الشمال ، فإن هذه صورة تمثل النفوس الفارغة التي صورها لنا سيد قطب بقوله :

١ ــ أدب الدنيا والدين للماوردي / ١٩ .
٢ ــ الفوائد لابن القيم / ١٤٨ .

« إنها صورة (النفوس الفارغة) التي لاتعرف الجد ، فتلهو في أخطر المواقف وتهزل في مواطن الجد ، وتستهتر في مواطن القداسة ...

والنفس التي تفرغ من الجد والاحتفال بالقداسة تنتهي إلى حالة من التفاهة والجدب والانحلال ، فلا تصلح للنهوض بعبء ولا الاضطلاع بواجب ، ولا القيام بتكليف وتغدو الحياة فيها عاطلة هينة رخيصة » (١) .

فهذه هي حالة النفوس الفارغة .. فلا قول ولا عمل ولا إيمان ولا دين .. همها اللعب واللهو في الدنيا ويتبعه حسرة وندامة يوم القيامة .

إن إدراك الإنسان قيمة الزمن ، وإيجاد الحل للفراغ ليس إلا إدراكاً لوجوده وإنسانيته ووظيفته في ركام هذه الحياة .

فأين الذين قاموا بما تقتضيه هذه الخصال فإن الحساب عسير . يقول الحسن البصري رحمه الله : أدركت أقواماً كانوا على أوقاتهم أشد منكم حرصاً على دراهمكم ودنانيركم ! .

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه : ماندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه ، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي .

وإذا كان هذا هو حرص سلفنا على الوقت وتقدير قيمته وخطره ، فإن مما يدمي القلب ، ويمزق الكبد أسى وأسفاً : مانراه اليوم عند المسلمين من إضاعة للأوقات فاقت حد التبذير إلى التبديد . حتى يجلسون الساعات الطوال من ليل أو نهار حول مائدة النرد أو رقعة الشطرنج ، أو لعب الورق ... أو غير ذلك ــ مما يحل أو يحرم ــ لا يبالون لاهين عن ذكر الله وعن الصلاة ، فإذا سألتهم عن عملهم هذا قالوا بعبارة تفقدك الأمل فيهم (نقتل الوقت) ومايدرون أنهم يقتلون أنفسهم في الحقيقة ، وسوف يندمون حين يقال لهم : ﴿ أو لم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾ [فاطر / ٣٧] .

إذاً فالفراغ داء قتال إذا لم يمضه صاحبه بما ينفع وإذا أراد الله سبحانه بالعبد خيراً أعانه بالوقت وجعل وقته

---

١ ــ الظلال ٤ / ٢٣٦٧ .

مساعداً له ، وإذا أراد شراً جعل وقته عليه ، وناكده وقته . حتى يفقد وظيفته في هذه الحياة .

وأفضل ماتصان به حياة إنسان أن يرسم لها منهاجاً يستغرق أوقاتها ، ولا تترك فرصة للشيطان أن يتطرق إليها بوسوسة ، أو إضلال ، فإن ذلك هو بداية حمل النفس على المتاعب العقلية والبدنية من غير عمل ناجح .

إن المسلم يغالي بالوقت مغالاة شديدة لأن الوقت عمره ، فإذا سمح بضياعه ، وترك العوادي تنهبه فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش ، والإسلام دين يعرف قيمة الوقت وخطر الفراغ ، ويقدر خطورة الزمن يؤكد الحكمة الغالية « الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك » ومافشت المنكرات وازدادت حدة العصيان وانتشار الجرائم إلا بازدياد نسبة الفراغ ذلك لأنه يفتح على هؤلاء المجانين أبواباً عديدة ... على رأس كل باب شيطان يدعو إلى الرذيلة ، فعند ذلك هل يتحكم الشخص بعقله أمام هذه الأبواب فيربي فراغه على التحصيل والاستفادة أم ينفذ من أحد هذه الأبواب ؟!

فالزمن نعمة جلي ومنة كبرى لا يدريها ويستفيد منها كل الفائدة إلا الموفقون الأفذاذ ، قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : « إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما » نعم أنت خلقت للعبادة والعبادة عمل تستلزم منك عدم إهدار أوقاتها بين الغفلة والكسل ... ويقول الحسن البصري : « ياابن آدم .. إنما أنت أيام فإذا ذهب يوم ذهب بعضك » ، فالإنسان مأمور باغتنام أوقات فراغه .. حتى ولو لم تكن مناسبة للاغتنام ، لأن الأماني والأحلام لا تصنع حاضراً ولا تبني مستقبلاً ، وهذا ماعناه أحمد بن فارس الرازي بقوله :

إذا كان يؤذيك حر المصيف
ويبس الخريف وبرد الشتا
ويُلهيك حسن زمان الربيع
فأخذك للعلم قل لي : متى ؟!

والأيام تنطوي على ماعمل فيها بلا استرجاع إلى يوم القيامة فأهل الفراغ تطوى صحائفهم اليومية معظمها على عتبة الفراغ .. والبطالة .. إن هؤلاء هم أولى بالحجر عليهم من الحجر على إهل أضاعة المال ، فهذا يمكن استرجاعه والتصرف فيه والاستفادة منه أما الوقت فلا !

يقول الإمام الحسن البصري :
« مامن يوم ينشق فجره إلا وينادي : ياابن آدم ، أنا خلق جديد ، وعلى عملك شهيد ، فتزود مني ، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة » ولو قلبنا صفحات تاريخنا الإسلامي لوجدناه مليئاً برجال سابقوا الزمان ، وملؤوه بالعلم والمعرفة ، فتخلد ذكرهم وهم بين طبقات الثرى ، كانوا دائماً بين أروقة العلم والعبادة لأن قيمة الزمن عندهم ترتبط بالغاية من الخلق وهي العبادة .

ومع ذلك فإننا نحن الآن لانبني بفراغنا شيئاً ثمرته خير للأمة والفرد لأننا لا نبالي بمرور الوقت الذي استغله وتحكم فيه أعداؤنا ، فمثلاً لقد أهدرنا وقت قراءة القرآن الذي هو الروح لتحريك الأمة وهو مصنع الرجال الأفذاذ .

ولي دعوة في آخر هذا المطاف للشباب لأنهم هم عماد المستقبل ، وهم القوة الدافعة لحضارات الأمم وتقدمها ، وهم أصحاب طاقات جبارة تتفجر في وسط العالم لأنها هي مرحلة الإنتاج ، أدعوهم إلى استغلال هذا الوقت العنفواني المزهر في تربية النفس وصقلها بين أجنحة المواهب ، وصرف الهمم إلى الإنتاج البشري المثمر ، ذلك لأني أرى الكثيرين من شباب اليوم فارغي النفوس والقلوب والرؤوس ... فلا علم ولا عمل ، ولا دين ولا إيمان .. ولا نرى لهم أثراً على الساحة العالمية سوى الانتصارات الرياضيــة ، والانخراط في سلك التائهين .. والناظر إلى الغرب وواقع الشباب فيه يدرك مدى الانحطاط الخلقي الذي يغوص في وحله الألوف من أصحاب الصرعات الانحرافية التي بدأ فيروسها ينتقل إلى طاقات الشباب الإسلامي حتى يعيشوا في خواء روحي وفراغ عقلي . نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق □

* * *

أدب وتاريخ

- اليقين (قصة قصيرة)
- أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستنتية .
- قراءات تاريخية .

اليقين

وائل صبري

الحمد لله المعطي والمانع ...

قال الزوج هذه الكلمات من أعماق قلبه وهو يرفع بصره إلى السماء ، متأملاً في نجومها المتلألئة وهي تسبح في بحر كثيف من السواد الداكن ..

كان الفرح ينمو ويكبر في ذلك القلب المرهف كزهرة تفتحت أكمامها مع بداية الربيع ... وكان الكون كله من حوله يبدو ــ في عينيه ــ باسماً أنيساً ملؤه المحبة والفرح والأمل ... وكان يشعر وكأن الدنيا بأسرها تزف إليه التهاني مع كل نسمة للأثير في تلك الليلة الجميلة ..

كيف لا ؟ وقد سمع ذلك الخبر الذي كان ينتظره منذ سنين ... ينتظره وقلبه مفعم بالأمل والرجاء واليقين .. مبارك إن شاء الله .. زوجتك حامل ..

كان هذا هو الخبر ... وكانت تلك هي الكلمات .. أما المشاعر فكان

لايعلم وصفاً لحالها إلا الله ..

.. وعاد الزوج إلى البيت .. وفتح كتاب الله الكريم على الآيات التي كان كثيراً مايقرؤها ودمعة وحيدة حرى تترقرق في عينيه ... وبدأ يقرأ .. ﴿ كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفياً . قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً . وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً . ﴾ ولكن الدموع كانت في هذه المرة تنهمر من عينيه سيلاً مدراراً يغسل وجنتيه الوضيئتين ويخضب لحيته الكثيفة .. وفي يوم الجمعة .. عندما ذهب إلى المسجد .. أشرق وجهه بالبشر والحبور .. وامتلأ صدره بالثقة والأمل ... وهو يسمع الخطيب يتحدث عن الأولاد والبنين ، ويهدر بصوته ، قائلاً : .. وكيف لاتفرح أيها الأب بفلذة كبدك وتعتني به .. وهو امتداد لسجودك وركوعك وتسبيحك وتهليلك .. وهو قطعة من جسدك تمشي أمامك على الأرض ...

وخرج من المسجد ولسان حاله يقول : سأعتني به إن شاء الله .. وسأعمل على أن يكون امتداداً حقيقياً مباركاً لركوعي وسجودي وتسبيحي وتهليلي بإذن الله رب العالمين ..

ومرت الأيام .. وكان يتردد ــ أثناءها ــ بشكل دوري على المستشفى مع زوجه لإجراء الفحوص الطبية المعتادة .. إلى أن جاء يوم ...

ــ هذا هراء ... غير معقول !!

كان الزوج يقول هذه الكلمات للطبيب ــ في ذلك اليوم ــ والنيران تتأجج في قلبه ... ويزيد أوارها أنين زوجه المسكينة التي أذهلها هول الموقف فلم تجد تعبيراً عما في فؤادها المشتعل أصدق

من الدموع ..

ــ هذا ليس هراء ياسيدي .. وهذه هي الصورة أمامك .. إن هذا الشيء الذي يسكن رحم زوجك الفاضلة ليس جنيناً ... أنا لم أر في حياتي مثل هذا .. إنه .. إنه ياسيدي شيء أو مخلوق لايعلم طبيعته إلا الله !!..
ونظر الزوج إلى الصورة مرة أخرى .. ثم أشاح بوجهه .. فقد كانت الصورة التي أجريت لرحم زوجته غريبة حقاً .. ففي وسط الصورة ... وحيث كان يفترض أن تظهر ملامح الجنين المعروفة .. لم يكن يبدو سوى كتلة ملتفة من اللحم دون أية أطراف أو معالم .. كانت الصورة ــ كما قدر الجميع ــ لمخلوق لم ير إنسان له مثيلاً على الإطلاق .. غير أن أحداً لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة في ذلك الموقف الرهيب ..

وانقضت دقائق ثقيلة من الصمت كأنها دهر .. تماسك بعدها الزوج المجروح وقال موجهاً حديثه للطبيب :
ــ والعمل ؟ .. أقصد .. ماذا تقترح أن نفعل الآن أيها الطبيب ؟..
ــ في الحقيقة ... أعتقد أن الأمر الوحيد الذي يمكن عمله الآن هو .. هو الإجهاض ..
ــ ماذا ؟ .. الإجهاض ..
ــ أعتقد أنه لامفر من ذلك ياسيدي على الإطلاق .. ربما يكون ذلك مؤلماً بعض الشيء .. إلا أنني أظن أن الألم سيكون مضاعفاً .. وطويلاً .. بعد ذلك إذا لم نتدارك الأمر الآن .. وأعتقد أنكم تفهمون تماماً ماأعنيه .

قالها الطبيب وهو ينظر إلى نظرات الزوجين التي تلاقت في حوار صامت قصير ولسان حالهما يقول : إننا نفهم تماماً ماتعنيه .. ياسيدي الطبيب ..

ومرة أخرى .. ساد الصمت الثقيل أرجاء الغرفة .. لكنه كان في هذه المرة صمتاً له دوي هائل .. لم يقطعه غير كلمات الزوج الهادئة الرتيبة :

ـــ حسناً .. حسناً .. سنفكر ملياً في هذا الأمر .. وأعتقد أن لدينا متسعاً من الوقت على كل حال .. شكراً .. السلام عليكم ..

وخرج الزوج .. وزوجه التي لم تنطق بحرف واحد طوال الوقت تتكيء على ذراعه .. ونظر الطبيب قليلاً إلى الممرضتين اللتين شهدتا المشهد كله .. ثم أطرق برأسه .. وألقى بيديه في جيوب معطفه وغادر الغرفة هو الآخر .. فقد كان الموقف لا يحتمل أي كلام ..

لم يصل الزوجان إلى البيت إلا وكان الزوج قد فكر ملياً وحسم الأمر ... وكان هذا علامة على عودة مؤشر قلب هذا الرجل الكبير للاستقرار على موجة الإيمان واليقين التي عهدها في نفسه .. وعهدها الناس فيه .. بعد تلك الهزة العنيفة ...

ومع أول خطوة داخل المنزل قال :

ـــ لقد انتهى الأمر .. والأمر لله من قبل ومن بعد على كل حال ..

ثم أردف موضحاً حين رأى عيون زوجه الدامعة مليئة بالتساؤل والاستفهام :

ـــ لقد نفخت الروح ـــ والله أعلم ـــ في هذا الجنين .. فأنت الآن في شهرك السادس .. والإجهاض معناه الآن قتل هذا المخلوق المسكين .. وهذا مالا نفعله على الإطلاق .. إن شاء الله ..

كانت الكلمات تنساب من فمه بهدوء وطمأنينة غريبة .. ورغم أن تباشير دمعة حارة كانت تترقرق في عينيه إلا أنه مضى يقول :

ـــ إن الله هو الذي ينفخ من روحه في هذا المخلوق .. وهو .. هو

وحده الذي يحق له أن يأخذ ماأعطاه .. أما نحن .. فليس لنا من الأمر شيء .. غير الدعاء والرجاء ..

واستسلمت الزوجة الحزينة أول الأمر .. ودونما إدراك منها لطبيعة ذلك الاستسلام .. هل كان قناعة منها بكلمات زوجها ؟ أم كان رضى بالأمر الواقع ؟ .. أم أن الذهول الذي أصابها منذ اللحظة الأولى كان يلفها في حناياها فلا تجد في نفسها قدرة على التفكير واتخاذ القرار ؟..

والحقيقة أن هذا كان التفسير الحقيقي لموقفها بادىء الأمر .. إلا أن مشاعر اليقين والصبر والرجاء والتي كان زوجها يبثها ــ دائماً ــ في كل مناسبة .. سرعان مابدأت تتغلغل في أعماق فؤادها الكليم لتملأه شيئاً فشيئاً أمناً وطمأنينة وسكينة .. لم تستطع أن تفسره إلا أنه كان رحمة وعوناً من الله ..

وبهذه المشاعر المفعمة بالتعلق بالله الواحد الأحد .. واجهت ــ أكثر من مرة ــ موقف بعض الممرضات اللواتي عرضن عليها ــ خفية ودون علم زوجها ــ ومن منطلق الإشفاق والرثاء ! مساعدتها في التخلص من حملها العجيب .. مرة بالأدوية والعقاقير .. وأخرى بالتعب والإرهاق .. وثالثة بطرق أخرى .. غير أنها كانت تتذكر في كل مرة كلمات زوجها عن الواهب .. الواهب الذي له وحده الحق في أخذ ماوهب .. فتقف بكل إصرار في وجه تلك المحاولات التي ظلت تتكرر حتى الأيام الأخيرة التي سبقت موعد ولادتها .. هذه الولادة التي كانت تترقبها جموع العاملين في المستشفى .. بعد أن طارت بقصتها الركبان .. داخل المستشفى وخارجه .. إلى أن جاء ذلك اليوم المشهود ..

ــ أنا لاأصدق ماأرى !! .. الله أكبر .. الله أكبر .. ماأجمل هذه المولودة ..

بهذه الكلمات الممزوجة بدموع الفرح .. كانت تصيح الطبيبة التي أشرفت على ولادة الأم المؤمنة الصبور .. وسرى الخبر سريان الكهرباء في أسلاكه بين جموع المرتقبين ... وكأن مساً أو عدوى أصابت الجميع ، فإذا دموع الفرح تنهمر من عيون خليط غريب غير متجانس من البشر .. ليغرق الجميع في موجة صاخبة من التهاني والفرح وهم يروون ماحدث :

ــ لقد كانت مولودة جميلة .. فيها شيء واحد غريب .. فقد كان شعرها طويلاً مسدلاً .. ولما كانت متكورة على نفسها في رحم أمها .. فقد كان الشعر يغطي جسمها الصغير .. الأمر الذي أظهرها في الصورة على ذلك الشكل الغريب ..

وفي تلك الأثناء كان الزوج ساجداً في غرفة الانتظار .. كان قد سمع بالخبر وعلم بتفاصيله .. بل كان قد رأى الطفلة وانطلق بالآذان في أذنها الصغيرة ... وحنكها بشيء من التمر اتباعاً لسنة نبيه العظيم .. لكنه كان في تلك اللحظات يهيم بقلبه وروحه بعيداً .. بعيداً .. عن كل هؤلاء الناس .. حتى أنه ماعاد يسمع شيئاً من كل ذلك الضجيج ..

كان إحساسه كله يتركز في أن الأمر كله كان امتحاناً لصبره وإيمانه .. امتحاناً ليقينه .. وكان ــ وهو ساجد سجدة الشكر ــ يحس أنه بعون الله نجح في ذلك الامتحان .. وبدرجة الامتياز .. □



أثر الإسلام في حركة الإصلاح البروتستنتية

د . السيد محمد الشاهد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله .

تتفق المصادر العربية والغربية على أن العصور الوسطى المسيحية كانت امتداداً للعصور التي سبقتها من حيث احتكار الكنيسة لحق تسيير جميع شئون الحياة العامة والخاصة في الغرب ، كما تتفق على أن ذلك الوضع كان سبباً في ركود الحضارة الغربية التي بدأت عند اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد ثم توارت آثارها بعد سيطرة الكنيسة في الدولة الرومانية ابتداء من القرن الرابع الميلادي .

ويطلق المؤرخون على الفترة الواقعة بين القرن الرابع وحتى العاشر الميلاديين « عصر الظلام » كما يطلق بعض المؤرخين المحدثين على الفترة التي تلتها أي العصور الوسطى « عصر الجهالة » ، كما يقول « ساذرن » في كتابه « نظرة الغرب إلى الإسلام في العصور الوسطى » ولديورانت في كتابه « قصة الحضارة » انظر ج ٢٧ ، صفحة ١١٤ .

وقد عم ظلم رجال الكنيسة البسطاء الذين كانت تفرض عليهم الضرائب الباهظة والتي كانت كثيراً ماتؤدي بهم إلى الاسترقاق لخدمة رجال الكنيسة سداداً لديونهم إلى

جانب اعتمادهم المطلق على رجال الكنيسة فيما يتعلق بأمور دينهم لجهلهم بالكتاب المقدس الذي كان مكتوباً باللغة اللاتينية التي لايعرفها سوى قلة نادرة .

أما الساسة فكانوا يعينون ويعزلون حسب رغبة رجال الكنيسة بسبب تعاطفهم مع أفراد الشعب البسطاء أو إهمال إرسال نصيب الكنيسة من الضرائب أو ماإلى ذلك .

أما العلماء فكانوا يتهمون بالسحر والزندقة إذا قالوا بآراء علمية تخالف آراء رجال الكنيسة ، ومن أشهر الأمثلة على ذلك إعدام جيرارد وبرونو (١٦٠٠ م) ، ومحاكمة جاليلو (١٦٤٢ م) حيث اضطر إلى الرجوع عن قوله بدوران الأرض إنقاذاً لحياته .

بذلك اتسعت الجبهة المناوئة للكنيسة فضمت كثيراً من أفراد الشعب البسطاء وبعض الساسة ، وكثيراً من العلماء بالإضافة إلى بعض رجال الكنيسة الذين كانوا غير راضين عن هذا الظلم .

وفي تلك الفترة كان الإسلام قد عرف في الغرب ، خاصة بعد أن انتشرت أقسام تعليم اللغة العربية في معظم جامعات أوربا بعد موافقة الكنيسة على ذلك في عام ١٣١٥ م ، بغرض محاربة الإسلام ونشر النصرانية (التنصير) ، وقد كانت توجد ترجمة لمعاني القرآن الكريم منذ عام ١١٤٣ أنجزها أحد رجال الكنيسة يدعى روبرت الكينوتي ، وقد ظهر بعد ذلك بفترة وجيزة أول معجم عربي لاتيني . (انظر : تراث الإسلام شاخت وبوزوورث ١ / ٣٩) .

وبذلك تيسر للغربيين الاطلاع على إنتاج المسلمين الفكري بالإضافة إلى التعرف على الإسلام من مصادره ، ففي منتصف القرن الثالث عشر الميلادي كان هناك عالم نصراني يجيد العربية ، ويحفظ القرآن الكريم ، وصحيحي البخاري ومسلم ، وكان يدعى (ريموند مارتيني) ، وقد حاول هذا الرجل معارضة القرآن بسورة ركيكة نسجها باللغة العربية على منوال بعض آيات القرآن ، ونص هذه السورة التي اخترعها لايزال محفوظاً في بعض المصادر العلمية (انظر : الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، قاسم

السامرائي ، ص ٩٠) .

مما سبق يتأكد لنا أن الإسلام كان معروفاً بشكل جيد في الغرب خاصة عند رجال الكنيسة المهتمين بالتنصير وكذلك بين معظم العلماء من غير رجال الكنيسة ، ولم تقتصر معرفة هؤلاء على كتب الفلسفة الإسلامية أو العلوم الطبيعية كما هو شائع في مصادر تاريخ الفلسفة ولكن كانت كتب العقيدة الإسلامية وأولها القرآن الكريم ، وكتب السنة النبوية من أوائل ماااهتموا به وترجموه إلى لغتهم اللاتينية حيث سبقت ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية كتب فلسفة ابن رشد التي يعزو إليها كثير من المؤرخين التأثير القوي للإسلام على الفكر الغربي ، وهذا الواقع يثبت خطأ ادعاء مفكري الغرب بأن أسلافهم في العصور الوسطى كانوا يهتمون فقط بترجمة كتب الفلسفة اليونانية التي كان العرب قد نقلوها إلى العربية ، وقد فقدت أصولها اليونانية بعد ذلك .

ويمكننا أيضاً أن نقول بأن الفلسفة والعلوم العربية الإسلامية قد أيقظت وأثرت الفكر والعلوم الغربية بينما كان أثر العقيدة الإسلامية أبعد في إيقاظ الفكر الغربي بشكل عام ، والفكر الديني بشكل خاص .

وقد كان لانتشار المعرفة بالإسلام عقيدة وفكراً ولغة بين العلماء والمهتمين بأمور الدين أن وجدت الكنيسة نفسها في مواجهة جبهتين : جبهة داخلية يمثلها بعض العلماء والحكام وكثير من أفراد الشعب البسطاء . وجبهة خارجية يمثلها الإسلام والفكر الإسلامي عن طريق من تأثروا به وأعجبوا بمبادئه وقوة حجته .

ولم ينج بعض رجال الكنيسة من هذا التأثر والإعجاب ، فكانوا بذلك سنداً لمعارضي الكنيسة دون قصد في غالب الأحيان ، وكانت النتيجة الحتمية لازدياد طغيان الكنيسة وتشددها في محاربة كل مامن شأنه دفع عجلة التقدم والتحضر ومحاولة اللحاق بالحضارة الإسلامية أن انفجر صراع مرير بين الكنيسة ومعارضيها الذين حاولوا إصلاحها من الداخل دون جدوى فنشبت الحرب الشهيرة التي قادها « مارتن لوثر » عام ١٥٢١ م تقريباً واستمرت حوالي ثلاثين عاماً راح ضحيتها ملايين من البشر من النصارى أنصار الكنيسة

والمعارضة وتعرف هذه الحرب بحرب الثلاثين عاماً أو حرب الفلاحين ، والتي أدت إلى انشطار الكنيسة الكاثولوكية إلى كنيستين : كاثولوكية وبروتستنتية (أي المعارضين) وتسمى أيضاً الكنيسة الانجيلية لأن مؤسسها « مارتن لوثر » (ت ١٥٤٦ م) كان أول من أمر بترجمة الكتاب المقدس (التوراة والانجيل : العهد القديم والعهد الجديد) إلى اللغات المحلية ، آنذاك ، وأولها اللغة الألمانية .

ولم تكن ثورة لوثر ولا معارضات سابقيه من رجال الكنيسة والعلماء خلال العصور الوسطى وعصر النهضة (أي من القرن الحادي عشر إلى السادس عشر الميلادي) نتيجة سوء الأوضاع الداخلية وفساد الكنيسة الاجتماعي والخلقي فحسب بل لابد من اعتبار سبب آخر يضاف إلى ذلك جعل توقيت هذا الانفجار يتأخر إلى القرن السادس عشر ولا يحدث مثلاً في عصور الآباء (عصر الظلام) حيث كان طغيان الكنيسة ومساؤها أكثر منه فيما تلا ذلك من قرون .

هذا السبب الآخر والأقوى في نظري ، هو انتشار المعرفة بالإسلام ، عقيدة وفكراً في الغرب ، فقد كان الإسلام هو المحرك للعقل الأوربي بعد أن أيقظه من سبات دام طوال عصور الظلام والعصور الوسطى ، كما يقول « غوستاف لوبون » في كتابه حضارة العرب (ص ٥٢٧) ، أما مارتن لوثر فإنه من المأثور عنه أنه كان يعرف القرآن معرفة جيدة ، وله كتابات تهجم فيها عليه تدل على مدى اهتمامه بالقرآن وتأثره به (انظر مجلة عالم الكتب ، مجلد ٦ ، العدد ٤ / ١٤٠٦ هـ ، ص ٥٥٥) ، وقد كان رجال الكنيسة المحافظون يتهمونه بأنه يريد أن يقيم مملكة محمد ﷺ بدلاً من مملكة عيسى عليه السلام ، ويستشهدون على ذلك بدخول بعض أنصاره في الدين الإسلامي . (انظر : الاستشراق : قاسم السامرائي ، ص ٢٥) .

ويعتبر هذا دليلاً قوياً على انتشار الإسلام بين بعض معارضي الكنيسة وتأثر الكثير منهم به ، لأن مثل هذا الاتهام لايمكن أن يأتي من فراغ .

أما الدليل الواضح على صحة ادعائي بتأثر مارتن لوثر وحركته الاصلاحية بالإسلام تأثراً قوياً فهو

مايجده القارىء واضحاً في مبادىء عقيدته الجديدة ، والتي يعتقدها نصف المسيحيين تقريباً ، أي عقيدة « البروتستنت » وأهم هذه المبادىء التي تعكس بوضوح أثر الإسلام فيها هي :

١ ــ منع اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها .
٢ ــ رفضه لوساطة رجل الكنيسة بين العبد وربه عند طلب المغفرة ، والصلاة على القديسين ، وعصمة الباباوات .
٣ ــ إيمانه بالقضاء والقدر مع مسؤولية الإنسان عن أفعاله .
٤ ــ رفضه لعقيدة الذنب الموروث ، وإيمانه بأن رحمة الله تسع كل شيء .
٥ ــ اعتماده على العقل في فهم النصوص الدينية مع تفضيله الإيمان بالنص إذا تعارض مع العقل .
٦ ــ اعتماده الكتاب المقدس الذي جاء به عيسى عليه السلام المصدر الوحيد للإيمان ، وليس ماصدر عن الباباوات .
٧ ــ أمره بترجمة الكتاب المقدس إلى لغات أخرى متداولة (محلية) ، بعد أن كانت الكنيسة تحرم ذلك وتمنع الصلاة بلغة أخرى غير اللاتينية التي لم يكن يفهمها من يردد كلماتها من غير المتعلمين .

أضف إلى ذلك ماكان يقوله عن بابا الكنيسة : « إن المسيح الدجال الحقيقي في الواقع ليس محمداً بل البابا في روما .. وأن كنيسة روما هي كنيسة الشيطان ، وقد ألف في ذلك كتاباً أسماه « ضد البابوية التي أسسها الشيطان » .

لقد ساعد لوثر مناوئي الكنيسة من العلماء ، بطريق غير مباشر ودون أن يقصد إلى حرمان الكنيسة من الإشراف على شؤون الحياة العامة ، إذ انفصلت السلطة السياسية والفكرية عن السلطة الدينية وظهر مانسميه في اللغة العربية خطأ « بالعلمانية » ، وحقيقة المصطلح في أصله اللاتيني لابد أن يترجم إلى « العصرانية » .

وقد كان لهجوم لوثر الكاسح على الكنيسة ، والذي أسفر عن شطرها إلى كنيستين ناصبت كل منهما الأخرى العداء ، كان ذلك بتأييد غير مباشر لما نادى به العلماء والسياسيون من فصل شؤونهم عن الكنيسة أي « عصرنة » الحياة العلمية

والسياسية .

ولايمكن في هذا المجال إهمال أثر الإسلام المباشر في نشأة الاتجاه العصراني في الغرب الذي بدأ في الظهور بعد الاحتكاك المباشر بالمسلمين وبالإسلام ، بدءاً من القرن التاسع الميلادي ، حيث ظهر هذا الأثر واضحاً في بعض الشخصيات العلمية المعروفة في الغرب آنذاك وبعده ، حيث يمكننا أن نفرق بين ثلاث مراحل للعصرانية .

١ ـــ عصرانية علمية .
٢ ـــ عصرانية سياسية .
٣ ـــ عصرانية قانونية .

بدأت في القرن الحادي عشر واكتملت في القرن التاسع عشر بتأميم أملاك الكنيسة .

ويعتبر بطرس أبيلارد (١٠٧٩ ـــ ١١٤٢) من أوائل من نادوا باستقلال العلم عن الدين الكنسي ، الذي لم يجد فيه أي مساعدة أو تشجيع على تحصيل العلم ، بل وجد محاربة العلماء بشتى الطرق ، وكان أبيلارد ممن تأثروا بالفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية التي كانت قد انتشرت في أوربا عن طريق الترجمة خاصة في الأندلس ، وكانت معرفته بالإسلام سبباً مباشراً لوقوفه ضد رجال الكنيسة واتهامهم بالجهل حتى بالكتاب المقدس الذي تناوله هو بالنقد ، وألف كتاباً أسماه « نعم ولا » ناقش فيه كل ماجاء في الكتاب المقدس ، وأشار إلى التحريفات التي دخلت إليه ورفضها وأثبت خطأها ، حتى قيل : إنه كان يستغني بكتاب أبيلارد الموسوم بـ (نعم ولا) عن الكتاب المقدس أو أنه قد أصبح (بالفعل) يغني عن دراسة الكتاب المقدس كما يقول (كولتون) (انظر : نشأة الجامعات في العصور الوسطى : جوزيف نسيم ، الاسكندرية ١٩٧١ م ، ص ٩٩ ـــ ١٠٣) .

ولقد ظل هذا الاتجاه ينمو في أوربا طوال القرون التالية حتى ظهر روجر بيكون (ت ١٢٩٤ م) وتلاه مارسيليو البادوفاني (ت ١٣٤٣ م) ووليام الأوكامي (ت ١٣٥٠ م) ونادوا جميعاً باستقلال العلم عن الكنيسة . (انظر : الاستشراق ، قاسم السامرائي ، ص ٧٥ ـــ ٧٦ ، فلسفة العصور الوسطى ، عبد الرحمن بدوي ، ص ٧٩ ـــ ٨٤ ،

١٦٦ ، ١٨٢ ، ومابعدها) .

وقد زاد هذا الاتجاه وانتشر مع زيادة الإقبال على قراءة الإسلام والفكر الإسلامي واكتشاف البون الشاسع بين موقف الكنيسة المناوىء للعلم والعلماء ، وموقف الإسلام الذي يجعل تحصيل العلم عبادة وفرض على كل قادر ويرفع شأن العلماء حتى يجعلهم ورثة الأنبياء .

ويبقى لنا سؤال في هذا المجال : لو افترضنا أن رجال الكنيسة كانوا قد استجابوا إلى مانادى به العلماء والمفكرون وأصلحوا مساوئهم ، هل كان ذلك سوف يؤدي إلى إنهاء التيار أو الاتجاه العصراني المعادي لسلطة الكنيسة المطلقة ؟.

الحقيقة أن هذا الاتجاه كان سيستمر رغم ذلك ، لأن الكتاب المقدس بغض النظر عن كونه محرفاً ، يخلو من أي تصور محدد لنظام سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي أو علمي .

هكذا نرى أن العصرانية كانت تطوراً طبيعياً للأوضاع الدينية والفكرية التي سادت أوربا في تلك الفترة ونتيجة منطقية للنقص الموجود في الكتاب المقدس وعدم صلاحيه لتسيير أمور الحياة العامة ، لخلوه من أي تصور سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي ... الخ ، وأهمية هذا الايضاح تكمن في كونها رداً على من ينادي بتبني العصرانية في مجتمعنا الإسلامي تقليداً للغرب النصراني ، فإن كانت العصرانية قد ظهرت لتعوض نقصاً في الأناجيل من الناحية السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية ، فالإسلام قد جمع كل ذلك في تصور كامل يعجز العقل البشري عن محاكاته فضلاً عن أن يأتي بأفضل منه . والله من وراء القصد □

* * *

* * * *

قراءات تاريخية

موسى بن نصير

عندما تولى موسى بن نصير أفريقية والمغرب كانت البلاد في قحط شديد ، فأمر الناس بالصوم والصلاة وإصلاح ذات البين ، وخرج بهم إلى الصحراء ، ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين أولادها ، فوقع البكاء والصراخ والضجيج وأقام على ذلك إلى منتصف النهار ، ثم صلى ، وخطب الناس ، ولم يذكر الوليد ابن عبد الملك فقيل له : ألا تدعو لأمير المؤمنين ؟ فقال : هذا مقام لايدعى فيه لغير الله عز وجل . فسقوا حتى رووا .

ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ٥ / ٣١٩

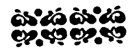
□□□□□□

ونكرهم بأيام الله

كان القاضي منذر البلوطي إماماً عالماً فصيحاً خطيباً شاعراً أديباً ، كثير الفضل ، جامعاً لصنوف الخير والتقوى والزهد ، له وقع في النفوس وعليه حلاوة

وطلاوة ، دخل يوماً على الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي وقد فرغ من بناء المدينة الزهراء وقصورها ، وقد بني له فيها قصر عظيم منيف ، وقد زخرف بأنواع الدهانات وكسي الستور ، وجلس عنده رؤوس دولته وأمراؤه ، فجاءه القاضي فجلس إلى جانبه ، وجعل الحاضرون يثنون على ذلك البناء ويمدحونه ، والقاضي ساكت لايتكلم فالتفت إليه الملك وقال : ماتقول أنت ياأبا الحكم ؟ فبكى القاضي وانحدرت دموعه على لحيته فقال : ماكنت أظن أن الشيطان أخزاه الله يبلغ منك هذا المبلغ المفضح المهتك المهلك لصاحبه في الدنيا والآخرة ، ولا أنك تمكنه من قيادك مع ماآتاك الله وفضلك به على كثير من الناس ، حتى أنزلك منازل الكافرين والفاسقين . قال الله تعالى : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون وزخرفاً ... ﴾ [الزخرف / ٣٣] . قال : فوجم الملك عند ذلك وبكى وقال : جزاك الله خيراً ، وأكثر في المسلمين مثلك .

ابن كثير ــ البداية والنهاية ١١ / ٣٠٧



قائـــد ... وأمة

د. محمد محمد بدري

يتطلع كثير من الإسلاميين إلى السماء مبتهلين إلى الله تعالى أن يرزقهم قائداً كصلاح الدين ... ويرى الكثيرون أنه لاينقصنا إلا القيادة الحكيمة ، وأن هذه الصحوة الإسلامية التي تملأ الآفاق لاينقصها إلا القائد المتميز فقط !!

ولاشك أن هذه هي إحدى طرقنا الخاطئة في التفكير والنظر وهي « النظرة الأحادية » ... فنحن نتعلق دائماً بما يمكن أن نسميه « الرجل الوحيد » .. رجل أسطورة يغير واقعنا في لحظة ويتحول بنا من مؤخرة القافلة البشرية إلى قيادتها بضربة واحدة من عصاه السحرية ؟! .. ولا ندري كم من السنين سوف نقضيها لندرك عجز الرجل الوحيد عن حل مشاكلنا وتغيير واقعنا ؟!.

إن هذا الفهم الخاطىء لدور القائد والأمة في تحمل المسئوليات يضر بالقادة ويضر بالأفراد ، فعلى مستوى القادة ينمي فيهم هذا الفهم الفردية في التخطيط ويجعلهم يتصارعون مع كل من يحاول المشاركة في الرأي أو العمل ، وفي نفس الوقت فإن هؤلاء القادة لا يستطيعون عمل كل شيء بمفردهم فينتهي الأمر إلى الفشل والاحباط ..، ثم لنفرض أن لديهم إمكانية القيادة بمفردهم إلا أن هذا النوع من التفكير والعمل يسبب وأد القيادات الوسيطة . وأما على مستوى الأفراد فإن هذا الفهم يطمس في عقولهم

مفهوم المسئولية الجماعية ، ويشيع فيهم روح التواكل على القيادات وحدها ... فإذا دعاها الداعي إلى التضحية أجاب لسان حالها ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ ومهما كانت قسوة الهزيمة أمام عيونها فإنها تظل تنتظر حدوث المعجزة وظهور القائد المخلِّص !! بل وينفق الأفراد أوقاتهم في الحديث عن هويته وشخصيته ؟!.

وغاب عن هؤلاء أن صلاح الدين يوسف بن أيوب لم يقم بما قام به بمفرده ، ولم ينتصر وحده والناس يتواكلون لايريدون بذل جهد ولا تقديم تضحية ، وإنما كان مع صلاح الدين رجال يعملون ويضحون ...

وإذن ، فالاعتقاد بأن حاجتنا هي فقط لقائد مسلم ملهم أمر وفهم خطر وضار لأسباب كثيرة أولها وأهمها :

أنه يصطدم بالقوانين القرآنية التي تقرر أن التغيير إلى الأفضل أو الأسوأ لايحدث إلا إذا سبقه تغيير جماعي يقوم به « القوم » « الأفراد » لما بالأنفس من مفاهيم واتجاهات .. قال عز وجل : ﴿ إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم ﴾ .

فالآية كما نرى تربط التغيير بتغيير ما « بقوم » « جماعة » و « أمة » ... وليست فرد واحد ... « أمة » بالمصطلح الإسلامي لكلمة « أمة » .. وهي الجماعة التي تدين بعقيدة واحدة ، وتتجمع على أصولها وتدين لقيادة قائمة على تلك العقيدة .

وإذن فوجود القائد ليس هو كل القضية وإنما هو شطر القضية ، وشطرها الآخر هو وجود « الأمة » ، ولابد من شروط في القيادة وشروط في الأفراد أو « الأمة » والتفاعل بين الجانبين والانسجام بينهما ... فأمر القيادة منوط بتلك « الصفوة » المؤمنة من العلماء المخلصين والقادة القادرين ، — وهي العناصر ذات الخبرة والوعي الشمولي والتي تتوفر فيها ملامح العمل القيادي — والتي تستطيع العمل في مستوى قيادي أدنى من القيادة الرئيسية حتى لايكون هناك ثغرات أثناء العمل ... بالإضافة إلى أن إعدادهم يهيئهم ويؤهلهم لاستلام القيادة مستقبلاً ، وهؤلاء هم الذين يشكلون الحلقات القيادية الوسيطة التي

تسد الفجوة بين القاعدة العريضة من الجماهير المسلمة ، وبين القيادة وهي التي عبرها تتم عملية « بعث الأمة » بدعوة التوحيد بمفهومه السلفي الواضح على ماكان عليه القرون الثلاثة الأولى قبل تشعب الأهواء واختلاط العقائد .

وكأني برسول الله ﷺ يقضي ثلاثة عشر عاماً يربي هذه الفئة ، ويصنع الرجال ، ويدرب القادة لتحمل مسئولية نشر دعوة الحق بعده ﷺ ، لقد كان ﷺ يصنع رجالاً يحملون هذه العقيدة فكراً وشعوراً وممارسة ، ويربى « أمة » تتلقى أمر الله فيغدو لديها فعلاً وتطبيقاً ويتحول إلى وقائع وأحداث ، فلابد أن يلتزم الدعاة إلى الله الآن هذه الخطوة ... ولنذكر دائماً أن رسول الله ﷺ وهو المؤيد من ربه عز وجل مكث بمكة ـــ كما يروي ابن كثير ـــ يتبع الناس في منازلهم .. عكاظ والمجنة .. وفي المواسم يقول : « من يؤويني ؟ من ينصرني ؟ حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة » .

ولنذكره ﷺ وهو يهتف بربه عز وجل يوم بدر : « اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » .. فهذه حقيقة يجب على الدعاة اليوم أن يقفوا أمامها كثيراً ، إن الدعوة لابد لها من « صفوة » تحملها و « أمة » تحميها ...

« أمة » تحمل هذا الدين ، وتهدي به وتحاول أن تقول : ﴿ وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ﴾ .. « أمة » قال الله عنها : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ ، «أمة » رعيلها الأول أبو بكر العربي ، وبلال الحبشي ، وصهيب الرومي ، وسلمان الفارسي ، واخوانهم الكرام ، « أمة » تتوالى أجيالها على هذا النسق الرائع ... الجنسية فيها للعقيدة ، والوطن فيها دار الإسلام ، والحاكم فيها هو الله ، والدستور فيها هو القرآن ..

وهذه « الأمة » تتواصل حضارياً مع كل جماعة تعمل من أجل الحق : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق » ووجود هذه الجماعة وتلك « الأمة » ضرورة كوجود « القائد » ونصر الله الذي تحرزه هذه « الأمة » لايتم بثبات فرد بل لابد من ثبات

عدد معين ، قال تعالى : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ ، بل إن الله عز وجل يخبر أن الفقه بسنن الله في التغيير يؤثر في نتيجة المعركة مع الكافرين . قال الله تعالى : ﴿ وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لايفقهون ﴾ .. ، وهذا يلفت النظر إلى خطورة أن يبقى في الأمة من لايتمتعون بالوعي والفقه لسنن الله في التغيير .. تلك السنن التي تربط التغيير بتغيير « القوم » و « الأمة » وليس فرد واحد ، وادراك ضرر وجود غير الواعين في الأمة لابد أن يولد لدينا شعوراً بالخطر أن يكون المركب الذي يحمل الحركة الإسلامية يحتوي نماذج من الأفراد لايعرفون سنن طفو الأجسام على الماء فيسعون بحسن نية لخرق السفينة كما ورد في الحديث .

وإذن فلابد من بعث « الأمة » لكي يؤدي الإسلام دوره المرتقب في قيادة البشرية مرة أخرى ... وانه لتفكير سديد ذلك الذي يرى أن عودة « الأمة المسلمة » إنما يكون في نفس الظروف والشروط التي ولدت فيها أول مرة ، فحين ولدت هذه « الأمة » كان ذلك الميلاد صادراً عن عقيدة واضحة قوية ولسان يستمد من القرآن وسحره وتأثيره وهذا هو الطريق اليوم .. تصحيح مفهوم العقيدة وتخليصها مما شابها من علوم الكلام والارجاء وتجليتها ناصعة واضحة ، ودعوة الناس إلى أن يقيموا حياتهم على قاعدة الإسلام الأولى وهي « تصديق خبر الرسول جملة وعلى الغيب والتزام شرائعه جملة وعلى الغيب » وبناء عليه وضع قضية الشريعة موضعها الصحيح في أصول الاعتقاد وتجريد مفاهيم الإسلام من التلبس بغيرها من المفاهيم الغريبة عليه ..

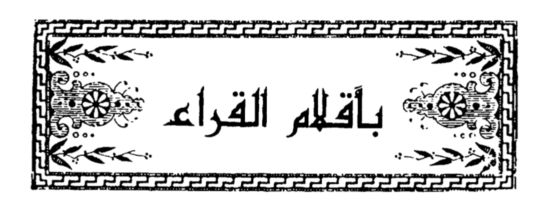
ثم الانطلاق بهذا المفهوم انطلاقاً جاداً يتربى خلاله الأفراد على الأخلاق الإسلامية ويدرسون الحركة الإسلامية وخط سير الإسلام في التعامل مع كل المعسكرات والمجتمعات البشرية ، والعقبات التي كانت في طريقه ولاتزال تتزايد

بشدة ، وبخاصة من المعسكرات الصهيونية والصليبية ..

فإذا وصل الأفراد إلى ذلك المستوى من الخلق والفهم فقد تكون لدينا جيل « الصفوة » الذين على أكتافهم تقع مسئولية تكوين وتربية الدعاة الصاقين الذين عبرهم يتم بعث الأمة وإحيائها من جديد ...

وختاماً نؤكد أننا لن نستطيع أن ننقذ ذريتنا من الأجيال القادمة من براثن الجاهلية إلا بالعمل الشاق وتربية جيل مسلم و « أمة » مسلمة وعندما نحقق ذلك نكون قد انتصرنا على الجاهلية من حولنا وشرعنا في بناء حياة جديدة إذ بدأنا عملنا بجهود جماعة و « أمة » وليس جهد فرد واحد « قائد » .. □





الحرف الرديء .. يسقط

من مساهمات القراء ننشر هذه القصيدة للقارىء الكريم الأخ صالح العليان ـــ كندا :

لتكسر الأقلام ...
ثم تمزق الأوراق ..
والأيدي التي لم تنصف المظلوم .
بل لحقت سراب الفخر ..
تطلبه ولو أدى إلى وأد الحقوق ..
لتخسأ الكلمات إن صبغت
بأفكار من يخور كعجل فيه مس من جنون ..
أعماه تطبيل ينادي أين أصحاب الفنون ؟
ليكون فذاً .. قائداً .. حسن الظنون ..
هل يدركون .. أولئك الداعون ..
ماذا ينطقون ؟
أفكاركم قد انتنت ..
والدود أتلف لبها ..
لكن تنكره العيون ..

ماذا استفاد الشعب من فكر ينادي بالمجون ...

قولوا انتصرنا .. .

والعدو توسعت أملاكه ..

وتعددت ثكناته ..

قولوا استحال الجوع ..

والأحياء مابقيت لهم غير الضلوع

والعجز والأمراض صارت قاضياً ..

كم تكذبون !!

زالت غشاوات .. فأبصرت العيون ..

لترى الحروف تمجُّ ناراً ..

إنها ماتكتبون ..

أثوابكم قد رقعت ..

وتعدد الصناع ..

أمر يبعث الإضحاك في سن الوليد ..

من كان فيه قطرة من عزة ..

تأبى عليه بأن يميد ..

نهج النبي محمد ..

حل لأهوال العبيد ..

هذي الشعوب قد آقسمت :

غير الشريعة لا تريد ..



الصفحة الأخيرة

التقليد من الوجهة النفسية

إن الله تعالى جبل بني آدم ، بل سائر المخلوقات ، على التفاعل بين الشيئين المتشابهين . وكلما كانت المشابهة أكثر كان التفاعل في الأخلاق والصفات أتم . حتى يؤول الأمر إلى أن لايتميز أحدهما عن الآخر إلا بالعين فقط . ولما كان بين الإنسان مشاركة في الجنس الخاص : كان التفاعل فيه أشد . ثم بينه وبين سائر الحيوان مشاركة في الجنس المتوسط فلابد من نوع تفاعل بقدره . ثم بينه وبين النبات مشاركة في الجنس البعيد مثلاً ، فلابد من نوع من المفاعلة .

ولأجل هذا الأصل : وقع التأثر والتأثير في بني آدم ، واكتساب بعضهم أخلاق بعض بالمشاركة والمعاشرة . وكذلك الآدمي إذا عاشر نوعاً من الحيوان اكتسب من بعض أخلاقه ، ولهذا صارت الخيلاء والفخر في أهل الإبل ، وصارت السكينة في أهل الغنم ، وصار الجمّالون والبغّالون فيهم أخلاق مذمومة من أخلاق الجمال والبغال ، وكذلك الكلاّبون ، وصار الحيوان الإنسي فيه بعض أخلاق الإنس من المعاشرة والمؤالفة وقلة النُّفرة .

فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة ؛ توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدرُّج الخفي .

وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفراً من غيرهم ، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيماناً من غيرهم ممن جرّد الإسلام .

والمشاركة في الهدى الظاهر توجب أيضاً مناسبة وائتلافاً ، وإن بَعُدَ المكان والزمان ، فهذا أيضاً أمر محسوس .

فمشابهتهم في أعيادهم ، ولو بالقليل ؛ هو سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة ، وماكان مظنة لفساد خفي غير منضبط عُلّق الحكم به ، ودار التحريم عليه .

فنقول : مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة ، بل في نفس الاعتقادات . وتأثير ذلك لايظهر ولا ينضبط . ونفس الفساد الحاصل من المشابهة قد لايظهر ولا ينضبط ، وقد يتعسر أو يتعذر زواله بعد حصوله لو تُفُطِّنَ له . وكل ماكان سبباً إلى مثل هذا الفساد فإن الشارع يحرمه ، كما دلت عليه الأصول المقررة □

اقتضاء الصراط المستقيم ، ابن تيمية ، ص ٢٢٠



العدد الثالث والعشرون : جمادى الأولى / ١٤١٠ هـ ــ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٩ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

رئيس التحرير
محمد العبدة

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

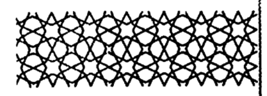
7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K
Tel : 01-731 8145
Fax : 01-736 4255

مكتب الرياض :

ص . ب : ٢٦٩٧٠
الرياض : ١١٤٩٦
تلفون : ٤٧٧٣٥٧٧
فاكس : ٤٧٧٣٥٧٧



المحتوى





الافتتاحية

مؤتمرات

تكثر في هذه الأيام المؤتمرات التي تبحث في الإسلام وعلاقته بقضايا اجتماعية وسياسية كثيرة ، ويقف الإنسان حائراً أحياناً في تكوين رأي صحيح حول هذه المؤتمرات : دوافعها وأهدافها . من ينفق عليها ، ومن يستفيد منها .

ومن القضايا التي يعاد القول فيها الحديث عن القومية والإسلام ، ونسبة كل منهما للآخر .

إن الدخول في الأهداف والدوافع وتواريخ الشخصيات التي تشارك في هذه المؤتمرات قد يكون من قبيل التنجيم ، والرجم بالغيب ، لكن هناك دلائل لايخطئها من ينظر الأمور بهدوء وصبر وعمق .

وأولى هذه الظواهر أن الفترة الحالية تشهد ازدياداً في الوعي الإسلامي عند المسلمين ، وإلحاحاً من هذا الوعي على واقعهم الاجتماعي الذي يعيشونه ، وعندما نقول : ازدياداً في الوعي نعني ازدياداً نسبياً بالنسبة إلى فترة قريبة طغى فيها ماسمي بالمد القومي ، ولانقصد أن المسلمين قد وصلوا إلى الدرجة المطلوبة من الوعي .

وأثر هذا الوعي يتمثل في مظاهر كثيرة نجد آثارها في كل مكان ، ويراقبها غير المسلمين بمشاعر هي خليط من القلق والخوف والترقب والاشمئزاز وفقدان الاتزان .

والغريب في الأمر أن أصحاب النظرة التحاملية على الإسلام والمسلمين يدركون عمق المأزق الذي يفصل بينهم وبين قناعة الناس بهم ، فخلال فترة ليست بالقصيرة أمسكوا بزمام الأمور في أغلب البلاد الإسلامية ، ووضعت القوى المستفيدة من ضعف المسلمين بين إيديهم إمكانيات هائلة ، استخدمت في خطين متوازين :

الخط الأول : تغييب الإسلام ، وتجهيل الناس به عن طريق إضعاف مؤسساته ، وإبعاد علمائه عن نقاط التأثير ، ومطاردة دعاته المخلصين .

الخط الثاني : إشاعة أفكار بديلة لتحل محل الفكر الإسلامي ، وإقامة مؤسسات بديلة للمؤسسات الإسلامية تملأ الفراغ وتبني أجيالاً جديدة بأفكار « جديدة » ولا مانع أن تكون هذه الأفكار مستوردة من الشرق أو الغرب .

نقول : خلال هذه الفترة كان من المنتظر أن لاتقوم للإسلام قائمة في النفوس بعد أن أهمل هذا الإهمال المقصود ، وأقصي هذا الإقصاء المملوء بالتشفي .

لكن الأمور لاتسير حسب مايريد لها أهل الباطل ، بل المسلم يعتقد أن وراء أيدي البشر يد عليا ، هي يد الله الذي تكفل بحفظ دينه :

﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ، إنهم لهم المنصورون ، وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ [الصافات / ١٧١ ـــ ١٧٣] .

وأمام هذا الواقع يبرز عند القوميين تساؤل : أين مافعلناه طيلة هذه السنين ؟ وكيف لم ترتض هذه الجموع ماقدمناه لها ؟ وأين الخطأ ؟ هل في الأهداف التي رفعناها ذاتها ؟ أم في الأسلوب ؟ أم أن هناك

سبباً خارجياً لعله في هذا الإسلام ؟! فلماذا لانحاول أن نراجع الخطة ، ونقترب قليلاً من أنصاره لنرى : كيف يفكرون ؟ وماهي نقاط الضعف ونقاط القوة عندهم ؟ إن نظرة هؤلاء عن الإسلام تظل نظرة خارجية لايمكن أن تدرك إشكالية القضية من جذورها .

وهي تشبه نظرة الغربيين والمستشرقيين إلى الإسلام ، فهؤلاء عندهم علم واسع يثير الإعجاب ، ويفتن الألباب ، ولكنهم عاجزون بسبب تكوينهم العقائدي ونظراتهم المسبقة عن سبر القوة الحقيقية لهذا الدين ، وماذلك إلا لأن فطرهم مشوهة ، ومن كانت فطرته مشوهة يستغرب الأمر البسيط ، ويحتقر المهم ، وتنقلب عنده الأمور فيضخم جوانب يحسبها شيئاً وهي لاشيء ، ويستهين بجوانب مهمة لايدرك ــ ولايريد أن يدرك ــ أهميتها .

وكذلك هؤلاء المستغربون يجدون صعوبة في تحليل تمسك الناس بأهداب دينهم ، وصدورهم عن منهجه في نظرتهم للماضي والحاضر والمستقبل ، مع أن في هؤلاء المسغربين من يتمتع بعلم غزير وشهادات رفيعة قد حصل عليها من أشهر الجامعات ، ومن له لسان ذَلِق إذا خطب ، وقلم غني إذا كتب ، ولكن إذا نظرت إلى تحليلاتهم أصابك العجب العجاب .

﴿ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ، وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ؛ فمن يهديه من بعد الله ؟! أفلا تَذَكَّرون ﴾ [الجاثية / ٢٣] .

وحتى لانظلم الناس الذين يشاركون في مثل هذه المؤتمرات فلابد أن نشير إلى اختلاف مشاربهم ، ولكن مع هذا فإن اختيارهم لم يأت بشكل اعتباطي ، بل هناك اعتبارات متعددة تدفع إلى انتقائهم ، ولكن الملاحظة التي قد تبدو في شكل مأزق هي أنه يؤتى بشخصيات وتقدم بصورة على أنها تمثل الإسلام ، وهذا التمثيل مشكوك فيه ، لأن أكبر قدر من المسلمين غير متاح لهم أن يقوِّموا هذه الشخصيات ولا أن يفوضوا أحداً ينطق باسمهم .

وكذلك فإن في هذه اللقاءات يحصل خلط وتشويه للحقائق عن علم أو عن جهل ، ويتبنى الكلام باسم الإسلام قوم لو كان هناك نظام « حسبة » لحُجِر عليهم أن يلوا أمر أنفسهم ، فضلاً عن يتقدموا ليتكلموا عن الإسلام .

وقد أصبح من المعيب أن يطلق بعض من يوصفون بالمفكرين ألسنتهم في الكلام على النظام الإسلامي نقداً وتقويماً وقد يكون بعضهم غير مسلم أصلاً ؛ فينبري للرد عليهم ــ باسم الدفاع عن الإسلام ــ قوم يكتفون بلغة التبرير أو التشويه أو الاعتذار .

ومما يلفت النظر أن روح الوصاية ووضع الإسلام في قفص الاتهام تحسها في أغلب المؤتمرات التي تناقش قضايا للإسلام فيها رأي متميز : كقضية القومية ، وقضية المرأة ، وقضية التشريع .

على أن أخطر الآثار المترتبة على هذه اللقاءات هو مايتوصل إليه المؤتمرون من مواقف لاتخلو من تسويات وتنازلات تحمل على أنها مواقف إسلامية يستدل بها من قبل الذين يهاجمون الإسلام .

إن تقويمنا لهذه المؤتمرات هو أنها لاتجدي المسلمين شيئاً ــ إن لم تضرهم ــ فمن سلبياتها أن محاضرها وبحوثها ومناقشاتها تتلقفها دوائر المخابرات العالمية المعنية بتتبع أخبار المسلمين فتبني مواقفها على أساس دراسات مشكوك في صحتها ، مما ينتج عنه سوء تقدير وتخبط ، وهذا مشاهد في ماتبثه أجهزة الإعلام الغربية عن الإسلام والمسلمين في العالم ، والذي يستند أكثره إلى العداوة المتأصلة ، والآراء المسبقة ، ومثل هذه المعلومات المغلوطة □

مجددون معاصرون

سيّد قطب

نبذة عن حياته :

في قرية صغيرة من قرى الصعيد ولد الأستاذ سيد قطب رحمه الله في عام ١٩٠٦ .

وحدثنا الأستاذ الشهيد عن نشأته في قرية « موشا » في كتابه « طفل من القرية » ، وعن دراسته فيها ، وكيف كوّن مكتبة لامثيل لها في هذه القرية ، وهو لايزال طالباً في المرحلة الابتدائية .. وحدثنا أيضاً عن العقلية التي يفكر بها أهل هذه القرية ، والخرافات التي تعشش في عقولهم ، والبؤس الذي يلف هذه الطبقة من الناس ... وكان هذا الذي ذكره في كتابه المهم شأن القرى كلها لانقول في صعيد مصر وحده ، وإنما في العالم الإسلامي كله .

وفي عام ١٩٢١ م غادر الأستاذ قريته « موشا » ليكمل دراسته في القاهرة ، وكان من المفترض أن يغادرها قبل هذا الوقت لكن حرب ١٩١٩ م كانت سبب تأخره ووقف التدريس وانصراف الناس لما هو أهم من الدراسة .

وفي القاهرة التحق الطالب النجيب بمدرسة عبد العزيز الأولية ، وبعد أن أتم دراسته فيها انتقل إلى دار العلوم وكانت في مستوى المعاهد المتوسطة وأتم دراسته فيها عام ١٩٣٣ م .

وبعد تخرجه من دار العلوم جرى تعيينه مدرساً في دمياط ثم في بني سويف ، ثم انتقل إلى حلوان ــ القاهرة ــ مدرساً في مدرستها الابتدائية ، وانتقل أهله إلى القاهرة بعد أن اشترى منزلاً في حلوان ، وكان ذلك بعد وفاة والده ، ثم توفيت والدته بعد انتقالهم إلى القاهرة بقليل .

وبرز اسم سيد كأديب موهوب في مصر ، وأصبح اسمه معروفاً في المجلات الأدبية المشهورة : كالرسالة ، والثقافة ، والمقتطف .. وأصدر في الأربعينيات كتباً مهمة منها :

ــ التصوير الفني في القرآن .
ــ طفل من القرية .
ــ كتب وشخصيات .
ــ النقد الأدبي أصوله ، مناهجه .
ــ العدالة الاجتماعية في الإسلام .

وفي مجال التعليم تدرج في وظائف الوزارة .. ففي عام ١٩٤٤ أصبح مفتشاً في التعليم الابتدائي .. ثم في الإدارة العامة للثقافة التي كان يرأسها أحمد أمين .

وفي عام ١٩٤٨ سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية في بعثة تدريبية ، تم اختياره بالذات لها ، ولم يكن في رحلته ملتزماً بدراسة معينة أو بزمن معين يقضيه هناك ، وقد أكسبته هذه البعثة خبرة واسعة بطبائع الأميركان وأساليبهم ، وله كتابات مهمة بعنوان « أميركا التي رأيت » نشرت في مجلة الرسالة ، و « إسلام أميركاني » في كتابه دراسات إسلامية ، وقد جمعها أحد المهتمين بكتابات سيد في كتاب سماه « أميركا من الداخل بمنظار سيد قطب » .

وعاد من الولايات المتحدة عام ١٩٥٠ إلى مصر ليخوض معارك سياسية ضد طغيان فاروق ، وفساد الأحزاب ، وهيمنة المستعمر الانكليزي .. واستقطبت هذه الكتابات فيمن استقطبت ضباط انقلاب « ٢٣ يوليو » ، فأعجبوا بها ، وتعرفوا على كاتبها ، وقامت بينهم وبينه علاقات ، وتم اختياره بعد نجاح الانقلاب مستشاراً لمجلس قيادة الثورة ، ثم أميناً عاماً مساعداً لهيئة التحرير ، وكان مرشحاً ليكون وزيراً للمعارف أو للإعلام لكنه رفض الوزارة والجاه عندما لمس سوء نوايا قادة الانقلاب ، وأدرك بأنهم ليسوا جادين في تحكيم شرع الله ، وارتاب رحمه الله في اتصالاتهم المشبوهة .

ولم يجلس الأستاذ سيد في منزله عندما رفض الوزارة والمغريات ، وما كان لداعية مجاهد أن يفعل ذلك ، وإنما انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين في أحلك ظروفها وأشدها قساوة ... انضم إليها وهو يعلم بأنهم على أبواب محنة .

واختار الإخوان الأستاذ سيد قطب ليكون رئيس تحرير لصحيفتهم « الإخوان المسلمون » ، فلم يتردد ، ولم يعتذر لاسيما وهو يعرف خبث وغدر قائد الانقلاب ... وخاض أستاذنا معركة ضد الانقلابيين كتلك المعركة التي خاضها ضد فاروق وزبانيته ، وكشف صلات هؤلاء الانقلابيين الضباط بالولايات المتحدة الأميركية ، وأصبحت صحيفة الإخوان المسلمين من أشد الصحف التي كان يخشاها عبد الناصر وزملاؤه .

ودخل سيد السجن عام ١٩٥٤ م مع عدد من قادة الإخوان المسلمين ، ثم أفرج عنه وعنهم بعد قليل ، ثم عاد إلى السجن في العام نفسه ١٩٥٤ بعد حادث المنشية حيث كان نصيبه مما سمي « محكمة الشعب » خمسة عشر عاماً من الأشغال الشاقة ، وأفرج عنه في « مايو » من عام ١٩٦٤ بعد توسط الرئيس العراقي عبد السلام عارف ، ثم أعيد اعتقاله في « أغسطس » عام ١٩٦٥ ، وقدم لما أسموه « محاكمة » ، وتم إعدامه في ٢٦ « أغسطس » من عم ١٩٦٦ م رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى .

ومن أهم مؤلفاته على الإطلاق تلك المؤلفات التي أصدرها وهو في السجن :

- في ظلال القرآن .
- هذا الدين .
- المستقبل لهذا الدين .
- خصائص التصور الإسلامي .
- معالم في الطريق .
- الإسلام ومشكلات الحضارة .
- مقومات التصور الإسلامي ، وقد صدر هذا الكتاب بعد إعدامه بوقت متأخر .

أهم الجوانب التجديدية في دعوة سيد :

أولاً : كيف نقدم الأسلوب إلى الناس :

يحلو لبعض الناس القول : إن سيداً رحمه الله كان تلميذاً لمن سبقه من الدعاة في هذا الميدان ... ومن يدقق النظر بمؤلفات أستاذنا وسيرة حياته يتبين له خطأ هذا القول ومجانبته للصواب .

ومن الأمثلة على ذلك أن معظم كبار الدعاة الكتاب كانوا يدافعون عن الإسلام بأسلوب فيه كثير من الضعف ؛ فإذا راجت بضاعة الديمقراطية بين الناس راحوا يتحدثون عن ديمقراطية الإسلام ... وإذا فتنت شعوبنا بالاشتراكية ، صنعوا للإسلام اشتراكية ، وإذا أطنب المفكرون في الحديث عن الحضارة كتبوا المقالات بل والمؤلفات في التعريف بحضارة الإسلام ... لقد كان الإسلام عند هؤلاء الكتاب اشتراكياً .. قومياً ... ديمقراطياً .. تقدمياً .

أما الأستاذ سيد فقد رفض هذه الأساليب ، وحذر منها . انظر إلى قوله :

« وحين ندرك حقيقة الإسلام على هذا النحو ، فإن هذا الإدراك بطبيعته سيجعلنا نخاطب الناس ونحن نقدم لهم الإسلام ، في ثقة وقوة ، وفي عطف

كذلك ورحمة .. ثقة الذي يستيقن أن ما معه هو الحق وأن ماعليه الناس هو الباطل ، وعطف الذي يرى شقوة البشر ، وهو يعرف كيف يسعدهم ، ورحمة الذي يرى ضلال الناس وهو يعرف أين الهدى الذي ليس بعده هدى !

لن نتدسس إليهم بالإسلام تدسساً ، ولن نربت على شهواتهم وتصوراتهم المنحرفة ... سنكون صرحاء معهم غاية الصراحة .. هذه الجاهلية التي أنتم فيها نجس والله يريد أن يطهركم ... هذه الأوضاع التي أنتم فيها خبث ، والله يريد أن يطيّبكم .. هذه الحياة التي تحيونها دون ، والله يريد أن يرفعكم ... هذا الذي أنتم فيه شقوة وبؤس ونكد ، والله يريد أن يخفف عنكم ويرحمكم ويسعدكم .. والإسلام سيغير تصوراتكم وأوضاعكم وقيمكم ، وسيرفعكم إلى حياة أخرى تنكرون معها هذه الحياة التي تعيشونها ... » .

وقال أيضاً :

« هكذا ينبغي أن نخاطب الناس ونحن نقدم لهم الإسلام . لأن هذه هي الحقيقة ، ولأن هذه هي الصورة التي خاطب الإسلام الناس بها أول مرة . سواء في الجزيرة العربية أم في فارس أم في الروم أم في أي مكان خاطب الناس فيه .

نظر إليهم من عل ، لأن هذه هي الحقيقة ، وخاطبهم بلغة الحب والعطف لأنها حقيقة كذلك في طبيعته . وفاصلهم مفاصلة كاملة لاغموض فيها ولاتردد لأن هذه هي طريقته ، ولم يقل لهم أبداً : انه لن يمس حياتهم وأوضاعهم وتصوراتهم وقيمهم إلا بتعديلات طفيفة ! أو إنه يشبه نظمهم وأوضاعهم التي ألفوها .. كما يقول بعضنا اليوم للناس وهو يقدم إليهم الإسلام .. مرة تحت عنوان : (ديمقراطية الإسلام) ! ومرة تحت عنوان : (اشتراكية الإسلام) ! ومرة بأن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والقانونية القائمة في عالمهم لاتحتاج من الإسلام إلا لتعديلات طفيفة !!! إلى آخر هذا التدسس الناعم والتربيت على الشهوات » .

وتأثر شباب هذا الجيل بأسلوب سيد فأعرضوا عن الأساليب السابقة الضعيفة ، لاسيما وأن سيداً رحمه الله أشبع هذا الموضوع بحثاً في مؤلفاته

وتفسيره القيم « في ظلال القرآن » ، والذين عاشوا تلك المرحلة يدركون ماهو الجديد الذي جاء به صاحب الظلال ... وكان الحق مع الدعاة الشباب الذين تأثروا بطريقة سيد في عرض الإسلام .

ثانياً : شرح معاني لا إله إلا الله وربطها بالحاكمية :

وأهم مسألة استحوذت على الأستاذ سيد رحمه الله في بداية السجن وحتى لقي وجه ربه تفسير معاني ومدلولات لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

لقد كان يرى أن جهل المسلمين بمعاني الشهادتين هو سبب هذا الضياع والفساد الذي يلف العالم الإسلامي ، كما كان يرى أن مهمة أنبياء الله الذين اختارهم الله وأرسلهم للعباد شرح معاني لا إله إلا الله ، وذكر في الظلال أدلة كثيرة على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله .

وكان يرى أن « المجتمع يقوم على قاعدة العبودية لله وحده في أمره كله .. هذه العبودية التي تمثلها وتكيفها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

وتتمثل هذه العبودية في التصور الاعتقادي ، كما تتمثل في الشعائر التعبدية ، كما تتمثل في الشرائع القانونية سواء » .

ومن الأدلة على شدة اهتمامه بالركن الأول من أركان الإسلام قوله في المعالم « طبيعة المنهج القرآني » ، وفي مقدمة سورة الأنعام :

« ظل القرآن المكي ينزل على رسول الله ﷺ ثلاثة عشر عاماً كاملة ، يحدثه فيها عن قضية واحدة ، قضية واحدة لاتتغير ، ولكن طريقة عرضها لاتكاد تتكرر . ذلك الأسلوب القرآني يدعها في كل عرض جديدة ، حتى لكأنما يطرقها للمرة الأولى .

لقد كان يعالج القضية الأولى ، والقضية الكبرى ، والقضية الأساسية ، في هذا الدين الجديد ... قضية العقيدة ... ممثلة في قاعدتها الرئيسية .. الألوهية

والعبودية ، ومابينهما من علاقة » .

وقال بعد استطراد مهم : « ومتى استقرت عقيدة [لا إله إلا الله] في أعماقها الغائرة البعيدة ، استقر معها في نفس الوقت النظام الذي تتمثل فيه [لا إله إلا الله] » .

كان رحمه الله يعلم أن هذه المسألة سوف تفجر قلوب الإنقلابيين غيظاً وحقداً عليه .. ولكنه مجدد مجاهد يواجه الناس بمشكلاتهم ، ويضع الحلول لها ، ولا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى . وراجع نهاية كتابه : معالم في الطريق ، فصل « هذا هو الطريق » لتراه كأنه يتحدث عن إعدامه على أيدي العسكريين من خلال حديثه عن أصحاب الأخدود .

ثالثاً : الوعي السياسي ونضوج الخبرة :

كان للأستاذ سيد اهتمامات سياسية وهو لايزال طالباً في المرحلة الابتدائية ، وحدثنا في كتابه « طفل من القرية » عن القصائد التي كان ينظمها والخطب التي كان يكتبها داعياً فيها إلى تأييد ثورة ١٩١٩ م ، وازدادت اهتماماته السياسية بعد انتقاله للقاهرة لاسيما عندما كان تلميذاً للعقاد ، الذي ارتبط أدبه بالسياسة وخاض معارك ضارية ضد بعض الأحزاب ، وكان سيد ساعده الأيمن في هذه المعارك ؛ الأدبية منها والسياسية .

ومن تجاربه الغنية في هذا الميدان رحلة أميركا وماشاهده فيها من تناقضات ومن مواقف حاقدة ضد الإسلام والمسلمين ... والمرحلة التي سبقت دخوله السجن أي من عام ١٩٥٠ وهو تاريخ عودته من الولايات المتحدة حتى عام ١٩٥٤ ، وهذه الفترة وحدها كافية لتكوين نضوج سياسي عنده ، ومن الكتب الإسلامية السياسية التي أصدرها في هذه المرحلة :

ـ معركة الإسلام والرأسمالية .
ـ السلام العالمي والإسلام .

يقول الأستاذ سيد في « معالم في الطريق » فصل « التصور الإسلامي والثقافة » :

« إن الذي يكتب هذا الكلام إنسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة . كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع في معظم حقول المعرفة الإنسانية .. ماهو من تخصصه ، وماهو من هواياته .. ثم عاد إلى مصادر عقيدته وتصوره . فإذا هو يجد كل ماقرأه ضئيلاً ضئيلاً إلى جانب ذلك الرصيد الضخم ـــ وماكان يمكن أن يكون إلا كذلك ـــ وماهو بنادم على ماقضى فيه أربعين سنة من عمره . فإنما عرف الجاهلية على حقيقتها ، وعلى انحرافها ، وعلى ضآلتها ، وعلى قزامتها .. وعلى جعجعتها وانتفاشها ، وعلى غرورها وادعائها كذلك !! وعلم علم اليقين أنه لايمكن أن يجمع المسلم بين هذين المصدرين في التلقي !! » .

إذن عاش أستاذنا أربعين سنة يقرأ ماهو من تخصصه وماهو من هواياته ، ولم تكن حياته قاصرة على القراءة ، بل كانت الخبرة لاتقل أهمية عن القراءة ... ولهذا فقد كتب لنا رحمه الله كتابات ناضجة عن الموضوعات التالية :

ـــ الصهيونية .
ـــ الصليبية .
ـــ الشيوعية .
ـــ الرأسمالية .
ـــ الاستبداد ، والعبودية ، والذل .
ـــ الاستعمار وأساليبه .
ـــ فضائح الحضارة الغربية .

وهذه فيما نعلم أمور انفرد فيها أستاذ هذا الجيل عن غيره من المجددين المعاصرين الذين حُرِموا هذه الخبرة وهذا النضوج السياسي ... وكانت مواقفه السياسية لاتنفصل عن عقيدته وحسن فهمه للإسلام .

وبعـــد :

هذه أهم الجوانب التجديدية عند الأستاذ سيد قطب رحمه الله .. وعندما ابتلاه الله بالسجن والتعذيب والتهديد بالقتل صبر على ذلك صبراً شديداً رغم ماكان يعانيه من أمراض وضعف في جسمه ، ولم يتراجع عن مواقفه الإسلامية رغبة أو رهبة ، ولهذا فقد تضاعف رواج كتبه بعد تنفيذ حكم الإعدام به ، ومما ساعد على انتشارها : عذوبة الأسلوب ، وإشراقة الديباجة ، ومتانة العبارة ، وقوة الحجة ، وحضور البديهة .. وقل أن تجد داعية وليس في مكتبته كتاب من كتب سيد قطب ، وفضلاً عن ذلك فقد ترجمت هذه الكتب إلى معظم لغات العالم .

رحم الله الأستاذ سيد قطب رحمة واسعة ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين كل خير □



إنما أعظكم بواحدة

عبد العزيز بن ناصر السعد

﴿ ... وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين ، وماآتيناهم من كتب يدرسونها وماأرسلنا إليهم قبلك من نذير ، وكذب الذين من قبلهم ومابلغوا معشار ماآتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان نكير . قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو ألا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ [سبأ / ٤٣ ـــ ٤٦] .

من هذه الآيات البينات يتضح أن الموعظة الموجهة إلى مشركي قريش كانت بسبب اتهامهم لرسول الله ﷺ بالكذب تارة وبالسحر تارة أخرى دون تفكير أو تدبر ، شأنهم في ذلك شأن الذين يتبعون أهواءهم وآثار آبائهم ومتبوعيهم دون دليل .

وقد أقام الله عز وجل هذه الموعظة العظيمة التي من أخذها بجميع مقوماتها فلا بد أن يصل إلى الحق وهو في الآية كون النبي ﷺ رسولاً من عند الله عز وجل ، ونذيراً لهم بين يدي عذاب شديد ، وليس كما يزعمون ويرددون دون وعي ولا نظر بأنه ساحر أو كاذب أو مجنون ، ﴿ مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ ولكي يحصل الانتفاع بهذه الموعظة العظيمة فلابد من الأخذ بجميع المقومات التي قامت عليها هذه الموعظة وهي :

● **القيام لله تعالى** : ﴿ أن تقوموا لله ﴾ والتجرد في طلب الحق .

● **مراجعة النفس والخلوة بها أو مع شخص ثانٍ** ﴿ مثنى وفرادى ﴾ .

● **التفكر والاجتهاد فيما يقوله المخالف** ﴿ ثم تتفكروا ﴾ .

وتظهر أهمية هذه المقومات في كلام علماء التفسير رحمهم الله تعالى . يقول الشوكاني في (فتح القدير) حول قوله تعالى ﴿ إنما أعظكم بواحدة ﴾ : أي أحذركم بواحدة وأنذركم سوء عاقبة ماأنتم فيه وأوصيكم بخصلة واحدة وهي ﴿ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ﴾ . وهذا تفسير للخصلة الواحدة أو بدل منها أي هي : قيامكم وتشميركم في طلب الحق بالفكرة الصادقة متفرقين اثنين اثنين وواحداً واحداً لأن الاجتماع يشوش الفكر ، وليس المراد القيام على الرجلين بل المراد القيام لطلب الحق وإصداق الفكر فيه ﴿ ثم تتفكروا ﴾ في أمر النبي ﷺ وماجاء به من الكتاب ، فإنكم عند ذلك تعلمون أن ﴿ مابصاحبكم من جنة ﴾ وذلك لأنهم كانوا يقولون أن محمداً مجنون ، فقال لهم : اعتبروا أمري بواحدة وهي أن تقوموا لله وفي ذاته مجتمعين ومتفرقين ، فيقول الرجل لصاحبه هلم فلنصدق هل رأينا بهذا الرجل من جنة أي جنون أو جربنا عليه كذباً ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه وليتفكر ولينظر . فإن في ذلك مايدل على أن محمداً ﷺ صادق وأنه رسول من عند الله عز وجل وأنه ليس بكاذب ولا ساحر ولا مجنون ا هـ .

ويقول النسفي في تفسيره ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة ﴾ : أي بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ﴿ أن تقوموا لله ﴾ الآية . على أن عطف بيان لها . وقيل في محل الرفع والمعنى : إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم وهي أن ﴿ تقوموا لله ﴾ أي لوجه الله خالصة لا لحمية ولا لعصبية بل لطلب الحق ﴿ مثنى ﴾ اثنين اثنين ، و ﴿ فرادى ﴾ فرداً فرداً ﴿ ثم تتفكروا ﴾ في أمر محمد وماجاء به ، أما الأثنان فيتفكران يعرض كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران نظرة الصدق والإنصاف حتى يؤدي النظر الصحيح إلى الحق . وكذلك الفرد يتفكر مع نفسه بعدل وإنصاف ويعرض فكره

على عقله . ومعنى تفرقهم مثنى وفرادى أن الاجتماع مما يشوش الخواطر ، ويعمي البصائر ويمنع الروية ويقلل الإنصاف فيه ويكثر الاعتساف ، ويثور عجاج التعصب ولا يسمع إلا نصرة المذهب . ا هـ .

ويقول الشيخ السعدي (في تفسير الكريم المنان) في تفسيره لهذه الإية : أي أعظكم بخصلة واحدة أشير عليكم بها وأنصح لكم في سلوكها وهي طريق نصف لست أدعوكم إلى اتباع قولي ولا إلى ترك قولكم من دون موجب لذلك وهي ﴿ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ﴾ أي تنهضوا بهمة ونشاط وقصد لاتباع الصواب وإخلاص لله عز وجل مجتمعين ومتباحثين في ذلك ومتناظرين وفرادى كل واحد يخاطب نفسه بذلك فإذا قمتم لله مثنى وفرادى واستعملتم فكركم وأجلتموه وتدبرتم أحوال رسولكم هل هو مجنون فيه صفات المجانين من كلامه ، وهيئته ووصفه ، أم هو نبي صادق منذر لكم ؟ فلو قبلوا هذه الموعظة واستعملوها لتبين لهم أكثر من غيرهم أن رسول الله ﷺ ليس بمجنون ، لأن هيئته ليست كهيئة المجانين وخنقهم واختلاجهم .. فكل من رأى أحواله وقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا سواء تفكر وحده أو مع غيره ؛ جزم بأنه رسول الله حقاً وتبين صدقه . ا هـ .

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى حول ظلال هذه الآية : وهنا يدعوهم دعوة خالصة إلى منهج البحث عن الحق ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة ﴾ الآية ، إنها دعوة إلى القيام لله عز وجل بعيداً عن الهوى ... بعيداً عن المصلحة ، بعيداً عن ملابسات الأرض .. بعيداً عن التأثر بالتيارات في البيئة والمؤثرات الشائعة في الجماعة ، بعيداً عن الهواتف والدوافع التي تشتجر في القلب فتبعد به عن الله تعالى . دعوة إلى التعامل مع الواقع البسيط لا مع القضايا والدعاوى الرائجة ولا مع العبارات المطاطة التي يبتعد القلب والعقل عن مواجهة الحقيقة في بساطتها ، دعوة إلى منطق الفطرة الهادي الصافي بعيداً عن الضجيج والخلط واللبس والرؤية المضطربة والغبش الذي يحجب صفاء الحقيقة ، وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة ، منهج بسيط يعتمد على التجرد من

الرواسب والمؤثرات ، وعلى مراقبة الله عز وجل وتقواه وهي ﴿ واحدة ﴾ إن تحققت صح المنهج واستقام الطريق : القيام لله لا لغرض ولا لهوى ولا لمصلحة ولا لنتيجة .. التجرد .. الخلوص .. ثم التفكر والتدبر بلا مؤثر خارج عن الواقع الذي يواجهه القائمون لله المتجردون .. ﴿ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ﴾ مثنى ليراجع أحدهما الآخر ويأخذ معه ويعطي في غير تأثر بعقلية الجماهير التي تتبع الانفعال الطارىء ، ولاتتلبث لتتبع الحجة في هدوء ، وفرادى مع النفس وجهاً لوجه في تمحيص هادىء عميق . ﴿ ثم تتفكروا ﴾ فما عرفتم عنه إلا العقل والتدبر . ومايقول شيئاً يدعو إلى التظنن بعقله ورشده . إن هو إلا القول المحكم القوي المبين . ! هـ .

وبعد هذه النقول من بعض كتب التفسير حول هذه الآية نستطيع الآن توضيح مقومات هذه الموعظة العظيمة وشروط الانتفاع بها بما يلي :

الشرط الأول : ﴿ أن تقوموا لله ﴾ :

إن هذا الشرط هو الأساس لكل عمل ، وبدونه يفسد العمل ، ولايوفق فيه صاحبه ولا يبارك له فيه ، فالقيام لله عز وجل هو المنطلق لصحة العمل إذا اقترن ذلك مع المتابعة فيه للرسول ﷺ .

فالإخلاص في البحث عن الحق والصدق في طلبه شرط أساسي للوصول إلى ذلك الحق ، وعندما يغيب الإخلاص ينعدم الانقياد إلى الحق حتى ولو كان مثل فلق الصبح ، لأن من تعلق قصده بغير وجه ربه عز وجل ثقل عليه الانقياد للحق وقصرت همته عن بلوغه والعمل به .

فوجب على من أراد معرفة وجه الحق في أي أمر أن يخلص قصده ونيته لله عز وجل وأن يتجرد لاتباع الحق عند ظهوره ، ولو على لسان مخالفه ، وأن يعلم أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل .

ولكن قد يكتنف القائم لله عز وجل بعض الملابسات والظروف التي قد تغطي على الحق أو تلبسه بالباطل ، فيقبل الباطل ظاناً أنه الحق وذلك بسبب بعض الظروف المحيطة به لذلك فإنه لامناص من توفر باقي

الشروط للانتفاع بموعظه الله عز وجل ومنهجه السوي في الوصول إلى الحق المنشود وذلك من .

الشرط الثاني : ﴿ مثنى وفرادى ﴾ :

والالتزام بهذا الشرط يقضي على عامل مهم من العوامل التي تغطي الحق أو تشوه وجهه ، وذلك في مثل الأجواء الجماعية والجماهير الجاهلة والتي غالباً ماتتصف بالغوغائية والتقليد الأعمى واتباع كل ناعق من رؤوس الضلال ، مما قد يؤدي بطالب الحق المخلص إلى اتباع الأكثرية من الناس متهماً نفسه وظاناً أن الحق مع الأكثرية ، دون أن يدري أن هذه الحركة الغوغائية قد غطت الحق ، وضيعت معالمه ، فاشتبه مع غيره ، خاصة عند من قلت بصيرته وقل نصيبه من هدى الله عز وجل وهدي رسوله ﷺ ، وهذا ماحدث من اتهام قريش للرسول ﷺ بشكل جماهيري غوغائي ، وقولهم ساحر وكاهن ومجنون .. الخ ، فوعظهم الله عز وجل أن يقوموا لله ويخلصوا وجوههم له ويبتعدوا عن هذه الأجواء ويرجعوا إلى أنفسهم ، حيث يقف الإنسان مع نفسه أو معه صاحبه ويصحب ذلك التفكير العميق والتدبر لحال الرسول ﷺ ، فلابد أن يصلوا إلى الحق والهدى وهو ماجاء في ختام الآية ﴿ مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ .

ونخرج من هذه الآية بفائدة سيأتي تفصيلها في ثنايا البحث إن شاء الله ، وهي أن القاصد للحق أو الباحث في مسألة خلافية كبيرة أو صغيرة عليه أن يتجنب المناظرة في جو جماعي ، لأن المناظر يكون أقرب إلى ترك رأيه إذا تبين أن الحق في خلافه إذا كان التفكير مع شخص واحد ، بخلاف حال الجماعة فقد يعز عليه الاعتراف بالخطأ أمام مؤيديه أو مخالفيه المجتمعين حوله ، والله تعالى عليم بمسارب نفوس خلقه ، خبير بطبائعهم فلذلك وعظهم موعظة من يعلم حالهم ويعلم مايصلحهم ويهديهم إلى صراطه المستقيم ومنهجه القويم ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾ .

الشرط الثالث : ﴿ ثم تتفكروا ﴾ :

وهذا الشرط هو الوسيلة الأساسية

للوصول إلى الحق بعد الالتزام بالشرطين السابقين ، فالتفكير والعلم وإعمال الرأي هو المتمم لهذا المنهج الالهي للوصول إلى الحق وتبين الهدى من الضلال ، وهذا الشرط يقودنا إلى قضية هامة ألا وهي قضية العلم الشرعي ، ومعرفة دين الله عز وجل ، وإقامة الدليل والبرهان على مايعتقد أنه الحق ، وإذا كان الكفار الذين خوطبوا مباشرة بهذه الآية ووجهت إليهم هذه الموعظة العظيمة ماكان عندهم علم شرعي وليس عندهم الدليل فيما يعتقدونه فلذلك كان المطلوب منهم التفكير بحال الرسول ﷺ وإقامة الدليل على مايتهمونه به ، إذا كان الأمر بالتفكير مع الكفار بهذه الصورة فإن الأمر بالنسبة لطالب الحق في المسائل الشرعية والعقائدية والفكرية فلا بد أن يكون مؤهلاً من الناحية العلمية لبحث هذه المسألة ، ودراسة أوجه الخلاف حولها ، وإلا لم يكن للتفكير فائدة كمن يحارب بغير سلاح ولا عدة ، وقد كان عند كفار مكة من العلم بأحوال الرسول ﷺ وصفاته وصدقه وأمانته مايكفي ، ولو أنهم فكروا في ذلك لقادهم ذلك إلى الإذعان والانقياد للحق الذي جاءهم به الرسول ﷺ . وكذلك الحال لكل مختلفين أو متناظرين إذا لم يكن لديهم علم بما يختلفون فيه فإنه لافائدة من التفكير ، لأن أداة التفكير الأساسية هي العلم بحال القضية المختلف فيها فالمقصود إذن بالتفكير هنا هو البحث عن الأدلة الشرعية والتحقق من ثبوتها ودلالتها على المراد ، كما يدخل في العلم أيضاً العلم بحال القضية المختلف حولها وملابساتها .. الخ . فالجاهل بذلك كله لايستطيع الوصول إلى الحق لفقده الأدوات الموصلة إليه ، فلذلك نجد مثال هؤلاء يوجههم التقليد الأعمى دون فكر أو نظر .

وإذا كان الله عز وجل قد بين لنا في كتابه الكريم منهجاً للوصول إلى الحق فيما اختلف فيه ، فإن هذا المنهج وذلك الطريق السوي يمر أحياناً عبر أنواع من الحوار والمناظرة لابد منها ، فالمتتبع لمنهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى الله وحده يجد أن أكثرهم قد وقف مع قومه موقف المناظرة وإقامة الحجة والنصح ، وتبين الحق من الباطل ، والصبر على ذلك ، مع شدة

رفضهم للحق وعنادهم وتعنتهم ، ولكن مهمة البلاغ والدعوة إلى الله عز وجل تستلزم شيئاً من ضبط النفس والتحمل حتى يتم البلاغ على أكمل وجه .

ولكثرة الخلاف الواقع بين طوائف المسلمين اليوم ، وخاصة بين الطوائف إلى أهل السنة ؛ فإنا نقدم هذه الكلمات التي نحسب أن فيها إشارة إلى الطريقة المثلى في الحوار والمناظرة المؤدية بإذن الله عز وجل إلى الاجتماع والائتلاف في حدود منهج السلف وأصول الشريعة ، وقد اتضح من الآية السابقة التي هي موضع البحث أصول للحوار نطرحها بهذه المناسبة ونضيف عليها ماوقع عليه الفكر والنظر من آداب الخلاف ، وقبل ذكر هذه الأصول يحسن التقدمة لها بأهمية هذا الموضوع ، وبعض التعريفات والوقفات السريعة .

أهمية هذا الموضوع :

إن الإلمام بآداب الحوار والاختلاف أمر مهم ينفع صاحبه في حياته كلها ، وبخاصة الداعية إلى الله عز وجل ، وهذه الجوانب المفيدة كثيرة نقتصر منها على مايلي :

١ ـ من المعلوم أن مهمة الداعية إلى الله عز وجل هي بذل الأسباب في هداية الناس ودلالتهم إلى الخير ، ولابد أن يواجهه في ذلك التواءات النفوس وخلافهم معه في الرأي ، فإذا لم يكن لديه من الإلمام بآداب الحوار والاختلاف الشيء الكافي لكي يصبر ويستمر في دعوته فقد ينفر الناس منه وهو يسعى لجمعهم وهدايتهم إلى الصراط المستقيم .

٢ ـ إن أهمية الإلمام بآداب الحوار والإختلاف ترجع للظروف الملحة في هذا العصر الذي يعد عصر تعدد الجماعات الإسلامية والفرقة الموجودة بينهم ، وذلك لأن الإلمام بذلك يساعد في تقارب القلوب وتفهم الأفكار مما يكون له الأثر في تضييق هوة الخلاف والتماس العذر للعاملين في الدعوة الإسلامية ، وهذا يؤدي إلى الوحدة المنشودة .

٣ ـ كما يفيد تفهم هذه الآداب أيضاً في معالجة وجهات النظر المختلفة التي تكون بين أفراد المجموعة الواحدة ، بل أفراد العائلة الواحدة لأن فقد هذه الآداب يضخم المشاكل ويجعل من الحبة قبة كما يقولون .

الفرق بين الجدال والحوار :

الجدال : مصدر جادل وهو المناقشة على سبيل المخاصمة ، ومقابلة الحجة بالحجة .

والحوار : الجواب . حاوره محاورة وحواراً جاوبه وراجعه . فهو مراجعة في الكلام بين طرفين أو أكثر دون مايدل بالضرورة على وجود خصومة بينهما ، وقد يكون الجدل والحوار بمعنى واحد إذا خلا الجدل من العناد والتعنت للرأي كما ذكر تعالى في سورة المجادلة حيث قال : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ فسمى الله سبحانه وتعالى مجادلة المرأة للرسول ﷺ ومجاوبته لها محاورة ، والله أعلم . وعلى أية حال فالحوار كلمة غالباً ماتستعمل في المناظرة الهادئة التي يسود عليها الألفة والبحث عن الحق . والجدال غالباً مايكون جوه صاخباً وقد ينشأ عنه خصومة وعناد .

ماهي نتيجة الحوار ؟

ليس شرطاً للحوار الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول الطرف الآخر ويتفقان على موقف واحد فهذا نجاح لاشك فيه . وإنما يعتبر الحوار ناجحاً أيضاً إذا توصل الطرفان إلى أن كل قول يقوله أحدهما هو صحيح . أو في الإطار الذي يسعه الخلاف ، أما فشل الحوار فيكون عندما يتشبت كل طرف برأيه ويُخطِّىء الطرف الآخر .

بعض الآيات والأحاديث الواردة في آداب الحوار وحسن المناظرة :

قال تعالى :

ـ ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ .

ـ ﴿ وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ .

ـ ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ .

ـ ﴿ وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه ﴾ .

ـ ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون ﴾ .

ـ ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

ـ ﴿ لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ﴾ .

ـ ﴿ فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ . والآيات في ذلك

كثيرة .

أما الأحاديث النبوية فمنها :

ـ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » .

ـ الكلمة الطيبة صدقة » .

ـ « تبسمك في وجه أخيك صدقة » .

ـ « وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟ » .

ـ « الكبر بطر الحق وغمط الناس » .

ـ « الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها » .

ـ يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا » .

ـ « ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » .

ـ « إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق مالا يعطيه على العنف ، ومالا يعطي على سواه » .

والأحاديث في ذلك كثيرة .

والآن وبعد هذه التعريفات والآيات والأحاديث التي تشير إلى الآداب الإسلامية في المعاملة مع الناس ومحاورتهم نأتي لتفصيل أصول الحوار في ضوء الآية الكريمة التي كانت منطلق هذا البحث وهي قوله تعالى : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا مابصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ .

وكما تمت الإشارة في تفسير هذه الآية ومايتعلق بها أنها تعتبر منهجاً قويماً لمن أراد الوصول إلى الحق ، ولأن الحوار المقصود منه الوصول إلى الحق فإن هذه الآية الكريمة ترسم لنا بمقوماتها الثلاثة أصول الحوار الصادق ، وذلك فيما يلي :

الأصل الأول : الإخلاص لله عز وجل والتجرد الكامل قبل الحوار وأثناءه وبعده ﴿ أن تقوموا لله ﴾ .

الأصل الثاني : العلم بحقيقة واقع القضية المطروحة من الناحية الشرعية والواقعية ﴿ ثم تتفكروا ﴾ .

الأصل الثالث : اعتبار مراعاة ظروف الحوار والمحاورة ﴿ مثنى وفرادى ﴾ .

الأصل الأول : الإخلاص لله عز وجل والقيام له وحده ﴿ أن تقوموا لله ﴾ :

ويدخل تحت هذا الأصل عدة متعلقات نذكر منها مايلي :

أ ـ تصحيح النية قبل الدخول في الحوار : وذلك بمساءلة النفس عن الغرض من الحوار هل هو إرادة الحق فحسب ، أو أن هناك أغراضاً أخرى كحب الظهور وإفحام الخصم أو أن يرى الناس مكانه ، فإذا كانت هذه الأغراض موجودة فليحجم المحاور عن الحوار حتى تتجرد نيته تماماً لله عز وجل وأنه يريد الحق ولو ظهر على لسان الطرف الآخر .

ب ـ حسن الاستماع والاهتمام بكلام الطرف الآخر : فالمتحدث البارع مستمع بارع فلابد من حسن الاستماع والانتباه لما يقوله الطرف المقابل وعدم مقاطعته وتركه حتى ينتهي ويدون أي فكرة تطرأ أثناء كلامه حتى يفرغ تماماً وهذا من التواضع وإعطاء الأهمية لكلام الآخرين حتى لايحصل العجب بالنفس وأنه الذي ينبغي أن يستمع له وأن غيره ليس عنده مايستحق ذلك ، كذلك على المحاور المخلص أن يراعي الوقت أثناء حديثه فلا يستأثر بالكلام كله بل يعطي الفرصة المكافئة للطرف الآخر حتى لايحصل العجب بالنفس المنافي للإخلاص أو الاحتقار للطرف الآخر ، وكذلك لأن المستمع لايستطيع أن يركز في سماع من يحاوره دون مقاطعة له أو انشغال عنه أكثر من ربع ساعة وبعد ذلك يكل الذهن ويقل التركيز وكما يقال : « إذا أردت أن ينفض الناس من حولك ويسخرون منك فتكلم بغير انقطاع ولاتعطي لأحد الفرصة في الحديث » .

ج ـ مراقبة النفس أثناء الحوار : جرت العادة عند أكثر المتحاورين أن يركزوا انتباههم على الطرف الآخر يحصرون الملاحظات على فكرته وطريقته في الحوار ، دون أن يراقبوا أنفسهم بنفس المقياس ، فينسى الإنسان نفسه ونوازعها ونبرات صوته وطريقته في الرد مما يكون له أثر سيىء على الحوار . ولاشك أن الإخلاص في الحوار يجعل الإنسان ينتبه لنفسه وعيوبه أكثر من غيره ، وضعف الإخلاص يحدث في النفس عجباً وشعوراً بأنها فوق الملاحظات .

د ـ التسليم بالخطأ : الإنسان بشر يخطىء ويصيب ، فمن الطبيعي أن يخطىء المحاور في مناقشاته وحواره

مع غيره ، والإخلاص لله عز وجل يفرض عليه التسليم بالخطأ عندما يتبين له وجه الصواب ، بل يشكر لصاحبه فضله في تبصيره له بالخطأ .

هـ ـ الحذر من الكذب والغموض واللف والدوران : قد يلجأ المحاور إلى الأساليب الغامضة بل الكذب أحياناً إذا أحس بضعف حجته ، أو أنه يريد أن يلبس على الطرف الآخر ويوهمه بما ليس له حقيقة ، وهذه صفة ذميمة يرفضها الإخلاص لله تعالى والخلق الكريم ، بل إن الحوار المبارك هو الحوار الصادق الذي يطمئن كل طرف فيه إلى الآخر ، وإذا طرح سؤال لايريد أحد الطرفين الإجابة عليه فيعتذر عن الإجابة ، ولايلجأ إلى الغموض واللف والدوران لأنه إذا فقدت الثقة بين الطرفين فقد فشل الحوار .

و ـ الأمانة : لابد من الأمانة في العرض والنقل واحترام الحقيقة وأن لاتقطع عبارة عن سابقتها أو لاحقتها عند الاقتباس لتخضعها لخدمة فكرتك فهذا نقص في الدين والإخلاص لأنه أخو الكذب فضلاً عن أنه يعرض من هذه صفته للسخرية وعدم الثقة به لتلاعبه بالنصوص .

ز ـ الإنصاف ـ من الإنصاف أن يبدي المحاور إعجابه وثناءه على الافكار الصحيحة والأدلة الجيدة وحسن الاستدلال والمعلومات الجديدة التي يوردها الطرف الآخر ويسلم بها وأن يذكر الطرف الآخر الإيجابيات والحسنات التي تتمثل فيه أو في فكرته وإن ظهر معها جوانب سلبية ، كما أن من الانصاف وضع النفس موضع الطرف الآخر والظروف المحيطة به والتي أدت به إلى الرأي المخالف .

ح ـ وضع الخطأ في حجمه الطبيعي وتجنب الشماتة : عند وضوح خطأ الطرف الآخر يجب أن يشعر بأن الخطأ ميسور التصحيح حتى لايداخله الشيطان وتفقده الدعوة من جراء خطئه كما أن تواضع الطرف المصيب أمر مهم حتى لايداخله الشيطان فيشعر بالتعالي على الطرف الآخر أو يشمت به وبفكرته الخاطئة ، فالمسلم المخلص يقصد من الحوار إظهار الحق ولو على لسان مخالفه .

ط ـ على كل طرف في الحوار تجنب الهزء والسخرية وكل مايشعر باحتقار أحدهما للآخر أو ازدرائه لفكرته أو وسمه بالجهل أو قلة الفهم أو التبسمات والضحكات التي تدل على السخرية .

ي ـ تجنب ضمائر المتكلم أثناء الحديث : حتى لايدخل الشيطان إلى النفس فيقع فيها العجب والغرور ، ينبغي تجنب إدخال ضمائر المتكلم أو ضمير الجماعة في الحديث كتكرار « نحن ، أنا ، عندنا ... الخ » مع مافيها من المضايقة للطرف الآخر □

* يتبع *





قراءة في فكر مالك بن نبي

ـ الحلقة الأخيرة ـ

محمد العبدة

بعد الحلقة الأخيرة في قراءة فكر مالك بن نبي كانت النية متجهة للكتابة عن بعض أخطائه ضمن الكتابة عن المدرسة التي تأثرت به ، وفي مكان آخر غير صفحات هذه المجلة ، ولكن بعض القراء أشاروا وطلبوا أن تكون الكتابة عن مالك في المجلة حتى تتضح الصورة ، وتظهر الايجابيات والسلبيات كي تقع الفائدة المرجوة وتتجنب الأخطاء ، واستجابة لهذا سأكتب عن الأخطاء ضمن المنهج الصحيح في الجرح والتعديل ؛ وهو أنه إذا غلب على الرجل الخير فالأولى تقديم إيجابياته والتغاضي عن سلبياته أو ذكرها مجملة ماأمكن ذلك ، ومماأردت في المقالات السابقة إلا عرض خلاصة أفكاره عن أمراض العالم الإسلامي وشروط النهضة ، وهي أفكار تستحق الدراسة والتأمل ، ونتمنى أن يستفيد منها المسلمون في كل مكان . فقد أصاب فيها المحز ، ووضع الإصبع على الجرح ، ورغم مرور سنين على طرحها ، لكن مشكلة المسلمين لازالت كما حللها وكتب عنها .

إن الأخطاء التي سنتكلم عنها ليست أخطاء عادية مما يقع لكل كاتب ، فكان لابد من ذكرها والتنبيه عليها .

النظرة السطحية للأحداث والشخصيات :

كان مالك بن نبي عميقاً في فهم غور الاستعمار وأساليبه الخفية للتسلط على العالم الإسلامي ، وعميقاً في معالجة (القابلية للاستعمار) عند المسلمين ، ولكنه في عالم الواقع والسياسة فيه سذاجة أو طفولة سياسية ، وهذا ليس غريباً فقديماً تعجب الإمام ابن الجوزي من شخصية أبي حامد الغزالي ، كيف يجمع بين الفقه والذكاء من جهة ، وبين الصوفية وحكايات العجائب والخرافات من جهة أخرى .

١ ــ أعجب مالك بثورة ٢٣ يوليو في مصر ، ومدحها ووضع آماله فيها من ناحية الإصلاح الزراعي والصناعة ، وإنشاء وزارة الثقافة والإرشاد ، والحياد الإيجابي ، وكل الدجل والشعارات التي أطلقها مهرج هذه الثورة .

فثورة يوليو ١٩٥٢ عند مالك « من أهم الحوادث بالنسبة للصراع الفكري ، وكان لهذا الحدث تأثير شرارة كهربائية انطلقت في وعي البلاد العربية والعالم الإسلامي » [١] « وكل عربي يعلم أن نظرة الرئيس جمال عبد الناصر خطت للنهضة العربية الاتجاه الصحيح الذي يحقق الشرط الأول للانسجام مع القانون العام ... » [٢] .

كيف يكون هذا الزعيم بهذه الصفات ونحن لانعلم أن هناك زعيماً آخر في العصر الحديث ترك بلاده خراباً مثل جمال عبد الناصر ؟ كيف لايدري مالك ابن نبي وهو من هو في فهم اللعبة الاستعمارية أن عبد الناصر كان ضمن (لعبة الأمم) ، وأنهم ساعدوه على صنع هذه البطولة المزيفة ، وحتى لو كانت هناك بعض الاصلاحات المادية ــ وهي لم تتحقق فعلاً ــ فأين الحديث عن الاستبداد السياسي وكرامة الشعب المسحوقة ؟ بل أين تطبيق الإسلام ؟.

٢ ــ علق مالك بن نبي آمالاً كبيرة على مؤتمر باندونغ ، واعتبره كتلة سلام للعالم ، واعتبر هذا التنوع الذي يضم تسعاً وعشرين دولة ، تضم تراثاً فكرياً متفاوتاً « يمكن بطبيعة الحال أن يقدم العناصر اللازمة لبناء قاعدة متينة

---

١ ــ الصراع الفكري / ٢٢ .
٢ ــ تأملات / ١٧٨ .

للسلام ... » (١) . هذه نظرته لهذا المؤتمر ، والحقيقة أنه كان يحب التكتلات الكبيرة لمواجهة الغرب ، وقد يكون معه بعض الحق في هذا ، ولكن مثل هذا التكتل كان يحمل بذور فشله ، وقضية الحياد التي يرفعها لم تكن صحيحة ، فكل دولة منحازة ، والهند التي كانت من أبرز أعضاء المؤتمر وتدعي السلام والروحانية كانت تحمل بين جوانحها الكره العميق للمسلمين ، بل إن صورة الهند العداونية كانت من البديهيات عند الشباب المسلم في الستينات ، ولم ينخدعوا بكلام الدبلوماسي الهندي « ليس لدينا من الخشوع مايكفينا ونحن ذاهبون إلى باندونغ » (٢) ، ويصدق مالك بن نبي أن نهرو حمل رسالة اللاعنف التي سلمه إياها غاندي ، ونهرو هذا يكتب في (المجلة العصرية) مقالتين ينكر فيهما على الجمعيات المسلمة الحركة ضد القاديانية ويؤيد جانب القاديانية » (٣) ، وهند نهرو هي التي احتلت كشمير وأخذتها بالقوة ، فأين السلم وأين الديمقراطية التي تدعيها ؟ وما الفرق بين الهند وباكستان في (القابلية للاستعمار) .

وقد أدرك مالك أخيراً عدم جدوى أي محاولة تجمع ليست عناصره منسجمة (٤) ، كما كان يلمح في آخر حياته بأن ثورة ٢٣ يوليو لم تقم بالواجب ، ولاشك أن الكبار من أمثال مالك بن نبي يتراجعون إذا عرفوا الحق .

٣ ــ كانت روسيا بعد الثورة الشيوعية تدعي أنها دولة صديقة للشعوب وللعالم الثالث ، وأنها ليست دولة استعمارية ، وقد صدق مالك بن نبي هذه المقولة ، يقول : « فالمناخ الاستعماري الذي تكوّن في أوربا وأمريكا على حد سواء ، وفي الاتحاد السوفييتي قبل الثورة أيضاً » ولكن الحقيقة أن روسيا مستعمرة قبل الثورة وبعدها ، ولم تتخل عن جشع الدول الكبرى ، وهي وجه آخر للحضارة الغربية .

٤ ــ نقد مالك الانتخابات السياسية التي تطالب بالحقوق فقط وتنسى الواجبات ، وتعتمد أسلوب المظاهرات والحفلات ، وهو محق في هذا ، ولكنه شارك في هذه الوسائل ، وساعد (مصالي الحاج) في قيام الحزب الوطني ،

---

١ ــ فكرة الأفرو آسيوية / ٩٨ .
٢ ــ المصدر السابق / ٧ .
٣ ــ مسعود الندوي . تاريخ الحركة الإسلامية في الهند / ٢٢٠ .
٤ ــ فكرة كومونث إسلامي / ٧ .

مع أنه ينتقده هو وحزبه ، ولكنه حب الحركة ثم يكتشف الأخطاء بعدئذ .

اللاعنف :

أعجب مالك بن نبي بقصة (اللاعنف) عند غاندي ، فهو يذكرها دائماً ، بل يذكرها بخشوع ، ويبني عليها أحلامه الفلسفية في السلام العالمي ، واتجاه العالم نحو مناقشة قضاياه بالسلم والحوار والفكر ، يقول عن منطقة جنوب شرقي آسيا : « هي مجال إشعاع الفكر الإسلامي وفكرة اللاعنف ، أي مجال إشعاع حضارتين : الحضارة الإسلامية والحضارة الهندوكية ، الحضارتان اللتان تختزنان أكبر ذخيرة روحية للإنسان اليوم » [1] .

ويحلق في الخيال والطوباوية عندما يقول : « فكذلك رفات غاندي التي ذروها فإن الأيام ستجمعها في أعماق ضمير الإنسان من حيث سينطلق يوماً انتصار اللاعنف ونشيد السلم العالمي » [2] . « هذا الرجل (غاندي) كان يتقمص إلى درجة بليغة الضمير الإنساني في القرن العشرين » [3] .

إن فكرة (السلم العالمي) بمعنى أن يحل السلام في العالم بشكل دائم ، أو أن العالم يتجه نحو هذا الهدف ، هذه الفكرة غير واقعية وغير شرعية ، وهي فكرة خيالية محضة ، فهي تنافي مبدأ الصراع الذي ذكره القرآن الكريم ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ [البقرة / ٢٥١] كما تنافي مبدأ الجهاد في الإسلام ، وهي غير واقعية لأن من طبيعة البشر التغالب والعدوان إن لم يردعهم رادع ، والدول الكبيرة القوية تأكل الضعيفة إن لم يكن عسكرياً فاقتصادياً . والبشرية لن تبلغ رشدها في عمرها الثالث فتصبح الفكرة ذات قيمة في حد ذاتها كما يتصور مالك بن نبي [4] ، بل إنها كثيراً ماتتردى من الناحية الإنسانية ، والبشرية لاتبلغ رشدها إلا إذا حكمها الإسلام .

---

١ ــ في مهب المعركة / ٨٧ .
٢ ــ المصدر السابق / ٢٠٨ .
٣ ــ المصدر السابق / ٢٠٧ .
٤ ــ انتاج المستشرقين / ٣٥ .

إن فكرة (اللاعنف) و (الإنسانية) من الأفكار الخطيرة التي بذرها مالك ووسعها بعدئذ تلامذته ، وحاولوا اللف والدوران كثيراً حول مبدأ الجهاد الإسلامي .

الإنسانية والعالمية :

وقريب من مبدأ (السلام العالمي) كان مالك يحلم بأن تتوحد الإنسانية في مجتمع عالمي ، ويظن بأن البشرية تسير بهذا الاتجاه.، « فالعالم قد دخل إذن في مرحلة لايمكن أن تحل فيها أغلبية مشكلاته إلا على أساس نظم الأفكار » (١) ، « وحين اتجه العالم إلى إنشاء منظمة اليونسكو ، كان يهدف إلى (تركيب) ثقافة إنسانية على المدى البعيد » (٢) « ومامحكمة العدل في لاهاي والقانون الدولي ، والقانون البحري إلا مظاهر خاصة لذلك الاتجاه العام الذي لايفتأ يمهد الطريق لتوحيد العالم » (٣) .

هذا المفهوم للإنسانية مفهوم وهمي يراد به محو الشخصية الثقافية الحقيقية لكل مجتمع ولكل أمة ، وإذا كان العالم قد تقارب وانتشرت الأفكار في كل مكان ، وقد يستفيد المسلمون من ذلك في نشر دينهم الذي يملك عناصر التأثير والقوة ، ولكن أن يتوحد العالم في مجتمع واحد فهذا مفهوم ذهني مجرد ، وإذا كان هو نفسه شعر بأن فكرة الأفرو آسيوية صعبة التحقيق ، ولذلك عاد وكتب عن (الكومنولث الإسلامي) ؛ فكيف يظن أن العالم يسير نحو الوحدة ؟!

ضعف ثقافته الشرعية :

لم يتصل مالك بن نبي بعلماء عصره ليستفيد منهم ، ورغم اعترافه بأهمية جمعية العلماء في الجزائر التي كان على رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس ؛ إلا أن علاقته بها كانت فاترة ويعترف هو بعد لأي أنه كان مخطئاً في هذا (٤) ،

---

١ ــ مشكلة الثقافة / ١٤ .
٢ ــ المصدر السابق / ٩٦ .
٣ ــ وجهة العالم الإسلامي / ١٥٤ .
٤ ــ بقي له ملاحظات مهمة على جمعية العلماء سنذكرها في نهاية المقال .

ولذلك كانت دراسته للإسلام نابعة من قراءاته الشخصية وهي قليلة إذا قيست بقراءاته في الفكر الغربي ، وهذا ماجعله يخطيء في أمور كثيرة سواء كانت في الفقه والأحكام أو في النظرة لبعض جوانب التاريخ الإسلامي ، فمن رموز الثقافة عنده الفارابي ، وابن سينا ، وابن رشد [١] .. « والمجتمع الإسلامي في عصر الفارابي كان يخلق أفكاراً وفي عهد ابن رشد يبلغها إلى أوربا وبعد ابن خلدون لم يعد قادراً على الخلق ولا على التبليغ » [٢] .

وفي العصر الحديث فإن من رموز الثقافة عنده جمال الدين الأفغاني ، وهو موقظ الشرق ، وهو رجل الفطرة ... الخ . وإطلاقه هذا القول جزافاً يدل على ضعف ثقافته الشرعية .

وفي التاريخ يلمز كثيراً بني أمية دون وضع الضوابط للإنصاف والتقويم الصحيح . وبسبب عدم وضوح توحيد الألوهية ظن أنه من الممكن اتصال العالم الإسلامي بروحانية الهند « وليس بوسعنا أن نغض من قيمة الدور الذي يمكن أن يؤديه اتصال العالم الإسلامي بروحانية الهند » [٣].

ولم يشر في كتبه إلى موضوع تحكيم الشريعة الإسلامية ، وكان معجباً بدولة الوحدة عام ١٩٥٨ مع أنها لاتطبق شرع الله ، وهناك أخطاء جزئية لانريد التفصيل فيها ونعتقد أنه لو نبه عليها لتراجع .

وقبل أن ننهي هذه القراءة لفكر مالك بن نبي لابد من التنبه لأمور :

١ ــ هذه السلبيات والأخطاء يجب أن لاتمنعنا من الاستفادة من الايجابيات ، فهذا المفكر خبير في نهضة المجتمعات وأمراض المسلم المعاصر . وكأني أسمع بعض المسلمين يقولون : مادامت هذه آراؤه فما الفائدة من قراءة كتبه ؟ وهذا خطأ فادح منهم ، فنحن نقرأ لأعداء الإسلام ونستفيد منهم ؛ فكيف بمفكر كان يسعى ــ حسب جهده ــ لخير المسلمين ، وإن أخطأ في مواضع .

٢ ــ إن مالك بن نبي شخصية كبيرة ، فهو يتراجع عن الخطأ إذا تبين

---

١ ــ شروط النهضة / ٧١ .
٢ ــ مشكلة الثقافة / ٤٨ .
٣ ــ وجهة العالم الإسلامي / ١٧٠ .

له ، لقد نصح جمعية العلماء في الجزائر بصدق وقال كلاماً دقيقاً في هذا « لقد كان على الحركة الإسلامية أن تبقى متعالية على أوحال السياسة والمعامع الانتخابية » (١) « وبأي غنيمة أراد العلماء أن يرجعوا من هناك وهم يعلمون أن مفتاح القضية في روح الأمة لا في مكان آخر » (٢) ، وهو يقصد سير العلماء في القافلة السياسية عام ١٩٣٦ .

ويقول : « فيما يخصني لقد بذلت شطراً من حياتي في سبيل الحركة الإصلاحية ، وشهدت في مناسبات مختلفة بالفضل لجمعية العلماء » (٣) ، ويتأسف لأن الجمعية لم تدعه للمساهمة في شؤونها الإدارية ، ومع ذلك فقد تراجع واعترف أن موقفه من الجمعية لم يكن طبيعياً بسبب نظرته الخاصة للشيخ ابن باديس .

٣ ــ رغم معرفة مالك الدقيقة بالفكر الغربي ، وتأثره به في بعض الأحيان إلا أن أمله في التغيير بقي معلقاً في الأصالة الإسلامية ، وبالرجوع إلى المنبع الأساسي للمسلمين « فالعالم الإسلامي لايستطيع أن يجد هداه خارج حدوده بل لايمكنه في كل حال أن يلتمسه في العالم الغربي الذي اقتربت قيامته ، ولكن لايقطع علاقته بحضارة تمثل أحد التجارب الإنسانية الكبرى ، بل المهم أن ينظم العلاقة معها » (٤) ، « والمسلم لايزال يحتفظ بالقيمة الخلقية ، وهو ماينقص الفكر الحديث ، فالعالم الإسلامي لديه قدر كبير من الشباب الضروري لحمل مسؤولياته مادياً وروحياً » (٥) .

فهل يتحمل الشباب هذه المسؤوليات ؟ نرجو ذلك □

---

١ ــ شروط النهضة / ٣٨ .
٢ ــ المصدر السابق / ٣٤ .
٣ ــ في مهب المعركة / ١٩٠ .
٤ ــ وجهة العالم الإسلامي / ١٢٧
٥ ــ المصدر السابق / ١٥٧ .



معن عبد القادر

مقدمة :

وقف المشركون من دعوة رسول الله ﷺ موقفاً لايتغير في جوهره وهدفه ، فهو العداء المستحكم ، والسعي الحثيث إلى قتل الدعوة في مراحلها المختلفة ، إلا أن هذا الهدف قد ظهر في صور متعددة تتخذ مرحليّة جلية في العداء . وهذا المقال يلقي الضوء على أهم تلك الصور ، ويشير إلى المرحلية التي سلكها المشركون في العداء ، معرجاً على موقف أهل الحق ــ متمثلين في رسول الله وصحبه ــ من هذه الصور المختلفة .

١ ــ مرحلة عدم الاكتراث بالدعوة :

بدأ الرسول ﷺ بالدعوة منذ أن نزل عليه ﴿ يأيها المدثر . قم فأنذر ﴾ وكانت دعوته في بادىء الأمر سرية ، ولا يُفهم من ذلك أن المشركين في تلك الفترة لايعلمون عن محمد ودعوته شيئاً ، لكن حيث جاء الرسول بما يخالف ماعليه القوم مخالفة كلية ، وحيث علم أنه ليس من السهولة أن يلتف الناس حوله إذا جهر بالدعوة بينهم مجتمعين ، فقد كان يتخير من يتوسم فيه القبول فيسرُّ

له بأمر الدعوة ، وهكذا خفي على المشركين أو الكثير من أتباع الرسول ﷺ ولكنهم لم يخف عليهم أن للرسول دعوة . فهذا أبو ذر وعمرو ابن عنبسة وغيرهم يأتون النبي لأنهم قد سمعوا به ، وانتشر بينهم أنه يدعو إلى أمر جديد ، إلا أن الرسول وهو في بداية أمره لم يواجه قومه بتسفيه ماهم عليه ، فلم ينشأ عندهم الشعور القوي بالخطر من دعوته ، فكان من أثر ذلك أنهم لم يكترثوا بأمره .

جاء في سيرة ابن هشام : « فلما نادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد عنه قومه ولم يردوا عليه ، حتى ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا خلافه وعداوته » [تهذيب سيرة ابن هشام / ٥٥] .

وهكذا الأمر دائماً ، عندما لايشعر أهل الباطل بأن في دعوة الحق خطراً عليهم ، فإنهم لايبدون اكتراثاً بأمرهم ، وإن كانوا لايخفون بغضهم وكراهيتهم واستهزاءهم بالحق وأهله ، ولكن أنى لدعوة أن تنتشر ويظهر أمرها ، وتقوم بالأمانة المنوطة بها ، وهي تستر ركناً عظيماً من أركانها وهو الكفر بالطاغوت . قد يكون هذا ممكناً في حق فرد ، ولكنه لايكون في حق دعوة بأكملها .

٢ ـ المحاولات غير المباشرة لإسكات الرسول ﷺ :

ولما أعلن الرسول كفره بآلهتهم ، وتسفيه معتقداتهم ، حاول المشركون أن ينهوا الأمر بمحاولة إسكاته عن القيام بدعوته ، وذلك عن طريق عمه أبي طالب ، فمن ذلك طلبهم منه في المرة الأولى أن يكف ابن أخيه عنهم أو يتركهم ليروا أمرهم فيه فردهم أبو طالب رداً جميلاً . [التهذيب / ٥٥] .

ولما لم تثن تلك المحاولة الرسول عن عزمه حاولوا مرة أخرى بلهجة أشد . [التهذيب / ٥٦] وكان جواب الرسول واضحاً صريحاً وقاطعاً في أنه لاأمل في ثنيه عن دعوته : « والله ماأنا بأقدر أن أدع مابعثت به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار » [التعليق على فقه السيرة / ١١٠] .

٣ ـ صياغة الاتهامات لتضليل العامة :

ولما أيقنت قريش أنها لاتستطيع

ثني الرسول عن الصدع بدعوته ، حولت جُلّ جهودها إلى إنشاء مناعة عند عامة العرب ضد الإيمان به ، أو حتى الاستماع إليه ، فاجتمعت قريش قبل موسم الحج بزعامة الوليد بن المغيرة لصياغة الاتهامات المناسبة لصد الوفود عن الاستماع إلى الرسول « فقال لهم : يامعشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم ، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً » [التهذيب / ٥٧] ، فتقلبت أقوالهم بين ساحر وكاهن وشاعر ، ثم استقر رأيهم على اتهامه بالسحر ، كما تظهر القصة ، وإن كانوا في الحقيقة لم يستقروا على اتهام واحد ﴿ إنكم لفي قول مختلف ﴾ .

ومن ذلك مالقي به المشركون الطفيل بن عمرو الدوسي ، وأعشى قيس ، وغيرهم ممن كان يقدم مكة للسماع من الرسول ﷺ .

وكان من مشيئة الله أن جعل من تلك الاتهامات والتحذيرات دعاية للدعوة « وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها » [التهذيب / ٥٨] .

٤ ـ مرحلة التعذيب لفتنة المؤمنين :

ولما لم تفلح تلك المحاولات في صد الناس عن الإيمان بالدين الجديد ، تواصى المشركون فيما بينهم بالتفنن في التعذيب لرد من آمن بمحمد عن دينه ، وقد لخص كبيرهم أبو جهل مخططهم في ذلك : « وكان أبو جهل الفاسق .. إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ، ولنفيِّلَنَّ رأيك ، ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجراً قال : والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك ، وإن كان ضعيفاً أغرى به » [التهذيب / ٧١ ، ٧٢] .

وبدأت مرحلة التعذيب الرهيب كفعل أبي جهل بآل ياسر ، وأمية بن خلف ببلال ، ويكفي في تصوير شدة هذا التعذيب مايرويه سعيد بن جبير قال : قلت لعبد الله بن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب مايعذرون

به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى مايقدر أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به ، حتى يعطيهم ماسألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول نعم ، افتداء منهم مما يبلغون من جهده » [التهذيب / ٧٢] .

ولقد أصاب الرسول ﷺ في تلك المرحلة شيء من الأذى ، كالذي فعله به عقبة بن أبي معيط حين وضع سلا جزور على رأسه وهو ساجد ، وعندما اجتمع عليه المشركون حول الكعبة ففرقهم أبو بكر عنه .

والحقيقة أن التعذيب لم ينته عند مرحلة معينة ، بل استمر طويلاً ، إلا أن الهدف منه في المرحلة الأولى والدعوة في طفولتها كان المحاولة في رد الأتباع القلائل عن دينهم ، وتخويف غيرهم من الدخول في الدين ، لكن بعد أن قويت شوكة الدعوة كان التعذيب لمجرد الانتقام ، ولتنفيس الغيظ والحنق الذي في نفوس المشركين ، أو للأخذ بشيء من ثاراتهم من المسلمين ، ومن ذلك مافعله المشركون بخبيب حين صلبوه .

ولابد لنا هنا من وقفة عند أثر هذه المرحلة على أتباع الدعوة ، وعلى سير الدعوة نفسها :

- أخرجت تلك الابتلاءات نماذج عظيمة في الثبات على دين الله ، والتضحية في سبيل العقيدة .
- وكان فيها تربية صلبة للأصحاب أعدتهم رجالاً لتلك الدعوة ، فوق ماارتفعت به درجاتهم عند الله .
- وزادت من الترابط بين أتباع الدين الجديد .
- وأدت إلى شيء من تعاطف العامة من المشركين مع هؤلاء المتستضعفين .

وهذه وغيرها مكاسب عظيمة للدعوة ، كان الابتلاء سبباً مباشراً لها .

ووقفة أخرى مع موقف الرسول ﷺ وهو يرى أتباعه يعذبون :

لقد أصاب رسول الله أذى من المشركين ، لكنهم لم يكونوا ليبلغوا منه شيئاً كثيراً لمكانة عشيرته بينهم ، ولكن عديداً من أصحابه واجه فتنة

لاطاقة لكثير من البشر بها ، فماذا كان موقف الرسول من ذلك ؟.

لقد أبدى الرسول تعاطفاً شديداً وشفقة حانية على أتباعه من المعذبين ، فكان يمر بآل ياسر ، ويثبتهم على مصابهم ، ويعدهم الجنة ، وكذلك كان حال المسلمين ممن لم يصبهم الأذى ، فهذا أبو بكر ينفق ماله على إعتاق المعذبين من الرقيق .

ولم ينته دور الرسول عند التعاطف والإشفاق ، بل كان يبحث عن كل مامن شأنه أن يخفف المصاب عن أتباعه من حلول عملية .

فكان يأمر من أسلم من الضعفاء أو ممن يخشى عليه الفتنة أن يكتم إسلامه عن أهله ، ويأمر بعض من يأتيه من قبائل العرب مسلماً أن يعود إلى قبيلته لأنه لاسند له بمكة .

ولما علم أن في الحبشة ملكاً لايظلم أمرهم بالهجرة إليه فراراً بدينهم .

إذن : كان الرسول يرفع من معنوياتهم ، ويذكرهم بالأجر والثواب ، ويؤكد نصر الله إياهم بعد حين ، وفي نفس الوقت كان يبحث لهم عن حلول عملية تخفف من وقع الفتنة عليهم .

إن التعاطف والسعي لتخفيف وطأة التعذيب على المسلمين أمر مطلوب ، وواجب على القيادة المسلمة تجاه أتباعها ، أما التخلي عن شيء من المنهج ، ولا أقول الأسلوب والسياسة ، تفادياً للمواجهة ، واتقاءً لبطش الجاهليين ، فأمر لايرضاه الله ، وقد عصم منه رسوله ، وللأسف فقد سقط في هذا المزلق بعض المخلصين بدافع إخلاصهم وشفقتهم على إخوانهم .

إن الإسلام وهو دين الرحمة قد جعل للأفراد رخصاً يجيز لهم الأخذ بها وقت الشدائد تصل إلى التلفظ بكلمة الكفر ، ولكن لايجوز لأحد مهما بلغت به الفتنة أن يهادن في دين الله أو يحرف في منهجه .

إن بعض المخلصين ، وقد أحزنهم وشق عليهم مانزل ببعض إخوانهم ، وقد بدأوا يبدون التميع ، ويبدون التفاوض مع الجاهلية ، بمبادئهم لتخفيف الوطأة على إخوانهم .

وبدأوا ينطلقون من منطلق « كفانا

أشلاء ودماء » وبدأ منهجهم يتكيف مع هذا المنطلق في جوهره وليس في أسلوبه فقط . إن أشلاء إخواننا ودماءهم غالية على كل مسلم غيور ، ولكننا أيقنا أنها الثمن الذي أراده الله للنصر ... وللجنة .

إن الدعوة التي اشتدت عليها الفتنة ، فبدأت تغير من منهجها ، ومرة أخرى لأقول : من أسلوبها ؛ قد سقطت في الابتلاء الذي جعله الله سنة في الدعوات : ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ﴾ ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ﴾ .

إن التربية التي ترسخ في النفوس أن الابتلاء سنة الله في الدعوات ، مهمة جداً ، مهمة للقادة حتى لايسقطوا في الابتلاء ، ويحرفوا المنهج تفادياً له ، فيضلوا ويضلوا . مهم للأتباع حتى يثبتوا بتثبيت الله لهم عند الابتلاء ، وحتى لايتسبب ابتلاؤهم في صب جام غضبهم ولعنتهم على إخوانهم وعلى منهجهم لأنه بزعمهم السبب فيما وقعوا فيه .

إن أي مسلم غيور ، لتذهب نفسه حزناً وهماً على مايصيب إخوانه في العقيدة ، وهو مطالب بأن يبذل وسعه في سبيل التخفيف عنهم ، وإن كان مانقدمه حقيقة قليل جداً ، وذلك لتراكم الظلم من كل جهة ، ولبخل بعضنا وقعودهم عن بذل كل إمكاناتهم وقدراتهم في سبيل نصرة إخوانهم ، ولكن لايجوز لنا أن يجرفنا الهم والحزن إلي التخلي عن شيء من منهجنا تفادياً للمواجهة ، وفي موقف رسول الله ﷺ من خباب رضي الله عنه وهو يأتيه شاكياً عند الكعبة تثبيت لتلك السنة في نفوس أصحابه بضرب المثل بما لاقاه أسلافهم من المؤمنين ، ثم ثبته بتأكيد نصر الله لهم ولو بعد حين . يقول خباب : « أتيت النبي ﷺ وهو متوسد بردة وهو في ظل الكعبة ، وقد لقينا من المشركين شدة ، فقلت : يارسول الله ، ألا تدعو الله لنا ؟ فقعد وهو محمر وجهه فقال : لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد مادون عظامه من لحم أو عصب ، مايصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه

فيشق باثنين ، مايصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت مايخاف إلا الله » [البخاري ٧ / ١٦٤] .

وكذلك خرج بأصحابه مثخناً بالجراحات يوم أحد ، وذهب منهم سبعون شهيداً من خيرة الصحابة ، وهو عدد ليس بقليل في ذلك الوقت من عمر الدعوة ، لقد كانوا عشر جيش المسلمين ، فماذا كان من الرسول بعد هذا البلاء المبين ؟ يقول ابن إسحاق : « قدم على رسول الله ﷺ بعد أحد رهط من عضل والقارة فقالوا : يارسول الله إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام ، فبعث رسول الله ﷺ معهم نفراً من أصحابه » [التهذيب / ١٩٤] ثم كان ماكان من هذيل في يوم الرجيع إذ قتل وفد رسول الله جميعهم ، وكانوا ستة كما عدهم ابن إسحاق .

ثم ماذا ؟ ثم بعث رسول الله أصحاب بئر معونة على رأس أربعة أشهر من أحد [التهذيب / ٢٠٠] وقتل فيه أربعون صحابياً من خيار المسلمين غدراً وخيانة . بلاء على إثر بلاء ، ولكن الدعوة مستمرة ، والمنهج محفوظ ، يختار الله من يشاء من المخلصين إلى جواره ، وتبقى بقية القافلة في سيرها إلى الله كما أمرها الله .

٥ ــ مطاردة الفارين بدينهم خارج الحدود :

« فلما رأى رسول الله ﷺ مايصيب أصحابه من البلاء ، وماهو فيه من العافية ، بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب ، وأنه لايقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لايظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفراراً إلى الله بدينهم » [التهذيب / ٧٢] .

ولكن طغاة قريش لم يطب لهم العيش ، وهم يرون أتباع الدعوة وقد أصابوا داراً وقراراً عند ملك الحبشة ، فكان ماكان من مؤامرات حتى

يخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها .

وكان من رحمة الله بعباده المؤمنين ، ومن حمايته لدعوته وحفظه لها أن رد وفد قريش خائباً ، وجعل للمسلمين من عدل النجاشي ملجأ ، وإن لم يكن على دين الإسلام في بادىء الأمر . وهذه الصورة بكل جوانبها لاتزال تكرر نفسها .

يضطهد المسلمون في أرضهم ، فيفرون بدينهم منها ، ويحاول الطغاة أن يتبعوهم بأذاهم حيث ماكانوا ، فتدرك المؤمنين رحمة الله فييسر لهم من الأسباب مايحفظهم من الأذى ، ونحن نرى تلك الأسباب في الغالب يهيئها الله على أيدي كفار آخرين يملكون شيئاً من حرية الفكر واحترام الإنسان ، فسبحان من ينصر دينه بالرجل الفاسق .

٦ ــ المفاوضات (الإغراءات) المادية :

ولما لم تفلح كل تلك المحاولات مرة أخرى في قتل الدعوة ، أو حتى في إيقاف انتشارها الواسع ، وعندما قوي أتباع الرسول ﷺ واشتد أمرهم بإسلام حمزة وعمر وغيرهما ، لجأ الطغاة إلى محاولات لإغراء الرسول بأمور الدنيا ، كي يتنازل عن دعوته .

ومثال تلك المحاولات مفاوضة عتبة بن ربيعة أرسلته قريش مندوباً عنها ليعرض على الرسول الملك والجاه والمال كي يكف عن دعوته .

ولا تزال تلك الوسيلة تستخدم لشلِّ الدعوة وشراء الدعاة ، فيتم بذلك احتواءهم وتسييرهم إلى الوجهة التي يراد لهم السير فيها ، وكم من داعية لم يسقط بالترهيب والتهذيب سقط بالإغراء والترغيب .

٧ ــ المفاوضات الدينية والسعي وراء التنازلات :

وتمثل تلك المرحلة أخبث وأخطر ماتفتق عنه تخطيط الطغاة ومكرهم . إن أهل الباطل ليس لهم منهج ثابت محدد يلتزمون به ، وإنما يدورون مع مصالحهم حيث دارت ، ومصلحتهم العظمى كما يرونها في عداء الحق والسعي لإطفاء نور الله ، ومن هنا فإن أهل الباطل لايجدون غضاضة ولا صعوبة في أن يعترفوا بشيء من الحق

ويتفاوضوا مع أهله إذا كان في ذلك قضاء على الحق وأهله ولو بعد حين .

أما أهل الحق فموقفهم مختلف تماماً ، إنهم لاينطلقون من مصالح معينة ، إن لهم منهجاً ثابتاً محدداً أنزله الله إليهم ، وأمرهم باتباعه وحذرهم من مخالفته ، وقضيتهم في جوهرها إنما هي استمساك بهذا المنهج الثابت ومحافظة عليه ، والذب عنه حتى الموت .

ومن هنا فإنهم ليس لهم من الأمر شيء ، ولا يملكون أن يتنازلوا عن شيء من هذا المنهج لأي هدف كان ، إذ أن منهجهم هو قضيتهم ، ومصلحتهم في العض عليه بالنواجذ ، وتحقيق أي هدف في الحياة الدنيا ، ولو بدا سامياً عند البعض لايجوز أن يتم بالتنازل عن شيء من المنهج .

وتدبروا في موقف أهل الباطل من التنازلات ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾ إن لديهم الاستعداد للمداهنة ، ولا مانع لديهم من التنازلات عن شيء من باطلهم في مقابل تنازل أهل الحق عن شيء من حقهم .

يقول ابن كثير في تفسير سورة الكافرون : « قيل إنهم (أي كفار قريش) من جهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة أوثانهم سنة ، ويعبدون معبوده سنة ، فأنزل الله هذه السورة فأمر رسوله ﷺ فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال : لا أعبد ماتعبدون » .

إنه لافرق البتة بين أن يعبد المشركون آلهتهم أبد الدهر ، أو يعبدوها سنة ويعبدوا الله سنة بعدها ، كله باطل ، ومايضير المشركين أن يقدموا مثل هذا التنازل ، وهم بذلك يكسبون الاعتراف الصريح من أهل الحق بشرعية ماعليه أهل الباطل .

ولكنه فرق أبعد مما بين السماء والأرض ، بين أن يعبد المسلمون الله كل عام ، أو يعبدوه عاماً ويعبدون آلهة المشركين عاماً بعده ، إن الصورة الأولى هي الحق ، والثانية باطل من جملة الباطل وشتان بين الحق والباطل .

وماذا يكسب المسلمون من مثل هذا التنازل ؟ اعتراف أهل الباطل بحق أهل الحق في الوجود ؟! وماذا يعني لو تم ذلك ؟ هل حققنا قضيتنا ؟ وكيف نحقق الكفر بالطاغوت وهو

قرين الإيمان بالله ونحن نقدم مثل هذه التنازلات ؟.

وثبت الله رسوله أمام هذا الكيد الجديد ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً ﴾ وعلمنا الموقف الذي نقفه من هذا الكيد ، وحذرنا من المداهنة في دين الله ، بل جعل من أصول ديننا معاداة الكافرين وبغضهم والبراءة منهم ، حتى يقطع كل سبيل إلى الجلوس معهم لتقريب وجهات النظر !!

٨ ــ المواجهة المسلحة :

ولما رد الله الذين كفروا بغيظهم في كل مناسبة ، ورعى دعوته حتى شبت وقوي عودها ، وأحس المشركون بخطر الدعوة على وجودهم ، كانت المواجهات المسلحة ولابد أن تكون ، فكانت بدر ثم أحد والخندق وغيرها من السرايا والغزوات ، ثم كان يوم الفتح الأكبر ، فتح مكة .

وصدق الله وعده للمؤمنين وهم بمكة يعذبون ، أو وهم في الحبشة يطاردون ، أنه ناصرهم على الكافرين .

هذه أبرز صور العداء التي واجهتها الدعوة الأولى ، ولا يملك المسلم الذي يعيش في هذا العصر وهو يراجع تلك الصور إلا أن يتساءل ﴿ أتواصوا به ﴾ .

إن المحاولات هي ذاتها ، وإن أصبحت في كثير من الأحيان أعنف وأشد خطراً على الدعوة ، لازدياد كيد العدو من جهة ، ولضعف إيمان المسلمين من جهة أخرى □

خواطر في الدعوة

أيها الدعاة ... لاتفسدوا الأخوة

من أثمن مايملكه المسلم في هذه الحياة الدنيا بعد الصلة بالله عقد الأخوة الإيمانية الذي عقده مع من يحبهم في الله ، وتعاهد معهم على العمل سوية في سبيل نصرة دين الله . هذا العقد من أقوى الأسباب لمجابهة الصعاب والتحديات ، ولحل المشكلات التي تعترض الطريق ، وبه يشعر المسلم أنه ليس وحيداً ، فهناك من يشد أزره ويضع يده على يده ، غير أن هذه الأخوة قد تعكر صفوها هنات وهزات ، هي صغيرة ولكنها تكبر مع الأيام ويكبر أثرها ، فتنفر القلوب ، وتقع الوحشة وهذا مزلق خطير يجب على الأخ المسلم تجنبه فخسارة أخ لايعوضها أي شيء .

إن كثرة العتاب وكثرة المماراة والجدل ، خاصة إذا شابها نية إظهار التميز وفضل العقل ، بل وكثرة المزاح ؛ من الأشياء التي تؤدي إلى الوحشة ، قال أصحاب طب القلوب : « إذا قصر الأخ في حق أخيه فالواجب الاحتمال والعفو والصفح إلا إن كان بحيث يؤدي استمراره إلى القطيعة فالعتاب في السر خير من القطيعة ، والتعريض به خير من التصريح ، والمكاتبة خير من المشافهة ، والاحتمال خير من الكل » .

إن الأخوة التي نحرص عليها كل الحرص ، ونعض عليها بالنواجذ خاصة في مثل هذه الأيام والظروف التي تمر بالمسلمين لها حقوق إذا قمنا بها فلعلها

تستمر وتقوى ، ومن هذه الحقوق التفقد لأحواله والسؤال عن حاجاته ، قبل أن يضطر إلى طلب المساعدة والعون ، فهذا هو الأليق ، وهذا هو الذي يفرحه ويسره ، فإذا نسيت وسألك حاجته فبادر إلى قضائها ، وإذا لم تفعل هذا فكبّر على هذه الأخوة ، ومنها : الوفاء والثبات عليها ، فلا يذكره إلا بخير ، ويحفظ غيبته ، فلا يعرض به أمام الآخرين بأسلوب ظاهره الشفقة والنصح وباطنه الغيبة المحضة ، بل يجب عليه استحضار محاسن أخيه وحفظه في أسراره فلا يبثها للآخرين ، وبذلك لايدع للشيطان مدخلاً : ﴿ قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ، إن الشيطان ينزغ بينهم ﴾ .

ومن حقوقها : ترك التكلف حتى لايشعر الأخ أنه غريب عن أخيه ، ولا يلجئه إلى الاعتذار دائماً ، بسبب هفوة صغيرة ، وكلمة عابرة ، ويحاسبه على النقير والقطمير ، وليتذكر قول الشاعر :

ولست بمستبق أخاً لا تلمه　　على شعث ، أي الرجال المهذب ؟

والأخوة الإيمانية أكبر من هذا ، فإذا أفسدتها مانحن فيه من أنانية ، وضيق أفق ، وانشغال بصغائر الأمور أحياناً ، فيجب أن نعترف أنه ليس هاهنا أخوة ، بل كلمات خطابية جوفاء لاتسمن ولا تغني من جوع ، ومانحن فيه إنما هو مخالطة رسمية ، وصورة مشوهة عن أخلاق المسلمين الأوائل ، ومجاملات ليس لها في العقل والدين □





في إشراقة آية

د . عبد الكريم بكار

﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾

يشكل انهيار العلاقات الاجتماعية إحدى أهم المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الحديثة حيث نما الشعور بالفردية والتوحد ، وحُكمت المصالح الخاصة في كثير من شئون الحياة ، وقد أصاب أمة الإسلام شيء من ذلك ، فاضمحلت ضوابط التربية الاجتماعية التي تشكل الحس الجماعي لدى الفرد المسلم مما أشاع الفوضى الفكرية والاجتماعية ، وضخم مشاكل المسلمين الاقتصادية لأن عمليات التنمية لاتتم على ماينبغي في مجتمع واهي الروابط مختلف الأفكار والمفاهيم .

ومن هنا شددت تعاليم الإسلام على ضرورة المحافظة على العلاقات الاجتماعية وإقامتها باستمرار على هدي الرسالة الخاتمة التي تعد استمراراً لدعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وتحقيقاً لذلك التواصل قصَّ الله تعالى علينا أخبار الأمم السابقة والعواقب الوخيمة التي انتهوا إليها حين شاعت فيهم الانحرافات والمخالفات دون أن يرفع أحد منهم رأساً أو يقول كلمة لأولئك الذين يستعجلون أيام الله لأنفسهم ولأممهم

فقال تعالى : ﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ﴾ [المائدة / ٧٨ ــ ٧٩] .

فقد أجرم القوم مرتين : مرة حين وقعوا في الآثام ، وأخرى حين تركوا المعاصي تشيع فيهم دون أن تسود فيهم روح التناهي عنها .

وقد جاء في الحديث مايفسر تدرجهم نحو الحال التي استوجبت لهم اللعن ، فقد روى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن أول مادخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : ياهذا اتق الله ودع ماتصنع فإنه لايحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : ﴿ لعن الذين كفروا ... ﴾ » (١) .

لقد طال العهد بصالحي بني إسرائيل فبدأت المناكر تزحف إلى حياتهم عن طريق أهل الأهواء والشهوات ، وكان فيهم صالحون فقاموا ونهوا أصحاب المعاصي ووعظوهم ولكن هؤلاء تأصل فيهم المنكر وصار النزوع عنه أمراً عسيراً ، وكان الأمر يتطلب من صالحيهم جلداً وصبراً ومفاصلة إلا أن درجة التوتر الحيوي عند أولئك الصالحين لم تكن كافية بحيث يشعرون بالتميز ويشكلون تياراً نشطاً يحاصر أولئك العصاة ويشعرهم بالشذوذ والإثم ...

وكانت المرحلة التالية سيطرة شعور العجز والضعف على أولئك الصالحين مما جعلهم يخالطون أهل المعاصي ويرضون عن أعمالهم أو يظهر للناظر أنهم كذلك فضاعت معالم الحق وجاءت أجيال تالية فنشأت في الانحراف وشبت فيه وصار التفريق بين المعروف والمنكر أمراً غير متيسر لكل الناس .

وكانت العاقبة أن ضرب الله قلوبهم بعضها ببعض ، وهذه العبارة في الحديث النبوي ترمز إلى حالة من الفوضى المصحوبة بالعذاب حيث فقدت

---

١ ــ أخرجه الترمذي وحسنه .

تجمعاتهم الشروط الضرورية لبقائهم واستمرارهم المادي والمعنوي فكانت أيام الله في خاتمة المطاف جزاء مافعلوا .

إن كل مجتمع مهما بلغ من الفضل والرقي لايستغني عن شريحة فيه تتمثل فيها المثل العليا لذلك المجتمع تحفظ عليه وجوده المعنوي المتمثل في عقيدته وأخلاقه وضوابط علاقاته وهؤلاء يمثلون الخيرية في ذلك المجتمع كما قال عليه الصلاة والسلام : « مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ... » [رواه مسلم] .

إن هؤلاء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر يملكون من التوهج في أرواحهم والحيوية في نفوسهم مايجعل همَّ مجتمعهم همهم الأكبر ، فيسعد بهم ذلك المجتمع إذ يحفظون عليه توازنه واستقامته وشروط استمراره ، وكما لايشترط لصحة المجتمع جسمياً وبيئياً أن يكون كل أفراده من الأطباء كذلك لايشترط في المجتمع المسلم أن يكون كل أفراده من الدعاة الناصحين ولكن ينبغي أن تتوفر نسبة كافية في المجتمع مسموعة الصوت واضحة التأثير تملأ الفراغ الثقافي وتملك من الوسائل المؤثرة مايسمح باستمرار وضوح جادة الحق والخير والصواب ويسمح باستمرار سنة المدافعة بين الحق والباطل على وجه مكافيء وهذا مايشير إليه قوله عز اسمه : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران / ١٠٤] .

وقد جرت سنة الله في الابتلاء أن تلقى هذه الفئة الطيبة الخيرة المحاربة دائماً وتلقى الأذية والعنت وماذلك إلا لأنها تسير في الاتجاه المضاد لأهل الشهوات والأهواء الذين يمكن أن نسميهم بـ (المختزلة) حيث يكثفون هموم البشرية كلها في هم واحد هو همهم ، ويتجاوزون رغبات الخلق ومصالحهم مهما عظمت إلى رغباتهم ومصالحهم هم ، وعلى كل حال فإن الذي يظن أنه باستطاعته أن يسير في دروب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقوماً للمعوج ومحارباً للأهواء والشهوات وناصراً للمظلوم ثم لايلحقه شيء مما لحق بهم فهو

واهم في ذلك وإلى هذا أشار لقمان وهو يعظ ابنه حين قال : ﴿ يابني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على مأأصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ [لقمان / ١٧] فقد أشعر ابنه بما يلحقه من الأذية إذا هو قام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولكن نظراً للأخطار التي تهدد الأمة بخلوِّها من هذه الشريحة المباركة التي تعد قلبها النابض وبصيرتها النافذة فإن الله تعالى قرن محاربة هذه الفئة بالكفر به وقتل رسله حيث قال جلَّ وعلا : ﴿ إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم . أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين ﴾ [آل عمران / ٢١ ، ٢٢] .

واليوم والأمة تسعى جاهدة إلى الخروج من نفق الظلمات نافضة عنها غبار الضعف والفرقة والتبعية والتخلف ؛ تكثر المشاريع الحضارية المطروحة في البلاد الإسلامية من قبل أهل العلم والفكر ، كما يكثر الضرب في الأرض لدراسة التجارب الحضارية الحديثة والمعاصرة للأمم الأخرى ، والنتيجة الملموسة إلى هذه الساعة من وراء كل ذلك سلبية والسبب في ذلك ــ والله أعلم ــ أننا نأتي البيوت من غير أبوابها ذلك لأن التخلف المادي الذي يعاني منه المسلمون ليس هو المرض ولكنه من أعراض المرض ، والمعالجة الصحيحة تكون بتفحص المرض وأسبابه وجذوره فإذا عالجنا المرض ذهبت كل أعراضه ، أما المرض فهو كامن في الخلل الذي أصاب رؤية المسلمين للدنيا والآخرة ، والخلل الذي أصاب أخلاقهم ومقاصدهم وعلاقاتهم ببعضهم بعضاً ، مما ترتب عليه مفاسد جمة قعدت بالسواد الأعجم من المسلمين عن أن يكونوا لبنات صالحة في أي بناء حضاري فذٍ متميز ، وغاب عنا روح الفريق حين التفت كل إلى مصلحته الخاصة ضارباً عرض الحائط بكل شيء وراءها . ولابد من وقفة متأنية عند هذه النقطة نظراً لخطورتها وكثرة المشكلات الناشئة عنها .

إن كثيراً من مجتمعات المسلمين اليوم لايتوفر فيه مايجعله صالحاً لإطلاق اسم (مجتمع) عليه لأن التفلت من الواجبات الشرعية والوقوع في المحظورات

ـ والتي في مجملها تشكل الحس الجماعي عند المسلمين ـ يجعل صفة الفردية طاغية على هذه التجمعات وإن بدت حسب الظاهر في صورة مجتمعات منظمة متحدة ..

إن المجتمع ـ كما يقوم مالك بن نبي ـ الذي يعمل فيه كل فرد مايحلو له ليس مجتمعاً ولكنه إما مجتمع في بداية تكونه وإما مجتمع بدأ حركة الانسحاب من التاريخ فهو بقية مجتمع .

واليهود حين أرادوا تدمير المجتمعات الغربية خططوا لتضخيم جانب الفردية على حساب الحس الجماعي حتى كثرت القضايا التي يعدها العرف هناك خصوصيات تخضع لمزاج الفرد ومصلحته ، وكانت النتيجة التي انتهوا إليها تفكك تلك المجتمعات على نحو مخيف ذهب بأمن الحياة وروائها وسيعصف بكل الجهود العزيزة التي بذلت في بناء الحضارة الحديثة في يوم من الأيام .

وقد انتقلت هذه العدوى إلى بلاد المسلمين فصار كثير من المسلمين غير مستعد لقبول نصيحة من أحد بحجة أن مايلاحظ عليه يعود إلى خصوصياته التي لاتقبل أي نوع من التدخل . وهذا الصنف من الناس ـ وهو يمثل اليوم في المسلمين الأكثرية ـ على غير دراية بفلسفة هذا الدين في إقامة المجتمعات وإنشاء الحضارات مما يجعل رؤيتهم للحياة كثوب ضم سبعين رقعة مختلفة الأشكال والألوان .

وبإمكان المسلم من خلال نظرة سريعة في بعض النصوص أن يتعرف وجهة الشريعة في هذا ، وإليك حديث السفينة الذي وضع النقاط على الحروف في هذه المسألة بصورة مدهشة ، فقد روى النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم . فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا . فإن تركوهم وماأرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجو ونجوا جميعاً » [رواه البخاري] .

إن هذه السفينة تمثل المجتمع الإسلامي الذي توحدت عقائده وتوحد اتجاه سيره وتوحدت غاياته والمخاطر والتحديات التي تواجهه ، وإن القائم في حدود الله تعالى هو تلك الفئة الصالحة الملتزمة بشرع الله الآمرة بالمعروف الناهية عن المنكر ، وإن الواقعين فيها هم أولئك الذين ينتهكون حرمات الله من ترك الواجبات والوقوع في المحرمات ، والحديث يقرر أن مايتوهمه بعض الناس من خصوصياته ليس كذلك كما أن الذين احتلوا أسفل السفينة كانوا واهمين في ظنهم أن لهم الحرية الكاملة في التصرف في أرض السفينة .

وذلك لأن تصرفهم فيها بخرقها يمس مصالح الذين فوقهم بل مصائرهم . ولنضرب لما يتوهمه بعض الناس من خصوصياتهم مثلاً من حياتنا المعاشة حيث وقع في خلد كثير من الناس أن الصلاة عبادة بدنية تعبر عن صلة خاصة بين العبد وربه ، وأن المقصر في أدائها لايؤذي جاراً ولاينتهك لمجتمعه حرمة ، وبذا تكون الصلاة من المسائل الخاصة بالمرء ، يؤديها كلما حلا له ذلك ، ويتركها كلما عنَّ له ذلك ، ومن ثم فإن مساءلة الناس له عنها يعد ضرباً من الفضول الذي ينفر منه ذوق الإنسان المعاصر ذي الإحساس المرهف والرسوم الاجتماعية الدقيقة .

ولكن الأمر في نظر الشريعة الغراء ليس كذلك إذ إن فقهاء الأمة مجمعون على أن الصلاة ليست من خصوصيات الإنسان التي يقف المجتمع المسلم تجاه تاركها صامتاً غير مبال ولا مؤاخذ ، لذلك رأى بعض الفقهاء أن تاركها (كسلاً) مقراً بفرضيتها يقتل كفراً ، وبعضهم قال يقتل حداً ، وبعضهم ذهب إلى أنه يسجن إلى أن يصلي ، وهم في هذا يصدرون عن فهم صحيح لطبيعة عمل هذا الدين في تسيير دفة الحياة الاجتماعية ، لأن المعصية حين تشيع في الناس يستوجبون نزول العقوبة وذهاب الريح ، ولا تشيع الفاحشة إلا حين يغض المجتمع الطرف عنها وطالما أجهض الجهد الإنساني الضخم في إعمار الأرض بسبب التقصير في جانب العبودية لله تبارك وتعالى وشواهد الماضي والحاضر ناطقة بذلك ، وكيف لا والله تعالى يقول : ﴿ واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ [الأنفال / ٥٠] . وكيف لا والرسول ﷺ يقول مجيباً لمن سأله : أنهلك وفينا الصالحون ؟ : « نعم إذا كثر الخبث » [أخرجه الشيخان] .

نعم إن الأمن حين يضطرب حبله لايضطرب على الطالحين وحدهم ، وإن الأسعار حين تغلو لتفوق طاقة الناس لاترتفع بالنسبة للطالحين فقط ، وإن العدو حين يستبيح الحمى لايستثني أحداً وهكذا ...

وإذا كان أصحاب الأهواء والشهوات لايبصرون أكثر من مواقع أقدامهم ولايعبأون بحاضر ولا مستقبل فإن على المجتمع أن يتحمل المسؤولية تجاه حاضره ومستقبله وآخرته □

****

اعتذار

نعتذر عن الخطأ الذي وقع في آخر صفحة ٦ من العدد (٢١) في الآية الكريمة ، رقم ١٢ من سورة إبراهيم ، حيث جاءت ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ وصحتها : ﴿ وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ .

والالتباس نشأ من أن الآية السابقة عليها جاء في نهايتها : ﴿ وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ . وجلّ من لايسهو ولا يخطىء .

****

ملاحظات على الموسوعة الميسرة

في الأديان والمذاهب المعاصرة

عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف

إن دراسة المذاهب والفرق سواءً كانت إسلامية أو غير إسلامية ، قديماً أو حديثاً ، من الأهمية والخطورة بمكان ، خاصة في هذا الزمان الذي تكاثرت فيه فرق الضلال ، ونحل الابتداع فتعددت السبل ، وكثرت المشتبهات ، ولعل هذا يؤكد ضرورة الدراسة الجادة لهذه الفرق والنحل ، ورضي الله عن عمر بن الخطاب الذي كان يقول : « إنما تنقض عرى الإسلام عروةً عروةً ، إذا نشأ في الإسلام من لايعرف الجاهلية . وكان حذيفة ابن اليمان يقول : « كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني » .

ويأتي كتاب « **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة** » والذي أصدرته الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض (*) ، يأتي هذا الكتاب كخطوة إيجابية في مجال البناء العلمي للشخصية الإسلامية الأصيلة ، ولعله يسد ثغرة كبيرة في دراسة الواقع المعاصر ، فشكر الله للقائمين على هذه الموسوعة ، ونفع الله بجهودهم .

---

* ــ في العالم الماضي سنة ١٤٠٩ هـ

لقد تضمنت هذه الموسوعة (في طبعتها الأولى سنة ١٤٠٩ هـ) دراسة ثمانة وخمسين مذهباً ، وكانت مرتبة على حسب الحروف الهجائية ، وكان المنهج الذي سارت عليه دراسة كل فرقة أو دين على النحو التالي :

١ ـــ التعريف .

٢ ـــ التأسيس وأبرز الشخصيات .

٣ ـــ الأفكار والمعتقدات .

٤ ـــ الجذور الفكرية والعقائدية .

٥ ـــ الانتشار ومواقع النفوذ .

٦ ـــ مراجع للتوسع .

وقد لاقت هذه « الموسوعة » ـــ فيما أعلم ـــ رواجاً وانتشاراً في الأوساط الإسلامية ، نظراً للحاجة الملحة لدراسة مثل هذه الموضوعات ولما تضمنته هذه الموسوعة من مادة علمية جيدة ، تم عرضها بأسلوب ميسر وموجز .

ومن باب النصيحة ، والاستجابة لطلب القائمين على هذه الموسوعة ـــ كما ذكروا في مقدمة الموسوعة ـــ أحب أن أبدي بعض الآراء والملاحظات راجياً من الله أن تنشرح لها صدور أصحاب هذه الموسوعة ، وأن يرزق الجميع حسن القصد واتباع الحق .

أ ـــ ملاحظات عامة :

١ ـــ تضم الموسوعة كماً زاخراً من الأديان والفرق الإسلامية وغير الإسلامية ، والمذاهب الفكرية والحركات الإصلاحية .. وقد رتبت حسب حروف المعجم .. والذي يظهر لي أن هذا الترتيب غير كاف .. وأنه لابد من ترتيب آخر حسب حقيقة هذه المذاهب وأفكارها .. فمثلاً يجعل قسم خاص للأديان ، وقسم آخر للفرق الإسلامية ، وثالث للحركات الإصلاحية .. وهكذا .

٢ ـــ جاء في مقدمة الموسوعة (ص ٩) أن دراسة هذه المذاهب مبني على الموضوعية والإنصاف .. لكن الالتزام بالموضوعية لاينافي النقد والمناقشة التي تنطلق من باب إيضاح الحق وتصحيح الأخطاء ، ومن ثم فلابد من نقد هذه المذاهب ومناقشتها ولو على سبيل الايجاز والاختصار ، فأرى ضرورة إضافة نقطة هامة في منهج دراسة هذه المذاهب وهي بعنوان التقويم أو النقد

لذلك المذهب [١] .

٣ ــ هناك بعض المصطلحات التي لابد من تحديدها وتعريفها لغة واصطلاحاً مثل كلمة الدين ، والمذهب ، والملة ، والنحلة ..

٤ ــ عرفت الموسوعة بالكثير من المذاهب والفرق .. ولكنها لم توضح ابتداء أصحاب المنهج الإسلامي الأصيل ، وهم ــ بلا شك ــ أهل السنة والجماعة .. فكان من المناسب جداً بيان منهج أهل السنة ، وذكر خصائصهم وصفاتهم ، وتوضيح منهجهم في التلقي والعقيدة والسلوك وغيرها .. ولاشك أن في هذا تعريفاً بالمنهج الأصيل ودعوة إليه .. كما أن فيه تحديداً للمنطلق الصحيح في تقويم المذاهب الأخرى ، وأما ماتضمنته الموسوعة من حركات إصلاحية سلفية كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرحمه الله ، فهي بمثابة التجديد لمذهب أهل السنة .

ولعل أصحاب الموسوعة يتنبهون لهذا ، خاصة إذا علمنا أن أول أهداف الندوة العالمية هو : خدمة الفكر الإسلامي الصحيح على أساس من التوحيد الخالص .

٥ ــ جاء في مقدمة الموسوعة أنها توخت الحركات التي لها وجود واقعي ملموس في عالم اليوم .. لكن ــ وكما هو معلوم ــ أن الأفكار لاتموت ، ولكل قوم وارث ، فالمعتزلة مثلاً لم تذكر ضمن الموسوعة .. ومع ذلك فإن فكر المعتزلة لايزال قائماً موجوداً [٢] ، وكذلك نجد الموسوعة لاتذكر الخوارج باستثناء الإباضية ، مع أن فكر الخوارج الغالي لايزال موجوداً ، وماخبر جماعة شكري مصطفى في مصر عنا ببعيد [٣] ، بل إن فكر الجبرية (القائلين بأن الإنسان مجبور على فعله فلا اختيار له) وكذلك فكر القدرية النفاة (القائلين بأن الإنسان

---

١ ــ أفردت الموسوعة بعض المآخذ والانتقادات على جماعة التبليغ (ص ١١٩) ، وحرب التحرير (ص ١٣٨) والحركة المهدية (ص ٤٧٠) ، فالمطلوب الاستمرار في النقد والتقويم مع البقية ، فالنقد الصادق المؤدب يتم تصحيح المسار ، والاستفادة من الأخطاء .

٢ ــ انظر مثلاً كتاب : منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير للدكتور فهد الرومي ، وكتاب المعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبدة وطارق عبد الحليم ، وكتاب العصريون معتزلة اليوم ليوسف كمال .

٣ ــ انظر كتاب الحكم بغير ماأنزل الله وأهل الغلو لمحمد سرور بن نايف زين العابدين .

يخلق فعل نفسه) لايزال موجوداً وظاهراً [1] ، وأيضاً فمذهب المرجئة له رواج وانتشار ، زاد من امتداده تهاون المسلمين ، وضعف تمسكهم بشعائر دينهم ، وانتشار التصوف ، ووجود المؤسسات التعليمية التي تقرر مذهب الأشاعرة ــ وهم مرجئة في باب الإيمان ــ وغير ذلك من الأسباب .

والأعجب من هذا كله أن أصحاب الموسوعة لم يتحدثوا عن مذهب الأشاعرة والماتريدية !! ولا أظن عارفاً مهما قلت معرفته وثقافته يجهل وجود وانتشار المذهب الأشعري والماتريدي ، ومن ثم فلا يتصور أن مذاهب الأشاعرة والماتريدية « قد اندثرت ، وعفى عليها الزمن ، وتجاوزتها ذاكرة التاريخ » [2] ، فهاهم الأشاعرة والماتريدية بكتبهم وعلمائهم ومفكريهم ومؤسساتهم التعليمية وغيرها قد ملأوا واقعاً كبيراً يراه كل صاحب عينين .

٦ ــ عند ذكر « مراجع للتوسع » .. لاحظت على الموسوعة في دراستها لكثير من المذاهب والأديان ، أنها لاتميز بين المراجع المقررة والمؤيدة لمذهب ما [3] وبين المراجع الناقدة لذلك المذهب ، وبين المراجع التي تعرض ذلك المذهب دون نقد أو تأييد ، فحبذا لو يراعى هذا الأمر .. كما يلاحظ عدم ذكر مراجع مهمة ومستوفية ، مع أنها مطبوعة ومنتشرة .. وفي نفس الوقت تذكر بعض الجرائد والمجلات غير المتخصصة ضمن مراجع للتوسع .

٧ ــ أقترح تعديلاً طفيفاً على عنوان الموسوعة وذلك بإضافة « الحركات » فيكون العنوان كالتالي : « الموسوعة الميسرة في

---

١ ــ انظر كتاب حرية الإنسان في الفكر الإسلامي ، د . فاروق الدسوقي .

٢ ــ الموسوعة الميسرة / ٩ .

٣ ــ بعض الفرق والمذاهب في الموسوعة فقره عن أهم كتبهم وهم الدرور (ص ٢٢٦) ، الطاوية (ص ٣٦٠) ، المورمون (ص ٤٧٨) ، النصرانية (ص ٥٠١) ، الهدوسية (ص ٥٣٢) ، اليهودية (ص ٥٦٩) .

وهده فقرة مفيدة جداً فياحبذا لو استمر هذا المنهج مع بقية الفرق التي لها كتب معتمدة

الأديان والحركات والمذاهب المعاصرة » .

والداعي لهذا الاقتراح وجود بعض الحركات الإصلاحية في الموسوعة كحركة الإخوان ، والجماعة الإسلامية في الهند والباكستان وهي بلا شك ليست أدياناً جديدة ، ولا مذاهب فكرية مستقلة . وأيضاً يمكن إضافة بعض الحركات الأخرى المستقلة كالجبهة الإسلامية القومية في السودان ، وكحركة الاتجاه الإسلامي في تونس فلهذه الحركات المحلية مايميزها عن غيرها مما يعطي مبرراً للتعريف بها . ومن الحركات أيضاً حركة الجهاد ، وجماعة أنصار السنة وأهل الحديث .

وهناك بعض المنظمات الهامة كمنظمة التحرير الفلسطينية ، وحركة أمل الشيعية ، والجبهة الشعبية الأريترية ، والجبهة الشعبية لتحرير السودان .. الخ .

بل يمكن أن يقال : ماالمانع من التعريف ببعض الأحزاب المحلية المختلفة ، كاالحزب الجمهوري ، والحزب الديمقراطي ، وحزب الليكود ، وحزب العمل ، والحزب الشيوعي المصري والتونسي .. الخ .

فكرة الموسوعة ــ فيما يظهر لي ــ لاتمنع من التعريف بما ذكرت ، لاسيما مع الوجود الواقعي المؤثر لتلك الحركات أو الأحزاب والمنظمات ، ومع الأهمية القصوى للتعريف بها وبأهدافها .

٨ ــ هناك بعض التداخل والتشابه والترابط بين بعض المذاهب والاتجاهات كأن يكون هذا المذهب فرعاً عن آخر أو جزءاً منه ، فعند ذلك لاداعي للفصل بينهما ، وإليك بيان ذلك :

أ ــ الاسماعيلية ، الحشاشون ، الدروز ، القرامطة ، النصيرية : فكل هذه المذاهب تدخل تحت الباطنية فمن الأفضل وضعها في مكان واحد تحت عنوان الباطنية ثم التحدث عن كل واحدة حسب ماهو موجود في الموسوعة ، ويدخل تحت الباطنية ويحتاج إلى كلام مستقل البهرة والآغاخانية ... الخ .

ب ــ الصوفية ، التيجانية : فالتيجانية تدخل تحت مسمى الصوفية فمن الأفضل وضع الصوفية

ثم الكلام عن الطرق الصوفية في مكان واحد كالقادرية والرفاعية والنقشبندية والتيجانية وغيرها .

ج ـ التغريب ، العلمانية : لافرق بينهما فالعلمانية أصل نشأتها في الغرب ومن يحاول نشرها في البلاد الإسلامية يسمى من دعاة التغريب أو العلمانية ، فكل داعية للتغريب هو داعية للعلمانية ، والعكس صحيح .

د ـ النصرانية ، التنصير ، المارونية : فكل ذلك يمكن أن يدخل تحت مسمى النصرانية ، ثم يشار إلى مذاهب النصرانية كالمارونية والكاثوليك والبروتستانت .. الخ . والتنصير هو الدعوة إلى النصرانية .

هـ ـ الماسونية ، الروتاري ، الليونز : فمن المعلوم أن الروتاري والليونز من مراكز الدعوة إلى الماسونية فلاداعي للفصل بينهما .

و ـ اليهودية ، الصهيونية ، يهود الدونمة .

ز ـ القومية العربية ، البعث العربي الاشتراكي .

ملاحظات جزئية :

١ ـ ص ١٦ / س ٩ ـ ١٦ عند ذكر معتقد الإباضية في أسماء الله وصفاته يلاحظ على الموسوعة أنها عرضت توحيد الأباضية بعبارة توهم الموافقة والتأييد !! مع أن من المعلوم أن للإباضية تعطيلاً في باب الصفات [١] .

٢ ـ ص ١٧ / س ١٢ ذكرت الموسوعة معتقد الإباضية في حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا ، ولكنها لم تذكر معتقدهم في الحكم على العاصي في الآخرة .. وهم يعتقدون تخليده في النار [٢] ـ موافقة لبقية الخوارج والوعيدية عموماً ـ كما أن الموسوعة ذكرت معتقد أهل السنة في هذه المسألة بشيء من القصور (انظر الموسوعة ص ١٧ / س ١٤ ، ١٥) فأهل الكبائر تحت مشيئة الله تعالى ، إن شاء عذبهم بعدله ، وإن شاء غفر لهم برحمته ، فليس جميع العصاة يدخلون في النار تطهيراً كما هو في الموسوعة .

٣ ـ ص ١٨ ، عند ذكر الجذور

١ ـ انظر مثلاً نفيهم لرؤية الله في اليوم الآخر من أحد كتبهم : أصدق المناهج في تمييز إباضية من الخوارج ، لسالم بن حمود الإباضي ، ص ٢٧ .
٢ ـ انظر الكتاب السابق : أصدق المناهج ، ص ٢٧ ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

العقائدية والإباضية قالت الموسوعة « الإباضيون يعتمدون على القرآن والسنة » فأقول : هل هم بالفعل يعتمدون على نصوص الوحيين .. ومامعنى هذا « الاعتماد » .. فكل يدعي وصلاً بليلى .. ولا أدري لم لم تذكر الموسوعة مسند الإباضية « المقدس » أعني مسند الربيع بن حبيب ، الذي يعتبرونه أصح كتاب بعد القرآن ، كان الأجدر التعريف بهذا المسند « المنحول » وتقويمه .

٤ ــ ص ٧٣ / س ١٠ : جاء في الموسوعة : « تصنف هذه الفرقة [البريلوية] من حيث الأصل ضمن جماعة السنة الملتزمين بالمذهب الحنفي !! ويبدو أن هذا التصنيف يحتاج إلى إعادة نظر .. فهل يقال عن البريلوية أنهم من حماعة السنة ولهم من الاعتقادات الباطلة ماقد يخرجهم عن الملة فضلاً عن السنة ؟ (١) .

٥ ــ ص ٢٦ / س ١٦ : تقول الموسوعة عن التيجانيين : « من حيث الأصل هم مؤمنون بالله سبحانه وتعالى » فأقول : صدق الله حيث يقول : ﴿ ومايؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ [يوسف / ١٠٦] فكيف يقال عن التيجانيين أنهم مؤمنون بالله وبإطلاق مع اعتقادهم بوحدة الوجود .. ودعوى علم الغيب وتفضيل صلاة الفاتح على كتاب الله ؟

٦ ــ ص ١٣٦ / س ١٥ : تقول الموسوعة عن حزب التحرير : « لاتخرج دعوتهم عن أن تكون واحدة من الجماعات الإسلامية التي تحمل فكر أهل السنة والجماعة » . لا أدري ماهذا الفكر السلفي الذي يحمله هذا الحزب المتحرر مع شناعة أخطائهم وعظم انحرافهم (٢) ؟ نسأل الله عز وجل الهداية للجميع .

٧ ــ ص ٢٥٧ / س ١١ : تقول الموسوعة عن الزيدية بأنها : « تتصف بالاعتدال والقصد » فأقول : هل يمكن أن توصف الزيدية بالاعتدال والقصد .. وأصول الزيدية هي أصول المعتزلة الخمسة ؟ فأين الاعتدال والقصد ممن يعطل الصفات

١ ــ انظر معتقداتهم في الموسوعة الميسرة ، ص ٧٠ ــ ٧٣ .
٢ ــ انظر بعض هذه المآخذ كما ذكرت في الموسوعة الميسرة ، ص ١٣٨ ــ ١٤٠ .

الإلهية ، وينفي القدر ؟ ويحكم على العاصي من عصاة الموحدين بالتخليد في النار ؟

٨ ــ ص ٢٥٧ / س ١٨ ، س ٢٣ : بالنسبة لدعوى أن زيد بن علي تتلمذ على واصل بن عطاء .. هناك من ينفي هذا التتلمذ وينكره [١] ، وأيضاً ذكرت الموسوعة أن من تأليف زيد بن علي كتاب « المجموع » مع أن هناك قول قوي بعدم ثبوت نسبة « المجموع » إلى زيد [٢] .

٩ ــ ص ٢٥٩ / س ٢٣ : جاء في الموسوعة عن الزيدية بأنهم : « يميلون إلى الاعتزال .. والجبر والاختيار » فكيف يجتمعان ؟ جبر واختيار ! مع أن الزيدية يغلب عليها نفي القدر تأثراً بالمعتزلة ، وفي نفس الصفحة / س ٢٣ ــ ٢٥ في هذه السطور خلط بين رأي زيد ، وبين رأي الزيدية عموماً .. فإن زيداً يقول بأن العاصي لايخلد في النار ، بينما الزيدية تقول بتخليده كالوعيدية .

١٠ ــ ص ٢٧٤ : ذكرتم بعض تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأنصار دعوته .. وهناك من تلاميذ الشيخ وأنصار دعوته ممن لهم نتاج علمي ظاهر ، وآثار علمية بارزة ومع ذلك لم يذكروا مثل الشيخ حمد ابن معمر ، وعبد الله أبي بطين ، وسليمان بن سحمان ، ونحوهم ، ومن أنصار دعوته خارج الجزيرة : محمد بشير السهسواني ، ومحمود الآلوسي ، ومحمد رشيد رضا ، وغيرهم .

١١ ــ ص ٢٧٨ عند الحديث عن انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. وأرى أن الموسوعة يمكن أن تعطي أكثر تفصيلاً عن آثار هذه الدعوة دون سطور مقتضبة .. ولعلها تعيد النظر في ذلك فتوضح آثار هذه الدعوة السلفية علماً وعملاً في واقع الأمة الإسلامية ، وقد ذكرتم أن هذه الدعوة السلفية أثرت على المهدية والسنوسية والأفغاني (!) ومحمد عبده ، فهل على ماذكرتم دليل وبينة ؟

١٢ ــ ص ٢٩٩ ، جاء في الموسوعة عند تعريف الشيعة الاثني عشرية « هم تلك الفرقة من

---

١ ــ ٢ ــ انظر كتاب الإمام زيد بن علي المفترى عليه لشريف الخطيب .

المسلمين الذين تمسكوا بحق علي في وراثة الخلافة » .

هذا كلام مجمل وفيه غموض ، وتشم منه رائحة المداراة ، كان ينبغي أن تذكر أصول عقيدة هؤلاء التي من أنكر واحداً منها اعتبر كافراً ، وكذلك رأيهم في مخالفيهم الرئيسيين : أهل السنة ، ورأيهم كذلك في القرآن ، والصحابة . وتعريف الشيعة الإخبارية والأصولية والفرق بينهما .

١٣ ـ ص ٣٥٢ / السطر الأخير وماقبله : حيث تقول الموسوعة : « لقد عملت الطرق الصوفية على نشر الإسلام في كثير من الأماكن » ثم تقول الموسوعة : « لقد اعتمد الحكام على أقطاب الصوفية في التعبئة الروحية للجهاد ولصد غارات الكفار ، ومن هؤلاء الأقطاب أحمد البدوي » .

وأقول : إن التصوف أعظم معول هدم وتخدير ينخر في جسد الأمة الإسلامية .. بل ربما كانت سبيلاً للصد عن سبيل الله .. وأيضاً متى كانت الصوفية « تعبئة روحية للجهاد » ؟ لقد كان منهم من يخذل من شأن الجهاد ويكتفي بجهاده الأكبر كما يزعمون (جهاد النفس) ، ومن ثم فإن الاستعمار الأجنبي كان يشجع الطرق الصوفية ويبرزها (١) .

ومن المحزن أن يذكر البدوي ، فيوصف بأنه « قطب » محرك للجهاد ، ولصد غارات الكفار ..

إن أحمد البدوي داعية استغل التصوف ستاراً لإرجاع الحكم الرافضي الذي انقرض بزوال الدولة العبيدية في مصر على يد صلاح الدين الأيوبي ، ولكن فشل في ذلك ولله الحمد ، بل يذكر عن أنه كان لايشهد الصلوات الخمس !! (٢) .

ولعل الموسوعة تعيد النظر في دراسة الصوفية .. فتذكر مراحل تطور التصوف من تشدد ورهبنة إلى رموز وغموض وابتداع ثم إلى كفر واتحاد وزندقة .. ومن الواجب ذكر أخطائهم وسوءاتهم وماأكثرها .

. وفي ختام هذا المقال أحب أن أذكر بأن الموسوعة تحتاج إلى مزيد دراسة وتقويم . وكفى المرء نبلاً أن تعد معايبه ، وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين □

---

١ ـ انظر كتاب أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالة للدكتور علي بن نفيع العلياني ، وكتاب : رسالة الشرك ومظاهره ، لمبارك الميلي .

٢ ـ انظر كتاب السيد البدوي بين الحقيقة والخرافة ، د . أحمد صبحي منصور .



دعـــاء

اللهـــم قـــد أطغاهـــم حلـــمك ،
وتجبـــــروا بأمـــــانك ،
حتى تعدوا على المسلمين بغياً .

اللهـــم قـــل النـــاصر ،
واعتـــز الظالـــم ،
وأنت المـــنصف الحاكـــم .

بك نستعيـــن عليهـــم ،
وإلـيك نهـرب مـن يديهـم .

اللهـــم إنـــا حاكمناهـــم إلـــيك ،
وتوكلنا ــ في إنصافنا منهم ــ عليك
فاحكـــم بيننـــا بالحـــق ،
وأنت خير الحاكمين

همـوم

« لايعز علي شيء مثل أن تستلب الأرواح ونحن لم ننجز كبير أمر ، نسهم من خلاله بتخفيف معاناة المسلمين ، أو تقديم حزمة من الضوء يلتمس فيها السادرون مايبدد ظلام أرواحهم ، أو يزحزح ظلم أشخاصهم » .

د . مصطفى السيد

□ □ □

طريق النجاح

« وليس شيء أنفع للمنشيء من سوء الظن بنفسه والرجوع إلى غيره ، وإن كان دونه في الدرجة ، وليس في الدنيا محسوب إلا وهو محتاج إلى تثقيف ، والمستعين أحزم من المستبد ، ومن تفرد لم يكْمُل ، ومن شاور لم ينقص ، وقد يستعجم المعنى كما يستعجم اللفظ ، ويشرد اللفظ كما ينِدُّ المعنى » .

الإمتاع والمؤانسة / ٦٥

□ □ □

مقابلة مع الشيخ
علي بلحاج
عضو الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر

منذ أحداث أكتوبر عام ١٩٨٨ والجزائر تسير باتجاه تغيير البيئة السياسية الداخلية ، فقد سمحت الدولة بما يسمى (التعددية الحزبية) وكان من نتائج ذلك أن ظهرت الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، التي أعلنت أهدافها ومبادئها في بياناتها التي نشرت في الصحف [١] ، والتي تتلخص في السعي لإعادة الحياة الإسلامية لبلد عربي أصيل قاوم فرنسا مقاومة باسلة خلال عشرات السنين ، ويرأس هذه الجبهة الأستاذ عباس مدني ، ومن مؤسسيها البارزين الشيخ علي بلحاج والشيخ بن عزوز . وقد اعترفت الدولة الجزائرية مؤخراً بالجبهة كحزب سياسي له حق العمل ضمن أهدافه ومبادئه .

وحرصاً من (**البيان**) على معرفة أوضاع المسلمين في كل مكان من أنحاء العالم الإسلامي ، وخاصة في بلد مثل الجزائر ، وحرصاً على معرفة الحقائق من أصحابها فقد رأينا أن نحاور الشيخ علي بلحاج أحد مسؤولي هذه الجبهة .

وقد كان بودنا أن نلتقي برئيس الجبهة الأستاذ عباس مدني أثناء زيارته لندن ولكنا لم نتمكن من ذلك ، وعسى أن تتاح لنا الفرصة للقائه في المستقبل القريب إن شاء الله .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنه بعد هذا اللقاء مع الشيخ علي بلحاج أصدرت الجبهة صحيفتها الأسبوعية (المنقذ) وقد نشرت فيها بيانها الرئيسي ، نسأل الله أن يوفق العاملين في الجبهة لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

---

١ ــ سننشر فقرات من بيان الجبهة في قسم شؤون العالم الإسلامي ، من هذه المجلة .

س ١ ـ نرحب بالشيخ علي ، ونريد منك في البداية أن تحدثنا عن العلماء والدعاة الذين تأثرت بهم في الجزائر .

ج ١ ــ من العلماء والدعاة الذين تأثرت بهم الشيخ عبد اللطيف السلطاني ، والشيخ سحنون ، كما أنني درست على يد الشيخ العرباوي رحمه الله ، وهو الذي كان عنده حلقات علمية ودرسنا عليه : التوحيد وأصول الفقه ، والفقه المقارن ، وهو الذين ترك أثره في نفوسنا ، فكان يعلم ويربي في نفس الوقت ، وكان يواسينا إذا نزلت بنا بعض المشاكل ، وكان يحدب علي شخصياً ، وله مواقف شجاعة في نقد المجتمع .

س ٢ ـ ومطالعاتك الشخصية هل تذكر لنا الكتب التي تكثر من قراءتها ؟

ج ٢ ــ من الكتب التي شغفت بها كثيراً ، كتب السلف رضي الله عنهم ، وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم ، تعلمت منهما الاستقلال في الاستدلال ، ونبذ التعصب المذهبي وتصفية العقيدة الإسلامية من العقائد الفاسدة . وهناك كتب فكرية كثيرة ، لأنني في الحقيقة كما أدرس لابن تيمية ، أدرس لغيره وخاصة من المعاصرين كالشيخ حسن البنا وسيد قطب ، كما أقرأ مايكتب عن الحركات الإسلامية في العالم ، وبالطبع نأخذ الحق ونترك ماعداه إذا قام الدليل على ذلك ، فلست محصوراً في زاوية واحدة لا أتجاوزها .

س ٣ ـ كان من الواضح لكل من عايش البعث الإسلامي في الجزائر ، ومن خلال ظهور الثورة الإيرانية ومحاولتها لتصدير أفكارها ، أنك كنت من القلائل الذين تصدوا لتأثيرها وفكرها ، فهلاّ حدثتنا عن شيء من هذا ، ودورك في ذلك ؟

ج ٣ ــ إن أفكار وعقائد الشيعة ، كنا قد درسناها في الكتب ، مثل منهاج السنة وغيره ، وقد تركت مثل هذه الدراسة أثراً في نفوسنا وفي أذهاننا وقد تحركوا

في الجزائر فعلاً والتف الشباب حول السفارة الإيرانية ، فرأينا في ذلك خطراً على الدعوة الإسلامية وأنه من واجبنا أن ننبه لهذه الأخطار والمفاسد التي تمس الجانب العقدي ، ولذلك رددنا على الشيعة ونقدنا الخميني من خلال كتبه وتصريحاته ، رغم ماوجدنا من مضايقات ممن كانوا متأثرين في ذلك الوقت بالشيعة .

س ٤ ـ هل تذكرون لنا نماذج من تلك المضايقات ؟

ج ٤ ــ بدأت المضايقات من بعض الدعاة الذين أحسنوا الظن بإيران ، وكانوا يرون أنه ليس من الحكمة في شيء أن نتعرض لعقائد الشيعة ، والدولة الإيرانية في طور التكوين ، بل ينبغي علينا أن نسكت رغم قناعتنا بأنها عقائد فاسدة ، حتى لانمكن للاستعمار العالمي .

بهذه الحجج وأمثالها حدثت لنا مضايقات واتهمنا بأننا لسنا من أهل الحكمة ، وأننا من أهل التسرع والتهور ولكن الذي كنا ندين الله به أن العقيدة لايمكن التسامح فيها ، قد نتسامح في بعض الأخطاء الفرعية ، أما أن تكون مصيبة المسلمين في عقائدهم فهذا من الشيء الذي لايمكن السكوت عنه ، وقد ظن بعضهم وصرح لي بذلك أن الخلاف بيننا وبينهم في الفروع مثل الخلاف بين الأئمة الأربعة !!.

س ٥ ـ هل للشيعة نشاط الآن في الجزائر ؟

ج ٥ ــ النشاط موجود ، ولكن ليس هناك واحد منهم يصرح أنه شيعي ، هناك أناس ذهبوا ودرسوا في (قم) هناك بعض المساجد تباع فيها أشرطة الشيعة ، ويقولون : نحن نقرب بين المذاهب ؟!.

على كل حال ، هناك فرق أخرى تنشط أيضاً في الجزائر ، هناك الطرق الصوفية ، ولكننا نحن نعمل بقدر المستطاع لتبيان منهج أهل السنة والجماعة .

س ٦ ـ وموقف الإسلاميين ؟.. هل ترى أن تلك الموقف كاف ؟

ج ٦ ــ أما عن موقف الإسلاميين فالتقصير موجود ، لأنه إذا بقي في مثل هذه المسائل داعية أو اثنان أو ثلاثة ، وكبار الدعاة وأصحاب الكلمة ساكتون عن هذا ، فأظن أن هذا الموقف فيه تقصير كبير ، وينبغي لكل الدعاة ، وكل من يزعم أنه على مذهب أهل السنة والجماعة أن لايسكتوا عن الباطل ، ولا يقولون : « سكوتنا سياسي فقط ، نتعاطف معهم سياسياً لا عقائدياً » .

س ٧ ـ ماهو تعليقك على هذه العبارة الأخيرة ؟

ج ٧ ــ هذه العبارة لا أصل لها من الصحة بالطبع ، لأن الحق أحق أن يقال وأن يتبع .

س ٨ ـ ننتقل إلى موضوع آخر ... هل من الممكن أن تحدثنا عن الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، وانضمامك إليها باختصار ؟

ج ٨ ــ الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، هي جماعة من جماعات المسلمين ، والجبهة ماهي إلا وسيلة فقط وليست غاية ، ونحن لاندعوا إلى تحزيب الإسلام ، وإنما رأينا فيها مجالاً للعمل للإسلام ، والعمل ليس كما يظن عمل سياسي بحت ، بل عملها في ميادين كثيرة ، تعمل في ميدان التربية ، وتعمل في ميدان التوعية للشعب ، وتعمل في ميدان السياسة ، وبكلمة أخرى : لايمكن أن نغض الطرف عن جانب من جوانب الإسلام ، ونحن انضممنا إليها لأننا رأينا فيها فرصة نستطيع من خلالها أن نقدم للإسلام خدمات في جو من الراحة .

س ٩ ـ وهل من الممكن أيضاً أن تحدثنا عن رابطة الدعوة الإسلامية والفرق بينها وبين الجبهة الإسلامية للإنقاذ ؟

ج ٩ ــ الجبهة الإسلامية للإنقاذ لها منحى تعمل فيه ، منحى واضح وموجود

في مشروعها ، أما الرابطة فهي تهتم بأمور الدعوة أكثر مما تهتم بالعمل السياسي ، فهي ترى أن تكون فوق العمل السياسي . ونحن والحمد لله مع أننا أعضاء في الجبهة الإسلامية فنحن أيضاً من الأعضاء المؤسسين لرابطة الدعوة الإسلامية .

س ١٠ـ وهل الرابطة أيضاً تتبنى منهج أهل السنة والجماعة ، أم انهم يقبلون في صفوفهم من لايسير على هذا الطريق ؟

ج ١٠ ــ على كل حال ، نحن نحاول فيما نعرض في جلساتنا دائماً أن يكون المنهج السائد هو منهج أهل السنة والجماعة ، هذا ماأستطيع الإجابة عنه الآن .

س ١١ـ هل لك كلمة اخيرة تريد أن تقولها ، نصيحة للمسلمين او تعليقاً على الوضع في الجزائر ؟ أو أي كلمة أخرى ؟

ج ١١ ــ أنصح نفسي الخاطئة وإخواني المسلمين ، أن طريق النجاة إنما يتمثل في الاستمساك بكتاب الله عز وجل وسنة الرسول ﷺ ، وفي فهم السلف الصالح ، وأي طريق نسلكه لاستئناف حياة إسلامية بعيدة عن كتاب الله وسنة رسوله سيؤدي إلى طريق مسدود ، وقد أثبتت التجارب ذلك .

وأنصح المسلمين أيضاً أن لايتحزبوا ، ولو كانوا وسط أحزاب ، فيجعلوا تلك الأحزاب وسائل لا غايات ، وأن يبتعدوا عن التعصب المذهبي ، كما يبتعدوا عن التعصب الحركي وأن يجعلوا الحق فوق الأشخاص لا العكس .

وأشكركم على إتاحة هذه الفرصة ، لأقول كلمة جاشت في نفسي إبراء للذمة ، ونحن نقبل النصح من أي جهة ، بشرط أن يكون مدعوماً بدليل من كتاب الله وسنة النبي ﷺ .

المجلة : ونحن نشكر الأخ الشيخ علي بلحاج على هذه الفرصة الطيبة وندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقه والعاملين في الجبهة الإسلامية وكل الدعاة الصادقين في الجزائر لما فيه خير الإسلام والمسلمين □

أغير الله أتخذ ولياً

في هذا المقال يتابع الكاتب تعداد مقومات الولاء والبراء .

محمد صالح المنجد

٨ ــ تحمل الأذى في سبيل تحقيق ولاية الله :

وقد جرت سنة الله بامتحان المؤمنين ﴿ ماكان الله ليذر المؤمنين على ماأنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ﴾ . ولابد أن يلاقي المؤمن في سبيل تحقيق ولاية الله أنواعاً من الأذى المادي والمعنوي ــ خصوصاً في هذا العصر ــ وانظر ماذا جمعت هذه الآية ﴿ لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ .

وقدوتنا ﷺ يعبر لنا عما لقي في هذا السبيل : « لقد أوذيت في الله ومايؤذى أحد ، وأخفت في الله ، ومايخاف أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال » [عن أنس ، صحيح الجامع] .

قال ابن القيم في المدارج : (فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرة في دينه وفقهاً في سنة رسوله وفهماً في كتابه ، أراد أن يسلك هذا الصراط فليوطن نفسه على قدح الجهال وأهل البدع فيه ، وطعنهم عليه وازرائهم به وتنفير الناس عنه وتحذيرهم منه كما كان سلفهم من الكفار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ) .

٩ ـ الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام :

وهذه الخطوة ضرورية حماية لدين المسلم واستفادة من طاقاته في المجتمع الإسلامي وحرمان الكفار من ذلك مع ما في ذلك من الأذى النفسي والتغرب عن الأوطان وفراق الأهل والعشيرة .

وفي صحيح مسلم : (عن أبي موسى رضي الله عنه قال : بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن ، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي ، أنا أصغرهما ، أحدهما أبو بردة ، والآخر أبو رهم ، إما قال : بضعاً ، وإما قال : ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي ، قال : فركبنا سفينة ، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه عنده ، فقال جعفر : إن رسول الله ﷺ بعثنا هاهنا ، وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا ، قال : فأقمنا معه ، حتى قدمنا جميعاً ، قال : فوافقنا جميعاً رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر ، فأسهم لنا ، أو قال : أعطانا منها ، وماقسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً ، إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، قسم لهم معنا ، قال : فكان ناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ نحن سبقناكم إلى بالهجرة ، قال : فدخلت أسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا ، على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة ، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه ، فدخل عمر رضي الله عنه على حفصة وأسماء عندها ، فقال عمر حين رأى أسماء : من هذه ؟ قالت : أسماء بن عميس ، قال عمر رضي الله عنه : الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ فقالت أسماء : نعم . فقال عمر : سبقناكم

بالهجرة فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم ، فغضبت وقالت كلمة : كذبت ياعمر ، كلا والله ، كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار أو في أرض البعداء والبغضاء في الحبشة ، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ ، وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ماقلت لرسول الله ﷺ ، ونحن كنا نؤذى ونخاف ، سأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله ، ووالله لاأكذب ولا أزيغ ولاأزيد على ذلك ، قال : فلما جاء النبي ﷺ قالت : يانبي الله إن عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ : « ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان » قالت : فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتونني أرسالاً يسألونني عن هذا الحديث . مامن الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ . قال أبو بردة : فقالت أسماء : فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني) .

هذا الحديث العظيم في الجانب الإيجابي وفي الجانب السلبي نجد في الحديث الصحيح : « ولكن البائس سعد بن خولة » يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة نقرأ الحديث ونحن نتوجع ونتألم عندما نرى آلاف الطاقات الإسلامية تعمل في تقوية أنظمة الكفار وأجهزتهم ونتساءل أين تسخير الطاقات والمواهب لخدمة هذا الدين .

أليس الولاء لله يمنع من تقوية الكفار ومناصرتهم والإقامة بين أظهرهم .

١٠ ــ رفض موالاة الكفار أو التحالف معهم :

لايجتمع حب الله وحب أعداء الله في قلب مسلم أبداً ، وما حلا في قلب إلا تدافعا حتى يخرج أحدهما صاحبه :

أتحب أعداء الحبيب وتدعي
حباً له ماذاك في إمكان

وتحقيق الولاية يقتضي بغض الكفار وعدم توليهم : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً ﴾ .

وتتضح خطورة هذا الأمر في قوله

تعالى : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ . قال العلامة صديق حسن خان في كتابه العبرة مما جاء في الغزوة والشهادة والهجرة ، ص ٢٤٣ :

« وأما القوم الذين في بلاد المسلمين ويدعون أنهم من رعية النصارى ويرضون بذلك ويفرحون به وأنهم يتخذون لسفنهم بيارق وهي التي تسمى الرايات مثل رايات النصارى إعلاماً منهم بأنهم من رعاياهم فهؤلاء قوم أشربوا حب النصارى في قلوبهم ... وقصروا نظرهم على عمارة الدنيا وجمعها .. وأن النصارى أقوم لحفظها ورعايتها . فإن كان القوم المذكورون جهالاً يعتقدون رفعة دين الإسلام وعلوه على جميع الأديان وأن أحكامه أقوم الأحكام وليس في قلوبهم مع ذلك تعظيم للكفر وأربابه (مأأصعب هذه الشروط !) فهم باقون على أحكام الإسلام لكنهم فساق مرتكبـون لخطب كبير يجب تعزيرهم عليه وتأديبهم وتنكيلهم ، وإن كانوا علماء بأحكام الإسلام ، ومع ذلك صدر منهم ماذكر فيستتابوا فإن رجعوا عن ذلك وتابوا إلى الله ، وإلا فهم مارقون ... فإن اعتقدوا تعظيم الكفر ارتدوا وجرى عليهم أحكام المرتد » اهـ .

وانظر للتقريع في هذه الآية : ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾ .

إن هذه المواقف القلبية لبعض المسلمين تجاه الكفار تناقض ولاية الله .

إلى هؤلاء نسوق هذا النص لفقهائنا : في الروضة النواوية في باب الردة : ولو قال معلم الصبيان أن اليهود خير من المسلمين بكثير لأنهم يقضون حقوق معلمي صبيانهـم كفر . انتهى .

إذن لابد من بغض الكفـار وعداوتهم ولكي تتحقق ولاية الله لابد من :

١١ ــ مفاصلة الكفار واتخاذ المواقف منهم :

إذا كانت ولاية المؤمن تقتضي موالاة أحبابه ومعاداة أعدائه فعليه

لاتجوز موادة الكافر ولو كان أخاً شقيقاً ونحب أخا الإسلام ولو كان حبشياً أو رومياً أو فارسياً أو قوقازياً ..

وفقه الصحابة لمسألة المفاصلة عظيم فهماً وتطبيقاً . قال ابن حجر رحمه الله في ترجمة عامر بن عبد الله الجراح ، وهو أبو عبيدة في الإصابة : (نزلت فيه ﴿ لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ الآية ، وهو فيما أخرج الطبراني بسند جيد عن عبد الله بن شوذب قال : جعل والد أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر فيحيد عنه ، فلما أكثر ، قصده فقتله فنزلت ، وألفاظ القصة تغني عن التعليق عليها .

ولم تقتصر المفاصلة واتخاذ المواقف من الكفار على مسألة القتال فقط ، ففي حديث إسلام ثمامة سيد اليمامة في صحيح البخاري :

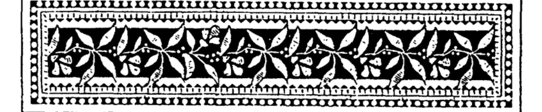
« ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، يامحمد والله ماكان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ماكان من دين أبغض علي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي ، والله ماكان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي ، (ثم ذهب ليعتمر في مكة فقال لكفار قريش) : لا والله لايأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ » .

الله أكبر ، كم في هذا الموقف من عجب .. رجل يسلم لتوه فيفهم أن ولايته لله تفرض عليه أن يفاصل الكفار ويعبر عن عدائهم وهو بين أظهرهم ويصارحهم بموقفه منهم في وجوههم .

اللهم من علينا بولايتك وتولنا برحمتك وارزقنا حب أوليائك وبغض أعدائك ، والحمد لله أولاً وآخراً □

أدب وتاريخ

- المخادع (قصة قصيرة)
- ذات الخمار (قصيدة)
- قراءات تاريخية





خولة درويش

مارأيت مثل « عائدة » اعتزازاً بزوجها ، وزهواً بآرائه وتصرفاته ، والتي تعتبرها « كياسة ولباقة » .

إنني كلما أكبرت فيها إعجابها بزوجها ، وتقديرها له ، رحت أتساءل :

ـــ « أهي محقة في ذلك ؟! » .

وأتاح تقاربنا في السن ، أن أتعرف على مكنونات نفسها خلال ماتفضيه إلي من آمالها ومسراتها ، فضلاً عن علاقة الجوار والزمالة .

وكثيراً ماحدثتني بسعادة وانشراح عن مغامرات زوجها الطبيب « بديع » ومقالبه الناجحة ، التي كانت أشبه بصفقات تجارية من حيث نتائجها المادية وأرباحها الخيالية .

وإن أنس لا أنسى يوم كانت ضحكاتها العالية ، وقهقهاتها الرنانة تملأ أرجاء البيت وهي تحدثنا عن آخر « شطاراته » بقولها :

ـــ « في صباح الأحد الماضي كان الضباب يخيم على كل شيء ، على الجبال والشعاب والشجيرات المتناثرة التي حال الظلام دون الاستمتاع برؤيتها .

كان الدكتور « بديع » يقود سيارته مسرعاً إلى مقر عمله في الضاحية المجاورة . وأثناء الانحدار إلى سفح الجبل ، ومع السرعة الكبيرة ، ارتطمت سيارته ارتطاماً عنيفاً بسيارة العامل المسكين التي كانت أمامه ، والتي رغم

وضاعتها كان يصحب عائلته فيها ... (قالت ذلك بتقزز وامتعاض) أحس « بديع » على أثرها بدوار شديد ... أنسته إياه المواقف المتلاحقة . فهاهو قد نقل مع سائق السيارة المصابة إلى المستشفى ، وكان ذلك المسكين جسداً لاحراك فيه . أما طفلاه اللذان كانا في المقعد الخلفي فقد أخذا إلى غرفة العمليات لعلاج كسور مختلفة في جسميهما فضلاً عن جروحهما التي كانت تنزف بشدة ..

وتتفاخر « عائدة » ـــ سامحها الله ـــ وتقول ضاحكة :
ـــ لكن بديع بديع ! ليس كغيره . تحامل على نفسه ، ثم تناسى آلامه ومتاعبه ، وهب واقفاً يمسك بيد السائق المسجى ، ثم يصب في أذنيه كلمات يعلنها بكل ثقة وصلابة :
ـــ « أنا طبيب وأعرف أنك لاتشكو من شيء ؟ قم فوالله إن لم تفتح عينيك حالاً ، لأخذت حقي منك ، ولدفعت الثمن غالياً . فأغرمك أجور عيادتي بسبب حادثك المفتعل ...!! فأنت المعتدي ، ثم يردف مردداً مقولته التي يدأب على إعلانها :
ـــ « والشرع يرضي الجميع ...!! » .

وأردفت تقول بفرح واعتزاز :
ـــ تصوروا بعد لحظات ، ومجرد أن أفاق المسكين ، وفتح عينيه المذعورتين بعدما سمع التهديد ، أشار إلى الشرطة .
ـــ « دعوه يسامحني ، فأنا غير مصاب ...!.» ثم تتابع « عائدة » :

وركب « بديع » سيارته وذهب سعيداً إلى عمله ، وكأن شيئاً لم يكن ...

استمعت إلى قصة « عائدة » وأنا في ذهول ، وصرت أحدث نفسي :
ـــ « حقاً لقد كان الضباب يغلف كل شيء ، حتى القلوب البشرية ؟! حتى قلوب الأطباء الذين تحتم عليهم رسالتهم تضميد جراح الآخرين ومسح آلامهم ؟!

وتوالت الخواطر والتساؤلات :
ـــ أهذا أمر يدعو إلى الزهو ؟! أين التدين الذي كانت تنشده « عائدة » في زوجها ؟! بل أين الكياسة ؟!

لقد تزوجت منه وهي تعتبره « لقطة » فريدة في عصرها ، مركز مرموق . وثقافة عالية ، فضلاً عن يسر حال أهله ، أما هو فإن لم يكن كثير المال ، لكن ثراء « عائدة » يمكنها من الاحتفاظ بمستواها المعيشي الراقي ، ثم إنه فوق ذلك : « متدين عصري » كما كانت تقول .

وعندما كان والدها الشيخ « عادل » رحمه الله يقول لها مبيناً رأيه :
ــ إنني لايعجبني هذا الصنف من الناس . إذ كثيراً مايكتنفه الكذب والغموض . وحيث كان الكذب والمراوغة كان الزيغ أو النفاق ...

لكن « عائدة » ساهمت مع إخوتها بإقناعه أن « بديعاً » مسلم مثقف ودبلوماسي لبق ، يحسن التصرف وتدبير الأمور و... إنه يحرص على أن يتصدر الصفوف الأولى في المحافل الدينية ، ويجيد المناظرة ولو كان قرنه من كبار العلماء . وهذا مااكتسبه من طول مرافقتهم .

وتم الزواج السعيد ، وهو دؤوبة على ذكر أخباره وأسفاره .

كم كانت فرحة ، وهي تحدثنا عن قصة الفلاح الطيب وهو يلبس ثيابه البسيطة ، ويضرب باب العيادة بعصاه ويقول ؛ وتحاول عائدة أن تقلده بصوت مرتفع أجش :
ــ « السلام عليكم يادكتور ... أدخل ؟! »
ثم يدخل ويشكو ألماً في بطنه لايحتاج إلى أكثر من مسكن ، فربما كان ألمه بسبب برد عارض في تلك الأيام .
ولكن الطبيب « بديع » بديع !!
هول الأمر وضخمه وأمر « المسكين » أن يمضي يومه في العيادة في غرفة مجاورة لغرفة الطبيب ، وذلك لمراقبته خوفاً من نتائج خطيرة قد تعود على صحته إذا أهمل نفسه ويحاسب الله عليها الطبيب ...!

ويتكرر ذلك لمدة أسبوع للاحتياط ، فالحذر طيب ، ومراقبة الله واجبة !! يوماً يجري « بديع » بعض الفحوصات للمسكين ، ويوماً تعمل له بعض التحاليل وآخر يعطي المسكنات مع تدليك لبطنه ! ثم تتابع « عائدة » :
ــ وبعد الأسبوع المشهود ، كانت فرحة الفلاح لاتوصف عندما أخبره « بديع »

أنه تماثل للشفاء ، وتعلق بمزيد من المرح :

ــ أما نحن فقد فاض عن حاجتنا آنذاك البيض الطازج ، والدجاج البلدي ، وهدايا الجبن والزبد التي يأتي بها للطبيب الماهر ، فهو سيساعده في شفائه من الأمراض الخبيثة ....

وتضيف قائلة على لسان زوجها : « الحياة شطارة والسعي على العيال فيه الأجر والثواب » ويسوء ذلك الموقف الحاضرات . فتستنكر إحداهن بقولها :

ــ « هل يثاب المرء على مثل هذا الكسب ، وقد خالطه الخداع ؟!

وتساندها أخرى :

ــ لم يعلمنا الرسول ﷺ أن المؤمن يطبع على الخلال كلها إلا الكذب والخداع ؟!

ولكن « عائدة » لم تلق بالاً لكل مايقال :

وحتى السيدة والدته لم تسلم من مقالبه ...

كانت عائدة تتمنى أن تسافر إلى أوربا حيث لم يتح لها السفر لقضاء شهر العسل ، وهي تريده سفراً على نفقة « بديع » وأنى له ذلك بإمكانياته المادية المحدودة ؟! وتسر لي « عائدة » أن « بديعاً » قد عمل لوالدته فصلاً مسرحياً خفيف الدم ، فقد تودد لها واستعطفها ، وزين لها أنه يريد الذهاب إلى أوربا ليكمل دراسته وهي فرصة العمر ... ويعود بعدها ليصبح من أحسن أطباء البلد لاختصاصه النادر الذي سيحصل عليه . ويقول لها وهو يشبع يديها لثماً وتقبيلاً :

ــ لاتحرميني من تحسين مستقبلي . ثم يرجوها قائلا :

ــ سأكون ابنك البار الذي يدخله رضاك الجنة إن شاء الله ..! وتتابع عائدة :

وكانت دراسته من روائع مايتصوره الدارسون ... في ملاهي باريس وشواطيء إيطاليا ... وكنت رفيقته على نفقة الحاجة والدته رحمها الله ...

أسأل الله الهدى لعائدة : إني كلما ذكّرتها بعدم الحرص على المتع الفانية ، كانت تسخر مني وتقول :

ــ نحن نرضي الله ، ولا نهمل العبادة ، ونعيش دنيانا كما نحب .

وعندما سألتها مشفقة عليها :

ــ وهل يرضيك الاختلاط على الشواطىء ، وهو محرم في ديننا ؟!

ردت بانفعال :

ــ سامحك الله ، وهل تظنين أنني أسكت على مثل هذا ؟

والله لقد ذكرته مرة حين كان يتحدث عن جمال الحسناوات على الشاطىء بحديث قدسي للرسول ﷺ : « النظرة سهم مسموم من سهام إبليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه » .

فابتسم وهو يقول :

ــ إنها غيرة النساء ، ثم إني لاأعيرهن أكثر من نظرة أخوية بريئة !!.

.... وتمر السنون القليلة ، وأزور بيت أخيها الكبير لأجد « عائدة » وقد اختفى مرحها ، وظللتها الكآبة والأسى ، وأضحت ساهمة الوجه ، مقطبة الجبين تحكي دموعها شقاء حاضرها ، وبؤس مستقبلها القاتم ، وعلمت من حديث هامس في الغرفة المجاورة ، أنها تعيش أزمة عائلية مع زوجها !!

في الحقيقة ، كنا جميعاً في ذهول أمام هذه النتيجة المؤسفة ، وتتنهد أختها الصغرى وهي تقول : هكذا الرجال .. لاعهد لهم !

وتؤمن امرأة أخيها على قولها ــ سواء مجاملة أم حقيقة ــ :

ــ صدقت ، مارأيت زواجاً سعيداً مثل زواجهما ، وهذه نتائجه !.

وتدعو لها بإشفاق : كان الله في عونك ياست عائدة .

وأتحسس أسباب النكد المفاجيء فأجد أن زوجها قد أخذ منها وكالة ليشرف على تدبير أموالها وليحفظها لها . وليجنبها الاختلاط بالرجال الذي يحرمه ديننا ... ثم فوجئت أنه قد باع قطعة أرض من أملاكها دون أن يستشيرها ، ولما سألته عن السبب ، أشعرها أنه التجاري اليقظ الحريص على مال زوجته . فالأراضي إلى كساد ، وعليه أن يغتنم الفرصة ولا يفوتها ، وإضاعة المال حرام ...!!

ثم يطمئنها بقوله :

ــ على كل حال ، الأموال موجودة ، وإن شئت نسخنا البيع . واسترضاها بذلك .

وبعد مدة وجيزة ، اشترى لنفسه « فيلا » جميلة في الشارع المجاور . ولما سألته عن مالها ثمن الأرض . صار يراوغ ويخادع ، ويمنيها أن « الفيلا » لها ، وإن شاءت سجلها باسمها . أليس هو وإياها كنفس واحدة ؟!

واستفحل الأمر ، وتحول إلى مشادة عنيفة عندما بدأت تجابهه بواقعه :
ــ إنني لو كنت أقدر الأمور ، لعرفت النتيجة يوم سفرنا لأوربا ، إن من يكذب على أمه حري به أن يكذب على زوجته والناس أجمعين ، ومن يستبيح لنفسه الكذب فقد زجها في النفاق ...

تقول ذلك وهي توطن نفسها على تحمل ثورة « بديع » فقد يشتمها أو يلطمها أو ... وتتلمس رأسها بكلتا يديها وهي تنظر إليه بتوجس .

لكنه يقابلها ببرود ، ويقول بخبث وملق ، وهو يرسم على وجهه ابتسامة باهتة :

ــ بيدك حق ، وكل ماتقولينه جميل ولطيف . والحب الذي بيننا لن تمحوه هذه الكلمات ..

ثم تكشف له النقاب عن سوء طويته بردها المقتضب اللاذع :
ــ إنك لاتحب إلا نفسك ، إلا المادة والشهوات . إن الذي لايحب دينه ولا يصدق مع ربه ، لايمكن أن يصدق مع أحد .

وهنا لايملك وقد ضاق صدره بالمأزق المهين . إلا أن ينكمش مخذولاً ويتوارى منهزماً ، وقد عذبه الله بالحرص والجشع والخداع ، ويتمتم بكلمات مبهمة تفضح غيظه الدفين .

وتأتي بعدها « عائدة » إلى بيت أخيها . وآخر عهدها بزوجها أن تدافعا عند الباب وهو يصر على منعها من الخروج ، ويسعى مااستطاع إلى ذلك سبيلاً . وتركته يستعطفها بصرخات متشنجة :
ــ ياعائدة لاتفضحيني ، أولست زوجك ولي حق عليك ، لاتخرجي وكل

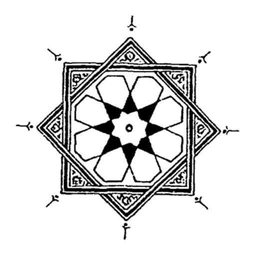
ماتريدينه يأتيك رغباً وطوع أمرك ... ياعائدة !!

ولكنها لاتأبه لما يقول وتخرج تشيعها توسلاته ورجاؤه ، وهو يبكي على ثقة الناس به تلك التي عاش حياته يبنيها بخداعه .

... وهاهي « عائدة » وقد أسقط في يدها ، تتحسر وتتأوه ، وهواجسها الدفينة تأبى إلا أن ينطلق بها لسانها .
ـــ آه لو كنت عاقلة حقاً لما اقتنعت أن هناك « متديناً عصرياً » كما توهمت طوال حياتي معه .

وبقلب يتحرق أسى ، ونفس استيقظت بعد غفلة ، تتابع بين آهاتها وشهقاتها :
ـــ رحمك الله ياوالدي وطيب ثراك كم كان نظرك بعيداً . ورأيك سديداً وأنت تقول :

ـــ المؤمن واضح ، لامواربة في سلوكه ولا غموض ، آلف مألوف قريب من النفوس السوية ، بعيد عن الخداع والأنانية . يتصرف بميزان الإسلام وأخلاقياته □



ذات الخمار

أبو عاصم الحكمي

بُلّغْتِ ياذاتَ الخمارِ مناك ... وحباك رُّبكِ عزةً ورعاكِ
لبيتِ صوتَ الحق دونَ تلعثم ... وعصيتِ صوتَ الفاجرِ الأفّاك
جانبت أخلاقَ العدوِّ تكرماً ... وتبعت خُلْقاً سنه مولاك
وزَهِدْتِ في أزيائهم وعُروضهم ... وجعلت مطلبَكِ الشهيَ أُخراك
وُفقتِ ياأختاه في نيل الرضا ... فتضرعي شكراً لذي نَعماك

* * *

أختاه إن خسر العدو بجولة ... سيعاودُ الأخرى ، ولن ينساك
ألقى بأختك في الحبائلِ فانثنت ... تدني الفسادَ لقومها بحماك
فتأهبي دوماً وكوني حرةً ... لايخدعَنْكِ الكاذبُ المتباكي
زعم الدعارةَ والخنا حريةً ... هتكاً لعرضك فاحذري ! إياك !

* * *

أختاه قد تلقين ضيماً أو أذىً ... فثقي بربك واثبتي لعداك
فالابتلاء يزيد دينَك قوةً ... والمؤمناتُ صبرنَ قبلُ لذاكِ
فلأمِّ عمارٍ وأمِّ عمارةٍ ... أسمى المواقفِ من ذوي الإشراك
وكذاكَ أسماءٌ وإنْ تستخبري ... عنهن تاريخَ العلا أنباك

أختاه من للنشىء يصقل فكرهم ويريهم السُّنَنَ القويمَ سواكِ ؟
يابنت « فاتحٍ » لقنيهم في الصبا تاريخَ مجدٍ كان للأتراكِ
شهدت به الدنيا وذلَّ لسيفهِ كلُّ الملوكِ وكان فيه عُلاك
أضحى به صرح الشريعة شامخاً وهَوَتْ لديه معاقلُ الإشراك

* * *

أختاه إن الدربَ صعبٌ مجهدٌ يحتاج زاداً والتقى هي ذاكِ
قومي إذا جن الظلام ورتلي آياتِ ربِّك وَلْتَجُدْ عيناك
فالله حرَّمَ أنْ تَمَسَّ جهنمٌ عيناً بكت فلتَسْعَدي بيكاكِ
وَلْتَذْكري بظلامه قبراً غداً يمسي من الدنيا به مثواكِ
صومي نهارَك ماستطعتِ فإنه يُطْفِي به يومَ الحساب ظماك
ولْتَحْسُنِ الأخلاقُ منك يَكُنْ بها حبُّ النبي وقربِهِ ، وكفاك

□ □ □

قراءات تاريخية

قال القاضي ابن شداد في وصف صلاح الدين الأيوبي :

« وكان رحمه الله من عظماء الشجعان ، قوي النفس ، شديد البأس ، لايهوله أمر ، ولقد وصل في ليلة واحدة من الإفرنج إلى عكا نيفٌ وسبعون مركباً وأنا أعدها من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس وهو لايزداد إلا قوة نفس .

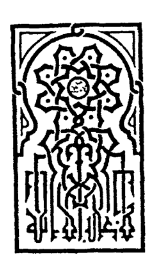
وكان رحمه الله شديد المواظبة على الجهاد عظيم الاهتمام به ، ولو حلف حالف أنه ماأَنفق بعد خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلا في الجهاد وفي الإرفاد لصدق وبرّ في يمينه ، ولقد كان الجهاد قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيماً ، بحيث ماكان له حديث إلا فيه ، ولا نظر إلا في آلته ، ولا اهتمام إلا برجاله ، ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه ، ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وولده ووطنه وسكنه ، وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يمنة ويسرة .

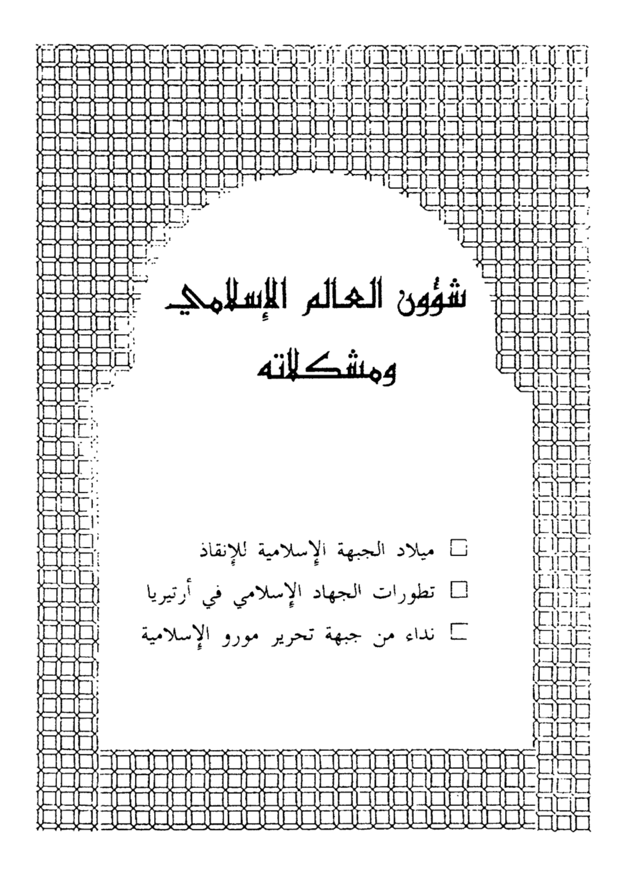
وقال القاضي الفاضل :

وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد ، وقد ألف له كتب عدة في الجهاد ، وأنا ممن جمع له كتاباً ، جمعت فيه آدابه وكل آية وردت فيه ، وكل حديث روي فيه .

قال : وسرنا مع السلطان على الساحل طالبين عكا ، وكان الزمان شتاء ، والبحر هائجاً هيجاناً عظيماً ، وموجه كالجبال وكنت حديث عهد برؤية البحر ، فعظم أمر البحر عندي ، واستخففت رأي من يركب البحر ، فبينا أنا في ذلك إذ التفت إليّ وقال في نفسه : أنه متى يسرّ الله تعالى فتح بقية الساحل ، قسمت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى جزائرهم (الصليبيين) أتبعهم فيها حتى لاأبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت ، فعظم وقع هذا الكلام عندي وحكيت له ماخطر لي .

فانظر إلى هذه الطوية مأأطهرها ، وإلى هذه النفس مأأشجعها وأجسرها . اللهم إنك تعلم أنه بذل جهده في نصرة دينك ، رجاء رحمتك فارحمه ... » □





شؤون العالم الإسلامي ومشكلاته

- ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ
- تطورات الجهاد الإسلامي في أرتيريا
- نداء من جبهة تحرير مورو الإسلامية

ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ

ننشر فيما يلي نص بيان الجبهة الإسلامية للإنقاذ التي ووفق على إعلانها في الجزائر .

بسم الله الرحمن الرحيم

تعرف البلاد تناقضات على جميع المستويات ، من ذلك شعب طموح يريد النهوض بنفسه إلى مستويات مقاصد الشريعة الإسلامية والنموذج الإسلامي القرآني السني على مستوى النظم ، النظام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي في النطاق الحضاري الإسلامي لمواجهة مستجدات أزمة الحضارة في الوقت الذي بقي فيه النظام الحاكم عاجزاً عن مواجهة القضايا الأساسية التي تطرحها حيثيات الأزمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية ، وقد آل أمر البلاد إلى خطر الضياع والبلبلة انعكس في حيرة هزت الشعب هزة عنيفة وكان الشباب أكثر تأثراً بهذه الحيرة .

وإذا كانت الدعوة الإسلامية قد أخذت على عاتقها مسؤولية توجيه الشعب الجزائري والسير به نحو المنهج القويم والصراط المستقيم المانعين من المخاطر المذكورة آنفاً والضامنين للنجاة والمحققين للمراد من الصحوة الإسلامية التي مافتئت تشكل معقد آمال الأمة .

ولئن كانت الدعوة الإسلامية محاصرة بالضغوط المعادية للإسلام وللشعب الجزائري في الداخل والخارج فإن الدعوة كانت دوماً تشع على العقول بأنوار الهداية وتنعش الضمائر بالغذاء الروحي الذي تزخر به أخلاق القرآن والسنة وتشحذ الارادة الخيرة للأمة بالطاقة الإيمانية الفعالة مما جعل الشعب الجزائري يقوى على مواجهة النوائب ومصارعة الاستعمار الحديث ، كما قوي بالأمس على

سابقه الاستعمار القديم .

وبعد أن جربت مختلف الإيدلوجيات الحديثة ؛ الشرقية منها والغربية ، وثبت إفلاسها بما لاشك فيه لم يبق للشعب الجزائري إلا أن يجد في العمل بدينه القويم لإنقاذ مكاسبه التاريخية الرسالية الحضارية وثرواته البشرية والطبيعية دون أن يضيع الوقت الذي أصبح يشكل أهم العوامل في نجاح الخطة الإصلاحية الشاملة .

ولتحقيق ذلك لابد من هيئة تستوعب كل المطالب والحاجات التي تكون في مستوى مستجدات الأزمة ، وتوظف كل أو جل الإمكانات والطاقات كي تثرى الحلول على قدر مطالب النهضة الشاملة والصحوة الحقة ، وتوفر لها إذكاء عبقرية الجيل وذكاءه وإنماء خبراته ، واستقامة مسلكيته كي يكون في مستوى الجهد الرسالي والعمل الجاد المبدع في مختلف مجالات الحياة ، وميادين الحضارة من أجل ذلك كان ميلاد الجبهة الإسلامية للإنقاذ إرهاصة تاريخية ساعد على ظهورها نفسية الشعب الجزائري المفعمة بالإيمان التائقة إلى عزة الإسلام وعدل شريعته ، وهي القرآن والسنة وقيم أخلاقه والتأسي برسوله ﷺ وأجيال الصحابة والتابعين لمواصلة الرسالة .

مواصفات الجبهة الإسلامية للإنقاذ :

١ ــ إنها تعمل على وحدة الصف الإسلامي ، وتحافظ على وحدة الأمة لقوله تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون ﴾ ، ولقوله ﷺ : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » رواه البخاري .

٢ ــ تقديم بديل كامل شامل لجميع المعضلات الإيدلوجية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في نطاق الإسلام كما جاء في القرآن والسنة مع مراعاة الشروط النفسية والاجتماعية والجغرافية والطبيعية محددة في الزمان بكل أبعاده النفسية والحضارية . قال تعالى : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿ اليوم أكمت لكم

دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ ، ولقوله ﷺ : « تركت فيكم ماإن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله وسنتي » .

٣ ــ من خصائص منهجيتها الاعتدال والوسطية والشمولية لقوله تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ وقوله ﷺ لبعض أصحابه : « يسرا ولا تعسرا ، بشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا » .

٤ ــ ومن ميزات طريقتها الاعتدال في الجمع بين المطالبة والمغالبة دون إفراط أو تفريط . لقوله تعالى : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾ ، ولقوله ﷺ : « لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم » ، وتستعمل المطالبة لإقامة الحجة لقوله تعالى : ﴿ وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وماكان الله ليضل قوماً بعد أن هداهم حتى يبين لهم مايتقون ﴾ . كما تستخدم المغالبة لضمان مصالح الأمة والحفاظ على ثوابتها وصيانة مكاسبها لقول عمر بن الخطاب : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » .

٥ ــ ومن طرقها العملية ، العمل الجماعي وجودة توظيف الجهد الكلي للإرادة الكلية للأمة مما يجعلها تتخلص من النزعة الفردية والطفرية الارتجالية ، وورطة المحسوبية والوقوع في الأغراض الشخصية ونبذ الاتكالية . لقوله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿ ياداود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ ، ولقوله ﷺ : « الدين النصيحة ، قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « اعقلها ثم توكل » .

٦ ــ ومن مهامها : تشجيع روح المبادرة وتوظيف الذكاء والعبقرية وجميع الإرادات الخيرة في البناء السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والحضاري .

٧ ـــ ومن خصائصها الانقاذ الرسالي التاريخي الحضاري الشامل أسوة برسول الله ﷺ منقذ البشرية ، لقوله تعالى : ﴿ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ .

ولتحقيق ذلك تحدد الجبهة خطتها في مشروع شامل مختصر مركز (البرنامج السياسي) في محاور تضعها الجبهة الإسلامية للانقاذ بين يدي الأمة ليتم أمر التغيير الشامل في نطاق الحل الإسلامي □



تطورات الجهاد الإسلامي في إريتريا

١ ــ بتاريخ ٦ / ١٢ / ١٤٠٩ هـ الموافق ٩ / ٧ / ١٩٨٩ م قامت (الجبهة الشعبية) بهجوم واسع النطاق على (سرايا المجاهدين) في جنوب القاش بقوات كبيرة (حيث أحضرت لواءين من الساحل ، وثلاث كتائب وسريتين من بركا والقاش) ودارت المعارك في تلال ووديان (فانكو) بالقاش ، فقاتل المجاهدون بشجاعة منقطعة النظير .. وحين نفد العتاد منهم قاتل المجاهدون بالسلاح الأبيض أعداء الدين والوطن ، وكبدوهم خسائر فادحة . وكانت خسائر العدو (٣) مقابر جماعية دفنهم العدو نفسه بجرافات ، و (٣٥) قتيلاً دفنهم الشعب . وقد استشهد من المجاهدين في هذه المعركة (٢٥) شهيداً ، وأسر (٣٩) مجاهداً ، بعضهم من الجرحى ، ومن قاتل بالسلاح الأبيض .

٢ ــ وفي يوم ٧ / ١٢ / ١٤٠٩ هـ ، الموافق ١٠ / ٧ / ١٩٨٩ م هاجمت قوات أخرى من الجبهة الشعبية في شمال القاش (سرية للمجاهدين) في منطقة (بلتوبياي) فقد تم تدمير القوات الأولى المهاجمة ، ثم وصلت تعزيزات أخرى ، فعجزت عن النيل من المجاهدين ، وردت خائبة . وكانت خسائر العدو كبيرة في القتلى والجرحى . وقد دفن منهم بالقرب من ميدان المعركة (١٨) قتيلاً ، فوصلت إلى منطقة (فورتو) (٣) عربات محملة بالجرحى مات بعضهم بعد وصولهم مباشرة . أما المجاهدون الذين انتظروا في منطقة (محصنة) فلم يفقدوا إلا أسيراً واحداً .

٣ ــ استسلمت أعداد كبيرة من قوات الجبهة الشعبية ، أثناء المعارك والأيام التاليه خارج الحدود الأرترية ، وقد بلغ عددها حتى الآن (١٧٣٥) مقاتلاً .. هذا ويعيش تنظيم الجبهة الشعبية بعد انتصارات المجاهدين عليهم حالة من اليأس والانشقاقات الداخلية .

﴿ ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل مايشاء ﴾ □

نداء من جبهة تحرير مورو الإسلامية

تواصل جبهة تحرير مورو الإسلامية جهودها في تصعيد عملية الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله ، وقد ذكرنا في تقاريرنا السابقة أن قوى الكفر والالحاد قد اتفقت على حرب الجماعات الإسلامية المجاهدة التي تقودها جبهة تحرير مورو الإسلامية ، ويتعاون هؤلاء الكفار والملحدون مع العناصر العلمانية والوطنية الذين يلبسون لباس الإسلام أمام المسلمين لخداعهم والاستهزاء بهم كما في قوله تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزؤن ﴾ .

وإذ نجاهد في سبيل الله ضد هؤلاء الأعداء نستخدم جميع الأساليب المناسبة وكافة وسائل الجهاد اللازمة فنجاهدهم بالمال والنفس كما نجاهدهم باللسان والبنان واننا نخوض المعارك ضد هؤلاء الأعداء في ميادين الحرب الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاعلامية والنفسية إضافة إلى الحرب بالسلاح .

ولاشك أن أقوى سلاح لمواجهة هؤلاء الأعداء في الميادين الحربية المذكورة هو سلاح الإيمان والتقوى والعلم والمعرفة إضافة إلى السلاح الحربي التقليدي كالبنادق والمدافع وأمثالها .

لذلك تبذل الجبهة الإسلامية جهودها في الدعوة ونشر الوعي الإسلامي بجانب نشر العلم والمعرفة والثقافة الإسلامية والعربية ، وللجبهة أجهزة خاصة

لهذه المهمات النبيلة وتشرف على عدد كبير من المساجد والمعاهد والمدارس كما تشرف على عدد كبير من الدعاة والأئمة والمربين والمدرسين والمعلمين ، وتعمل على رفع مستواهم العلمي والثقافي والفكري ، وتدربهم على ممارسة الحياة الإسلامية الصحيحة ، وتقوم بنشاطات متنوعة كعقد الندوات الدينية والعلمية والثقافية وإقامة المخيمات الإسلامية وغير ذلك من النشاطات التي تعين على تحقيق أهداف الدعوة والجهاد .

وقد أقامت الجبهة مخيماً إسلامياً كبيراً هذا العام في قاعدة أبي بكر الصديق حيث مقر القيادة العامة للدعوة والجهاد ، وحضره المخيم أكثر من مائتين من قادة الجهاد ورجال الدعوة والتربية والتعليم ، وغيرهم من الشخصيات الإسلامية الذين أتوا من جميع أنحاء بانجامورو ، واشترك في إلقاء المحاضرات بعض الأساتذة والدكاترة من البلاد الخارجية ــ أي خارج الفلبين ــ وبانجا ومورو ، وكان موضوع المخيم : القيادة الإسلامية الصحيحة ، وقد اخترنا هذا الموضوع لأهيمة القيادة الإسلامية الصحيحة في توجيه المجتمع إلى المنهج الإسلامي الصحيح ، وناقش الحاضرون أهمية القيادة والفرق بين القيادة الإسلامية الصحيحة والقيادات الأخرى بما فيها القيادات العلمانية والوطنية والقومية التي لاتهتم بالدين بل تبتعد عنه وتهمل الجانب الروحي ، كما ناقشوا أسباب انحراف القيادات في المجتمعات الإسلامية .

والجبهة تهتم بهذا الأمر لأنها ترى أن سبب عدم تطبيق الحكم الإسلامي الصحيح في بلاد المسلمين هو وجود حكام فاسدين وقيادات غير إسلامية أو منحرفة في هذه البلاد ، ولابد من تصحيح هذا الوضع وتجنب حدوثه وخاصة في البلاد التي يجاهد أهلها ويعملون على إعادة بناء مجتمعهم ليكون مجتمعاً إسلامياً صحيحاً .

وبعد انتهاء المخيم الإسلامي مباشرة عقدت الجبهة دورتها السنوية الثامنة في نفس المكان وحضرها جميع أعضاء مجلس الشورى وممثلوا المقاطعات والمحافظات المختلفة في بلاد مورو ، وذلك لمراجعة القرارات السابقة ووضع خطة مناسبة لمواجهة الظروف الحالية ، وكانت للجبهة برامج إسلامية وسياسية

واقتصادية واجتماعية وتربوية شاملة ، وتتلخص فيما يلي :

١ ـــ التحول الإسلامي (أي تحويل المجتمع في المنطقة إلى مجتمع إسلامي صحيح) .

٢ ـــ الاكتفاء الذاتي : على الأقل في المواد الغذائية والحاجات الضرورية الأخرى .

٣ ـــ رفع مستوى التنظيم والكفاءة القيادية والإدارية علماً بأن للجبهة حكومة موازية لحكومة العذر .

٤ ـــ إنشاء قوات إسلامية مسلحة قوية في إيمانها وتنظيمها ونظامها وأجهزتها الحربية ، وكفاءتها القيادية والقتالية .

٥ ـــ تحرير أرض مورو .

٦ ـــ إقامة حكم إسلامي وتطبيق شريعة الله .

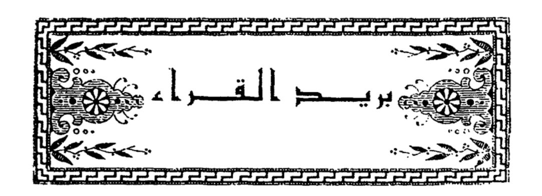
وقبل الختام نكرر نداءنا الموجه إلى الإخوة في الإيمان المهتمين بأمر إخوانهم وبالقضايا الإسلامية ، إننا نناديهم للوقوف بجانب إخوانهم في الدين الذين يجاهدون في سبيل الله ويخوضون معارك مصيرية ضد الهجمة الصليبية الشرسة . وضد القوى الموالية للاستعمار الغربي والشرقي ، وهي تعتبر الحرب الواقعة بين المسلمين والنصارى فرصة يلزمها انتهازها لبسط نفوذه وسيطرتها على المسلمين

إننا نناديهم للوقوف مع إخوانهم المسلمين الصامدين أمام أعداء الله في هذه المنطقة بما فضل الله عليهم من مال أو علم أو فكرة أو خبرة ، وما إلى ذلك لينالوا الثواب العظيم عند الله مع إخوانهم المجاهدين في سبيل الله لإعلاء كلمته .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رئيس جبهة تحرير مورو الإسلامية

سلامات هاشم



الأخ الكريم عبد العزيز العبد الله ــ الرياض .

أرسل رسالة يعبر فيها عن إعجابه بالمجلة ويقترح معالجة موضوعين مهمين على صفحات مجلة البيان ، وهما :

١ ــ سرقة الانتصارات : حيث تكرر في تاريخنا الإسلامي الحديث أن يقطف ثمرة الجهاد من لايمثل الإسلام ، ليحول هذا الجهاد إلى أي شيء غير الإسلام . ففي مصر حين الثورة على الإنكليز ، ظهر ؛ (أو أظهر) سعد زغلول ، ليغير مسار الثورة من الإسلام إلى الوطنية ، وفي الجزائر ظهر « بن بلا » ليقطف ثمرة الجهاد وليرفع راية الاشتراكية ...

٢ ــ القدوة بين الإفراط والتفريط : فمن الشباب من يغالي في الاتباع إلى درجة التعصب للأشخاص ، ومنهم من يغالي في الفردية واحتقار التجارب الأخرى ، ولا يستفيد من أخطاء غيره ...

ونحن بدورنا نشكر الأخ على اهتمامه وندعوه وندعو القراء إلى المشاركة في معالجة ماطرح من موضوعات ، وعسى أن تتحقق أمنيتنا بأن تكون مجلة البيان مجالاً لعلاج مايحتاجه المسلمون في كل مكان من مشاكل علمية .

ومن الأخ محمد بن علي بن عفيف جاءتنا هذه الرسالة :

أخي رئيس تحرير مجلة البيان ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

أكتب إليكم هذه السطور ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لما فيه خير الأمة الإسلامية .

إخواني : لايخفى عليكم مايحل بالمسلمين بسبب التفرق والتشتت حين تتنوع المشارب وتتعدد الأودية ، ولذلك فإننا نطالبكم بالكتابة في سيرة السلف وعقيدتهم وبطولاتهم بعدة لغات : كالإنجليزية ، وغيرها ، نسأل الله لكم الأجر والسداد .

نشكر الأخ محمد على هذه الغيرة ، والتفكير في أمور الدعوة ، وندعو الله أن ييسر لنا مايصبو إليه الأخ من نشر منهج أهل السنة باللغات الأخرى .

□ □ □

الأخ محمد حسين ـــ جدة .

أرسل رسالة يشيد بالمستوى الذي وصلت إليه المجلة ، ومنهجها الذي التزمت به ، ومتابعتها الجيدة للأحداث ثم عرضها بدون تشنج عاطفي ، أو تكرار سطحي .

وكذلك يحيي المباحث القيمة والدراسات الهادفة والمقالات المتنوعة ، وخصوصاً سلسلة مقالات الدكتور عبد العزيز القارىء (حديث عن البديل) ويطلب من الكاتب ومن كل أصحاب العلم والقلم أن لايبخلوا على أمتهم وشبابهم ومجلتهم بمثل هذه الدراسات ..

ونحن إذ نشكر للأخ ثقته بالمجلة ، ونطلب من الله أن يوفقنا لنكون عند ظنه وظن غيره من القراء بنا ؛ نضم صوتنا إلى صوته ونهيب بأرباب القلم وبأهل العلم من علمائنا وكتابنا الأفاضل أن يساهموا بما يرون أن الساحة الإسلامية بحاجة إليه من موضوعات .

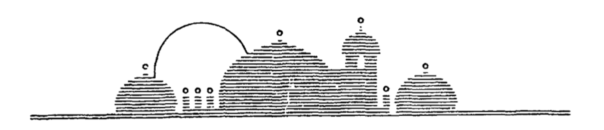
الأخ صالح الرشيد أرسل رسالة يشيد فيها بالجهود المبذولة في المجلة ، وضمن رسالته عدة اقتراحات اخترنا منها :

١ ــ إجراء مقابلات مع بعض العلماء والمشايخ والدعاة ، كأن تكون مقابلة في كل عدد .

٢ ــ تخصيص عدد من الصفحات للمرأة المسلمة .

٣ ــ أن تكون هناك زاوية بعنوان (كتاب ينصح بقراءته) ويعرض فيها كتاب من الكتب النافعة إجمالاً ، ويشار إلى بعض المقاطع أو الفصول المهمة في الكتاب ..

ونحن نشكر الأخ على هذه الاقتراحات ، ونرجو أن نوفق إلى العمل على الوفاء بها ، أو ببعضها على الأقل □



الصفحة الأخيرة

حتى لاتكون نهايتنا كنهاية الموريسكيين (*)

عبد القادر حامد

تتوالى على المسلمين نكبات وضربات متنوعة في مناطق مختلفة من العالم ، وعلى الرغم من عنف هذه الضربات ودمويتها إلا أن العالم لايعيرها الاهتمام الذي يعيره لفرد غير مسلم يعتدى عليه ، بل الاهتمام الذي يعيره لبعض أصناف الحيوانات التي تشتغل أجهزة الإعلام بإثارة الخوف عليها من الانقراض كما هو حاصل بالنسبة للفيلة والحيتان والحيوانات الأخرى ..

بل إن هذه المذابح التي تنفذ ضد المسلمين هنا وهناك إن ذكرت تذكر مخففة مشوهة في زاوية منسية من مجلة أو صحيفة ، ثم سرعان ماينساها ليس المعنيون بحقوق الإنسان فقط ؛ بل المسلمون أنفسهم .

ولاشك أن مما يميت مايحدث للمسلمين من ويلات وما يُخفي ماينزل بهم من قهر وإرهاب هو فقدان جو الحرية الذي تنتقل فيه المعلومات ، وتتجاوب أصداؤها في جنبات العالم محدثة أثراً .

وأمام هذا الواقع فإن المطلوب من كل مسلم يشهد تعدياً لامسوغ له على حرمة مسلم أو مسلمة ؛ أو ظلماً يقع على هذه الفئة المسلمة أو تلك ؛ أن يسجل ذلك بأي وسيلة تمكنه : كتابةً أو تصويراً أو تسجيلاً صوتياً ، ولا يستهين في شيء من ذلك ولايستقله ، ولا يقل في نفسه : ماالفائدة ؟ لايمكنني أن أنشر أو أذيع ماأعلم ، فرب يوم يأتي سيتاح له أن ينقل شهادته للناس ؛ وإذا كان قد سارع بكتابتها حين وقعت ، فلن يضير مضي الزمن ماكتب ، حيث ستنتقل هذه الحادثة بحرارتها إلى الأذهان وكأنها حدثت الساعة ، ولا يستصغر شأنه وليكتب بأي أسلوب يحسنه ، فالصدق صدق بأي لغة نقل وبأي أسلوب قيل .

وكم من مصائب وقعت على المسلمين من قبل أعدائهم ذهب أثرها أدراج الرياح بسبب استهانة المسلمين بالتسجيل والحفظ . وماخبر الموريسكيين عنا ببعيد □

(*) الموريسكيون : هم المسلمون الإسبان الذين تعرضوا لأبشع أنواع القهر والتعذيب ومحاكم التفتيش وأجبروا على اعتناق المسيحية ، بعد القضاء على الحكم الإسلامي في إسبانيا ، وعلى الرغم من استمرارهم بممارسة الشعائر الإسلامية سراً إلا أنهم أخيراً ذابوا في المجتمع الإسباني المسيحي .



العدد الرابع والعشرون : جمادى الثانية / ١٤١٠ هـ ـــ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٠ م

مجلة إسلامية شهرية جامعة
تصدر عن

المنتدى الإسلامي

لندن

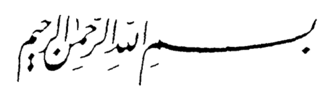
رئيس التحرير

محمـــد العبـــدة

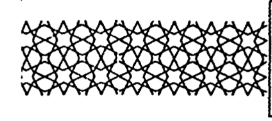
المراسلات والاشتراكات

AL-MUNTADA AL-ISLAMI TRUST

7 Bridges Place, Parsons Green
London SW6 4HR U.K.
Tel : 01-731 8145
Fax : 01-736 4255



المحتوى







هل مايجري في فرنسا هذه الأيام هو محاربة للحجاب الإسلامي فقط ؟ أم هو محاكمة للإسلام نفسه وحرب صليبية جديدة ؟ إن قضية الطالبة التي رفضوا تسجيلها في المدرسة بسبب الحجاب ، والطالبات اللاتي أبعدن من المدرسة بسبب الحجاب ، لازالت هذه القضية مثار جدل واسع في أوساط المجتمع الفرنسي والصحافة الفرنسية ، وعلى مستوى الدولة كذلك .

قالت صحيفة (لوبوان) : « إذا أرادت فرنسا أن تحافظ على علمانية المدرسة وعلمانية الدولة ، فإنها لاتستطيع أن تؤخر طويلاً حل الإشكالات الدينية التي يثيرها حضور الإسلام في الغرب » .

وعلى مستوى الدولة شهد البرلمان الفرنسي جلسة صاخبة ناقش فيها النواب موضوع الحجاب الإسلامي وانقسموا مابين معارض وبين من يعتبره تصرفاً تابعاً للحرية الشخصية ولا مانع منه ، كما انقسم الوزراء ؛ فوزير التربية يرى أن إبعاد الطالبات ليس من أهداف المدرسة ، بينما وزير الدفاع يرى منع الطالبات

من ارتداء الحجاب ، وقال المفكرون رأيهم ؛ فالفيلسوف (أندري فروسار) يرى أن وضع الحجاب على الرأس قضية لاتمس إطلاقاً العلمانية ، بينما يقول (آلان فانكليل) أن قرار منع ارتداء الحجاب متوافق مع مفهوم العلمانية ، وأعلنت زوجة الرئيس ميتران : « إذا ماألزم دين ما أتباعه بالامتثال لتعاليم معينة فيجب علينا أن نترك لهم حرية الامتثال » .

وإذا كان وزير التربية قد حسم الموقف وأعلن عن استعداد المدرسة الفرنسية لاستقبال الحجاب الإسلامي ، وقال : « إن ارتداء الحجاب أو إبراز أي مظهر يوحي إلى انتماء ديني لايمكنه أن يشكل دافعاً فعلياً لطرد التلاميذ من المدرسة » . وكذلك كانت كلمة مجلس الدولة الذي هو أعلى هيئة قضائية إدارية ، لكن قضية محاربة الإسلام نفسه لم تحسم ، فموجة العداء للإسلام بدأت تنتعش في فرنسا (وفي أوربا بشكل عام) وخاصة من الأحزاب التي يسمونها يمينية متطرفة ، وقد اتخذوا من الحجاب بداية للهجوم على الإسلام والمسلمين في فرنسا ، ويعللون هذا الهجوم بأن هؤلاء المغتربين لم يندمجوا في المجتمع الفرنسي ، وهذه كلمة مهذبة ، وقصدهم (لم يذوبوا) في المجتمع الفرنسي أو الغربي .

وخاضت بعض الأحزاب أو الشخصيات الانتخابات على أساس محاربة الحجاب أو الإسلام ، وأصيب هؤلاء الفرنسيون بالسعار ضد المغتربين المسلمين ، وتحول الأمر إلى عنصرية مكشوفة وهي أن الجنس الآري يجب أن يبقى نقياً ولذلك لابد من طرد هؤلاء المهاجرين .

وليس عجيباً أن لايتكلم هؤلاء المتعصبون عن تميز الطلاب اليهود ، وعن مدارس اليهود المستقلة لأن حقيقة هذا السكوت وهذا الولاء ذكرها القرآن الكريم : ﴿ بعضهم أولياء بعض ﴾ [المائدة / ٥١] .

وقد يقول بعض الناس : أنتم تحاكمون دولة غربية نصرانية في موضوع الحجاب ، مع أن هناك دولاً تحكم شعوباً إسلامية وتحارب الحجاب ، ونقول : هذا صحيح ، ونحن هنا نحاكم هؤلاء إلى شعاراتهم المرفوعة عن الحرية والديمقراطية وعدم التدخل في شؤون الآخرين الدينية والشخصية ، أما الدول التي تحارب الحجاب في ديار الإسلام فهي تحكم بالشريعة التي سماها بعض العلماء بـ (الملك الطبيعي) وهو حمل الناس على مقتضى الغرض والشهوة فقط ، وسمى ماعليه أهل الغرب الآن بـ (الملك السياسي) وهو حمل الناس على مقتضى النظر العقلي ، وعلى هذا فهذه الدول لاهي تحكم بالإسلام ، ولا تحكم بالعقل والسياسة والنظام كفعل الغربيين .

إن صمود الجالية الإسلامية في فرنسا لهو شيء مشرف ، ولاشك أن هذه الجاليات الكبيرة في أوربا تستحق الاهتمام والرعاية سواء من بلادهم الأصلية أو من المسلمين بشكل عام ، والتشجيع لإثبات الهوية الإسلامية حتى لاتبتلعهم حضارة أوربا □

ملف التعليم

عندما فتحنا ملف التعليم في الأعداد السابقة كنا نشعر بخطورة الموضوع وأهميته البالغة ، فالطاقات والأجيال يجب أن لاتذهب هدراً بسبب الطرق التقليدية المتبعة مع الصغار والكبار على حد سواء ، وقد شارك بعض الأخوة في هذا المجال ، وكانت مشاركة الدكتور عبد العزيز القارىء حفظه الله ناقداً لبعض مناهج تعليم وتربية أجيال المتفقهين ، كانت محل استحسان ورضى من الجميع ، ولايزال الموضوع بحاجة إلى إثراء ، ولايزال موضوع التعليم بشكل عام بحاجة

للأقلام المخلصة من أهل الاختصاص والخبرة والغيرة على أجيالنا ليوضحوا وجهة نظرهم في الطرق المتبعة الآن وخاصة في المراحل الأولى من التعليم ، وإنها والله لأمانة في أعناق كل مسؤول عن تربية الأجيال ، ماذا تعلم وكيف تربى ؟ وماهي الوسائل الناجعة ، وحرام أن تذهب سنوات العمر الأولى دون فائدة علمية أو عملية .

وأخيراً نذكّر بقول الدكتور محمد إقبال في أثر التعليم إذا كان موجهاً وجهة غير إسلامية : « إن التعليم هو (الحامض) الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كيف يشاء ، إن هذا (الحامض) هو أشد قوة وتأثيراً من أي مادة كيمائية ، هو الذي يستطيع أن يحول جبلاً شامخاً إلى كومة تراب » .

وحتى لاتتحول الأجيال إلى كومة تراب لابد من إعادة النظر في مناهج التعليم □





د . عابد السفياني

ينقسم الاجتهاد إلى واجب شرعاً وجوباً عينياً ، وواجب كفائياً ، وإلى مندوب ، ومكروه ، ومحرم [1] . وقد نقل العلماء الثقات عن الصحابة رضوان الله عليهم الإجماع على العمل بالقياس وهو نوع من الاجتهاد .

فثبت بذلك وقوع الاجتهاد منهم رضوان الله عليهم ، وأنهم مجمعون على مشروعيته [2] .

وأما أقسام الاجتهاد من حيث الحكم التكليفي فهي كما يلي :

الأول : إذا تعين على المجتهد النظر في واقعة لم يجد من يفتي فيها غيره ، أو نزلت بالمجتهد نازلة وخاف فوات الحادثة فإنه يجب عليه وجوباً عينياً الاجتهاد على الفور ، وإن لم يخف فواتها وجب عليه الاجتهاد على التراخي .

وأما الثاني : فهو واجب وجوباً كفائياً إذا قام به البعض سقط عن الباقين .

---

١ ــ تيسير التحرير ٤ / ١٧٩ .
٢ ــ جامع بيان العلم وفضله / ٦٦ ، أعلام الموقعين ١ / ٢١٧ .

وأما الثالث : فهو المندوب وهو السؤال عن حادثة يمكن أن تقع ويحتاج إليها ، مثاله في السنة : ماروواه المقداد بن الأسود أنه قال : « يارسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار فقاتلني فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ثم لاذ مني بشجرة فقال : أسلمت لله أفأقتله يارسول الله بعد أن قالها ؟ قال رسول الله ﷺ : لاتقتله .. » الحديث ، وفيه دلالة على جواز السؤال بلفظ « أرأيت » عن المسائل التي يمكن أن تقع (١) .

وأما الرابع : فهو المكروه أو المحرم وهو الاشتغال بالمسائل الفرضية اتي لايمكن أن ينبني عليها عمل أو لم تجر العادة بوقوعها (٢) .

والإجماع المنعقد على وجوب الاجتهاد ، ومنه وجوب العمل بالقياس وهو نوع منه يتضمن الرد على من يقول بقفل باب الاجتهاد أو يدعو إليه ، ذلك أن الإجماع المنعقد لم يقصر الوجوب على عصر دون عصر ، بل الوجوب على الأمة وهي لاتنقطع في أي عصر إلى سقوط التكليف وذلك بفناء الدنيا ، والإجماع على وجوبه منقول عن الصحابة ، فهو إجماع متقدم ولاعبرة بمخالفة من خالف بعد ذلك ، والمخالف لفرضية الاجتهاد لم يخالف في جميع أنواعه ، بل إن العلماء من الأصوليين نصوا على أن تحقيق المناط ، وهو نوع من الاجتهاد ، لم يقل أحد بانقطاعه .

وأما مخالفتهم في الأنواع الأخرى فهم محجوجون بإجماع الصحابة وأن خلافهم ليس معتبراً ، مع مصادمتهم للبدهيات ، ذلك أن النص إما أن يعلم بدون اجتهاد وذلك مستحيل ، وإما أن يعلم باجتهاد وهو المطلوب ، فالاجتهاد إذاً ضرورة بهذا المعنى ، كما أنه الطريق إلى معرفة عجائب القرآن التي لاتنقضي ... ولم يدرك المجتهدون في العصور المتقدمة كل عجائبه ... ومن ثم كان الاجتهاد ضرورة لفهم النص وتطبيقه

١ ــ انظر صحيح مسلم بشرح النووي باب تحريم قتل الكافر بعد قوله لا إله إلا الله ٢ / ٨٩ وفي الحديث جواب عن قول من منع السؤال عن المسائل الفرضية واشترط وقوعها أولاً ثم الجواب عنها . انظر جامع بيان العلم ٢ / ١٣٩ ولعل النهي إنما هو مخصوص بما لايمكن أن يترتب عليه عمل ولاتقتضيه حاجة .
٢ ــ أعلام الموقعين ١ / ٦٩ ، جامع بيان العلم ١٣٩ .

ولايسد مسده شيء آخر في فهم أحكام هذه الشريعة .

ولقد أشار الإمام الشافعي إلى حكمة الاجتهاد فبين أنها هي الابتلاء ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل القرآن على هذا النحو ، وكذلك السنة لكي يبتلي عباده فينظر أيجتهدون في طلب الحق مبتعدين عن تأثير الشبهات والشهوات أم يقصرون في طلبه (١) .

ومن الحكمة أيضاً ماأشار إليه الدكتور الأفغاني في كتابه : « الاجتهاد » : وذلك بالنسبة للرسول ﷺ وبالنسبة لأصحابه .

أما وقوعه من الرسول ﷺ فذلك تعليم للأمة من بعده ، وأما حكمة شرعية الاجتهاد بالنسبة للصحابة في عصره فذلك لتدريبهم وتعليمهم كيفية الاجتهاد وحتى يكونوا مستعدين لحمل الأمانة الكبرى بعد وفاة الرسول ﷺ وهي الحكم بما أنزل الله ، وإدخال الحوادث الجديدة تحت أحكام هذه الشريعة حتى يعلم حكم الشرع في كل ماينزل بالمسلمين وتدريب من بعدهم على ذلك ، ولولا الاجتهاد لزاد عدد الحوادث التي يتصرف فيها المسلمون بآرائهم المحضة أو بقوانين وأعراف غير دينية ، وذلك — مع طول الأمد — سبب من أكبر الأسباب في الانحراف عن شريعة الإسلام (٢) .

وأجمل هنا بعض الحكم التي تظهر لي من فرضية الاجتهاد وكونه طريقاً إلى التجديد والنمو والحركة :

إن هذا الدين أنزله الله على عباده مفرقاً ولم ينزله جملة واحدة ، قال تعالى : ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ [الإسراء / ١٠٦] .

ومعنى فرقناه أي أنزلناه جزءاً جزءاً ولم ننزله جملة واحدة (٣) وذلك في بضع وعشرين سنة تثبيتاً للرسول ﷺ ، حيث ينزل لكل حادثة تقع مايخصها من الأحكام ويتعلمه الناس في غير عجلة ، ويتدرج بهم حتى

---

١ — الرسالة : مسألة رقم ٥٩ .
٢ — الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر ٣٠٩ — ٣١٠ .
٣ — تفسير ابن كثير ٣ / ٦٨ — ٦٩ .

يربيهم ويفقههم فيقترن العلم بالعمل آية آية وسورة سورة ، ويقع لكل حدث مايخصه من البيان والتوجيه .

وهذا المعنى الذي تحقق في عصر النبوة مازال متحققاً في كل عصر ــ بعد ذلك ــ يسير في الطريق نفسه ويسعى للغاية التي خلق العباد من أجلها وهي عبادة الله وحده بلا شريك .

وبيان ذلك : أن المسلمين بعد عصر النبوة يحتاجون إلى بيان الأحكام التي تخص الحوادث التي جاءت في عهدهم ، وهذه الحوادث لم يكن فيها نص بعينها ــ ولا بد من الرجوع إلى الوحي لمعرفة هذه الأحكام .

ثم تأتي حوادث أخرى تحتاج إلى أحكام فلابد من الرجوع إلى الوحي ، وهكذا في كل عصر وفي كل مكان .

وحين يرجعون في المرة الأولى إنما يستنبطون الحكم للحادثة الأولى ثم يرجعون مرة أخرى وثالثة ورابعة وذلك حسب تجدد الحوادث فيجدون في الوحي العلم والفقه والتربية ــ وهم يسيرون في الوقت نفسه في طريقهم لايقفون لحظة واحدة ، تماماً كما كانوا في عصر النبوة : عمل وجهاد وتربية وتعليم ، حتى تُوفي رسول الله ﷺ .

وهكذا يريد الله هذا الدين بعد وفاة رسول الله ﷺ ، دين عمل وجهاد وتربية ، وهذا الجهد في التعريف بالحق ونشره والتفقه فيه وتطبيقه على الحوادث إنما يكون من طائفة من المسلمين بذلت نفسها لتعلم العلم وتعليمه ، كما قال تعالى : ﴿ وماكان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة / ١٢٢] .

فهذا النفير والتفقه والنذارة إنما يصبر عليه طائفة من المسلمين وهؤلاء يبرز منهم أئمة في الدين يهدون به وبه يعدلون ، فينشرونه ويعلمونه للناس ويقيمون به العدل في الأرض ومن العدل استنباط الأحكام لكل حادثة تعن وتطبيقها .

وعند تحقيق ذلك يرفعهم الله درجات ، ويجعلهم منار هداية للناس لاتنقطع ، يتسلمها الناس جيلاً بعد

جيل : ﴿ وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾ [السجدة / ٢٤] .

وهذا التفقه والنذارة والهداية وإقامة العدل في الأرض لايكون إلا بالاجتهاد .

أما الذين آمنوا فهم مكلفون جميعاً بإقامة فروض الكفاية ، وذلك بأن يقيموا لكل فرض من فروض الكفاية طائفة منهم ويعينوهم على ذلك (١) ، فإذا سعى المؤمنون في تجهيز طائفة منهم ليتفقهوا في الدين حتى يصلوا إلى درجة الاجتهاد كان ذلك سبباً في رفع مَنزلتهم عند الله ، وعن هذا الطريق تتحقق الهداية وإقامة العدل الرباني في هذه الأرض ، عن طريق سعي المؤمنين جميعاً ، وتكامل جهودهم ، وتقديم المجتمع لخيارهم ليكونوا هم قادة الناس ، والبناة لمنهج التربية الإسلامية □



١ ــ الموافقات ١ / ١١٤ .

الإسراف

إعداد : عادل التل

المعنى اللغوي :

السَرَف في كلام العرب له أصل واحد ، يدل على تعدي الحد والإغفال أيضاً ، تقول : في الأمر سَرَف ، أي مجاوزة القدر ، ويقولون أن السرف : الجهل ، والسَّرِف : الجاهل .

قال ابن الأعرابي : أسرف : إذا أخطأ ، وأسرف إذا غفل ، وأسرف إذا جهل . قال شمر سرف الماء ماذهب منه في غير سقي ، فيقال أروت البئر النخيل وذهب بقية الماء سرفاً ، والسرف القصد ، سَرِفُ الفؤاد : غافل ، سرِف العقل : أي قليل العقل .

المعنى الاصطلاحي :

قال الراغب الأصفهاني : الإسراف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان ، وإن كان في الإنفاق أشهر . وقال ابن حجر في الفتح : الإسراف مجاوزة الحد في كل فعل أو قول . وهو في الإنفاق أشهر .

ومنه فإن الإسراف يكون في الإنفاق وغيره ، يقول تعالى : ﴿ ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر / ٣٩] . ويقول في شأن الإنفاق : ﴿ وكلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين ﴾

[الأعراف / ٣١] .

وهكذا فإن الإسراف يشمل كل تجاوز في الأمر ، وقد جاء في القرآن الكريم على معاني متقاربة ترجع جميعها إلى الأصل اللغوي وهو التجاوز في الحد .

الإسراف صفة من صفات الكافرين ، يقول تعالى : ﴿ وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ﴾ [طه / ١٢٧] .

والإسراف صفة من صفات الجبارين الذين يملكون بأيديهم السلطة والمال ، يقول تعالى : ﴿ وإن فرعون لعالٍ في الأرض وإنه لمن المسرفين ﴾ [يونس / ٨٣] وقال تعالى : ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين ﴾ [الشعراء / ١٥١] .

والإسراف والتبذير يلتقيان في معنى الإنفاق بغير طاعة ، ولكن الإسراف أعم من التبذير ، لأن التبذير معناه التفريق وأصله إلقاء البذر في الأرض واستعير لكل مضيّع ماله ، يقول تعالى : ﴿ إنَّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ [الإسراء / ٢٧] .

والإسراف والسفه يلتقيان في معرض الغفلة والطيش وخفة النفس ونقصان العقل ، وإن مايحصل من السفيه في إنفاق المال بما لايرضي الله ليبين الحقيقة في أن السفه سبب من أسباب الإسراف .

ويختلف الإسراف عن الكرم رغم أن كلاً منهما عطاء ، لكن الكرم يكون وفق أصول الشرع ، مثل : إطعام الضيف ، وإكرام الفقير ، ومنه فإن البخل ضد الكرم ، وليس ضد الإسراف وإنما الإسراف ضد الاعتدال والاستقامة ، والإسراف قرين الكبر والمخيلة يظن المسرف أن له فضلاً بإسرافه ، فيصيبه الكبر والبطر .

والإسراف كما يكون من الغني ، فقد يكون من الفقير أيضاً ، لأن الإسراف في هذه الحالة أمر نسبي .

من أحكام المصطلح :

قدم الإسلام للبشرية منهجاً متكاملاً وتصوراً واضحاً عن طبيعة التصرف في جميع شئون الحياة ، وبين بشكل واضح حدود الحلال والحرام فيها ، ونهى عن الإسراف في شتى صوره .

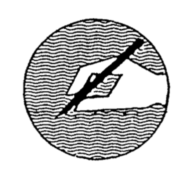
إن أبشع صور الإسراف عندما يكون في معصية الله والتعدي على حدوده ، فهو محرم بالإجماع .

وأما الإنفاق في المباحات فيجب الالتزام بالعدل والاستقامة والتوسط فيها ، حتى لايتحول الإنفاق على المأكل والمشرب والملبس إلى البذخ والتفاخر والتعالي على الناس ، بل إن أشرَّ مواضع الإسراف أن تُقَام الولائم العظيمة ويدعى إليها الأغنياء ، ويحرم منها الفقراء وإن مايُلقى منها في الفضلات لَيُشبع خلقاً كثيراً من أهل الحاجة في مناطق المجاعة .

وأما المبالغة في بذل المال طاعة لله وفي سبيله ، فلا يكون إسرافاً بالمعنى الإصطلاحي ، وإن كان هذا البذل مشروطاً بأن لايضيع المنفق من يعول ، ويذر ذريته عالة على الناس ، وقد تصدق أبو بكر الصديق رضي الله عنه بكل ماله .

وفي مجال العقوبات والحدود ؛ فإن الشرع قد أقرَّ عقوبات محددة على أفعال معلومة ، ولا يجوز التجاوز في تنفيذها عن حدها المقرر ، وقد شدد الإسلام على الالتزام بهذا المنهج في قوله تعالى : ﴿ ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً ، فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴾ [الإسراء / ٣٣] ، أي لايتجاوز في القتل إلى غير القاتل من إخوانه وأقربائه كما كان يفعل أهل الجاهلية قديماً ، وكما هو الحال اليوم مع أهل الجهل حيث تنتشر أعمال « الأخذ بالثأر » التي تتعارض مع أحكام الإسلام .

﴿ اللهم اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ﴾ [آل عمران / ١٤٧] □



خواطر في الدعوة

وحدة الصف ووحدة المنهج

إذا كانت وحدة العمل الإسلامي من المطالب الملحة عند كثير من الدعاة الذين بدأوا يتحسسون مواطن الخلل ومواطن القوة عند المسلمين ، وإذا كان هذا المطلب مما يأمر به الدين ويحث عليه لأنه من التعاون على البر والتقوى ، فإنه يزداد إلحاحاً في هذه الأيام التي تجري فيها تغيرات في العالم لم تكن بالحسبان ولم يتوقعها أحد ؛ انهيارات في الكتل الشرقية ، وانحسار للشيوعية ، وتقارب بين الغرب والشرق ، والمستفيد حتى الآن هو الغرب الرأسمالي الليبرالي ، وقدمت روسيا تنازلات كثيرة في سبيل التقرب من هذا الغرب ، الذي يمتلك التقنية والمال والسيطرة السياسية ، فمن يقف في وجه هذا التكتل على الأقل من الناحية الحضارية والعقائدية ؟ مَنْ من شعوب العالم الثالث يملك هوية واضحة ، ومنهجاً متكاملاً ؟ لايوجد سوى الإسلام ، ومن المفترض أن يقود الشعوب الإسلامية العلماء والدعاة ، وإذا كانوا غير مؤهلين لذلك ولم يستطيعوا الجلوس على مائدة الحوار والتعاون فلمن تترك الساحة ؟

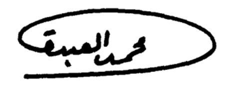
كنت أحاضر في أحد المراكز الإسلامية عن واقع الإسلام اليوم ومايحدث في أوربا هذه الأيام ، وعندما جاء دور الأسئلة أو المناقشة علق أحد الحضور

(وأظنه من العمال المتعلمين) قائلاً : « الدنيا سائرة وإذا كنتم تريدون أن يكون للإسلام حضور فيجب أن تبدأوا وتسرعوا ، وإلا فالناس لاينتظرونكم طويلاً ... » وعجبت من نظرته الواقعية وتذكرت رأي ابن خلدون في أن العوام الذين يملكون الفطرة السليمة والتجربة العملية عندهم القدرة على معرفة الواقع ، وخاصة الواقع السياسي أكثر من أصحاب التنظير المجرد الغارقين في الثقافة الذهنية الباردة ، وتذكرت قول صديق أرسل لي رسالة قال فيها : « إذا كان المطل (١) ممكناً في الأسلاف المستحقة مالياً فهو متعذر في الاستحقاقات الحضارية » .

وعندما نتكلم عن وحدة الصف ووحدة العمل الإسلامي فإنما نعني تجمع أصحاب المنهج الواحد ، منهج خير القرون وليس تجمعاً يرضي الجميع مع التساهل في شيء من شريعة الله ، فهذه من مداخل الشيطان التي ظاهرها الخير وتأليف القلوب ، وباطنها تجمع هش لايصمد في وجه التحديات الداخلية والخارجية .

إن هؤلاء الكفار يمكرون في الليل والنهار ولا يملون من كثرة الاجتماعات وكثرة المناقشات وتقليب وجهات النظر للاستقرار على أمر يريدونه .

أيطلب أهل الباطل أمرهم بجد ونحن نطلبه ببطء وتراخ ؟ وينطبق علينا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز المؤمن » □



---

(١) المماطلة .

محمد الناصر

أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام

تمهيد :

للعادات والتقاليد عند العرب ، أثر عظيم في تنظيم حياتهم الاجتماعية ، ولها سطوة لايستطيع الفرد أن يتخلى عنها ، وقد تقوم مقام الدين أو القانون .

لقد جاء الإسلام وفي العرب بعض المزايا الحميدة ، التي لايمكن إنكارها ، ولكن طابع الشر والظلم والفساد في التصورات والمعتقدات كان يطغى على ذلك الخير فيهم ويغمره ، وكانوا بحاجة شديدة إلى نور الوحي ، فبعث الله فيهم رسوله الكريم ، وأمره أن يبشر وينذر ، ويتحمل في سبيل ذلك ضروباً من المجادلة والتعب والأذى .

ولعلنا لانبعد عن الصواب إذا قلنا : إن تلك المحاسن والمناقب هي من بقايا دين إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام ، بقيت بين العرب بشكل أو بآخر [1]، وهذا مانجده في قوله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » [2] .

والواقع أن القيم الرفيعة والخلال الحميدة ، انتشرت بين العرب في الجاهلية

---

١ ــ انظر : أدب الحنيفية : رسالة ماجستير ، أم القرى ، حبيب بن حنش الزهراني ، ص ٣٨١ ــ ٣٨٣ .
٢ ــ رواه الإمام أحمد في مسنده : ٢ / ٣٨١ .

انتشاراً واسعاً ، عجت بها أشعارهم ، وسارت فيها أخبارهم ، وكان من هذه الخلال ماإجتمعوا عليها أو كادوا ، وكان منها ماتحلى بها الكثير منهم .

ومن أهم ماإجتمعوا عليه ثلاث : الكرم والشجاعة والغيرة . وأما التي تحلى بها الكثير منهم فمنها : العفة والترفع عن الدنايا ، ومنها الصدق والوفاء ، ومنها حفظ السر والترفع عن جليس السوء .. ومنها الحلم والرزانة وغير ذلك .

على أن القوم ساد بينهم بعض القيم الوضيعة والأخلاق الذميمة ، فكما كان منهم الأوفياء الصادقون ، كان منهم الغدارون والكذابون ، وكما كان منهم الأوفياء وحفظة العهود ؛ كان منهم الخونة واللصوص والبخلاء ... (١) .

وسوف أستعرض بإذنه تعالى هذه القيم كما صورها الشعر الجاهلي موضحاً نماذج ــ تتسع لها صفحات المجلة ــ من الأخلاق السامية والذميمة . ثم أستعرض مدى التغيير أو التعديل ، أو التقويم الذي جاء به الإسلام مما ينسجم مع هديه ومعتقداته ، وأختم حديثي عن موقفنا من هذه الأخلاق ، ومدى تطبيق مجتمعاتنا المعاصرة لهذه القيم ، بعد تجليتها في الجاهلية والإسلام .

١ ــ الكـــرم :

بواعث الكرم في العصر الجاهلي :

لقد تميز العرب بإكرام الضيف ، وتاهوا بهذه المكرمة ، وافتخروا بها على الأمم ، ولم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم ، وقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية ، ومافيها من إجداب وإمحال ، حيث « كان العرب يعيشون في بادية شحيحة بالزاد وحياتهم ترحال وتجوال ، وكل واحد منهم معرض لأن ينفذ زاده ، فهو يقري ضيفه اليوم لأنه سيضطر إلى أن يضيف عند غيره في يوم ، فليس في البادية ملجأ يلجأ الفرد إليه غير الخيام المضروبة هنا وهناك ، ملاجىء

---

١ ــ انظر رسالة المعتقدات والقيم في الشعر الجاهلي ، رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى ١٤٠٢ هـ ، محمد الشيخ محمود صيام .

ملاجىء تعتبر قوارب النجاة ... والعرف أن الضيافة ثلاثة أيام ، وثلاث ليال ، فإذا انتهت المدة سقط حق الضيافة إلا إذا جدد المضيف وزاد عليها » [1] .

على أن العرب كانوا يكرمون الضيف لكلفهم بحسن الأحدوثة وطيب الثناء ، ولأنهم ذوو أريحية تسعد نفوسهم بمساعدة المحتاج وإطعام الجائع .. وكان المال وسيلة عندهم لا غاية ، وسيلة إلى كسب المحامد .

كان الكرم وسيلة هامة من وسائل السيادة . يقول حاتم الطائي :

يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد — وماكنت لولا ماتقولون سيدا [2]

والعربي ينكر البخل ، لأنه مزر بأخلاق الرجال ، وواضع من عوالي الصفات .. فالشاعر عمرو بن الأهتم يدعو زوجته لأن تدع لومه لبذله المال ، فهو يشفق على الحسب الذي رفع بناءه ، والكرام يتقون الذم ببذل القرى ، ثم يتطرق إلى ضيف طرقه ليلاً وكيف رحب به ، ويصف لنا ذلك اللقاء :

ذريني فإن البخلَ ياأمَّ هيثم — لصالح أخلاق الرجال شروق
ذريني وحطي في هواي فإنني — على الحسب الزاكي الرفيع شفيق
ومستنبحٍ بعد الهدوء دعوته — وقد حلّ من نجم الشتاء خفوق
فقلت له : أهلاً وسهلاً ومرحباً — فهذا صبوح راهن وصديق
وكل كريم يتقي الذم بالقرى — وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ماضاقت بلاد بأهلها — ولكن أخلاق الرجال تضيق [3]

صورة رائعة من صور الكرم عند العربي ، يستقبل ضيفه بالترحاب والطعام ، وهو يتقي الذم والقالة ؛ بالإطعام والقِرى .

لقد أصبح الكرم عند كثير من العرب طبعاً وسجية ، إذ ملك عليهم نفوسهم حتى أن حاتم الطائي يخاطب زوجته ويوصيها إذا صنعت له الطعام ، أن تطلب

---

١ ــ تاريخ العرب قبل الإسلام : د . جواد علي ٤ / ٥٧٥ .
٢ ــ ديوان حاتم : ط . بيروت ، ص ٨ .
٣ ــ المفضليات : رقم القصيدة (٢٣) ، ص ١٢٥ .

له ضيفاً ليشاركه فيه ، فهو لايريد أن يأكل وحده مخافة أن يتحدث الناس عنه بالبخل بعد موته . فهو يقول :

أيا ابنة عبدِ الله وابنةَ مـالك ... ويابنةَ ذي البردين والفرس الورد
إذا ماصنعتِ الزاد فالتمسي له ... أكيلاً فإني لست آكله وحدي
أخاً طارقاً أو جارَ بيت فإنني ... أخاف مذماتِ الأحاديث من بعدي
وإني لعبد الضيف مادام ثاويـاً ... ومافيَّ إلا تلك من شيمةِ العبد [١]

مظاهر الكرم عن العرب وصدق تطبيقهم لهذا الخلق [٢] :

بالغ العرب في الحفاوة بالضيف والتعهد له ، وتفننوا في إكرامه ، وتلمس الأسباب التي تدخل على نفسه السرور ، ومن ذلك بسط الوجه له ومضاحكته والترحيب به ساعة قدومه حتى يأنس وينزل وهو مطمئن . يقول عمرو بن الأهتم :

وضاحكته من قبل عرفاني اسمه ... ليأنس ، إني للكسير رفيق [٣]

بل كانوا يقدمون له أشهى مايملكون ، مع إيناسهم له . قالوا اتمام الضيافة ، الطلاقة عند أول وهلة ، وإطالة الحديث عند المؤاكلة .

ولن يتلهى العربي عن ضيفه حتى ولا بالزوجة والولد . يقول عروة بن الورد :

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ... ولم يلهني عنه غزال مقنـع
أحدثه إن الحديث من القـرى ... وتعلم نفسي أنه سوف يهجع [٤]

وكانوا خير رفيق لصاحب الطريق ، لا يختصون أنفسهم دونه بمال أو

١ ــ ديوان حاتم الطائي ، ص ٤٣ ، ط . بيروت ١٩٦٣ م ، ونسبها المبرد إلى قيس بن عاصم المنقري في كتابه الكامل .
٢ ــ انظر تفصيلاً لذلك في : الحياة العربية في الشعر الجاهلي ، الموفي ، ص ٣١١ ــ ٣٢٢ ، والعقائد والقيم في الشعر الجاهلي ، ص ٣٠٩ ــ ٣٢٨ .
٣ ــ الأشباه والنظائر : ٢ / ١٠٠ .
٤ ــ الديوان : ص ١٠١ .

بظهر أو بماء .

وعرف بعض الأجواد بكرمهم ، ومن أجواد العرب أزواد الركب وهم ثلاثة من قريش ، وإنما قيل لهم أزواد الركب ، لأنهم كانوا إذا سافروا لم يتزود معهم أحد ، ولم يُسَمَّ بذلك غير هؤلاء الثلاثة ، وهم : مسافر بن أبي عمرو من بني عبد شمس ، وأبو أمية المغيرة من بني مخزوم ، وزمعة بن الأسود بن المطلب (1) .

ومن صدق تطبيقهم لهذا الخلق تعميم الدعوة إلى الطعام ليحضره كل من له إيه حاجة ، ومن شؤونهم التي تدعو إلى العجب والإكبار حبهم لكلابهم بسبب ماكان يجلبه نباحها من الأضياف وضلال الطريق من المسافرين .

ومن مظاهر كرمهم العجيبة هداية الضيوف ليلاً بالنار التي يوقدونها لإنضاج الطعام ، أو للاستدفاء ، وكانوا يوقدونها على المرتفعات لتكون أبين وأوضح .

يقول حاتم الطائي لغلامه في ليلة باردة الريح :

أوقد فإن الليلَ ليلٌ قرُّ والريح ياغلام ريح صر
إن جلبت ضيفاً فأنت حر (2)

الإسلام والكرم :

جاء الإسلام فأقر هذا الخلق الكريم ، وشجع على البذل والسخاء ، وحث على إكرام الضيف ، إلا أنه جعل إخلاص النية لرب العالمين يرتفع بمنزلة العمل الدنيوي البحت فيجعله عبادة متقبلة . قال تعالى : ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكوراً ﴾ [الإنسان / ٩] .

وابتعد الإسلام في هديه عن المن والأذى والرياء ، قال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى ، كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾ [البقرة / ٢٦٤] .

وحث الإسلام على البذل إلا أنه نهى عن الإسراف والتبذير ﴿ إن المبذرين

---

١ ــ انظر : بلوغ الأرب للآلوسي : ١ / ٩١ ــ ٩٢ .
٢ ــ انظر : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، ص ٣١٦ ــ ٣١٨ ، وبلوغ الأرب ١ / ٦ .

كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ [الإسراء / ٢٧] .

ونفر من الشح وكنز الأموال ، فقد روى البخاري في صحيحه : « ولا صاحب كنز لا يفعل فيه حقه إلا جاء كنزه يوم القيامة شجاعاً أقرع يتبعه فاتحاً فاه ، فإذا فر منه سمع من يناديه : خذ كنزك الذي خبأت فأنا عنه غني ، فإذا رأى أنه لابد له منه سلك يده في فمه فيقضمها قضم الفحل » .

فهذه الأموال والكنوز المستخفية في الخزائن أشبه بالثعابين الكامنة في جحورها كأنها رصيد الأذى لأصحابها ، بل إنها تتحول إلى حيات فعلاً تطارد صاحبها لتقضم يده التي غلبها الشح ومنع حق المسلمين فيها .

والمسلم كريم يؤثر إخوانه على نفسه ، ويقدم من كسبه الحلال الطيب إلى إخوته الأتقياء ، ولايغدق أمواله بسخاء على غيرهم ولايرضى أن يكون بقرة حلوباً لسفلة القوم من الملحدين الطغام اتقاء شرهم [١] .

وهذا مايصوره الحديث الشريف إذ يقول عليه الصلاة والسلام : « لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي » [٢] .

الجود والعطاء عند الرعيل الأول من هذه الأمة :

إن الجود والسخاء يتمثلان فيمن اصطفى الله من عباده كالنبيين والصديقين ، وكان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة ، ولذا فقد انتقل إلى الرفيق الأعلى « وماترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا وليداً ، وترك درعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير » [٣] .

وقد حث رسول الله أصحابه على الإنفاق في سبيل الله ورغبهم في السخاء فكانوا يصدرون عن طبع أصيل وسجية محبة للخير . قال تعالى : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران / ٩٢] .

---

١ ــ انظر شخصية المسلم : د . محمد علي الهاشمي ، ص ١٤٣ ــ ٢١٣ .
٢ ــ رواه أبو داود والترمذي .
٣ ــ انظر حديث ابن عباس في مسند الإمام أحمد ١ / ٣٠٠ .

وكان بذل الصحابة مضرب الأمثال ، فقد أخرج الشيخان عن أنس رضي الله عنه : وقد تصدق أبو طلحة رضي الله عنه بعين بيرحاء وكانت مستقبلة المسجد ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكان رسول الله يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب . قال أنس : فلما نزلت هذه الآية : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله ، وذكر الآية ثم قال : إن أحب أموالي إلي بيرحاء وإنها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يارسول الله حيث أراك الله . قال : فقال رسول الله : « بخٍ ! ذلك مال رابح ! ذلك مال رابح » (١) .

ولما نزلت الآية الكريمة : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ﴾ [البقرة / ٢٤٥] قال أبو الدحداح رضي الله عنه : يارسول الله قد أقرضت ربي حائطي ، وفيه ست مائة نخلة ، فجاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه وعيالها ، فنادى يأم الدحداح ، قالت : لبيك ، قال : اخرجي فقد أقرضته ربي » (٢) .

وكان الجود والسخاء من أبرز صفات المؤمنين طوال القرون واشتهر أجواد في الإسلام أنسوا الناس ذكر حاتم الطائي وابن سعدى وكعبة بن مامة (٣) وغيرهم مثل أجواد الحجاز الثلاثة : عبيد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر ، وسعيد بن العاص (٤) .

تنفير الإسلام من ظاهرة الشح :

حذر الإسلام من البخل لأنه يقطع الأواصر ، ويحبط الأعمال ، ولا يورث إلا التباعد والتحاسد .

عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم

---

١ ــ انظر : حياة الصحابة : ٢ / ١٥٧ .
٢ ــ انظر : المصدر السابق ٢ / ١٦٢ ، وقال الهيثمي ٩ / ٣٢٤ : رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات . ٣ ــ وكانا مضرب المثل في الجود ، يقول جرير يمدح عمر بن عبد العزيز :
فما كعب بن مامة وابن سعدى ... بأوفى منك ياعمرُ الجوادا
٤ ــ انظر بلوغ الأرب : ١ / ٩٤ ــ ٩٩ .

ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم » [1] .

وقال تعالى : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

ظاهرة الشح في الحضارة الحديثة :

مما سبق يتبين لنا أن العربي كريم في جاهليته ، جواد سخي في إسلامه ، على اختلاف الدوافع والنوايا ، أما أدعياء الحضارة الحديثة فلا يفهمون هذه القيم ، إذ لايهتم المفتون منهم بحضارة الإفرنج إلا لمصلحته الخاصة ، فإذا هو يعاني خواء روحياً وجفافاً عاطفياً ، نتج عنهما شعور عميق بالحرمان من الصداقة والأصدقاء المخلصين ..

لقد غاب عن الأذهان في حضارة هذا القرن ، الإيثار والتضحية بين الأهل والجيران وذلك بسبب لوثة هذه المدنية الحديثة ... فالأنانية طاغية ، والتبرم سائد ، رغم كثرة الأموال ، لكنه الهلع من شبح الفقر ، والخوف على فوات الملذات .

إن النفس الشحيحة لن يصدر عنها خير ، والنفس المجدبة لن تستطيع التأثير والإفادة ، ولو زعم صاحبها أنه من كبار الدعاة إلى الله .

الواجب على المربين أن يغرسوا خلق السخاء والكرم في نفوس الناشئة ، فالنفس التي تعوّد على البذل ، ستكون بإذن الله نفساً خيرة معطاء ، مجاهدة في سبيل ربها ، مرتفعة على شهوات الدنيا ، وجواذب الأرض الهابطة . ستكون هذه النفس مشاعل خير نيرة ، تضيء الطريق أمام صحوة جادة على طريق الرعيل الأول بإذن الله . والحمد لله رب العالمين □

---

١ ــ رواه مسلم : ٢٥٧٨ كتاب البر والصلة .

إنما أعظكم بواحدة

عبد العزيز بن ناصر السعد

تكلم الكاتب في الحلقة السابقة عن الأصل الأول : أن تقوموا لله .
ويتابع هنا عن الأصل الثاني : ثم تتفكروا ..

الأصل الثاني : العلم ، ويدخل تحته التفصيلات التالية :

١ ــ الاتفاق :

على منهج الاستدلال والتلقي قبل البدء في نقاش أي مسألة علمية لأن النقاش والمنهج مختلف سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة ، وسوف لايسلم أي طرف لما عند الطرف الآخر من دليل أو استنباط ، وحتى تتضح هذه المسألة أكثر نضرب لذلك بعض الصور كما ذكرها الشاطبي في (الاعتصام ، الباب الرابع) تحت عنوان : مآخذ أهل البدع في الاستدلال فذكر منها (باختصار) :

أ ــ أن من أهل البدع من منهجه الاستدلال بالأحاديث الضعيفة أو الموضوعة أحياناً في العقائد والأحكام وهذا المأخذ مرفوض عند أهل السنة لأنهم لايرضون الاستدلال بالضعيف فضلاً عن الموضوع في باب العقائد والأحكام فإذا لم يتفق مع الطرف المحاور على هذا المنهج

فلن يفلح الحوار في أي نتيجة لأن الأدلة التي سيشترك بها الطرف الآخر مرفوضة ابتداء من الطرف الثاني لعدم ثبوتها عنده .

ب ـــ ومن أهل البدع من هو عكس الصورة السابقة حيث يرفض الاستدلال بالأحاديث الصحيحة بحجة أنها آحاد ولايقبل من ذلك إلا المتواتر ، وهذا المنهج مرفوض أيضاً عند أهل السنة حيث أن الدليل إذا ثبتت صحته أصبح صالحاً للاستدلال ولو كان آحاداً ، وبدون الاتفاق على هذا المنهج ابتداء فلن يفلح الحوار في أي نتيجة . إذن فمن الأولى في مثل هذه الحالات وقبل طرح الأدلة ودلالتها عن المقصود لابد من الاتفاق على قبول الاستدلال بأحاديث الآحاد .

ج ـــ كما أن هناك من أهل البدع من منهجه الاحتجاج بأقوال شيخه أو إمامه والتعصب لها ، ونبذ أي دليل يخالف ذلك بل إن بعض الملل المبتدعة من يرون أن أقوال أئمتهم ومشايخهم هي التشريع بذاته وممكن أن يأخذ الحلال والحرام من أقوالهم بل إن لهم نسخ الشريعة وتحليل الحرام أو تحريم الحلال فإذا لم يتفق على خطأ هذا المنهج وأن ماجاء في الكتاب والسنة هو الأصل وكل ماخالفهما مرفوض مهما كان قائله فإنه لافائدة من النقاش .

د ـــ ومن أهل البدع من يعتمد في استدلاله على الرؤى والمكاشفات فيصحح بهما الضعيف ويضعف الصحيح ويحلل ويحرم ويشرع بهما مالم يأذن به الله ، فإذا لم يتفق ابتداء على ضلال وخطأ هذا الاستدلال فلن يفلح الحوار ولن تتحقق أهدافه أبداً ، وصور مآخذ أهل البدع في الاستدلال كثيرة من أراد التوسع فيها فليرجع إلى الباب المذكور في الاعتصام فإنه مفيد جداً .

٢ ـــ مراعاة تفاوت الناس في عقولهم وثقافاتهم :

فالعلم بما عند الطرف الآخر من علم وثقافة يعين على اختيار الأسلوب والمعلومات التي تناسب عقله وحصيلته العلمية ، فتحديث الناس بما يعقلون أمر مهم في الحوار لأن عدم مراعاة ذلك يحصل بسببه فتنة وتشويش للطرف الآخر ينعكس أثره على إيجابية الحوار .

٣ ــ البيان وحسن العرض :

إن قوة التعبير وفصاحة اللسان وحسن البيان والعرض من العوامل في إيضاح الفكرة وأدلتها ، ومما يكون له أكبر الأثر على قبول الطرف الآخر للفكرة ، وإقناعه بحسن الاستدلال عليها ، وهنا يجب تجنب الألفاظ الغريبة صعبة الفهم أو الألفاظ المجملة التي تحتمل عدة معان من غير توضيح للمعنى المراد منها .

٤ ــ البدء بمواطن الاتفاق والنقاط المشتركة :

إن البدء بنقاط الاتفاق لدى الطرفين كالمسلمات والبدهيات وغيرها من الأمور المتفق عليها كل ذلك يقلل الفجوة ويوثق الصلة بين الطرفين ويحس كل منهما أن هوة الخلاف قليلة ، وهذا له مردوده النفسي في الحوار وبالتالي فإن البدء بنقاط الخلاف يوسع فجوة الخلاف ولو من الناحية النفسية ولذلك يحرص أن يلقى على الطرف الآخر الأسئلة التي سيكون جوابها « بنعم » ويتجنب مايكون جوابه النفي لأن كلمة « لا » عقبة كؤدد يصعب التراجع عنها ، والأمثلة في القرآن الكريم كثيرة فمثلاً في سورة : المؤمنون يقول تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون فسيقولون لله فقل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ فسيقولون لله فقل فأنا تسحرون ﴾ فهنا نجد أن الله سبحانه وتعالى ألقى عليهم الأسئلة التي يعرف جوابهم عليها مسبقاً لكي يصل إلى تقرير توحيد الألوهية لأن ماوافقوا عليه مستلزم لما أنكروه .

٥ ــ التوثيق :

ينبغي أن تكون مسائل الحوار موثقة من الناحية العلمية والإسنادية فلا يستدل بشيء إلا مسنداً لقائله ومصدره الذي أخذه منه وأن يستعان بذكر الإحصائيات التي تخدم الفكرة والمراجع التي رجع إليها لأن ذكر الحقائق مدعمة بذكر المصادر والإحصائيات الموثقة أعمق أثراً في النفوس من ذكرها مجردة ، كما ينبغي في مثل هذه الحالات الإعراض عن النقول الضعيفة والحجج الواهية .

٦ ــ عدم تعرض أحد الطرفين لكلام الآخر ومناقشته قبل فهم

مراده تماماً :

والتفكير العميق في أدلته ثبوتاً ودلالة وأن لايقدم على تصحيح فكرة ما أو تخطئتها قبل التأكد من ذلك تماماً .

٧ ـ الإحاطة بمواطن الخلاف :

في القضية المطروحة للحوار والإلمام بأنواع الاختلاف مايجوز فيه وما لايجوز ، لأن جهل هذا الأمر يوسع دائرة الاختلاف فيحصل الاختلاف والفرقة حول مسألة قد يسع الخلاف فيها والاجتهاد ، كما ينبغي الإلمام بأسباب الاختلاف بين علماء الأمة والتي ذكرها شيخ الإسلام في رسالته القيمة (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) .

وفي هذه المناسبة ينبغي الإشارة إلى مسائل الخلاف ، وأنواعها ، وماهو المحمود منها ، وماهو المذموم ، وماهي المسائل التي يسعها الخلاف ، والمسائل التي لايسعها ، إلى آخر ذلك مما يتعلق بموضوع الاختلاف ، فنقول وبالله التوفيق .

إن الاختلاف ينقسم إلى قسمين :

١ ـ قسم يحمد فيه أحد الطرفين ويذم الطرف الآخر مثل الاختلاف الواقع بين المؤمنين والكافرين ، أو بين أهل السنة وأرباب البدع وهذا القسم الاختلاف فيه هو المذكور في قوله تعالى : ﴿ ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ﴾ ، وكقوله تعالى : ﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهم ﴾ . فكل مايتصل بقضايا العقيدة وأصولها والتي لم يختلف عليها سلف الأمة وإنما ظهر الاختلاف واستشرى بعدهم فهو داخل تحت هذا القسم .

٢ ـ قسم يذم فيه الطرفان المختلفان إذا سبب هذا الاختلاف الفرقة والعداوة ، ويحمد فيه الطرف الذي لم يجعل هذا الاختلاف سبباً في الفرقة والمفاصلة ، وهذا النوع من الاختلاف هو الذي وسع السلف رحمهم الله تعالى ، ولم يحصل بينهم بسببه افتراق ولا بغضاء ، فكل ماوسع السلف الصالح رحمهم الله تعالى فيما اختلفوا فيه فيجب أن يسعنا ، ويندرج تحت هذا القسم عدة صور نجملها فيما يلي .

أ ـ اختلاف في تحديد موضوع الخلاف : وذلك بأن نجد أحد المختلفين قد ذهب إلى موضوع من

النزاع غير ماذهب إليه الآخر فذاك سماه باصطلاح معين والآخر سماه باسم آخر فظهر أن هناك اختلافاً والحقيقة غير ذلك فلو حددت المصطلحات ودقق في المعاني والألفاظ لظهر أن هناك اتفاقاً وليس اختلافاً ، وهذا الأمر لايأتي إلا بالتفكير الهادىء مع الإخلاص لله عز وجل .

ب ــ قد يتضح بعد التفكير وتحديد موضع النزاع أن هناك اختلافاً لكن هذا الاختلاف ليس اختلاف تضاد بمعنى أن المعنى الكلي ليس فيه خلاف إنما الخلاف في تنوع آحاد هذا الكلي وتعدد الأمثلة التي تحته كمن يذهب إلى معنى جزئي وآخر يذهب إلى معنى جزئي آخر يندرج كلاهما تحت المعنى العام الكلي ، مثال ذلك تفسير (الصراط المستقيم) في قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فقائل بأنه القرآن وآخر أنه الإسلام وآخر أنه الرسول ﷺ فكل هذه المعاني لا اختلاف بينها لأن مرادها واحد وكل قول داخل تحت الآخر .

ج ــ وهذه الصورة من الاختلاف الذي وسع السلف رحمهم الله تعالى بأن يكون المعنيان متغايرين لكن ليس بينهما منافاة لأن هذا قول صحيح ورد فيه دليل وذاك قول صحيح ورد فيه دليل أيضاً ولا يجوز أن يكون هذا سبباً في الاختلاف ، وهذا كثير في المنازعات لعدم معرفة أحد الطرفين بما عند الآخر من دليل ، ومثال ذلك الاختلاف في صفة الإقامة للصلاة فمن قائل بشفعها وقائل بإفرادها والاختلاف في القراءات ... الخ .

وكل ماورد في الشريعة عليه دليل صحيح ووسع السلف الصالح فإنه لايجوز أن يكون سبباً في الاختلاف المؤدي إلى الفرقة والتباغض ، وهذا بالطبع لايأتي إلا نتيجة التفكير والبحث وعدم التعجل في رد قول المخالف إلا بعد الاطلاع على كل مايتعلق بالموضوع من أدلة واستنباطات ، فقد يتضح بعد البحث أن كلا القولين ثابت وصحيح عن الرسول ﷺ وبذلك ينتهي الخلاف .

د ــ الخلاف حول قضية معينة ورد الدليل عليها وأورد المخالف دليلاً آخر مخالفاً لها لكن أحد الدليلين أقوى من الآخر وأرجح ، فهذا أيضاً

لاينبغي أن يكون سبباً في الفرقة لأن ماوسع أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة السلف ينبغي أن يسعنا ، وهذا يقع في كثير من الأحكام التي اختلف فيها العلماء وعندما يعلم أن هؤلاء الأئمة مااختلفوا لهوى في نفوسهم بل وقف كل منهم مع ماعنده من الدليل فربما وصل أحدهم مالم يصل الآخر أو صح عنده مالم يصح عند غيره كما بين ذلك شيخ الإسلام في رسالته : (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) ولكن مع ذلك فالواجب في هذه الحالة العمل بالدليل الراجح وترك المرجوح عند من تبين له ذلك بوجه شرعي .

ولكن هذا لايعني موافقة من يأخذ بالأقوال الشاذة أو بعض سقطات العلماء والتي يكون الدليل على خلافها بل الواجب تصحيح المخالف وإرجاعه إلى الدليل وتوضيح وجه الشذوذ فيما أخذ به لأن هناك من يقول : (أي قضية لم يجمع عليها الصحابة فالأمر فيها واسع) وهذا القول ليس صحيحاً على إطلاقه فقد ذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله في رسالة له لم تطبع بعد كلاماً جيداً حول هذا الأمر ننقل منه المناسب لموضوعنا . يقول رحمه الله تعالى :

« وأما احتجاجه بقول النووي إن العلماء إنما ينكرون على من خالف ماأجمع عليه وأما المختلف فيه فلا إنكار فيه لأنه على أحد المذهبين : كل مجتهد مصيب . قال : وهذا هو المختار عند كثير من المحققين أو أكثرهم . انتهى ماحكاه ، فيقال في جوابه : أنت لم تستكمل عبارة النووي بل تصرفت فيها وأخذت ماتهوى وتركت بقية العبارة لأنه عليك مع اتصالها وتقييد بعضها ببعض . قال النووي بعدما تقدم : لكن إن أريد به على جهة النصيحة أي الخروج من الخلاف فهذا حسن محبوب مندوب إلى فعله برفق فإن العلماء متفقون على الحث إلى الخروج من الخلاف إذا لم يلزم منه إخلال بالسنة أو وقوع في خلافٍ آخر . هذا كلام النووي فقد استبان لك أن مراده إذا لم يظهر دليل ولم يترجح جانب الأفكار بكتاب أو سنة أو إجماع أو قياس جلي .. وأما أقوال الآحاد من العلماء فليست بحجة إذا لم يقترن بها دليل شرعي ومازال العلماء يردون على من هو أجل منه » ا هـ .

وبعد هذا التفصيل فيما يجوز الاختلاف فيه وما لا يجوز، نتوجه إلى جميع المختلفين أن يقفوا وقفة مع نفوسهم، ويسأل كل واحد منهم نفسه أو صاحبه ومن يخلص له النصح والتذكرة: أين نحن من أنواع الاختلاف، وأين نحن من البغي والاعتداء في الخلاف، وأين نحن من أدب الخلاف وأخلاقه، وماكانت الأمة لتفترق إلا بسبب البغي والحسد والجهل فلنقف مع موعظة الله عز وجل لنا ومع ماجاءنا به القرآن الحكيم والذي جعله الله لنا هدى وشفاء ورحمة وموعظة: ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾.

٨ — أن يعطى كل طرف في الحوار راحته وحريته في التعبير عن فكرته والاحاطة بها من جميع الوجوه لأن قطع الفكرة أو التشويش عليها يؤثر على تسلسل الأفكار وترابطها واضطرابتها.

٩ — **لا أعلم**: وذلك بأن يكون عند أصحاب الحوار من الإخلاص والخوف من الله عز وجل بأن يقول لأعلم عند السؤال عن مسألة لايعلمها أو لم يبحثها بحثاً كافياً، وأن لايستحي من ذلك وأن يطلب الإمهال حتى لقاء آخر ليأتي بالجواب عنها إن وجد جواباً.

١٠ — **التفريق بين الفكرة وصاحبها**، وذلك بأن يتم تناول الفكرة المطروحة بالبحث والتحليل والنقد أو التزكية بعيداً عن صاحبها حتى لايتحول الحوار إلى مبارزة كلامية تناقش فيها تصرفات الأشخاص ونواياهم ولكن في بعض الأحوال ينبغي تناول أصحاب الأفكار أنفسهم بالجرح والتعديل حسب مقاييس أهل السنة وذلك عندما نخشى ضلالاتهم أو تأثر الناس بأفكارهم ولكن كل ذلك يتم بإخلاص وإنصاف.

١١ — **إقفال المناقشة**: عندما تتسع شقة أو يتضح أثناء النقاش أن هناك أموراً أساسية برزت لم يتم التحضير لها أو لايكفي الوقت لمناقشتها فيحسن في مثل هذه الأحوال إقفال النقاش وتأجيله إلى وقت آخر يتم التحضير والاستعداد الجيد له، كما ينبغي قفل النقاش عندما يتبين أن الطرف الآخر في الحوار غير جاد أو

مستهتر أو كان دون المستوى المطلوب للخوض في القضايا المعدة للحوار .

الأصل الثالث

ظروف الحوار والمتحاورين

وهذا هو الأصل الثالث الذي يراعى عند الحوار والمناظرة وقد أشارت الآية الكريمة إلى جانب من ذلك عند قوله تعالى ﴿ مثنى وفرادى ﴾ وسنشير هنا إن شاء الله تعالى إلى بعض الجوانب التي تتعلق بظروف الحوار لأن إلغاءها يؤثر كثيراً على طبيعة الحوار ونتيجته ، ومن هذه الجوانب ما يلي :

١ ــ مراعاة الجو المحيط بالحوار :

ويقصد بالجو هنا الجو النفسي والمؤثرات المحيطة بالحوار وذلك كما في الآية الكريمة حيث يوجه الله عز وجل طلاب الحق أن يبتعدوا عن الأجواء الجماعية والغوغائية لأن الحق قد يضيع في مثل هذه الأجواء حيث التقليد الأعمى والتبعية للأكثرية بينما لو قام الإنسان مع نفسه أو مع شخص آخر للتفكير حول قضية ما فإنه أقرب إلى إصابة الحق منه في الاجتماعات الكبيرة وبقدر مايقل المتحاورون أو السامعون في الحوار بقدر ماينقاد إلى الحق عند ظهوره .

٢ ــ مراعاة الجو الحسي للحوار :

وذلك من حيث البرودة والحرارة والاتساع والضيق .. الخ ، لأن وجود مايؤذي في جو الحوار يؤثر على طبيعة النقاش وخسارة ، وقد يبتر النقاش أو يختصر دون وصول إلى نتيجة وذلك حتى يبتعد عن مايؤذي في مكان الحوار كذلك مما يتعلق بهذا الجانب اختيار المكان الهادىء وإتاحة الزمن الكافي للحوار فلا تصلح أماكن الدراسة والعمل والأسواق للحوار أبداً وذلك لضيق الوقت ولوجود مايشغل .

٣ ــ مراعاة الظرف النفسي والاجتماعي للطرف المحاوَر أو المحاوِر :

فلا يصلح أبداً أن يتم

الحوار مع شخص يعاني من الإرهاب الجسدي لتعب أو حاجة لنوم أو بسبب جوع أو يعاني من إرهاق نفسي كهم أو غم أو حزن لأن هذه الظروف لابد أن تؤثر حتماً على الحوار إما بتره قبل تمامه أو حدوث انفعالات وغضب وتوتر يـؤدي بالحوار إلى الفشل الذريع .

٤ ــ أهمية المحادثة الأولى والتعارف الذي يسبق الحوار :

إن المحادثات الأولى والتعارف الأول على الطرف المحاور يساعد على سهولة البدء في المناظرة وسيرها فيما بعد بالشكل المناسب ، إذ من الصعب أن يبتدأ مباشرة بالحوار مع أشخاص لم يتم أي تعارف ولو بسيط معهم . لأن في جلسة التعارف هذه فائدة في التعرف على طبيعة الطرف الآخر ولو بشكل مبدئي من خلال مظهره وحديثه ونبرات صوته وحصيلته العلمية مما يكون له الأثر في معرفة الظروف النفسية والميولات الذهنية للشخص المحاور ، وهذا بدوره يساعد في طريقة وأسلوب الحوار مع الناس كل حسب ظروفه ، ويمكن أن تتم جلسة التعارف هذه على شكل دعوة غداء أو عشاء يتم فيه أحاديث غير رسمية عن الصحة والعمل والأولاد وعن رأيه في الكتاب الفلاني وفي الفكرة الفلانية ، وعن أي أمر عام ليس له علاقة بموضوع الحوار . فهذه الطريقة على أي حال أفضل بكثير من أن يفاجأ المرء بأشخاص لم يضع لهم في ذهنه أي تقدير لهم ولظروفهم فيؤدي إلى فشل الحوار كأن يخبر على أن الشخص لطيف وسهل التعامل وحليم ويفاجأ بالعكس تماماً .

٥ ــ أن يكون المتحاوران متقاربين ماأمكن في العلم والجاه وأن يتجنب مناظرة ذي هيبة يخشى أن يستحي من مناظرته لئلا يؤثر ذلك على قوة الحجة والجرأة على الإدلاء بها .

٦ ــ ينبغي اجتماع أصحاب الحوار في مكان واحد وتقابلهما فيه وأن ينظر بعضهم للآخر لأن رؤية الوجوه والملامح له أثر في قوة الحجة أو ضعفها وفي هذه الحالة لاتصلح المراسلات للحوار ولا يصلح كذلك الحوار بواسطة الهاتف .

٧ ــ مراعاة الآداب الإسلامية (القولي منها والعملي) ، والذي

يكون له مردوده النفسي على أطراف الحوار وسلامة قلوبهم وصفائها ، والانقياد للحق عند ظهوره ، ومن هذه الآداب :

أ ــ احترام الطرف الآخر والتأدب معه وحفظ اللسان عما يسوءه من الألفاظ ، وعدم السخرية برأيه ، وأن يثني عليه بما فيه ، وفكرته من الإيجابيات والخير الكثير .

ب ــ التلطف في العبارات أثناء الحوار ، فبعض العبارات قد تفتح مغاليق النفوس وهي يسيرة على من يسرها الله عليه من الكلمة الطيبة التي تقرب النفوس وتزيل الجفوة وتهيء النفوس لاستقبال الحق ، والأمثلة في ذلك كثيرة كمناداة الطرف الآخر بكنيته وإذا كان أكبر سناً أو علماً بياأستاذي وشيخي .. اسمح لي .. عفواً .

ج ــ ابتسم في وجه محدثك وأطلق أسارير الوجه أثناء الحوار فهذا يضفي على الحوار جو الألفة والأنس .

د ــ اجتنب الغضب ماأمكن ولو عارضك الطرف الآخر أو أغلظ القول لك ، واستخدم الرفق واللين .

هـ ــ تجنب اللوم المباشر عند وضوح خطأ الطرف الآخر فالنفس غالباً لاتتحمل قول (أخطأت) أو (سأثبت لك أنك مخطىء) أو (أنا أخالفك في الرأي) فهذه الألفاظ قد تجرح عند بعض الناس كبرياءه وشخصيته .

لكن عندما يبدو الخطأ فيمكن معالجته بمثل قولك : لكن أرى رأياً آخر قد أكون مخطئاً فيه ، أو لعلك تصلح لي خطأي . وإذا كان الخطأ يمكن إصلاحه ببعض الإضافات فتقول : هل هلك أن تفعل هذا أو مارأيك في إضافة هذه العبارة .. أو ماالمانع لو اتفقنا على هذا التعديل .. الخ .

٥ ــ التحدي والإفحام : وهذا الأسلوب يلجأ إليه مع المماحكين الذين همهم الجدال والاستهزاء وإثارة الشبه وتضليل الناس فمثل هؤلاء لاينفع معهم اللين والرفق وإنما الذي ينبغي في حقهم إفحامهم ومناظرتهم على الملأ الذين قد ضلل بسببهم وذلك حتى تدحض حجتهم وتسقط هيبتهم من النفوس وتبين وهن فكرتهم واضطرابها . لكن ينبغي لمن

أراد مناظرتهم أن يكون على مستوى من العلم والذكاء والشجاعة بحيث لايؤتى من قبل قلة علمه أو سطحيته أو نحو ذلك .

٦ ـ المحافظة على هدف الحوار والوصول إلى نتيجة :

تحديد هدف الحوار قبل الدخول فيه أمر مهم والمحافظة على الهدف أثناء الحوار أيضاً أمر مهم لأن ذلك يحافظ على التركيز وعدم الخروج عن موضوع الحوار بمناقشة جزئيات أو أمور جانبية بعيدة عن موضوع الحوار مما يكون له الأثر في ضياع الوقت وعدم الوصول إلى نتيجة في آخر الأمر .

وبعـــد :

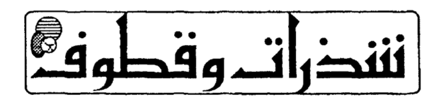
فهذه جملة في أصول الحوار وآدابه أعرضها على علاتها ونقصها لعلها تفتح المجال لعلماء الأمة ودعاتها بأن يفصلوا الأمر حول هذا الموضوع ويكملوا مانقص منه ، فالمسلمون في حاجة ماسة إلى استقصائه وإتمامه .

كما أسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا الحديث القلوب المخلصة التي أدمتها الخلافات وخيم اليأس على بعضهم ، ولعل الأخوة الذين صاروا أعداء وهم أقرب الناس بعضهم إلى بعض أن يقوموا لله عز وجل ويتفكروا مع أنفسهم أو مع بعضهم البعض وأن يحفظ كل واحد منهم حق أخيه ويعلم وإن كان مخطئاً في شيء فقد أصاب في أشياء أكثر مادام أنه من أهل السنة وأتباع السلف .

فيا أتباع محمد ﷺ ويامحبي محمد ﷺ جردوا أنفسكم لله تعالى واقتدوا بسلف الأمة الذين كانوا حريصين على جمع الكلمة وسلامة القلوب ، وكان أبغض شيء لديهم الفرقة والاختلاف ، فهذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عندما قيل له : أن عثمان بن عفان أتم بالمسلمين في منى وكانت السنة القصر ، قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ثم لم يمنعه ذلك من أن يأتم بعثمان ويتم الصلاة معه أربعاً ، فلما قيل له في ذلك قال : إن الخلاف شر . فحري بمن أحب

السلف والتزم بمنهجهم أن يلتزم بمنهجهم الشامل في الاعتقاد والسلوك ، وماتم عرضه في هذا البحث يمثل إن شاء الله تعالى بعض آداب السلف الصالح في حوارهم واختلافهم وهي بدورها الآداب التي هدانا الشرع إليها لنخرج من الاختلاف الذي قدره الله تعالى على كل أمة ، وأن لانستسلم لهذا الاختلاف بل ننازعه بقدر الله عز وجل وأسبابه الشرعية التي شرعها الله لنا والتي لاسبيل للنجاة والخلوص من الشرور إلا بالرجوع إليها ، ومن سلك سبيل الهدى وصدق مع الله عز وجل في طلبه للجماعة والائتلاف يسر الله له سبيله وألف بينه وبين إخوانه من الدعاة الصادقين ، ومن سلك سبيل الضلال من الزيغ والفرقة والاختلاف أضل الله سبيله وأزاغه عن الهدى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين □





الجرأة على الأمور

إن الذي يورث جيل الإفرنج الإقدام على الأمور والكلام ، هو تعويدهم الجرأة في الأمور ، فإن إلقاء الرعب في قلب الصغير كلوافح الرياح العاصفة على الغرس ، فلا يمكن بعد ذلك أن يصلح للمسائل الجليلة .

أحمد فارس الشدياق

****

طـــــرائف

قال أحد الأدباء : أمور ثلاثة عجلت هرمي :

١ ــ أن يحضر كل الضيوف دعوتك ماعدا واحداً تضطر إلى انتظاره .

٢ ــ أن تضع زوجك الصحون على المائدة وابنك الذي أرسلته ليأتي ببعض

الحاجات من السوق مايزال غائباً .

٣ ــ أن يذهب ضيوفك جميعاً إلا واحداً ، إنه ذلك الذي سكت طوال السهرة فلما أراد أن يودعك عند الباب بدأ يتكلم ، وتشعر وهو يحدثك أن حديثه ليس له نهاية .

****

آفة المزاح

قال سعيد بن العاص لابنه :

اقتصد في مزاحك فالإفراط فيه يذهب بالبهاء ، ويجرىء عليك السفهاء ، وتركه يقبض المؤانسين ويوحش المخالطين .

****

متى ؟!

متى يصل العطاش إلى ارتواء   إذا استقت البحار من الركايا

ومَنْ يَثني الأصاغر عن مراد   وقد جلس الأكابر في الزوايا

وإن تَرفُّع الوضعاء يوماً   على الرفُّعاء من إحدى الرزايا

إذا استوت الأسافل والأعالي   فقد طابت منادمة المنايا

القاضي عبد الوهاب المالكي

على طريق الإصلاح النفسي

عثمان جمعة ضميرية

صلاح القلب أساس لصلاح الفرد :

لعل أعظم مافي هذا الإنسان وأشرفه ، هو القلب الذي يفقه به ، ويتعرف من خلاله على خالقه سبحانه وتعالى . ولذلك نعى الله تعالى على أولئك الذين وهبهم القلب فعطّلوه عن الفقه والفهم ، فقال : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس ، لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها . أولئك كالأنعام ، بل هم أضلّ ، أولئك هم الغافلون ﴾ [الأعراف / ١٧٩] .

وقد جعل رسول الله ﷺ هذا القلب وصلاحه سبباً لصلاح الإنسان ، كما أن فساده سبب لفساد الإنسان فقال : « ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

والقلب الحي السليم أصلُ كلِّ خير وسعادة وحياة : ﴿ أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾ ؟ [الأنعام ١٢٢] .

١ ـــ متفق عليه .

أقسام الناس في هذا القلب :

والناس في هذا القلب ثلاثة أصناف :

قسم ألهمه الله رشده ، وأسعده بمعرفته ، وهدى قلبه ، فجعله سالماً من أن يكون فيه شائبة من شوائب الشرك ، بل أصبح خالصاً لله تعالى في عبوديته : إرادةً ومحبة ، وتوكلاً وإنابة ، وخشية ورجاءً ، وعملاً ومتابعة .

وهذا القلب هو الذي ينفع صاحبه يوم القيامة : ﴿ يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء / ٨٩] .

وقسم استهوته الشياطين ، فأخلد إلى الأرض ، وكأنه تجرد من إنسانيته ، وأقام على حيوانيته ، فمات قلبه وأصبح لايعرف حياة ولا نوراً ، فحقَّت عليه كلمة العذاب ، وكان من الغاوين : ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا . فاقصص القصص لعلهم يتذكرون ﴾ [الأعراف ٧٥ ــ ٧٦] ، ﴿ أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار ﴾ [الزمر ١٩] .

وقسم ثالث ؛ له قلب به هدى وإيمان ورشد ، شرح الله صدره للإسلام فعرف الله بعض المعرفة ، ولكنه وقع تحت سيطرة بعض الشهوات فهو يغالبها ، والشيطان يزين له السوء والرغبات ، فهذا الصنف من الناس ينازع الخير والشر ، وكثيراً مايشعر المؤمن هنا بحلاوة المجاهدة ، إذ المجاهد من جاهد نفسه في الله . ويشعر بمرارة الهزيمة أمام الشيطان ، فهو بحاجة إلى جرعات من المضادات ، بحاجة إلى معالجة الأعراض التي قد تبدو عليه فتكون مؤشراً على خطر كبير ومرض قد يستعصي علاجه مالم نبادره بذلك .

فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « تُعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً ، فأي قلب أُشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبين :

قلب أسود مرباداً كالكوز مُجخياً (منكوساً) لايعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ماأُشرب من هواه .

وقلب أبيض ، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض » [1] .

المجاهدة وإصلاح القلب :

وماأحوجنا إلى أن نجاهد أنفسنا وأن نجاهد الشيطان ، وماأحوجنا إلى أن نجلو قلوبنا ، وأن نسأل الله تعالى أن يثبتها وأن يصرفها إلى طاعته ، فقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ كان يقول : « مامن قلب إلا وهو بين اصبعين من أصابع الرحمن ، إذا شاء أن يقيمه أقامه ، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه ، يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك . والميزان بيد الرحمن عز وجل يخفضه ويرفعه » .

وفي رواية : « والميزان بيد الرحمن يرفع أقواماً ويضع آخرين إلى يوم القيامة » [2] .

وفي حديث آخر : « مثل القلوب كمثل ريشة بأرض فلاة تقلبها الريح ظهراً لبطن » [3] .

طرق الإصلاح :

ولعله مما يساعدنا على ذلك أن نتبصر بعيوبنا ، ونتعرف على أمراض نفوسنا وقلوبنا ، ليكون ذلك سبيلاً إلى علاجها ودوائها ، ومن أراد ذلك ــ وينبغي له أن يفعل ــ فإن أمامه أربع طرق :

الطريق الأول : العلم الذي يبصرنا بذلك ويوضح الطريق أمامنا ، فهو الكشاف الذي يكشف لنا خبايا العلل . وسبيل ذلك والطريق إليه هو : مصاحبة كتاب الله تعالى ومدارسته ، ومدارسة حديث الرسول ﷺ والتأسي به واتباعه .

والطريق الثاني : أن تطلب لك أخاً ناصحاً شفيقاً ، وصديقاً صدوقاً ، يبصرك بعيوبك ، ويرى أن ذلك واجب عليه يفرضه الإسلام عملاً بقوله عليه الصلاة والسلام : « الدين النصيحة . قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولكتابه

---

١ ــ رواه مسلم .
٢ ــ أخرجه أحمد وابن ماجه والبغوي بإسناد صحيح .
٣ ــ أخرجه مسلم .

ولرسولـــه ولأئمـــة المسلميـــن وعامتهم » (١) .

وقد كان أمير المؤمنين الفاروق عمر رضي الله عنه يقول : رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا . ولنذكر أن المؤمن مرآة أخيه المؤمن .

الطريق الثالث : أن تنظر إلى مايقوله فيك خصومك ، فإنهم يتلمسون لك المعايب ، فلا تأس على فعلهم ذاك ، فإنهم بهذا يعرفونك بعيوب نفسك التي قد تغفل أنت عنها ، أما هم فلا يسكتون . وقديماً قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكنّ عين السخط تبدي المساويا

والطريق الرابع : مخالطة الناس ومعايشتهم ، فإذا رأيت منهم ما لاتحمده من الصفات التي نهى الله تعالى ورسوله عنها فخذ نفسك بالابتعاد عنها والحذر منها ، وتحلَّ بمكارم الأخلاق ومحاسن الصفات التي تحبها في الناس وتحببك أنت إليهم .

فهلاً حاولت ذلك أيها المسلم وجربت وجاهدت نفسك ليكتب الله تعالى لك الهداية إلى السبيل الأقوم وإلى الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾ [العنكبوت ٦٩] □



١ ــ أخرجه مسلم .

صندوق النقد الدولي ومديونية (*) العالم الثالث

حمد سليمان البازعي

تعتبر مشكلة الديون الخارجية لدول العالم الثالث من أهم المشاكل التي تهدد استقرار الاقتصاد العالمي ، لذا تجمع دول العالم على ضرورة إيجاد حل لهذه المشكلة ، لكن هذه الدول تختلف على كيفية الحل . فمن دول ترى أن من الأنسب إعفاء الدول المدينة من ديونها ، إلى دول ترى أن الأنسب تشجيع الدول المدينة على الوفاء بالتزاماتها عن طريق إقراضها قروضاً جديدة حتى تتمكن من سداد الديون القائمة . وهذا الإقرار لابد أن يتم عن طريق المؤسسات المتخصصة ، أو يخضع على الأقل لإشرافها . ومن هذه المؤسسات صندوق النقد الدولي والذي سنعرضْ في هذه المقالة ــ بإيجاز ــ لدوره في هذه المشكلة .

لكن قبل ذلك لابد من مقدمة عن : حجم ديون العالم الثالث :

تميز عقد السبعينات الميلادي من هذا القرن بأنه عقد التنمية قامت فيه دول العالم الثالث ــ رغبة في الانطلاق من حلقة التخلف المفرغة ــ بمشاريع جبارة تطلبت رؤوس أموال ضخمة ، ولم يكن أمام هذه الدول من وسيلة لتمويل هذه المشاريع سوى الاقتراض الخارجي ،

* ــ يحرص الكاتب الكريم على استخدام كلمة « مديونية » وهي لغة غلط ، وإن كان أهل الاقتصاد والقانون يستخدمونها بكثرة ، ويمكن أن تسد كلمة دين وديون مسدّها .

خصوصاً من الدول المتقدمة وبنوكها ، لكن هذا الاقتراض لم يجلب معه ماكان مؤملاً من نمو وزيادة ، وإنما أوقع هذه الدول في شرك المديونية ، فالدخل الناتج من هذه المشاريع لايكفي لسداد الأموال المقترضة مما استدعى الاقتراض لسداد الديون القائمة وهكذا .

وبنظرة عاجلة لأرقام ديون العالم الثالث نرى أنها وصلت إلى أرقام خيالية ، فطبقاً لإحصاءات الأمم المتحدة ، زادت هذه الديون من ٧٢٢ بليون دولار في عام ١٩٨٢ إلى ٨٩٠٫٦ بليون دولار في عام ١٩٨٥ ثم قفزت إلى ١١٧ بليون دولار في عام ١٩٨٨ ، أي بمعدل زيادة سنوية قدرها ٢٤٪ .

وبنسبة هذه الديون إلى مجمل إنتاج دول العالم الثالث من سلع وخدمات نجدها بلغت في عام ١٩٨٢ ٣٥٫٩٪ ، كما بلغت ٤٥٫٢٪ في عام ١٩٨٥ ، أما في عام ١٩٨٨ فقد بلغت ٤٧٫٤٪ ، وهكذا فإن هذه الديون تستهلك مامعدله ٤٣٪ من مجمل إنتاج هذه الدول ، ويعتبر هذا استنزافاً لثرواتها في وقت هي أشد ماتكون حاجة إليه ، لكن الصورة تبدو أكثر إيلاماً عند نسبة هذه الديون إلى مجمل إيرادات الصادرات في الدول المدينة ، فقد بلغت هذه النسبة لعينة من ١١٢ دولة ١٦٦٪ عام ١٩٨٥ ، أما في عام ١٩٨٨ فقد بلغت هذه النسبة ١٨٩٫٧٪ [1] ، أي إن مجمل إيرادات صادرات هذه الدول لاتكفي — أو بمعنى أصح لاتغطي — سداد ثلث هذه الديون .

وقد يتساءل القارىء الكريم : ماسبب هذه الزيادة الخيالية في حجم هذه الديون ؟ والجواب على ذلك يتطلب تحليلاً لكل العوامل التي يعتقد الاقتصاديون أنها وراء هذه الزيادة ، وهذا خارج عن نطاق هذه المقالة إلا أن هذا لايمنع من الإشارة العابرة إلى أهم هذه العوامل ، وهي :

١ — ارتفاع أسعار واردات دول العالم الثالث ، وبخاصة أسعار السلع الرأسمالية ، والتي تعتبر أساساً لانطلاق عملية التنمية ، هذا الارتفاع صوحب بانخفاض في أسعار

١ — الأرقام مأخوذة عن : UNITED NATIONS (WORLD ECONOMIC SURVEY) 1989 .

صادرات هذه الدول ، أو على الأقل بقاءها على ماهي عليه مما جعل الحاجة ماسة لتمويل الفرق بالاقتراض الخارجي .

٢ ــ سياسات التوسع في الإقراض من قبل البنوك الغربية ، حيث وجدت هذه البنوك نفسها تحتفظ بفوائض عالية وذلك بفضل الفوائض المسماة بـ « الدولابترولية » هذه الفوائض جعلت الحاجة ماسة للبحث عن أسواق مربحة لتصريفها ، وكان سوق العالم الثالث هو الأكثر ترشيحاً لاستقطاب هذه الفوائض ، وهذا الإقراض يتم غالباً على أساس أسعار فائدة (تتغير حسب سعر السوق) وتحت شروط قاسية .

٣ ــ الارتفاع المذهل لأسعار الفائدة ، وخصوصاً في بداية الثمانينات حيث تجاوزت أسعار الفائدة معدل ٢٠٪ مما أدى إلى الزيادة في عبء خدمة هذه الديون . بالإضافة إلى ارتفاع سعر صرف الدولار (عملة تقويم الديون) مقابل عملات كثير من الدول المدينة مما زاد في قيمة الديون الفعلية .

٤ ــ الكساد الذي عم الدول الصناعية خلال الفترة مابين ١٩٨١ ــ ١٩٨٣ مما انعكس سلباً على دخول دول العالم الثالث وذلك من خلال :

أ ــ انخفاض طلب الدول الصناعية على منتجات تلك الدول .

ب ــ هذا الانخفاض في الطلب أدى إلى انخفاض في أسعار تلك المنتجات .

ج ــ لجوء الدول الصناعية إلى سياسات الحماية كفرض التعاريف الجمركية ، مما أدى إلى صعوبة دخول منتجات دول العالم الثالث إلى أسواق هذه الدول .

كل هذه العوامل الأربعة ساهمت بتفاقم أزمة المديونية ، التي باتت تهدد استقرار الاقتصاد العالمي ، وقد بلغت هذه الأزمة حد الانفجار في شهر أغسطس من عام ١٩٨٢ م عندما أعلنت المكسيك (ثاني أكبر دولة مدينة في العالم بعد البرازيل) أن احتياطياتها قد شارفت على النضوب ، وأنه ليس باستطاعتها الوفاء بالتزاماتها .

في تلك الأثناء برز صندوق النقد الدولي كعامل حسم في علاقة الدول

الدائنة مع الدول المدينة .

دور صندوق النقد الدولي :

أنشيء صندوق النقد الدولي في عام ١٩٤٤ م بموجب اتفاقية بريتون وودز (١) ، وطبقاً لهذه الاتفاقية فقد انحصرت مهمة الصندوق في :

١ ــ وقوفه مستعداً لإقراض أي دولة عضو تعاني من عجز في ميزانها التجاري مع العالم الخارجي ، في حين أن تبني أي سياسة داخلية لمعالجة هذا العجز (كتخفيض الإنفاق الحكومي مثلاً) يمكن أن يؤدي إلى آثار سلبية على مستوى العمالة في الداخل (٢) .

٢ ــ مراقبة التزام الدول الأعضاء بنظام أسعار الصرف الثابتة والمقرة في تلك الاتفاقية (٣) .

استمر الصندوق في ممارسة مهمتيه هاتين حتى انهارت اتفاقية أسعار الصرف الثابتة فعلياً عام ١٩٧١ فتغيرت تبعاً لذلك مهمة الصندوق ، وبدأ الصندوق منذ ذلك الحين بمهمة من نوع جديد وهي الإقراض لابغرض تصحيح الاختلال الطارىء على الموازين التجارية للدول الأعضاء ، وإنما لمعالجة الاختلالات الهيكلية في اقتصادياتها . بذلك بدأ الصندوق يمارس دوراً أكبر بدخوله شريكاً مع الدول المقترضة في تقرير السياسات الاقتصادية ، والتي يجب على الأخيرة الأخذ بها . هذه السياسة غالباً مايطلق عليها سياسة : « التقشف » أو السياسات المشروطة

---

١ ــ سميت هذه الاتفاقية باتفاقية (بريتون وودز) نسبة إلى المدينة التي عقدت فيها الاجتماعات التي توصلت إلى هذه الاتفاقية . المدينة تقع في ولاية نيوها مشير بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقد وقع على هذه الاتفاقية أربع وأربعون دولة اعتبرت اعضاءاً في الصندوق ، إلا أن عدد الأعضاء كان في تزايد مستمر . ويبلغ الآن (١٥١) دولة منها بعض دول المعسكر الشرقي ؛ كبولندا ويوغوسلافيا ، ورومانيا .

٢ ــ اكتسب هذا الاجراء أهمية متزايدة خصوصاً من تجربة الدول الغربية المريرة مع البطالة والتضخم في فترة مابين الحربين العالميتين ، فلقد تمخض عن هذه التجربة أن محاربة هاتين المشكلتين لن يكون عن طريق ميكانيكية السوق وحدها بل لابد من تدخل هذه الدول لذا حرصت هذه الدول في اتفاقيتها المنشئة للصندوق أن تتمتع بالمرونة في تبني السياسات الكفيلة بإعادة التوازن لاقتصادياتها داخلياً وخارجياً .

٣ ــ اتفق على ربط عملات الدول الأعضاء بأسعار صرف ثابتة مقابل الدولار والذي ربط بسعر ثابت بالذهب . على أن تحتفظ كل دولة إما بالدولار أو الذهب كاحتياطي نظامي بحيث تقف أي دولة مستعدة لشراء أو بيع عملتها مقابل هاتين العملتين . أما الولايات المتحدة فقد نصت الاتفاقية أن تحتفظ بالذهب فقط كاحتياطي نظامي وأن تقف مستعدة لبيع وشراء ماتريده الدول الأخرى وذلك بالسعر الرسمي للدولار مقابل الذهب .

ولم يأت هذا الدور طبيعياً ومن دون معارضة ، وإنما أتى مفروضاً من قبل الدول المتقدمة ، وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية ، والتي ارتأت أن إقراض الدول الغربية أو بنوكها لدول العالم الثالث لايعطي للدول الدائنة الحق في إملاء شروطها على الحكومات المدينة ، ولو فرض أن هذه الأخيرة قبلت هذه الشروط فإن شعوبها من الممكن أن لاترضى بوصاية دولة أجنبية في تقرير سياسة داخلية . لذا كان الصندوق من أفضل من يقوم بهذا الدور دون إثارة الحساسية الوطنية ، فأصبح الصندوق بذلك ملجأ للدول الباحثة عن قروض ، لكن هذه القروض غالباً ماتكون مصحوبة بإملاء السياسات الاقتصادية التي يجب على الدولة المستفيدة الأخذ بها . ومن هذه السياسات :

١ ــ رفع القيود المفروضة على أسواق السلع والعملات ، والعمل على جعل هذه الأسواق حرة كما تفترض النظرية الاقتصادية .

٢ ــ تخفيض سعر صرف العملة المحلية مقابل العملات الأجنبية .

٣ ــ تخفيض القيمة الفعلية للأجور .

بالإضافة إلى هذا الدور يعتبر الصندوق جهة حكم وتقييم لمقدرة الدول المدينة على السداد والوفاء بالتزاماتها . فالصندوق تبعاً لذلك يقوم بمهمة تصنيف الدول حسب قدرتها على السداد . فالدولة التي يصنفها الصندوق على أنها دولة « موثوقة » تجد من السهل الحصول على ماتريد من قروض سواء من الصندوق مباشرة ، أو من غيره من الدول [١] . هذه الثقة تحصل عليها الدولة بتمسكها بحرفية شروط الصندوق وسياساته . أما الدولة التي ترى الأولوية لمصلحة غالبية شعبها فإنها ستجد من الصعب ــ إن لم يكن من المستحيل ــ تطبيق شروط الصندوق ، وبذا تصل الثقة بمثل هذه الدولة إلى أدنى درجاتها . ويصبح من العسير على مثلها الحصول على

١ ــ لاحظ مدير الصندوق في دراسة اعدت في عام ١٩٨٣ أن كل دولار يقرضه الصندوق يؤدي في المقابل إلى إقراض تجاري قدره أربعة دولارات . وهذا يعطي دلالة واضحة على أهمية دور الصندوق في حصول الدول النامية على قروض .

معونة أو قرض ، لذا أصبح الصندوق عاملاً محدداً لغرض دول العالم الثالث في الحصول على قروض .

نقد دور الصندوق :

إن للصندوق دوراً مهماً في تقرير السياسات الاقتصادية على المستوى الدولي . ونظراً لحجم وأهمية هذا الدور فقد حظي هذا الدور وآثاره بدراسات مستفيضة .

ونظراً لأن سياسات الصندوق قد جربت في كثير من دول العالم الثالث فقد كانت هذه السياسات وآثارها ولازالت محل دراسات متعددة لتقييم هذه الآثار .

هذه الدراسات دلت على نتائج متطابقة في كثير من الأحيان ، متعارضة في أحيان أخرى ، فأغلب هذه الدراسات ترى أن دور الصندوق ممثلاً بسياساته هو دور سلبي في مجمله فلم ينتج عن توصيات الصندوق لمعظم دول العالم الثالث سوى غرقها في ديون أصبح من العسير الانعتاق منها ، كما أدت إلى الكساد وإعاقة النمو .

وحتى في الحالات النادرة التي يستشهد بها على أنها نجاح للصندوق في مهمته ؛ لايمكن الجزم بأن نتائج سياسات الصندوق كانت كلها محبذة . وحتى النتائج الإيجابية منها لم تكن بمستوى مابشر به الصندوق وخبراؤه [1] ؛ فمثلاً يلاحظ أن كثيراً من الدول المستفيدة من خدمات الصندوق وجدت نفسها قد تورطت في إنتاج لايتمشى مع أولوياتها واستيرادٍ استهلاكي حمّل ميزان مدفوعاتها عبئاً قد فاق حجم ماحصلت عليه من معونة !

هذه النتائج ــ لكثير من المراقبين ــ تعتبر غير مستغربة وإلا فماذا يمكن أن تنتظره دول العالم الثالث من مؤسسة أنشئت ونظمت بطريقة تضمن سيطرة العالم الغربي عليها ؟

١ ــ معظم الدراسات التي توصلت إلى أن للصندوق دوراً إيجابياً كانت عبارة عن دراسات قام بها خبراء الصندوق أنفسهم ، لكن كثيراً من الباحثين المستقلين يرجعون مثل هذه النتائج إلى اعتماد هؤلاء على إحصاءات رسمية من قبل الحكومات ، ويشكك هؤلاء الباحثون في مدى صحة مثل هذه الإحصاءات . بل على العكس من هذه النتائج الإيجابية يرى هؤلاء الباحثون أن دراساتهم دلت على نتائج سلبية كزيادة في معدلات التضخم وانخفاض في نصيب العمل في الدخل العام .

وبنظرة سريعة لتوزيع أوزان الأصوات في نظام الصندوق يبدو ذلك جلياً ؛ فالولايات المتحدة الأمريكية تتحكم بأكثر من عشرين بالمائة من الأصوات ، وأوربا الغربية بثمان وعشرين بالمائة . أما دول العالم الثالث فتتحكم فقط بحوالي ثلث الأصوات على حين أن عددها يبلغ ثلاثة أرباع الأعضاء !

وباختصار يرى كثير من المراقبين أن سياسات الصندوق لم تؤد إلى النتائج المأمولة ، بل أدت إلى العكس من ذلك . ومن أهم السلبيات التي نجمت عن تطبيق مثل هذه السياسات مايلي :

١ ــ استنزاف موارد الدول النامية من خلال إيقاعها في شرك المديونية .

٢ ــ تكريس التبعية لدول الغرب بأن أصبح كثير من دول العالم الثالث يدور في فلكها وتحت رحمة بنوكها .

الصندوق والاستقرار السياسي في العالم الثالث :

كان من آثار سياسات الصندوق الاقتصادية ماامتد إلى الجانب السياسي ، ويكاد يجمع كثير من كتاب دول العالم الثالث على ربط المناخ السياسي المتأزم في كثير من هذه الدول بتدخل الصندوق في تقرير السياسات الاقتصادية الداخلية ، فكما مر معنا يشترط الصندوق على الدولة طالبة القرض أن تتبنى السياسات الخاصة بحد النفقات الحكومية ، وذلك برفع الإعانات عن السلف الضرورية وتخفيض الدعم الحكومي للإنتاج المحلي مما يؤدي إلى رفع الأسعار . كما أن اشتراط تخفيض قيمة العملة المحلية مقابل العملات الأجنبية يؤدي إلى رفع أسعار السلع المستوردة التي تمثل بالنسبة لكثير من هذه الدول مخرجاً من محدودية الإنتاج المحلي مما يعيق برامج التنمية . كما إن ارتفاع أسعار هذه السلع يجعلها بعيدةً عن متناول (وأحياناً حتى عن نظر) غالبية السكان .

من هذه المنطلقات النظرية نرى أن سياسات الصندوق تحمل غالبية السكان من ذوي الدخول القليلة عبئاً ليس باستطاعتهم تحمله . وحتى لو تحملت هذه الجموع بتأثير حملة دعائية تعدها بنيل فردوس الصندوق

المزعوم ؛ سرعان مايبلغ السيل الزبى فتنطلق هذه الجموع بمظاهرات وأعمال عنف تبرماً بالوضع القائم ، والأمثلة على ذلك كثيرة لامجال لذكرها ، لكن يكفينا ــ كمثال ــ ماحدث في فنزويلا قبل بضعة شهور فبعد اتفاق فنزويلا مع الصندوق رفعت الحكومة الدعم عن كثير من السلع الضرورية تشكل قوت غالبية السكان ، كما سرحت الحكومة عدداً من موظفيها تخفيضاً وحداً لنفقاتها فكانت النتيجة أن خرجت مظاهرات عنيفة خلفت وراءها مئات القتلى والجرحى .

وكمثال على أن سياسات الصندوق تجعل العبء على غالبية السكان دون الصفوة الغنية ماحدث في بيرو في بداية الثمانينات فخلال ثلاث سنوات ومنذ العام ١٩٨٠ فُقد حوالي مليون فرصة عمل كما أن أجور الوظائف الباقية انخفضت بشكل كبير . أما في البرازيل ــ أكبر دولة مدينة حالياًبـ (١١٥) بليون دولار ــ فقد انخفض معدل الأجر الحقيقي بحوالي الربع عما كان عليه في عام ١٩٨٠ (١) .

هذه السياسات ساهمت وتساهم في تأزيم المناخ السياسي في دول العالم الثالث ، مما يجعل الدول الرأسمالية ــ في النهاية ــ هي المستفيدة الوحيدة ، فاضطراب المناخ السياسي يجعل رؤوس الأموال في دول العالم الثالث تهاجر إلى حيث الاستقرار المزعوم في الدول الرأسمالية . هذه الأموال المهربة والمسروقة من أفواه الجوعى والمستنزفة من موارد هذه الدول تساهم في تكريس تبعية دول العالم الثالث للغرب الرأسمالي .

وباختصار شديد : إن تدخل الصندوق في تقرير السياسات الداخلية لدولة معناه شل مقدرة هذه الدولة على اتخاذ القرار ، حيث ينتقل مكان صنعه من العاصمة المحلية إلى واشنطن حيث مقر الصندوق .

---

١ ــ ومن الأمثلة على ذلك من العالم العربي ماحدث في مصر وتونس والجزائر وأخيراً الأردن . فالمظاهرات التي انطلقت في كل دولة من هذه الدول كانت احتجاجاً على ارتفاع الأسعار خصوصاً أسعار السلع الضرورية قوت غالبية السكان . هذا الارتفاع جاء نتيجة لتطبيق توصيات الصندوق والتي يعتبر تطبيقها متطلباً أساسياً لأهلية الدولة للحصول على القروض .

وختاماً نعلق بالتالي : إن فشل الصندوق في تقديم المعونة المثمرة والاستشارة المفيدة يرجع بشكل أساسي إلى الأسس النظرية التي قامت عليها سياسات الصندوق ، فعوائق التنمية تتمثل ـ طبقاً لهذه الأسس ـ في نقص المدخرات . فما على الدولة الراغبة في الانطلاق إلى عالم أرحب حيث النمو والتنمية سوى شد الأحزمة أو الاقتراض من الخارج إن لم تجد عملية شد الأحزمة ، لذا فمشكلة الصندوق تكمن في فشله في الإحاطة بجوانب التنمية المتعددة . فالتنمية عملية حضارية معقدة ، ومن غير الممكن تبسيطها من خلال علاقات رياضية ، ومن ثم تركها لميكانيكية السوق . هذه العملية تقتضي إخضاع طرائق الانتاج والتفكير لاحتياجات المجتمع وليس العكس كما أن الطريق إلى ذلك ليس بالضرورة أن يكون تكراراً للتجربة الغربية . فالطريق الذي سلكته الدول الغربية للنمو ليس الطريق الوحيد كما أنه ليس بالأمثل وبشكل أدق : إن لكل دولة ظروفها التي تملي عليها طريقاً معيناً دون سواه □



فاعتبروا ياأولي الأبصار

موزة بنت محمد

عندما تمر عليك آية من كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تدعو أو تأمر بتفكر أو أخذ عبرة .. فلابد لك من التوقف والنظر ولا يجوز أن تمر عليها بدون ذلك وتكون كمن قال فيهم عز وجل : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ [محمد / ٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ سبح لله مافي السموات ومافي الأرض وهو العزيز الحكيم . هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ماظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب . يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ، فاعتبروا ياأولي الأبصار ﴾ [الحشر / ١ — ٢] .

هذا أمر ودعوة من الله عز وجل إلى عباده ﴿ أولي الأبصار ﴾ ، الذين يبصرون ويفقهون ، وليس إلى الذين قال عنهم : ﴿ لهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم أعين لايبصرون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ [الأعراف / ١٧٩] .
دعوة لهم للنظر بعين البصيرة والاعتبار لهذا الحادث والذي نورده هنا وهو قصة إجلاء بني النضير عن المدينة المنورة وذلك كما ورد في السيرة .

كان سبب ذلك الجلاء أنه لما قتل

أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله ﷺ وكانوا سبعين رجلاً ، وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري ، فلما كان في أثناء الطريق راجعاً إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر انتقاماً لأصحابه ، وكان مع القتيلين عهد وأمان من رسول الله ﷺ لم يعلم به عمرو فلما رجع وأخبر الرسول ﷺ قال : « لقد قتلت رجلين لأودينهما » وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم قالوا : نعم ياأبا القاسم نعينك على ماأحببت مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ــ وكان رسول الله ﷺ قاعداً إلى جنب جدار من بيوتهم ــ فمن رجل يعلو هذا البيت فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك أحدهم فصعد البيت ليلقي عليه الصخرة ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة ثم تبعه أصحابه حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم بما كانت يهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيـؤ لحربهم ، فسار حتى نزل بهم فتحصنوا منه بالحصون واستمر حصاره لهم عدة أيام اختلفت في عددها . وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول لله ﷺ أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ماحملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة وهي السلاح ، ففعل ، وتم إجلاؤهم على ذلك .

يتصور الكثير منا أن اليهود في المدينة المنورة ماكانوا سوى قوم مستضعفين لاحول لهم ولا قوة ، اللهم إلا في الدسائس وإشعال نار الفتنة من خلف الستار ، وبهذا التصور لايكون إخراجهم أمراً يستدعي الاعتبار والتبصر ولكن الحقيقة ليست كذلك وهذا مايدل عليه سياق الآية الكريمة .

يقول الدكتور صابر طعيمة : « من الأشياء التي تثير الدهشة أنه في بدء دعوة الإسلام كانت أرض العرب في منطقة الحجاز مقسمة قسمة عجيبة بين نفوذ العرب ونفوذ اليهود

وسيطرتهم ، ففي بدء بعثة النبي محمد ﷺ كانت قوة اليهود الاقتصادية والسياسية كبيرة ومزعجة في شمال الحجاز ، ولقد بلغت القوة اليهودية في السيطرة على شمال الحجاز ماتعادل به نفوذ قريش وقوتها في جنوبه . ويمكن القول إن سيطرة قريش كانت تشمل جنوبي الحجاز من منطقة يثرب (المدينة) حتى الطائف وكذلك كان نفوذ اليهود يمتد من شمال الحجاز إلى حد يمكن معه القول إن هذا النفوذ كان يمتد من المدينة حتى تيماء في أقصى حدود الحجاز الشمالية ملتقياً بحدود سوريا لمسافة تقدر الآن بحوالي ٤٥٠ كيلو متراً » .

ومايهمنا هنا هو منطقة يثرب (المدينة المنورة) فلقد كانت تسكنها قبائل يهود « بني قينقاع » و « بني النضير » و « بني قريظة » ويبين الدكتور محمد السيد الوكيل مواقعهم فيقول : « واننا لنلاحظ أن هؤلاء قد انتشروا في يثرب ولم يقيموا جميعاً في منطقة واحدة فيها » فقد استوطن « بنو النضير » أسفل المدينة و « بنو قريظة » نزلوا بأعلى المدينة أما « بنو قينقاع » فقد نزلوا في وسط يثرب بين العالية والسافلة ، وهكذا أحاط اليهود بقبائلهم الثلاث بيثرب من أعلاها وأسفلها وفيما حولها من الشرق والغرب ، وكأنهم أرادوا بهذا الانتشار في المدينة أموراً قد خططوا لها من قديم الزمان نجملها[٦] فيما يلي :

١ ــ الناحية السياسية :

لقد أفادهم تفرقهم هذا من الناحية السياسية فائدة كبيرة ، حيث كانوا لايظهرون بمظهر المتكتلين أمام السكان الأصليين ، وعندئذ لاتثور ثائرتهم ولا يتحرشون بهم فيعيشون آمنين على مستقبلهم غير متعرضين للفتن والقلاقل ، كما أن تفرقهم هذا مكنهم من محالفة قبائل متعددة ، ومكنهم من حرية الحركة والعمل مما كان له أكبر الأثر في الناحيتين الاقتصادية والعسكرية .

كما أن انتشارهم هذا ومحالفتهم لقبائل متعددة أوجد لهم نفوذاً هائلاً تسلطوا بواسطته على مقاليد الأمور في يثرب . ولقد اعتمد اليهود في سياستهم على مبدأ إثارة الأحقاد ــ فرق تسد ــ حتى يشتغل عدوهم بنفسه ولا يفكر فيهم وهذا ماحصل

حتى سيطروا وتملكوا .

٢ ــ الناحية الاقتصادية :

نزل اليهود أخصب مناطق المدينة زراعياً وأجودها تجارياً فحفروا الآبار وغرسوا البساتين وكانوا صناعاً ، وأحدثوا سوقاً لهم في يثرب ، وبذلك استطاع اليهود أن يسيطروا على الناحية الزراعية والتجارية والصناعية وكانت لهم اليد العليا في اقتصاد يثرب زيادة على ماأرهقوا به العرب من الربا والاحتكار .

٣ ــ الناحية العسكرية :

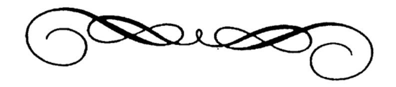
كان هذا التوزيع لمراكز القوة اليهودية يكفل لليهود وقتها القدرة على الانتشار وأن يمدوا أيديهم على مساحة كبيرة من الأرض يعملون على استغلالها واستثمارها ، ولذا كان عليهم أن يقوموا بتحصين أماكن تجمعهم وإمدادها بالقوة العسكرية وتخزين كميات من السلاح وإعداد مجموعات منهم للقتال بغية الحفاظ على ماكتسبوه حتى يمكن لهم دوام السيطرة والبقاء ، زد على هذا إحساسهم بأنهم أغراب وغير مرغوب فيهم ، من هنا فقد اشتهر اليهود بصناعة الأسلحة من سيوف ، ونبال ، ودروع ، وسهام ، ونصال ، فكانوا يصنعونها ويتخذون منها لأنفسهم ويبيعونها لغيرهم .

وإلى جانب هذه الأسلحة تفننوا في بناء الحصون والآطام يلجأون إليها إذا دهمهم عدو أو فاجأهم خصم ، وهذه الحصون تعتبر في زمانهم كالتحصينات العسكرية في زماننا ، وكانوا يخزنون فيها الماء والقوت والوقود وجميع مايحتاجون إليه بكميات تكفي لفترة طويلة من الزمان حتى إذا حوصروا أو اضطروا إلى المكث فيها مدة طويلة كان عندهم مايغنيهم فلا يحتاجون إلى شيء من خارج هذه الحصون ومما يؤيد ذلك حصار رسول الله ﷺ لبني النضير خمس عشرة ليلة ، ولبني قريظة خمساً وعشرين ليلة . وكانوا يشيدون هذه الحصون من الحجارة الصلبة المنحوتة بأشكال هندسية ويجعلون سمك الجدار فيها متراً أو أكثر وكانت تقام من طابقين أو ثلاثة .

ويدل على هذا قوله سبحانه ﴿ من صياصيهم ﴾ أي حصونهم ، كما يدل على قوتهم وتدربهم على

القتال ماجاء في ردهم على رسول الله ﷺ حين قال لهم بعد أن نصره الله في بدر : « يامعشر اليهود احذروا من الله عز وجل مثل مانزل بقريش من النقمة ... وأسلموا فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم وفي عهد الله إليكم » فأجابوه : « يامحمد إنك ترى أننا كقومك ؟! لايغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة . إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أننا نحن الناس » !

وسياق الآية الكريمة يؤكد اعتدادهم بقوتهم وحصونهم وتقدير المسلمين والعرب لهذه القوة وذلك بقوله تعالى : ﴿ ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ فلا أنتم كنتم تتوقعون خروجهم ، ولاهم كانوا يسلمون في تصور وقوعه فقد كانوا من القوة والمنعة في حصونهم بحيث لاتتوقعون أنتم أن تخرجوهم منها كما أخرجوا ، وبحيث غرتهم هذه المنعة حتى نسوا قوة الله التي لاتردها الحصون ! ﴿ فأتاهم من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب ﴾ فسبحان الله ! ماأشبه اليوم بالأمس ﴿ فاعتبروا ياأولى الأبصار ﴾ □



١ ــ المــراجــع :
ــ سيرة ابن هشام .
ــ تفسير ابن كثير .
ــ (بنو إسرائيل بين نبأ القرآن وخبر العهد القديم) الدكتور : صابر طعيمة .
ــ يثرب قبل الإسلام ، الدكتور محمد السيد الوكيل .
ــ في ظلال القرآن ، سيد قطب .

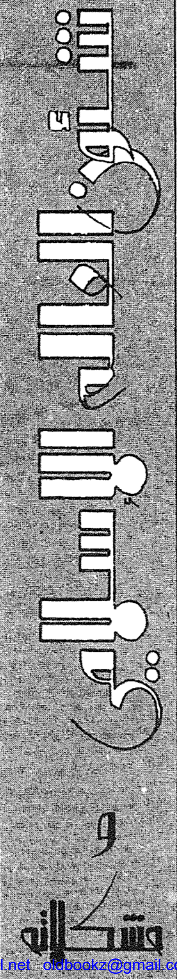
الغرفة السرية

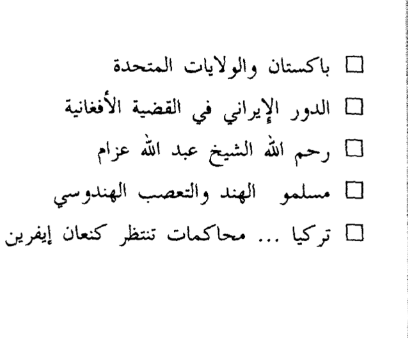
مروان كجك

إن شئتَ أن تطأ البلدْ
بحذاءِ حقدِك والحسدْ
فاختر أكابرَ أهلِها
وذوي النجابةِ والرَّشَدْ
وأمُرْ جنودَك بالنذالةِ والشراسةِ واللددْ
لاترحمنْ طفلاً ولا شيخاً ولا أماً تلدْ
وابعث إلى من قد ترى فيهم رئيساً معتَمدْ
وأمر جنودك أن يسوسوه بنارٍ إن حَرَدْ
ثم ليعودوا مرة أخرى بأمضى وأشد
ولينظروا : هل عاد يسألُ عن أحد ؟
هل مايزال الحق فيه يَتَّقِدْ ؟
فإذا تراءى أنه أضحى كما نبغي له
أو قام حيناً وَقَعَدْ

فلترفعوا تقريركم
للقائد الأعلى لكم
قولوا له :
صاحبنا لما يزل يرجو الأَحَدْ
ونخاف أن يستيقظ الإسلامُ فيه
من جديد أو يَلِدْ
مازال يحلم بالفضيلةِ والرجولةِ والولدْ
مازال يهذي بالبطولة والفحولة والعددْ
مازال يؤمنُ أن للإسلام جولاتٍ ستهزم من وَفَدْ
قولوا له ، للقائد الأعلى لكم :
ولذاك نقترح الدواء المعتمد :
« لابد من قتل العقيدة أولاً
لتحل أخرى
نحن نصنعها له
وإذا عصى وأبى علينا ، أو مَرَدْ :
فالقهر يوقِظُ
والسجون مدارسٌ
والقتل أنفى
بل وأشفى لمن اختار اللَّدَدْ » !

إمضـــاء :
هذا يعتمد □





- □ باكستان والولايات المتحدة
- □ الدور الإيراني في القضية الأفغانية
- □ رحم الله الشيخ عبد الله عزام
- □ مسلمو الهند والتعصب الهندوسي
- □ تركيا ... محاكمات تنتظر كنعان إيفرين

باكستان والولايات المتحدة

أهمية باكستان

تولي الولايات المتحدة الباكستان اهتماماً غير عادي ، وتنظر إليها كمجال لايمكن الاستغناء عنه بسبب الميزات التي يتمتع بها . فباكستان يعتبر من العشر دول الأكثر سكاناً في العالم ، إلى جانب أهميتها الاستراتيجية ، فوقوعها في شبه القارة الهندية ، ومجاورتها للاتحاد السوفييتي وإيران والهند والصين والمحيط الهندي كل ذلك يكسبها موقعاً جغرافياً فريداً يجعلها مطمعاً للذين يؤثرون في السياسة العالمية ، وكذلك دورها كدولة لها أهميتها ضمن مجموعة الدول الإسلامية ، وقربها من منطقة الخليج ، ودورها في مجموعة عدم الانحياز وعلاقاتها مع الدول العربية يعطيها أهمية كبرى لايمكن تجاهلها من قبل القوى الكبرى ، وخاصة الولايات المتحدة التي تحرص على بسط نفوذها في كل مكان من الأرض ، والاحتفاظ بحرية التحرك في المناطق والنقاط الاستراتيجية من العالم .

إن أميركا أول من يدرك أهمية باكستان جغرافياً وبشرياً ، وهي في تعاملها معها تبذل جهوداً لايستهان بها من أجل فهم واستيعاب أسلوب هذا التعامل ، ولا تعتبرها دولة ثانوية غير مهمة كجمهوريات أميريكا اللاتينية مثلاً .

نظرة الباكستان إلى أميركا

يرى الباكستانيون أن اعتماد الباكستان على الولايات المتحدة اعتماد اضطراري يدفعهم إليه موقع بلادهم الحرج الجغرافي والسياسي ، وهم يعرفون أن الولايات المتحدة ــ كغيرها من الدول الكبرى ــ لاتعطي شيئاً مقابل

لاشيء ، إن لها مصالح في المنطقة تريد المحافظة عليها ، لكنهم يعللون اعتمادهم هذا على الولايات المتحدة أنه لاخيار لهم فيه ، حيث إن علاقتهم مع الهند تشكل مرضاً دائماً ، ولابد من البحث عن جهات توفر لهم حداً من الحماية ، وهم يعتقدون أن عمقهم الطبيعي هو العالم الإسلامي ، ولكن لأن أنظمة العالم الإسلامي خذلتها في صراعها مع الهند .

ثم اكتشفت الباكستان عملياً أن أميركا ليست بالحليف الذي يعتمد عليه وقت الأزمات ، وأن السياسة الأميركية سياسة منافقة لاتعتمد مبادىء الصداقة ، بل ولا تلتزم بالوعود التي تقطعها وقت السلم ، وكان هذا الاكتشاف بعد حربها الأولى مع الهند في أول الستينات ، وعند انفصال البنغال (باكستان الشرقية) بتحريض من الهند ومساندتها في أواسط السبعينات .

وأمام هذه الحقيقة فإن باكستان تحرص على الحصول على مساعداتها من أي مصدر مع إبقاء علاقاتها مع أميركا .

نظرة الولايات المتحدة إلى باكستان

تنظر الولايات المتحدة إلى باكستان كدولة مهمة ذات ثقل سياسي وجغرافي مهم ، فباكستان في نظرها تتميز بدبلوماسية نشيطة وذكية ، وعندها جيش كبير وذو كفاءة عالية ، وهي دولة مهمة على كل المستويات ، وعلى الرغم من وجودها إلى جانب دولة قوية وكبيرة كالهند ؛ فإن سياستها تكاد تضارع السياسة الهندية وأثرها في نظر أميركا إن لم يفق أثر الهند فهو يعادله على الأقل ، وذلك لأن علاقاتها مع كتل كبرى لها وجودها على الساحة الدولية يجعل من الصعب تجاهلها .

ويمكن أن نقول : إن هناك هاجساً غير مريح للأمريكان سواء في حالة

تعاملهم مع الباكستان أو في تجاهلهم لها .

أ ــ فهم ــ إذا تعاملوا معها ــ يتعاملون بحذر شديد ، فمن جهة لايريدون تقويتها بالقدر الذي يغضب الهند ، ويقدمون لها من المساعدات التي تجعلها قادرة على حفظ مصالح الولايات المتحدة فقط ، دون الذهاب في ذلك بعيداً إلى الحد الذي يجعل من الصعب عليهم كبح جماحها فيما إذا أصبحت قوة عظمى تتمتع باستقلالية تساعدها على التحرك بحرية ، وهذا النهج من التعامل هو الأسلوب الذي تتعامل به القوى الغربية والشرقية مع أي دولة في العالم الإسلامي .

ب ــ وهم ــ أي الأميريكيون ــ لايشعرون بالاطمئنان إذا ماتجاهلوا باكستان لأنهم يعتقدون أنها ستظل تبحث عن مصادر تقوية بعيداً عنهم ولن تكون النتائج مضمونة ، ولذلك فإنهم ــ مع مساعدتهم لباكستان ــ تراهم ينظرون بعين الشك والريبة إلى علاقاتها هنا وهناك .

وهم يرونها مهمة لهم لأن هدفهم المركزي هو بقاء منطقة جنوب شرقي آسيا خاضعة للنفوذ الأميركي ، ولا يريدون تقويض الوضع القائم هناك أو تعرضه للاضطراب ، ويمكن أن يلمح المحلل ثلاثة ركائز على طول هذا المحور الممتد من البحر المتوسط إلى المحيط الهادي ، تعتبر ركائز أساسية للنفوذ الأميركي وهي تايلاند وباكستان وإسرائيل ، وباكستان بالنسبة لأميركا هي أصعب هذه الركائز من ناحية التعامل معها .

أميركا وبنازير

إن الظروف التي قتل فيها ضياء الحق تضيف شكاً جديداً إلى جملة الشكوك السابقة التي تحيط بعلاقات الولايات المتحدة بباكستان والتي يعرفها الباكستانيون ــ أو أكثرهم ــ معرفة أكيدة .

وقد أصبح واضحاً الآن أن أميركا تتدخل بصراحة فجة في توجيه السياسة الباكستانية ، فقد أحيطت بنازير بوتو بدعاية غير طبيعية ، وأبرزت بعد مقتل ضياء الحق بشكل يجعل من المستحيل أن لاتفوز في الانتخابات التي حصلت ، وتصريحاتها كانت صريحة بخطبة ود أميركا ومعها القوى الغربية التي ردت التحية بأحسن منها ، وسواء قلنا : إن تصريحات بوتو وماترتب عليها من موافقة جماعية غربية على توليها السلطة كانت خطوة ابتدائية منها ؛ أو كانت فصلاً من ارتباطات سرية ؛ فإن النتيجة واحدة . فلاشك أن تشجيع الغرب ــ وعلى رأسهم أميركا ــ لبوتو ينبع من عدة اعتبارات :

١ ــ لأنها علمانية المنشأ ، غربية الثقافة والفكر .
٢ ــ لأنها تكن في قرارة نفسها كراهية للإسلام تخرجها في كثير من تصريحاتها وأحاديثها على شكل هجوم على المتطرفين والأصوليين .
٣ ــ لأنها أول امرأة تتصدى لهذا المنصب الخطير في قطر كبير مهم من الأقطار الإسلامية ، فإذا نجح المسعى في جعل امرأة تقود هذا القطر الكبير فسيكون ذلك أمثولة لغيره من الأقطار الإسلامية كي لاتعارض هذه القضية التي سبقها إليها قطر مهم جداً وقام على أساس الإسلام ، من سيظل يجادل في هذه القضية !

وأميركا تعلم أن في تولي امرأة أي منصب في الدولة في قطر إسلامي سابقة مهمة ، ستكون لها آثارها على التيارات الموجودة داخل البلاد ، فمن وجهة نظرها يعتبر هذا إضعافاً للتيار الذي يتمسك بالإسلام ، والذي تضفي عليه كثيراً من النعوت والأوصاف بغية تفريقه وإضعافه ، وتقوية لأعداء الفكرة الإسلامية من كافة الاتجاهات ، وإذا قوي هؤلاء فهم الذين يضمنون مصالح أميركا وغيرها من القوى المعادية للإسلام ويمررون ماتريد بشتى الوسائل .

والولايات المتحدة تعلم جيداً أن قاعدة بوتو الشعبية ليست من القوة الحقيقية بحيث تجعل مستقبلها في السلطة مطمئناً ، ولهذا فهي لاتفتأ تقدم لها النصائح ، فأميركا تعلم أن فوز بوتو في الانتخابات كان نتيجة تحالفها مع جماعة المهجرين ، وهؤلاء لهم حساباتهم ومطالبهم التي إذا لم تنفذ فسيسهل عليهم التخلي عنها ، وقد حصل هذا فعلاً وأصبحت بوتو وحزبها مكشوفين ، وتعرضت

لهزة كادت تطيح بها . وكذلك فإن قوتها ـــ وهي قوة غير مطلقة طبعاً ـــ لاتوجد إلا في إقليم السند ، بينما مركز الثقل بالنسبة لباكستان هو في إقليم البنجاب الذي لاأثر لها فيه والذي يكاد يوازي باقي أقاليم باكستان مجتمعة .

ويمكن أن نلمس أثر النصائح الأميركية بالمحاولات المتكررة لإضعاف سيطرة الجيش ، وانتقاء شخصيات ورتب مؤثرة فيه ، وأحالتهم إلى التقاعد أو نقلهم إلى مناصب لا أهمية لها .

إن أكبر تحد لسلطة بوتو هي قوة الإسلاميين كما تعتقد الولايات المتحدة ولذلك ، فإن أي تحرك باتجاه إضعاف هؤلاء من قبل بوتو يلقى الترحيب من الولايات المتحدة ، ونستطيع أن نلمس حماسة الولايات المتحدة للتغييرات التي طرأت على مسار توجهات الدولة ، فعند الولايات المتحدة كثير من المصطلحات المضللة التي تخفي نواياها في حرب التو- ه الإسلامي في أي دولة . فإذا أحست أن نظاماً من الأنظمة أبدى نية في ضبط التسيب الخلقي والاجتماعي عن طريق بث المفاهيم الإسلامية ودعمها بما يهدد المفاهيم الغربية المنحلة نرى أميركا ترفع مصطلح القلق على حقوق الإنسان وحرية الفكر والعقيدة أو حقوق المرأة ورفع الظلم عنها ، وهذا مايلمح من نظرتها إلى باكستان في عهد ضياء الحق ـــ وأخرياته على وجه الدقة ـــ في حين نجد أن أميركا لاتستطيع أن تخفي سعادتها وفرحها حين ترى أجهزة الإعلام الباكستانية قد اتجهت إلى مسار أكثر حرية مما كانت عليه في أثناء حكم ضياء الحق ، ولا يغيب عن بالنا أن خصوم الإسلام حين يذكرون الحرية في هذه المجالات يعنون : حرية الفساد والإفساد ، والتحلل الأخلاقي بعيداً عن أي ضوابط شرعية أو دينية .

ومن أهم التطورات التي طرأت على الباكستان وعلاقتها بقضية أفغانستان تشجيع أميركا لبوتو لتبني الحل السياسي ، والتخلي عن الجهاد ، وهي لاتخفي تذمرها من وجود حركات جهادية لاترضى أن تهادن الشيوعيين .

مثلث العلاقات الأميركية الباكستانية الهندية

إذا مانظر الباكستانيون إلى القوى الخارجية التي يمكن أن يعتبروها مسؤولة عن نصيب كبير مما يحدث لهم من مشاكل ؛ فإن نظرتهم عندما تتعدى الهند تتجه مباشرة إلى الولايات المتحدة ، لأنهم يعتقدون ــ بحق ــ أن أميركا غير بعيدة عما يحدث في باكستان وحواليها .

وإذا نظرنا من زاوية إسلامية خالصة فإننا نجزم بأن المسؤول الأول عن إبقاء الخوف المستمر ــ وذي الأسباب الوجيهة ــ من التهديد الهندي هو الولايات المتحدة ، وأميركا التي تعتبر أن لها الحق أن تملك مالاحدود له من القوة ، تجد من غير المعقول ولا المنطقي أن تكون هناك قوة إسلامية في أي بقعة من العالم متحررة من الضغوط ، بعيدة عن التهديد الدائم ، وهذا مايفسر لنا كيف أنها تستخدم موازين مختلفة في علاقاتها مع القوى الخارجية ، فهي من جهة تغض الطرف عن امتلاك الهند للأسلحة النووية ، وتغض الطرف عن محاولات الهند المتكررة للانتقاص من سيادة الباكستان ، بل والتدخل بقوة السلاح لفصل باكستان الشرقية عن الغربية ، وتعتذر عن ذلك بمعاذير باردة جداً لاتثبت عند النقد ، فتدعي مثلاً بأنها لاتستطيع أن تفعل شيئاً للهند ، أو أن يدها مغلولة للتأثير على الهند ، ولكنها حينما يترامى إلى علمها أن باكستان تسعى لإنتاج السلاح النووي لتوازن الموجود عند جارتها المتطلعة للتمدد تفقد أميركا صوابها ، فتهدد بقطع المساعدات مالم يتوقف العمل النووي ، وتهدد بأنواع كثيرة من الضغوط لعل من أخطرها وأشدها انعكاساً على حياة الباكستان هو العمل على عدم استقرار البلاد ، باستغلال الثغرات العرقية .

ويكاد الإنسان العاقل المنصف يقضي عجباً من موقف الولايات المتحدة في انزعاجها الذي لاحدود له من امتلاك الباكستان للأسلحة النووية ؛ ومن صمم أذنيها عن امتلاك دولة مثل إسرائيل لذلك ! لو لم يكن لأمريكا من المواقف الغربية المخزية ضد المسلمين (وهي كثيرة) إلا هذا الموقف ، وكان لها من الأفضال

والإحسان إليهم عدد النجوم (وهذا غير مُسَلَّم) لكان هذا الموقف وحده جديراً وكافياً في أن يغرس في قلب كل ذي عقل وضمير حي من المسلمين كراهية لاتزول مادامت هناك دولة اسمها الولايات المتحدة في الوجود !

إن موقف أميركا من عداء الهند لباكستان نابع ــ إذن ــ من أنها لاتجد لها ناقة ولا جمل في هذا الصراع ، ولا تستفيد منه شيئاً ، وهي من جهة لاتريد إغضاب الهند ولاتحب انتصار باكستان .. وحيث إن الباكستان لايمكن ولا تستطيع أن تذهب بعيداً في تحقيق رغبات أميركا ؛ لذلك لن تنتفع بشيء جوهري من علاقاتها معها ، وفي هذا الصدد تلتزم أميركا تجاه علاقة الباكستان بالهند بما يلي :

١ ــ لاتزود الباكستان بأسلحة لتقاتل بها الهند .
٢ ــ لاتلبي أي طلب لتزويد الباكستان بأسلحة لايمكن استعمالها إلا ضد الهند .
٣ ــ إذا طلبت باكستان سلاحاً متطوراً ، وأدى ذلك إلى قلق واحتجاج من الهند فإن أميركا يمكن أن لاتوافق على هذا الطلب خاصة إذا دفعت الهند ثمناً سياسياً مقابل ذلك .

ومن أجل فهم معادلة كون أميركا المورد الرئيسي للباكستان بالأسلحة من جهة ؛ وعدم تلبية طلباتها فيما يضر الهند فلابد أن ندرك أن أميركا تحرص أن تكون باكستان سوقاً لأسلحتها ، وأنها تعلم أنها لو لم تمد باكستان بالأسلحة بتاتاً فستتجه هذه إلى مصدر آخر للأسلحة فأمامها السوق مفتوحة والمصادر كثيرة لذلك تحرص أميركا على بيع باكستان السلاح فتكسب مالاً ونفوذاً ، ولكنها من جهة ثانية لاتتورط كثيراً فتكون صفقاتها مشروطة بعدم إغضاب الهند ، التي تحرص أميركا على كسبها أيضاً .

المعادلة الأميركية الباكستانية الأفغانية

يشكل الدور الذي لعبته وتلعبه أميركا في الصراع على أفغانستان فصلاً

لا يتسع المجال هنا لبسطه ، ولكن الذي تجدر الإشارة إليه الآن هو أن دعم الولايات المتحدة للأفغان كان دائماً دعماً مشروطاً ومبنياً على حسابات تهم أميركا وحدها .

وقد مر هذا الدور الأميركي بثلاثة مراحل :

١ ــ المرحلة الأولى التي كانت مع بداية الغزو الشيوعي لأفغانستان ، واتسم الدور الأميركي فيها بشيء من الانتظار وعدم التورط بدعم المجاهدين صراحة لأن القوى على الساحة الاقليمية لم تكن توضحت وتميزت بعد .

٢ ــ المرحلة الثانية : وكانت في أواسط مدة وجود الروس في أفغانستان وتميزت بدعم المجاهدين ببعض الأسلحة الأميركية المتقدمة كالصواريخ ، وكان ذلك عن طريق باكستان ــ وبدا في هذه المرحلة تصميم باكستان على الوقوف مع المجاهدين واستمرار دعمهم ، بل إن تصريحات ضياء الحق وأعماله أظهرت ثقة كبيرة بالنفس بالنسبة للمسلمين في شبه القارة الهندية ووسط آسيا انهم لن يكونوا بعد اليوم هدفاً للقوى الاقليمية : الهندية من جهة والسوفيياتية من جهة أخرى ، وهكذا اضطر السوفييت في مجرى هذه الفترة أن ينسحبوا من أفغانستان .

٣ ــ المرحلة الثالثة : مابعد انسحاب الروس ، وهنا طرأ تغير على مجرى الأحداث خاصة بعد مقتل ضياء الحق ، وتولي بوتو السلطة في باكستان ، وبعد الانفراج الحاضر على الساحة الدولية بين الأميركان والروس . وكان لذلك كله آثاره السلبية على أهداف المجاهدين التي تتلخص بإخراج الروس من أفغانستان وإسقاط عملائهم ، وأن تكون أفغانستان دولة محكومة من قبل فئات الشعب التي عانت من الاحتلال والتشريد والتي عملت وضحت من أجل طرد الغزاة عن أرضها .

ولكن ظهر لأميركا أنه خلال تصدي الشعب الأفغاني للاحتلال الروسي برزت على الساحة قوى وجماعات عندها استقلالية في التفكير ، وليس من السهل التأثير عليها بشكل كامل ، وتبنت هذه الجماعات خطاً متشدداً (بنظر أميركا) والخط المتشدد بنظرها هو أن تستوحي هذه الجماعات فكرها التنظيمي وأهدافها

من عقيدتها ومن تاريخها ، لذلك فإن هذه الجماعة تطمح إلى أن توجه الحكم في أفغانستان إذا وصلت إليه ــ سيكون إسلامياً ، وهذا طموح مشروع نابع من عقيدة الأمة ومن واقع الأمر ، فالصمود الذي أظهره هذه الشعب في وجه الزحف الشيوعي مستمد من تمسكه بإسلامه ، والذين أقضوا مضاجع الشيوعيين في أفغانستان هم المجاهدون المسلمون لا القوميون ، ولا غيرهم من أنصار الملك السابق ، ولكن مع هذا فإن هذا الطموح لاتراه أميركا طموحاً مشروعاً ، وهي تمد المسلمين بالسلاح كي يمنعوا الشيوعية من التمدد وتهديد مصالحها الحيوية ، لكن أن يكونوا أحراراً في بلادهم يطبقون قوانينهم وشرائعهم الخاصة بهم والنابعة من عقيدتهم فهذا لايكون ولا ينبغي .

ولذلك كانت أميركا غير راضية عن توزيع الأسلحة على المجاهدين من قبل المخابرات الباكستانية ، وكانت لاتود أبداً إعطاء أصحاب الاتجاه الإسلامي الذي تسميهم الأصوليين أي أسلحة مؤثرة ، وتلتقي الولايات المتحدة مع بنازير بوتو في عدم تفضيلهما قيام نظام أصولي في أفغانستان .

وإذا أضفنا إلى ذلك الانفراج الحالي بين الشرق والغرب ، وضغط الهند والسوفييت على المجاهدين وطموح إيران لتكون لاعباً رئيسياً من جملة اللاعبين ونقاط التلاقي بينها وبين هؤلاء على الساحة الأفغانية سندرك الصعوبة البالغة التي يمر بها الشعب الأفغاني الذي وقع ضحية الجغرافيا والقوى والمحيطة به .

خاتمة

من مجمل دراسات العلاقات الباكستانية الأميركية يتضح لنا أن اعتماد الباكستان على أميركا اعتماد اضطراري وهو من وجهة النظر الباكستانية أهون الشرور (وإن كانت هذه النتيجة قابلة للمناقشة) ، وباكستان من حيث المبدأ

تعتقد أن عمقها هو العالم الإسلامي ، ولكن لأن أنظمة العالم الإسلامي خذلتها في صراعها مع الهند ، بل نظرت إليها نظرة لاتخلو من شماتة وتشف وتفضيل للجانب الهندي ؛ لذلك لجأت إلى أميركا ، واكتشفت باكستان عملياً أن أميركا ليست بالحليف الذي يعتمد عليه من أجل رفع الظلم وتحقيق العدل ، بل اكتشفت أن السياسة الأميركية في جوهرها سياسة منافقة لاتعتمد مبادىء الصداقة ، بل لاتلتزم بالوعود المقطوعة في فترات السلم حينما توضع هذه الوعود على محك التجربة وقت الأزمات .

وهكذا استمرت الباكستان تبحث عن الحلفاء فاتجهت إلى الصين ثم حاولت مع روسيا لفترة قصيرة ، ثم للعالم الإسلامي ثانية ثم لعدم الانحياز ، وعلى الرغم من كثرة أصدقاء الباكستان بين دول العالم الثالث ؛ فإن هؤلاء الحلفاء الضعاف لايستطيعون تقديم شيء لها في صراعها المرير مع الهند !

إن وضع الباكستان على غاية من التعقيد والخطورة ، وإننا نلمح هذه الخطورة من الحالة التي تلح عليها باكستان وهي محاولة الحصول على أي عون ضد مطامع الهند ، وخاصة بعد الانسحاب السوفييتي من أفغانستان .

يرى المراقب هذا الوضع الحرج الذي يحيط بالمسلمين في تلك المنطقة المهمة من العالم ، ثم يسأل نفسه : هل المسلمون هناك على مستوى هذا التحدي ؟ وهل هم على قلب رجل واحد في فهم عقلية القوى المحيطة بهم ، وفي فهم نوايا الولايات المتحدة ؟ يشعر الإنسان بخيبة أمل لأن الجسم الإسلامي ليس منيعاً بما يكفي لمواجهة التحديات ، وأن القوى الكبرى لا تتلاعب هذا التلاعب في مصائر الشعوب ، ولا تستهتر هذا الاستهتار ، وتمعن بالمكر والتلون إذا واجهت تصميماً صادقاً ، وعزائم تعتمد على الله وحده □

الدور الإيراني في القضية الأفغانية

عبد الرحمن نموس

إن هدف إيران أن تبسط تأثيرها حيث استطاعت ، وخصوصاً بين المسلمين ، وإذا هي وجدت صعوبة في التمدد غرباً ، فإن ذلك لن يثنيها أن تصر على تنفيذ أهدافها شرقاً ، خاصة وأن جارتها أفغانستان ذات الأغلبية السنية الساحقة تعيش محنة يمكن أن تستغل .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نفهم تحسين علاقتها بالسوفييت الذين كانت تنعتهم بنعوت لاتقل عن نعوتها لأمريكا .

هذا التحسن الذي بدأ قبل موت الخميني ، وتوج بزيارة رفسنجاني لموسكو ؛ انعكست آثاره على الجهاد الأفغاني بشكل مباشر .

من هذه الآثار :

عندما تفاوض نائب وزير الخارجية السوفييتي « فورنتسوف » مع قيادات المجاهدين في إسلام آباد ، ووصلت المفاوضات إلى طريق مسدود نتيجة التعنت السوفييتي ؛ نصح رئيس دولة إيران خامنئي قيادات المجاهدين بالاستمرار في المفاوضات وعدم قطع الحوار مع موسكو .

وازداد هذا الوضوح في الموقف الإيراني عندما تم الإعلان عن حكومة المجاهدين الموقتة « الأولى » برئاسة أحمد شاه أحمد زي في فبراير « شباط » ١٩٨٨ فلم يعلن الإيرانيون مجدداً تأييدهم لهذه الحكومة فضلاً عن أن يعترفوا بها كحكومة إسلامية . وبدلاً من أن يتم الدعم والتأييد

لهذه الحكومة بدأت العراقيل توضع في طريقها من قبل الموالين لإيران ، فقد ذكر المهندس أحمد شاه أحمد زي رئيس الحكومة المؤقتة للمجاهدين في ذلك الوقت أن وزير الصحة الشيعي لم يحضر أي اجتماع من اجتماعات الحكومة بعد تشكيلها وتبين أنه سافر إلى استراليا سراً لأنه « حسب بعض المصادر المطلعة » تلقى تهديدات بالاغتيال إذا مارس أي نشاط في الحكومة المذكورة لأنهم يريدون مقاطعتها حتى يتمكنوا من فرض الشروط التي يريدونها .

أما بعد حل حكومة المجاهدين المؤقتة الأولى وانعقاد مجلس الشورى في مدينة الحجاج بإسلام آباد فقد كان للإيرانيين شأن آخر في التعامل ، فقد رفضت المنظمات الشيعية المتمركزة في إيران الاشتراك بأقل من ١٢٠ عضواً في المجلس ، أي بعدد يوازي عدد المشتركين من منظمتين جهاديتين من منظمات الاتحاد السباعي حيث تم تخصيص ستين مقعداً لكل منظمة كما طالبوا بخمس وزارات في الحكومة التي ستنبثق عن المجلس ، ولما كانت هذه النسبة عالية جداً بالنسبة إلى تعداد الشيعة في أفغانستان فقد رفض المجاهدون هذا الطرح بإصرار باعتبار أنه لايستند إلى أي أساس من الواقع ، فلا على أساس أنهم طائفة دينية مستقلة يستحقون هذه النسبة ، ولا على أساس أنهم أقلية عرقية يستحقونها ، ولا على أساس تواجدهم الجهادي على الأرض ، وأصر هؤلاء على مواقفهم حتى أنهم قاطعوا جلسات المجلس ، وبدأت تظهر بالأفق ملامح أشياء أكثر من عدم التأييد للمجاهدين ، وأكثر من مجرد إرضاء الاتحاد السوفييتي إعلامياً ، فقد نقلت وكالة أنباء البنيان أن السفير الإيراني في إسلام آباد طلب من المتحدث الرسمي باسم المجاهدين في حينه « الأستاذ سياف » حضور جلسات المجلس وعندما رفض سياف الطلب قال السفير : إذا لم تعطوا الشيعة مائة وعشرين مقعداً فلن نعترف بحكومتكم ... كما هدد بالقيام بأعمال عنف داخل أفغانستان تستهدف المجاهدين ، كما طلب السفير طلباً مشابهاً من المهندس حكمتيار مما دعى حكمتيار للرد عليه بالقول : إننا مستعدون لنقل الجهاد

إلى خارج حدود أفغانستان .

وعندما اعترفت حكومة البحرين بحكومة المجاهدين الجديدة نقل راديو طهران نبأ الاعتراف قائلاً : اعترفت البحرين بالحكومة السنية التي شكلها الائتلاف السباعي في بيشاور .

ثم ختم الإيرانيون هذه المواقف بزيارة هاشمي رفسنجاني لموسكو بعد موت الخميني ، والعمل على تطوير العلاقات بين البلدين على حساب المجاهدين ، ففي البيان المشترك الذي أذاعته إذاعة موسكو في نهاية زيارة رفسنجاني : أن وجهتي نظر موسكو وطهران متطابقتان حول القضية الأفغانية .

المصلحة فوق المبادىء :

عندما لم تتحقق مصالح الإيرانيين ومن خلفهم مصالح الائتلاف الثماني الشيعي في تحقيق المطالب التي يريدون ؛ لم يجد بعض قادة تلك المنظمات حرجاً في الاتصال بنظام كابل ومحاولة الاتفاق معه على نقاط تحقق مكاسب أفضل مما يمكن تحقيقه عن طريق التفاوض مع

المجاهدين ، فقد زار وفد من الائتلاف الثماني كابل لإجراء مفاوضات بهذا الخصوص ، وقد أكد هذه الزيارة قادة ميدانيون في الجبهات التي حول كابل منهم القائد عبد الحق قائد جبهات كابل التابعة للحزب الإسلامي جناح مولوي يونس خالص ، حيث أصدر بياناً يشجب فيه هذه الزيارة ويندد بالأعمال التي تقوم بها قيادات الشيعة وتشكل طعناً للجهاد ، كما أن المهندس حكمتيار أمير الحزب الإسلامي لم ينف هذه الأخبار عندما سألته عنها في مؤتمر صحفي عقده في بيشاور في أواخر أبريل الماضي ، إنما قال : « وصلتنا تقارير بذلك ولكن لم تصلنا معلومات عن طبيعة المفاوضات » .

وحتى لايستمر هؤلاء في خططهم في هذه المرحلة الحساسة من عمر الجهاد فقد زار وفد من المجاهدين برئاسة الأستاذ رباني أمير الجمعية الإسلامية طهران للتفاوض مع هؤلاء ، والوصول إلى نتيجة لكنه لم يفلح ولم يغلق باب المفاوضات إنما كانت هنالك جولات أخرى في بيشاور ترأس وفد الشيعة فيها كريم

خليلي ، ولكنها أيضاً لم تفلح حيث أصر الشيعة على مطالبهم بأكثر من ١٠٠ مقعد في مجلس الشورى ، أي نسبة ٢٠٪ من المجلس ، ونسبة موازية في مجلس القيادة الأعلى وفي الحكومة .

لماذا هذا الإصرار على حق مزعوم لايستند إلى أساس من الواقع !

ربما كانت مبررات هذا الإصرار هي :

١ ــ فكرة تصدير الثورة ، واستغلال ظروف أفغانستان الحالية من أجل ذلك ، بعد فشل الفكرة في الحدود الغربية .

٢ ــ الاستفادة من الثغرات الحاضرة من خلال ضعف حكومة نظام كابل ، ومن خلال عدم استقرار حكومة المجاهدين ، واستغلال ذلك الضعف من أجل إملاء الشروط ، وتقوية الجناح الشيعي في أفغانستان .

٣ ــ التركيز على زيادة نسبة الشيعة في ظل غياب الإحصائيات الرسمية كعامل دعم لتحقيق البندين السابقين ، وقد نقل الكاتب أمير طاهري في جريدة الشرق الأوسط : أن إيران منحت ١ر٢ مليون أفغاني الجنسية الإيرانية وتريد لهم البقاء على ثنائية القومية ، وتصر على أن الشيعة يزيدون على ربع سكان أفغانستان ، وإذا تحقق هذا فسيكون من حقهم التمسك بربع المناصب الحكومية والوزارات .

٤ ــ العمل على عدم قيام أي حكومة إسلامية مستقلة في أفغانستان خارج إطار الاحتضان الشيعي ولو أدى ذلك إلى التعاون مع أي جهة كانت ، وهذا واضح من التفاوض مع نظام كابل وإمكانية قبول بعض المناصب الحكومية عنده ، بدلاً من الوقوف مع حكومة المجاهدين ودعمها .

فقد نشرت أخبار قوية في بيشاور مفادها أن الائتلاف الثماني الشيعي وبعض المنظمات الصغيرة المنشقة عن منظمات المجاهدين الأصلية شكلوا نواة لحكومة إسلامية أفغانية في طهران والمنظمات الصغيرة هي : حركت انقلاب إسلامي / جناح رفيع الله مؤذن ، حركت انقلاب إسلامي / جناح نصر الله منصور ، مجموعة محمد أمين وقاد ، حزب شوراي اتفاق ، إضافة إلى الائتلاف

الثماني الشيعي .

ولما سئل الأستاذ رباني القادم من إيران بعد العيد الأضحى قال : إن ماتم تشكيله ليس حكومة أخرى لكنه لجنة مشرفة على أمور الجهاد ، ولم يعط رباني تفصيلات أكثر .

وأياً كانت هذه اللجنة فإن عملها يعتبر تكتلاً انشقاقياً عن صف الجهاد العام في وقت هو بحاجة إلى الوحدة وتماسك الصف والتضامن وقد توج الشيعة محاولاتهم الرامية إلى تحقيق مكاسبهم الخاصة بتركيز قواتهم المسلحة « حسب تقارير عسكرية من الداخل » حول كابل ليكون لهم شرف مشاركة فعالة تتناسب وطموحاتهم عند سقوط العاصمة .

وأمام هذه المحاولات الموغلة في النزعة الأنانية يتحتم على المجاهدين أن يتخذوا مواقف أكثر صلابة وأكثر ثباتاً تجاه أي أقلية تحاول استغلال الظروف والثغرات لتحقيق أهداف ومكاسب ليست من حقها أو تحاول اللعب على أكثر من حبل وفق أسس مصلحية لا مبدئية .

كما يترتب على المجاهدين مد الأيدي وبناء العلاقات الأفضل مع بقية الأحزاب الجهادية من أهل السنة والتي تنتظم خارج الائتلاف السباعي ، فمثل هؤلاء كان ومازال لهم دور مشرف في الجهاد وكانوا وما يزالون أحزاباً جهادية إسلامية من أهل السنة والجماعة ، وكل مافي الأمر أنهم لم ينصهروا تحت الاتحاد السباعي لأمور سياسية .

والخلاصة أن المطلوب من المجاهدين الفعليين رص الصفوف ، وإزالة الخلافات الجانبية ، والتنبه إلى مايحاك لهم في الخفاء ، ولاعذر لهم بادعاء الجهل بذلك ، لأن القاصي والداني والعالم والجاهل أصبح على علم بأن الروس الذين عجزوا عن تنفيذ مآربهم بالقوة العسكرية المباشرة لن يتخلوا عن استغلال نقاط ضعف محيطة بالمجاهدين إن لم تكن قادرة على هزيمتهم ؛ فهي لاشك ستجعل تحقيقهم لأهدافهم المشروعة صعباً ، ولن يفشل هذه الخطة ويهزمها سوى الوعي والتعالي على الخلافات والعصبيات وإخلاص النية لله الذي يُعادَون من أجل التمسك بدينه لا لشيء آخر □

رحم الله الشيخ عبد الله عزام

في يوم الجمعة ٢٦ ربيع الثاني / ١٤١٠ هـ الموافق ١٤ / ١١ / ١٩٨٩ امتدت يد الإجرام في مدينة بشاور إلى الداعية المجاهد الشيخ عبد الله عزام فقتل مع ولديه رحمهم الله ، وقد كان في طريقه لصلاة الجمعة عندما فجروا سيارته على الطريقة (اللبنانية) ، وعلى الطريقة نفسها سيبدأ التحقيق وربما لاينتهي إلى نتيجة .

وإذا كانت الأنباء لم تذكر حتى الآن مَنْ وراء هذا الحادث اللئيم ، فإننا نستطيع القول : إن الجهات التي نفذت هذا الحادث هي التي لاتريد المجاهدين العرب في بشاور الذين جاءوا لمساعدة إخوانهم الأفغان احتساباً لله تعالى ، وأرادت هذه الجهات أن تضرب أحد رموز هذه المشاركة كرسالة موجهة إلى البقية ، ولكن هيهات .. فإن وقوف الشباب العربي المسلم مع الإخوة الأفغان هو رمز لمسيرة طويلة من الجهاد في أفغانستان وفلسطين ، وأرتيريا ، وغيرها من أنحاء العالم الإسلامي ، وإن الدماء الفلسطينية التي سالت على ربى أفغانستان لها دلالة خاصة على هذا التواصل .

هناك جهات كثيرة لاتريد هذا التواصل ، ولا تريد أن يمتد هذا الجهاد إلى مناطق أخرى يحتلها أعداء الإسلام ، والغرب والشرق لايريدون شيئاً اسمه (الجهاد) وكان للشيخ عبد الله وللإخوة العرب الذين شاركوا في الجهاد الأفغاني كان لهم دور في إذكاء هذه الروح بين الشباب المسلم ، ولهذا السبب قتلوه ، رحمه الله وأجزل مثوبته ، وعظم الله أجر أهله وإخوانه □

مسلمو الهند والتعصب الهندوسي

لايزال المسلمون في الهند يتعرضون بين الحين والآخر لموجات من التعصب الديني الهندوسي ، وتقع المذابح الوحشية التي تدل على الحقد الدفين الذي تكنه صدور هؤلاء على المسلمين ، وقد وردت الأنباء أخيراً بوقوع مثل هذه المذابح التي راح ضحيتها المئات من المسلمين ، وذلك عندما قام الهندوس بتحدي مشاعر المسلمين في محاولة منهم لهدم المسجد البابري (نسبة إلى الملك بابر المغولي الذي بناه عام ١٥٢٨ م) وإقامة معبد لهم فوق أرض المسجد ، ورغم أن هذا المسجد لاتقام فيه الصلاة إرضاء لمشاعر الهندوس منذ عام ١٩٤٨ عند انفصال باكستان عن الهند .

جاءت هذه الأحداث قبل الانتخابات العامة ، ومع أن المسلمين يدلون بأصواتهم (مع الأسف) لصالح حزب المؤتمر (حزب راجيف غاندي) إلا أن راجيف وقف صامتاً إزاء هذه الأحداث طمعاً في أصوات الهندوس .

ونحن نقول للمسلمين في الهند : لاينفعكم حزب المؤتمر ولا أحزاب المعارضة التي حققت تقدماً في الانتخابات الحالية ولا التعاطف والاحتجاجات الإسلامية ـــ رغم أنه لابد منها ـــ لاينفعكم إلا أن تقفوا موقفاً موحداً ، وأن يرد الاعتداء بمثله ، وتدافعوا عن أنفسكم وأعراضكم وأموالكم ، فالبكاء والصراخ والشكوى لاتأتي بطائل ، ولكم في الشباب الفلسطيني المسلم ، وأطفال الحجارة لعبرة ، لماذا تساعدون الأحزاب الهندوسية ؟ لماذا لايكون لكم شخصيتكم المستقلة أم هو الإحساس بالضعف بسبب التفرق ، وبسبب الآراء الضعيفة من الذين يحبون (سلام) غاندي ! □

تركيا ... محاكمات تنتظر كنعان إيفرين

انتهت الفترة الرئاسية للرئيس التركي كنعان إيفرين في ٩ / ١١ / ١٩٨٩ م ولكن هل سيترك إيفرين ليخلد للراحة باقي عمره في جو هادىء ، بعيداً عن التعب والإرهاق والانشغال بالظهور أمام الشعب وإلقاء الخطب ؟ والجواب : قد لايكون ذلك ، فهناك جهات عديدة تعتزم رفع دعاوى ضده ، وقد بدأت بعض تلك الجهات فعلاً بالتحرك لتقديمه للمحاكمة . ويقول عزيز نسين ــ وهو أحد الذين ينوون ذلك ــ : سأرفع ضده دعوى جزائية لأنه هو المسؤول عن قيام الانقلاب العسكري ، ويجب على الآخرين فعل الشيء نفسه ، حتى لايفكر عسكري مثله بالقيام بانقلاب آخر في المستقبل .

وصرح أحد أعضاء حزب الشعب واسمه عزيز جواد قائلاً : سأرفع دعوى عليه لاستخدامه سلطاته في التأثير على قرارات رؤساء المحاكم . وقال أحد المتهمين في جمعية السلام ، وهو كمال أناضول : إن كنعان كان يوجه التهم المختلفة ضد أشخاص أبرياء ، وكان تصرفه هذا بعيداً عن الإنصاف ، وكان قد تعدى صلاحياته المعطاة له لشعوره بالقوة ، وقال : لن أنسى له ذلك ، كما طالبت إحدى الصحفيات بالوقوف ملياً عند أحاديثه وتصريحاته التي كان يُدلي بها أمام الشعب لما كانت تشتمل عليه من إساءة للدين وتطاول على أحكام الشريعة ، لاسيما حجاب المرأة المسلمة ، ومنعه المرأة من ارتدائه مما سبب ترك أعداد كبيرة من الطالبات للدراسة . هذا كله بالإضافة إلى تذمره وضيقه ذرعاً بمدارس الأئمة والخطباء .

لقد فعل إيفرين كل ذلك تجاه الإسلام والمسلمين إلا أنه لم يتعرض يوماً لأديان الأقليات الأخرى .

إن الشعب التركي المسلم لن ينسى لإيفرين هذه المواقف وسوف يطالب دوماً بمحاسبته □

جريدة الوحدة الإسلامية ٣٠ / ١٠ / ١٩٨٩ م

قتل العلماء إخضاع للأمة

قد لايعلم كثير من الناس أن الدولة العبيدية ، والتي يسمونها (الفاطمية) كان من شرورها أن قتلت كثيراً من علماء السنة في المغرب العربي وغيره ، واستمر هذا الشر في أحفادهم الإسماعيلية الذين مارسوا الاغتيالات لعلماء السنة .

وهذه أسماء بعض العلماء الذين قُتلوا ذكرتهم كتب التراجم مثل سير أعلام النبلاء للذهبي :

في سنة ٣٦١ ، وبعد أن استقر معد بن إسماعيل العبيدي الملقب (بالمعز) في القاهرة ، أحضر بين يديه العالم أبو بكر النابلسي وجرى هذا الحوار بينهما :

المعز : أنت الذي يقول : لو معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة والمصريين (العبيديين) بواحد .

ــ لا ، بل لرميتكم بتسعة ورميت الروم بواحد .

ــ ولِم ؟

ــ لأنكم أطفأتم نور الإلهية .

فأمر المعز العبيدي بضربه بالسياط ، ثم سلخ جلده ، سلخه يهودي ، ثم قُتل ، رحمه الله ، ولعنة الله على الظالمين .

محمد بن الحُبْلي

قاضي مدينة برقة ، أتاه أمير برقة (العبيدي الفاطمي) فقال : غداً العيد ، قال القاضي : حتى نرى الهلال ، ولا أُفَطِّر الناس وأتقلد إثمهم ، فأصبح الأمير بالطبول والبنود أهبة للعيد قال القاضي : لا أخرج ولا أصلي ، فطلبه المنصور العبيدي (حفيد عبيد الله المهدي) فقال له : تنصل وأعفو عنك فامتنع ، فأمر به فعلق في الشمس إلى أن مات ، وكان يستغيث من العطش فلم يسق ثم صلبوه على خشبة (١) .

ابن البَرْدون

الإمام الشهيد تلميذ ابن الحداد ، قتله أبو عبد الله الشيعي ، وقال له لما جُرّد للقتل : أترجع عن مذهبك ؟ فقال الإمام : أعن الإسلام أرجع ، ثم صلب وقد كان بارعاً في العلم (٢) .

ابن خيرون

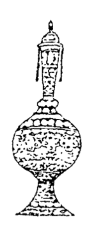
الإمام أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري ، أمر عبيد الله المهدي (مؤسس الدولة العبيدية التي تسمى بالفاطمية) أمر بأن يداس هذا العالم حتى الموت ، فقفز عليه الجنود السودان حتى مات ، وذلك بسبب جهاده وبغضه لعبيد الله وجنده (٣) .

---

١ ــ سير أعلام النبلاء ١٥ / ٣٧٤ .
٢ ــ المصدر نفسه ١٤ / ٢١٦ .
٣ ــ المصدر نفسه ١٤ / ٢١٧ .

ابن قائــد

أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي بن قايد الأواني ، زاهد ، خاشع ، ذو تأله وأوراد ، قدم (أوانا) [1] واعظ باطني ، فنال من الصحابة فحمل ابن قائد في محفة وصاح به : ياكلب ، انزل ، ورجمته العامة ، فهرب وحُدّث (سنان) كبير الإسماعيلية في الشام بما تم لهذا الباطني فندب اثنين من رجاله فأتيا ابن قائد ، وتعبدا معه أشهراً ، ثم قتلاه ، وهربا في البساتين فَنكِرَهما فلاح يعمل بمزرعته فقتلهما جزاه الله خيراً [2] .



---

١ ــ قرية شمالي بغداد



فضائح الشيوعيين

مامن يوم يمر إلا وتبرز الصحف على صفحاتها الأولى أنباء الإصلاحات الجذرية التي تمر بها أوربا الشرقية وماترتب على ذلك من منح لبعض الحريات في بعض مرافق الحياة ، ومن بين ماتمخضت عنه هذه الإصلاحات تخفيف القيود التي كانت مفروضة على الصحف ووسائل الإعلام الأخرى ، وسنورد فيما يلي مقتطفات من مقالات نشرت في صحف أوربية شرقية ووكالات أنباء كانت قد تناقلتها صحف عالمية وتكشف هذه المقالات عن حياة الرفاه والبذخ التي كان يعيشها أعضاء الأحزاب الشيوعية الحاكمة في وقت كان يصعب فيه على المواطن العادي تأمين قوت يومه إلا بصعوبة بالغة .

ففي ألمانيا الشرقية كتبت صحيفة « ألمانيا الجديدة » مقالاً افتتاحياً في الأسبوع الأول لتسلم إدارة تحريرها الجديدة تساءلت فيه :

« ... من هم أولئك الذين يحرص رئيس نقابات العمال على تحقيق مصالحهم ؟ » ثم ذهبت الصحيفة تتحدث عن نمط الحياة التي كان يعيشها هذا المسؤول السابق فتقول : « ... لقد كان للمسؤول حقل منعزل للصيد يقع على سواحل بحر البلطيق توفرت له كل مستلزمات الرفاهية والترف ، ويشتمل الحقل على غابة يقوم ستة عمال على العناية بها لتبقى جاهزة طوال السنة ، وقد كان هذا الحقل الذي تبلغ مساحته (٢٠٠٠) هكتار مخصصاً حسب القانون للاستخدام الشخصي للمسؤول ، أما مسكنه الفخم الواقع في ضواحي مدينة برلين الشرقية فقد فرشت جميع غرفه بقطع أثاث فاخرة صنعت يدوياً من خشب البلوط ، وقد وضع في كل غرفة من غرفه جهاز تلفزيون إلى جانب حمام

ومغطس وحمام بخاري » .

ويعلق المسؤول ذاته على ممتلكاته فينفي عنها صفة البذخ ويقول : إن ماأملكه لايزيد على ماخصص لي كمسؤول في هذا المنصب ، ثم يقول : إن من أهم الأولويات بالنسبة لي هي مصالح العمال !

وذكرت الصحيفة أن هناك قصوراً فخمة أخرى لهذا المسؤول وكذلك لوزير الاقتصاد السابق في أماكن متفرقة من البلاد ، وذكرت اللجنة البرلمانية التي تقوم بالتحقيق بتهم الفساد أن الملايين من الماركات قد سرقت من خزانة الدولة وأنفقت على شراء منازل فخمة لأقرباء كبار أعضاء الحزب بأثمان تنقص كثيراً عن قيمتها الحقيقية ، كما كشفت اللجنة أن منازل باهظة التكاليف قد شيدت لأبناء رئيس وزراء سابق وأقرباء لأعضاء سابقين في المكتب السياسي للحزب .

كما علم أن (اريك هونيكر) رئيس الوزراء المعزول كان يملك هو الآخر ــ مع أعضاء في الحزب الشيوعي ــ حقولاً للصيد تبلغ مساحتها (٦٧٤٥) ميل مربع لاتستخدم إلا مرة أو مرتين في العام ، وأن مابين (٥ ــ ٧) ملايين مارك ألماني كانت تسحب من خزانة الدولة للصيانة والعناية بهذ الحقول .

وقد ذكرت وكالة الأنباء أيضاً أن أكداساً كبيرة من الأسلحة والذخيرة قد اكتشفت في منطقة الحدود ، وأن سماسرة سلاح كانوا يسوِّقونها إلى دول الشرق الأوسط وأفريقيا وأمريكا اللاتينية باستخدام اسم إحدى شركات التصدير الألمانية كغطاء لعملياتهم .

الفاتيكان والكرملين

بعد قطيعة دامت أكثر من سعين عاماً بدأت المياه تعود إلى مجاريها الطبيعة [illegible] علاقات دبلوماسية كاملة بينهما

[illegible] ١٤١٠ هـ ــ كانون الثاني (يناير) / ١٩٩٠ م

وذلك إثر الزيارة التي قام بها ميخائيل غورباتشوف للفاتيكان في ١ / ١٢ / ١٩٨٩ وبعد ساعات من انتهاء الزيارة أعلن في موسكو عن إزالة عقبة مهمة كانت تقف عائقاً أمام إعادة العلاقات وهي السماح للكنيسة الكاثوليكية الأوكرانية بإعادة مزاولة نشاطها بشكل قانوني بعد أن كانت قد منعت من ذلك بُعيد الحرب العالمية الثانية في فترة حكم ستالين وضمت ممتلكاتها إلى الكنيسة الأرثودوكسية .

وقد اتسمت أجواء الزيارة بالدفء والبعد عن الرسميات ، وأعرب الجانب السوفييتي عن ثقته بالدور الذي يمكن أن تؤديه الكاثوليكية في انجاح البروسترويكا ، وأجرى الطرفان محادثات خاصة اقتصرت على شخصيهما دون الحاجة إلى مترجم ، وفي نهاية الزيارة وجه غورباتشوف دعوة للبابا لزيارة الاتحاد السوفييتي إلا أن البابا علق قبوله للدعوة بمدى الإصلاحات التي وعد القادة الروس بإجرائها وفي ذلك إشارة منه إلى إعادة الصفة القانونية للكنيسة الأوكرانية ، كما أكد البابا على ضرورة فسح المجال له لزيارة أوكرانيا فيما لو تمت الزيارة . كما أعلن الفاتيكان عن دعمه لسياسة إعادة البناء (البروسترويكا) التي ينتهجها غورباتشوف .

التايمز ١ ، ٢ / ١٢ / ١٩٨٩ م .

تصاعد نسبة الانتحار في الجيش الإسرائيلي

مع دخول الانتفاضة الفلسطينية عامها الثالث ، تشير الإحصائيات الإسرائيلية إلى ارتفاع ملموس في حالات الانتحار بين الجنود الإسرائيليين ، مما يثير قلق إسرائيل من انهيار معنويات جنودها .

فقد أقدم في هذه السنة ـــ ١٩٨٩ م ـــ مايقرب من خمسين جندياً على الانتحار ، وهو ضعف عدد الذين انتحروا في السنة الماضية ، وتنفي مصادر الجيش بقوة أن تكون هناك أية صلة بين ظاهرة الانتحار هذه وبين استمرار الانتفاضة ، ووصف رئيس أركان الجيش عمليات الانتحار بأنها واقع أليم ووعد

بأن تدرس هذه الظاهرة على أعلى المستويات ، وأكد أن معدلات الانتحار في السنوات الماضية كانت أعلى مما هي عليه الآن إلا أنه لم يعط أية تفاصيل . وخلافاً لما صرح به رئيس الأركان فإن الإحصاءات تؤكد على أن معدل الانتحار بين أفراد القوات المسلحة في ازدياد مستمر .

وتشير الأرقام الواردة من إسرائيل إلى تزايد في أعداد الجنود الإسرائيليين الذين يرفضون الذهاب إلى قطاع غزة والضفة الغربية حيث مسرح الانتفاضة ، فقد سجن مايقرب من مائة جندي لرفضهم أوامر الذهاب إلى هناك . ويقول الناطق الرسمي لمنظمة « لكل شيء حد » أن الأعداد الحقيقية للجنود الرافضين أكبر من ذلك بكثير وذلك بسبب اتفاق البعض مع قادتهم من أجل أداء الخدمة داخل إسرائيل .

نيوزويك ٤ / ١٢ / ١٩٨٩ ، التايمز ٥ / ١٢ / ١٩٨٩ م

نقشبنديون !

قام البوليس في منطقة (لفكا) في قبرص التركية بمداهمة مكان لإقامة مريدين نقشبنديين وتم القبض على خمسة منهم عندما كانوا في ضيافة أحد شيوخ الطريقة . والخمسة المقبوض عليهم هم ، قبرصي تركي واسترالي وثلاثة من الألمان وجرم هؤلاء كان حيازة وتعاطي المخدرات .

وحسب تصريح مديرية البوليس فقد عثر في منزل شيخ الطريقة المخصص للضيوف على المخدرات التي كانت على شكل قوالب وسجائر .. وقد استمرت عملية المداهمة يومين واشترك فيها ثلاثون شرطياً ، وتم استجواب ستين شخصاً من المريدين وقد كانوا من جنسيات مختلفة .

جريدة قبرص التركية ٢١ / ٨ / ١٩٨٩ م

اميركا: الصيف الأسود

د . عبد الله أحمد عمر

قد لايتصور الإنسان مدى معاناة الأمريكان السود حتى تطأ قدماه الأرض الجديدة ، هذه المخلوقات البشرية التي كرمت لإنسانيتها ، تزهق معنوياً ومادياً وأخلاقياً وصحياً في مايعرف اليوم بالعالم الحر .. والمتقدم .

ولعل فترة الستينات من هذا القرن قد شهدت تحولاً كبيراً في أوضاع السود . فلأول مرة يعترف بهم كآدميين ويسمح لهم بممارسة حقوقهم المدنية التي تثير دهشة كثير منا من الذين يحملون خلفية راقية لمفهوم الإنسان كما حدده المنهج القرآني ..

وأخيراً سمح للأمريكي الأسود الذي استوطن الأرض الأمريكية لقرون بأن يركب نفس الحافلة ، ويأكل في ذات المطعم ، ويرسل أولاده إلى تلك المدرسة التي ظلت مغلقة في وجهه مشرعة لذوي الدماء الزرقاء « السادة البيض » وظل الرجل الأبيض البروتستانتي غالباً هو المسيطر على السلطة حتى اليوم مع إعطاء حق الضجيج والاعتراض أو مايسمى بحرية الرأي للأقليات المستوطنة مع مشاركة لها في السلطة حسب اتجاه رياح المصلحة .

ويمكن القول أن الأقلية الوحيدة

المستفيدة من هيكل السلطة الأمريكية هي الجالية اليهودية .. لحسن تنظيمها وتوزيع الأدوار فيما بينها بين أقصى اليمين إلى أكثر فئات اليسار تطرفاً .. وبين القوى المتدينة بالمفهوم المسيحي / اليهودي ، أي بمفهوم العهد القديم ، إلى أكثر الأصوات ارتفاعاً في صف العلمانيين : الليبراليين .. ولعل سائلاً يتساءل : أين الأقلية الكبرى عن هذه الحمى .. أعني أين السود عن التأثير في مجرى الأحداث .. مع كونهم أكبر الأقليات وأقدمها على الصعيد الأمريكي .. والجواب يأتي من خلال الأحداث المتلاحقة التي شهدتها أمريكا هذا الصيف ، وبالذات نيويورك قلب أمريكا المتناقض فهي التي تحاول الإجابة عن هذا السؤال المحير .. ؟ ولتحدد قطعاً مدى « الحرية » « والمساواة » « والإنسانية » التي يرفع الغرب شعارها .

صدر التقرير الفدرالي لهذا العام ليقول : إن الأمريكي الأسود قد تقهقهر دخله مقارنة بأوائل السبعينات .. ففي

[illegible]

الفقر وأمراضه الفتاكة في مجتمع لايقيم للإنسان قيمة إلا بقدر « القوة » التي كانت بصورة طلقات رصاص في عهد الأجداد من رعاة البقر .. والتي أصبحت « الدولار » في عالم القرن العشرين .

إن فهم عقلية الأمريكي مهم جداً . فمهما كانت شعارات الحرية ، والازدهار الحضاري براقة فإنها تحمل لغة واحدة للتفاهم .. « القوة » لقد أزاح الأمريكي الأول خصومه من الهنود الحمر بها .. وثبت أركانه كأقوى قوة دولية من خلالها .. هذا على صعيد الأمة ، أما الأفراد فإن القوة بشتى أشكالها كقوة التنظيم والضغط ، وقوة التحالفات ، وقوة المال بشكل خاص هي التي تصوغ مركز أي فرد علواً ونزولاً .. دع عنك كل تلك الشعارات الجميلة المهذبة .. فبقدر قوتك كفرد بقدر حاجة المجتمع من حولك لك ، بقدر الكسب الذي تحققهُ في الحياة العامة مهما كنت عنصرياً ، شريراً ، حاقداً أو مدمراً .. إن اللغة هنا ليست لغة التهذيب ، والتضحية والأخلاق . هي ذات المفاهيم المتوحدة التي ـــــــــــــذ صوراً

متعددة غاية في السذاجة كقوة العضلات أو غاية التعقيد كقوة الضغط بشتى وسائله كما تتقنه بعض الشخصيات والأقليات التي فهمت بعمق العقلية الأمريكية العاشقة لهذا الاصطلاح .

وهكذا فإن السود قد عاشوا مرحلة « تآكل » بطيئة فغدوا خلالها سلاحاً مهماً من أسلحة المقارعة لخصوم أخذوا في التضخم والنمو .. من الناحية المتفق عليها .. مادياً .
ولم يكن هذا التقرير سوى اعتراف رسمي بمدى الظلم المحيق الذي يعيشه الإنسان القلق في هذه القارة مالم يدرك خفايا اللعبة ، لقد دفع الفقر هذه الأقلية إلى الجريمة بشكل بدا منظماً ومبرمجاً حتى اقترنت الجريمة بصورة الرجل الأسود وأخذ زعماء الجريمة البيض يتلاشون تدريجياً من ذهن الأمريكي ليحل محلها مفتول العضلات ، غلاظ الشفاة ، قساة القلوب من السود .

ولما عصفت مشكلة المخدرات بالمجتمع الأمريكي مؤخراً لتصبح الهم الأول لأمة ممزقة بمشاكلها الداخلية .. كان السود الأرض الخصبة لتسويق وترويج واستهلاك المخدرات هرباً من عالم قاس موحش لايجدون فيه نافذة للأمل .. بينما وجد البعض فيه طريقاً لفرض مفهوم القوة من خلال الكسب الاقتصادي الضخم والسهل الذي تدره تجارة السموم .

ومن خلال التراكمات المتلاحقة أصبح لون البشرة مرتبطاً بسلوك مشين ، فكلما ازداد سواد البشرة قفز إلى الذهن بصورة تلقائية الجريمة ، والمخدرات ، والفقر ، والضياع .. من خلال تعميق الصورة عبر أجهزة الإعلام الموجهة ، وشهد الصيف المعركة الحتمية لـذلك الصراع المتواصل وتلك الصورة المغروسة .. فالأمريكي الأبيض أصبح لايريد أن يرى مجرد رؤية ذلك المخلوق المتوحش .. المجرم .. القذر .. وليس هناك أوضح من ذلك المثال الذي شهدته شوارع نيويورك في نهاية ليلة صيفية هادئة كان خلالها يوسف يبحث عن عنوان في حي غالب سكانه من البيض الذين رأوا في تواجده كارثة مزلزلة .

إنها خلايا « الميلانين » التي تلون ذلك الآخر ، وتصبغ صورته بتلك المشاهد المفزعة التي يراها « السيد » الأبيض من خلال وسائل الإعلام

يومياً .

وشرع السيد الأبيض في استخدام سلاحه القانوني وزاده الظافر « القوة » في صورتها الساذجة عضلياً .. مما أودى بحياة الفتى الأسمر على أيدي أربعة من السادة المهذبين ، المتحضرين ، المتواضعين جداً .. واجتاحت الحي الأبيض مظاهرات السود تندد بالظلم .. ولكن قطعان السادة اعترضتها لتردد تلك المقولة السمجة « نحن لسنا عنصريين .. ولكننا لانحب السود .. فقط » .

ولم يكن ذلك الصراع يأخذ جانباً واحداً ، فقد أطلقت صناعة السينما خلال الصيف الماضي شريطاً يختلف عن أشرطة الغثاء والعبث الشيطانية ، ذلك أن الشريط كتبه أحد السود وقام ببطولته وإخراجه وهو شاب في العشرينات من عمره ، لقد رأى أن يستخدم صورة من صور القوة المؤثرة .. « الإعلام » فأطلق شريطه المنعوت « بأفعل الشيء الصحيح « Do the right thing وخلاصته أن شاباً أسود يقتل على يد أبيض يملك مطعماً في حي غالب سكانه من السود .. الذين لايحتملهم السيد الأبيض مما يعبر عنه من خلال تلك الجريمة .. الدامغة .. ولكن الشرطة التي يسيطر عليها السيد الأبيض تدافع عن المعتدي وتحميه من هؤلاء الرعاع .. فيثور الدم النافر في سكان الحي الذي يرون الظلم بأبشع أشكاله ينال من أعراضهم .. فيفعلون الأمر الصحيح في رأي الكاتب وهو أن يثوروا على السلطة الغاشمة وأن يستخدموا العنف والقوة التي لايعرف « السيد » سواها عنصراً للتفاهم .

لقد أثار الشريط موجة نقاش حادة خصوصاً أن نفس المفهوم الخاص بالقوة واستخدامها قد رفعه قبل ربع قرن المغدور به مالكوم أكس .. أو زعيم المسلمين السود الذي كان يمثل خطراً على أساسات الصراع الذي يسيطر عليه السيد الأبيض فسقط مضرجاً بدمائه .. بعد أن عرف أصول اللعبة .

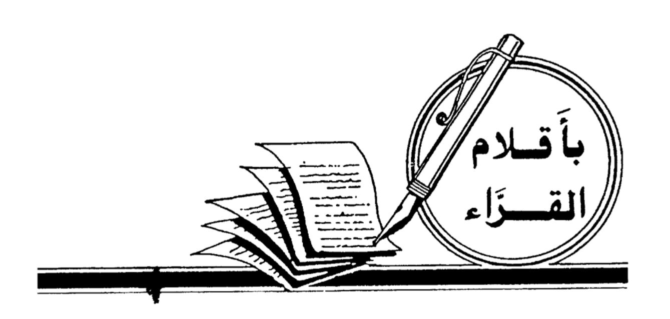
ويبدو أن تسلسل الأحداث قد دفع السود إلى إعادة التساؤل : « لماذا نحن ؟! ومن نكون ؟! وماهي هويتنا ؟! وماالعمل ؟! » وإن كانت تلك الأسئلة بديهية وأساسية فإنها تشهد عرضاً ملحاً وشهية مفتوحة

للإجابة عليها .. لهؤلاء الذين جردوا من إسلامهم حينما جلبتهم سفن السيد المتحضر الذي عرف أن الرقيق المستعبد خطر عليه إذا حمل عقيدة .. مهددة لأصل حضارته .. فعمل بجد على تجريدهم من أهم أسلحة المواجهة .. وجعلهم نظرياً يحملون ذات الملة كأتباع في المعتقد كما هم أتباع في الرق .

ويظهر أن الإجابة واضحة وسهلة كما هي عميقة ومتشابكة بفعل ضعف الطرح الإسلامي القوي الذي يعيد لهذه الفئة كرامتها وعزها وجذورها .. لكن جزءاً من المخطط الذي يتكشف لأمريكا السوداء يحتاج إلى جهد عميق وعمل مثابر ..

وإن كانت الأحداث قد كشفت كثيراً من الأقنعة فإن الأسئلة الملحة تحتاج لأكثر من كشف أقنعة وفضح مخططات .. إنها تحتاج إلى توجه مباشر نحو الأسئلة الحادة التي يطرحها الإنسان المعذب عن هويته وأصله ومستقبله .

إن هذا المأزق الذي تعيشه الأقلية السوداء في أمريكا لشاهد عيان على الظلم الصارخ لهذه الحضارة المعاصرة وإدانة واضحة للمبادىء الجوفاء التي تتغنى بها أمريكا اليوم ، فهؤلاء القوم يحرمون من ممارسة حقوقهم المشروعة في ظل الهيمنة ، المبطنة للرجل الأبيض والتي تبدو شرعية في ظل قوانين المساواة التي تسطر على الورق .. أي أن عملية القهر تتم ضمن إطار الشرعية وحتى لو ارتفعت أصوات هؤلاء بالمساواة والمشاركة السياسية والاجتماعية لضمان حقوقهم فإنها لايمكن أن تسفر عن واقع ملموس لأن الديمقراطية المزعومة تسمح للضحية برفع صوت الاستنكار والاحتجاج والمعارضة .. أما أن تتحول هذه الاعتراضات إلى قوة مضادة لدفع الهوان فهذا مالايمكن أن يحدث حتى ولو لاكت الألسن شعارات الحرية والمساواة والانسانية التي تجيد استخدامها القوى المؤثرة في صنع القرار الأمريكي ، لأنها شعارات وهتافات ليس إلا .. □



كتب الأخ ياسر عبد العزيز طاكشندي هذه الكلمة بعنوان :

ياإمامنا صل فإنك لم تصل

إن مسئولية الإمام بالمسجد مسئولية من المسئوليات الجسيمة التي لايعيها كثير من الأئمة والعلماء في عصرنا هذا ، بل ولا يعيرها في أيامنا هذه الكثير ممن يقومون بالإمامة أي اهتمام .

فإذا أردنا أن نلقي الضوء على أحد هذه الجوانب فأول مايلفت انتباهنا هو الحديث الذي رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه . قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ دخل رجل صلى فقام فسلم على النبي ﷺ ، فقال : إرجع فصل ، فإنك لم تصل ، فعلها ثلاثاً ، ثم قال : والذي بعثك بالحق نبياً لأحسن غير هذا فعلمني . فقال له النبي ﷺ : إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها .

وإذا مانظرنا إلى موقف النبي الكريم ﷺ في الحديث الذي ورد آنفاً فإنه رغم أن النبي كان جالساً مع أصحابه يحدثهم إلا أنه لم تفت عليه أن يراعي شئون المصلين في المسجد والنظر في صحة صلاتهم ، بل ولم يكتف بذلك مرة بل فعلها ثلاث مرات وهو يراقب هذا الرجل .

والمتمعن في سيرة الرسول ﷺ وصحبه الكرام يجد أن القيام بمهام الإمامة ليس عبارة عن طقوس وحركات يؤديها الإمام ويكررها المأمومون خلفه ، بل يتعين عليه أن يراعي من هم حوله فهذا من ضمن مسئولياته وكما قال الرسول ﷺ : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته . وهذه المسئولية تتفاوت بحسب القدرة .

فيجب على الإمام مراعاة شئون من حوله جميعاً سواء كانت مما يتعلق بأمور الدين ، أو الدنيا ، ذلك لأن الإسلام لم يفرق بين أمور الدين والدنيا لأنه نظام حياة كاملة وشاملة لأعمال الإنسان المسلم في جميع أحواله وأطواره ، لكن الذي فرق أمور الناس بين دين ودنيا هم العلمانيون وجميع أعداء الإسلام ، حتى صرنا مقتنعين بما أملاه الغرب ــ وأذياله من العلمانيين ــ علينا من التفرقة بين الدين والدنيا .

•

فهل لأئمتنا ولنا أن نعي الدور المنوط بنا تجاه ربنا ثم تجاه مجتمعنا الذي نعيش فيه ؟□

ومن الأخ أحمد منصور المنصور من الرياض جاءتنا هذه المساهمة :

الكلام والعمل

لاتعجز اليوم أن تجد في الأمة متكلمين كثيرين يحسنون تنميق الكلام ويتشدقون به ، ولكنك ستجد مشقة وعناء في الحصول على من يعمل بعلمه ، فهؤلاء وجودهم عزيز وهم في الأمة قليل ، وعلمهم حجة لهم لا عليهم ، وسواهم ممن لايعمل بعلمه علمهم حجة عليهم يوم القيامة .

ولقد كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم لايتجاوزون العشر آيات من القرآن حتى يعرفوا معانيهن ويعملوا بهن ، وعلى هذا فالاقتصاد في الوعظ من هدي النبي ﷺ ، فعن أبي وائل شقيق ابن سلمة قال كان ابن مسعود رضي الله عنه يذكرنا في كل خميس ، فقال له رجل : ياأبا عبد الرحمن ، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم ، فقال : أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم ، وإني أتخولكم بالموعظة كما كان رسول الله ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا . متفق عليه .

وعن أبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة ، وأقصروا الخطبة » رواه مسلم .

فانظر رحمك الله كيف جعل النبي ﷺ طول صلاة الرجل وكثرة عمله ، وقصر خطبته وقلة كلامه ؛ علامة على فقهه ، وماأكثر تعليم النبي ﷺ أمته وأمره إياهم أن يفعلوا فعله في مثل قوله ﷺ : « صلوا كما رأيتموني أصلي » وقوله ﷺ : « خذو عني مناسككم » وصدق الله العظيم إذ يقول : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » .

فهل يعي هذا المسلمون عامة والدعاة منهم خاصة ، فرب داعٍ إلى الله بخلقه وعمله قبل دعوته لهم بكلامه ومثل هذا دونه خرط القتاد ، فنحن اليوم أحوج مانكون إلى أمثال هؤلاء ، إلى من يكون قدوة حسنة تتمثل فيه تعاليم الكتاب والسنة كما كان النبي ﷺ أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، نسأل الله عز وجل أن يمن على الأمة بأمثال هؤلاء إنه جواد كريم □

المنتدى الإسلامي في لندن

يتبنى

استلام وصرف الزكاة في مصارفها الشرعية .

يمكن إرسال ذلك على الحسابات التالية :

١ ــ حساب الصدقة ٠٠١ ــ ٤٢٠٤٥١٤ ــ ١٠٩

٢ ــ حساب الزكاة ٠٠٢ ــ ٤٢٠٤٥٤١٤ ــ ١٠٩

بنك الفيصل الإسلامي

أو

١ ــ حساب الصدقة رقم ٦٣٤٩٢٤

٢ ــ حساب الزكاة رقم ٦٣٤٩٢٥

على أي فرع من فروع الشركة الإسلامية للاستثمار الخليجي في العالم .

الشكلية

عبد القادر حامد

إن الشكلية جسم بلا روح ، ففي الأعمال ؛ إذا لم يكن هناك إخلاص ؛ يفقد العمل قيمته وتأثيره ، فالإخلاص هو روح كل عمل ، العبادة ــ مثلاً ــ إذا لم تكن قائمة على إخلاصها لله ، وتنبثق من تحرير القصد له وحده عز وجل لاتقبل ولا تثمر أثراً ، وتصبح مجرد حركات عضلية وتمتمات لسانية قد ينخدع بها من يراها ، ولكن الله تعالى لايعدها شيئاً ، ولا يعبأ بصاحبها ولا يقيم له وزناً .

وقل مثل ذلك في المبادىء ؛ كل مبدأ له حقيقة هي روحه ، خذ الديمقراطية التي يتغنى بها الكثير من المسلمين ، ويتصورونها المنقذ ، فقد استوردوا شكلها ولم يستطيعوا استيراد روحها ، (ربما لغرابة هذه الروح عن محيطهم في أصل منشئها !) فصار عندهم قانون انتخاب ، وأبنية يطلق عليها اسم البرلمانات أو مجالس الشعب أو الأمة ، وأشخاص يطلق عليهم اسم نواب وممثلين ، ومعارك انتخابية ، وصناديق وبطاقات اقتراع ، .. وغيرها من مفردات الديمقراطية ، ولجان برلمانية ، وقوانين تقدم لإقرارها أو رفضها .

إنّ كل أشكال ورموز الديموقراطية قد تجدها هنا ، أو هناك في عالمنا العربي والإسلامي ، ولكن شيئاً واحداً مفقود لاتحس له ظلاً ، ولا تشم له رائحة وهو الروح في هذه المفردات والأشكال ، الروح التي توفر الكرامة ، وتلبي الرغبة المشروعة ، وترفع الرؤوس التي كادت تعتاد الانحناء من تواتر الظلم والقهر .

وإذا انفقت عمرك تبحث عن هذه الروح المفقودة فلن تجدها ، لأن مااستوردناه في الأصل استوردناه جسداً بلا روح ، وكنا مثل بني إسرائيل حينما أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، ﴿ قالوا : ياموسى ، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ! قال : إنكم قوم تجهلون ! إن هؤلاء متبرٌ ماهم فيه ، وباطل ماكانوا يعملون ، قال : أغير الله أبغيكم إلهاً ، وهو فضلكم على العالمين ﴾ [الأعراف / ١٣٨ ــ ١٤٠] □

